



مؤسسة البحوث والدراسات العلمية

معهد الدراسات المصطلحية













عدد مزدوج




العدد الخامس عشر والسادس عشر 1437-1438هـ / 2015-2016م



سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (3) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ(4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (7).

النشر في المجلة

ترحب المجلة بمشاركة الباحثين المتخصصين في الدراسات المصطلحية وفقا لقواعد النشر الآتية:

* تعطى أولوية النشر للمقالات والأبحاث التي تعنى بالمصطلح تنظيرا وتطبيقاً.

* تخضع المواد الواردة على المجلة للتحكيم العلمي من قبل لجنة مختصة قبـــل إقـــرار نشرها.

* ترسل المقالات والأبحاث مطبوعة على الورق، ومخزنة في قرص مضغوط.

* نظام الطباعة كالآتي:

1 ـــ تكتب المقالات بطريقة (**word**)، نمط الخط **15**.

2 ـــ ترتب المصادر ويحال عليها في الهوامش حسب أسماء الكتب أولا.

3 ـــ ترفق بالبحث سيرة علمية لصاحبه.

عنوان المراسلة: مؤسسة البحوث والدراسات العلمية(مبدع)، ص. ب **6012** فاس **30040** المغرب.

الهاتف: **535962884(212)**

الناسوخ: **535962920(212)**

البريد الإلكتروني للمجلة:

mobdiimustalaheya@gmail.com

- المقالات والأبحاث تخضع في ترتيبها لاعتبارات فنية.
- تعبر المقالات والأبحاث عن رأي أصحابها.



محتويات العدد



كلمة العدد

كلمة العدد:

إضاءات حول

المعجم المفهومي لمصطلحات القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي

الأمين العام لمؤسسة البحوث

والدراسات العلمية (مبدع) فاس.

1- في أهميته:

إذا كان هناك نص ما، في لغة ما، قد أحدث "**ثورة دلالية**"، وشكَّل "**طفرة مفهومية**"، تحتاج ليحدث بعضٌ من بعضِها في مكان ما، وزمان ما، إلى قرون وقرون،.. فهو القرآن العظيم.

من أجل ذلك كان للألفاظ القرآنية من الخصوصية والخصوبة المفهومية، بحكم قرآنيتها، ما ليس لمثلها من الألفاظ، في أي علم من العلوم.

ولقد أحدثت الغفلة عن هذه الحقيقة أضرارا بالغة، من أخطرها: عدم الالتزام بمصطلحات القرآن في عدد من علوم الدين، واستعمال ألفاظ أخرى بدلا منها لابد أن تحمل – بحكم طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول والمصطلح والمفهوم – قدرا من التشوه أو التشويه، في فهم الدين وتبليغ الدين.

كما دخل من هذا الباب على المسلمين، عبر التاريخ الطويل العريض، شر طويل عريض، مس التصور والتتريل معا. ولإعادة الأمور إلى نصابها، لا بد من إعادة مفاهيم الوحي، بعد تحصيلها، إلى مواقعها وأحجامها، وإلا استمر تشوه الدين، وازداد فساد المسلمين.

ومن ثم فإنه إذا تم ضبط مفاهيم القرآن الكريم، فقد تم تبعا لذلك ضبط مفاهيم الدين القيم؛ لأن السنة بيان، به بعد القرآن، يُضْبَط فهم القرآن لتكوين الميزان. وعطاء العصور، اجتهادات أو انحرافات، تُقبل أو ترفض تبعا للميزان. ومتى تجدد فهم المفاهيم، فقد تعبد الطريق لتجديد أمر الدين.

ولقد خلت على الأمة قرون - فيها السمان وفيها العجاف، فيها خير القرون وفيها غير ذلك - وهي تتفاعل مع النص القرآني؛ تدرسه وتتدارسه، تُجلي فهمها له في أعمال، وتلخّص نظرها لمفاهيمه في أقوال، وقد تراكم منذ ذلك اليوم ما تراكم، وانهدم من بنيان الأمة ما انهدم، واحتيج إلى عودة صادقة، يتأسس فيها اجتهاد الخلف على استيعاب جهود السلف، ويتجدد فيها التدين بناء على تجدد فهم الدين، عودة يستعيد فيها المصطلح القرآني سلطته، ويسترجع في القلوب ما ضاع من مفهومه، ويحرر المساحات الهائلة المغتصبة من عقول الأمة بفعل الانسلاخ والانحسار، أو التبعية والانبهار. ولا سبيل إلى ذلك بغير الدراسة الجادة لمفاهيم المصطلحات القرآنية، وتيسير تداولها —بعد تبينها على الوجه الصحيح— للناس.

وإن الأمة اليوم، مطالبة أكثر من أي وقت مضى، بإقامة المصطلح القرآني الذي هو المصطلح الأصل. وذلك يعني فيما يعني: إقامة مفهومه، أي أن يُفهم من لفظه ما فَهِمَه أو فُهِّمه من أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم) أول مرة، دون تغيير أو تبديل، بدلالة زمن التترل للألفاظ،

ودلالة سياق الاستعمال للألفاظ، ودلالة الصفات والأشكال والأحوال التي وردت عليها الألفاظ، والعلاقات والقضايا التي ارتبطت بها الألفاظ. فلا يفهم اللفظ بدلالة ما بعد زمن التترل، ولا بدلالة سياق غير سياق الاستعمال القرآني للألفاظ، ولا بدلالة صفات أو أشكال أو أحوال لم يرد عليها اللفظ في القرآن، أو علاقات أو قضايا لم يرتبط بها اللفظ في القرآن.

فلكم ضيقت مفاهيم قرآنية بعد أن كانت ما أوسعها! ولكم وسعت مفاهيم بعد أن كانت ما أضيقها! ولكم غُيرت مواقع وأنساق، ولكم شوهت قضايا وبدلت علاقات عبر العصور. ولن يصلح آخر هذا الفهم إلا بما صلح به أوله: **استفادة المفهوم من مجموع صور استعمال اللفظ، مفهوما بدلالة زمن التترل**. وإلا فهو التشوه والتشويه المستمر.

وبناء عليه يمكن القول:

إن المعجم المفهومي لمصطلحات القرآن الكريم، هو غاية مطمح الدارسين، وإنجازه على وجهه الصحيح، هو قرة عين العالمين؛ به يرجى تبيُّن أنساق مفاهيم القرآن الجزئية، التي بها يتبين النسق المفهومي الكلي للقرآن، الذي به يتم الفهم الكلي النسقي للقرآن. وبه يرجى تجديد الفهم، الذي به يتم تجديد العمل، الذي به يتم تجديد الحال.

2- في المقصود به:

يقصد بالمعجم المفهومي لمصطلحات القرآن الكريم (**ذلكم المعجم الخاص بتعريفات مفاهيم مصطلحات القرآن الكريم، وما يتصل بها، مستخلصةً من نصوصه باعتماد منهج الدراسة المصطلحية، ومرتبة ترتيبا مفهوميا مصنفا حسب الأنساق الجزئية المفضية إلى النسق الكلي، بناء على مواقعها وأحجامها وعلاقاتها في القرآن الكريم**).

فأما كونه (**خاصا**)، فلخصوصية كلام الله عز وجل، وتميز ألفاظه عن سائر ألفاظ المعجم العربي. فهو كتاب يحمل معجمه فيه، ويحمي معجمه به، ولا سبيل إلى التمكن من معجمه من خارجه. (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) (الأنعام: 115).

وأما (**مصطلحات القرآن الكريم**) فالمقصود بها كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أم مقيدة، وعلى الصورة الاسمية الصريحة، أم على الصورة الفعلية التي تؤول بالاسمية. ويلحق بها أسماء الذوات غير الأعلام، لشبهها القوي بها، واختلاف الناس في مفهومها.

وقد اعتبرت تلك الأسماء مصطلحات، للخصوصية الدلالية التي صارت لها داخل الرؤية القرآنية، والتي إن لم يتفطن لها، ويصدر في الفهم والاستنباط عنها، كان الاختلال في ذلك بقدر الإخلال.

وأما كون **التعريفات** (**وما يتصل بها، مستخلصةً من نصوصه، باعتماد منهج الدراسة المصطلحية**)؛ فلأن من أهم ما يميز هذا المنهج، هو اعتماده في صياغة تعريف كل مصطلح، على السمات الدلالية المستخلصة من كل نصوص المصطلح. تلك السمات التي تشمل كل ما يساعد على تجلية المفهوم: صفات، وعلاقات، وضمائم، ومشتقات.

وأما كون التعريفات (**مرتبة ترتيبا مفهوميا**) فيقصد به ذلك الترتيب الذي لا يعتد بالشكل والصيغة؛ كالترتيب الهجائي والترتيب الاشتقاقي، وإنما الترتيب الذي يراعى أساسا العلاقات بين مفاهيم المصطلحات في ترتيب المصطلحات. وهو أنسب ترتيب للمفاهيم.

وأما كونها (**مصنفةً حسب الأنساق الجزئية المفضية إلى النسق الكلي، بناء على مواقعها وأحجامها وعلاقاتها في القرآن الكريم**). فلأن من أهم أهداف هذا المعجم تبيُّن أنساق مفاهيم القرآن الجزئية، التي بها يتبين النسق المفهومي الكلي للقرآن، الذي به يتم الفهم الكلي النسقي للقرآن.

3- **في الهدف منه:**

3. 1 – **ضبط مفاهيم المصطلحات المكونة للرؤية القرآنية.**

3. 2 – **تيسير الطريق إلى فقه الدين، بفقه مفاهيمه على الوجه الصحيح.**

3. 3 – **تبيُّن النسق المفهومي الكلي للقرآن الكريم، والكشف عن الشجرة المفهومية لهذا الكتاب العظيم: أصولا وفروعا وأغصانا وأوراقا وثمرات.**

3. 4 – **سد أبواب الشذوذ والشرود والانحراف في فهم الدين وتصور مفاهيمه.**

3. 5 – **تسهيل السبيل لجمع كلمة الأمة على الأصل الجامع لها قبل الاختلاف.**

وبالله التوفيق

ملف العدد:

المصطلح القرآني: قضايا، ونماذج

مقتطفات من بحوث المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع:

" آفاق خدمة النص والمصطلح في الدراسات القرآنية"

آفاق تطوير الدرس المصطلحي للقرآن الكريم مفهوما ومنهجا

دة. فريدة زمرد (*)

مر على صدور أولى الكتابات التنظيرية في مجال الدراسة المصطلحية للقرآن الكريم ما يزيد على العقدين من الزمن، وخرجت إلى الوجود أولى الدراسات التطبيقية لهذا النوع من الدرس بُعيد ذلك بقليل، ثم توالت الدراسات تترى، في محاولة لمقاربة نوع من الدرس المنهجي للمفاهيم القرآنية، قائم على أساس دراسة هذه المفاهيم في سياقاتها واستعمالاتها القرآنية، وفق خطة منهجية محكمة تقصد إلى وضع تعريف اصطلاحي قرآني لهذه المفاهيم.

وككل الدراسات الأكاديمية، جمعت هذه المحاولات بين غث وسمين، وككل الدراسات المجددة، تحتاج هذه المقاربات المنهجية إلى وقفة تأمل ومراجعة للفروض المنهجية التي تأسست عليها، وللخطوات العملية التي وجهتها، وذلك من أجل تأكيد ما هو أهل للتأكيد منها، وطرح ما حقه الطرح، وتطوير ما يحتاج إلى تطوير، وهو أمر طبيعي، بل ضروري لاستئناف نظر منهجي سليم لدراسة المفاهيم القرآنية، خاصة والأمر هنا متعلق بدراسة النص القرآني الذي أصبح الحديث عن تجديد دراسته وقراءته مطمح العديد من الدارسين مهما اختلفت منطلقاتهم ومقاصدهم، مما يجعل مسألة مراجعة هذه التجربة العلمية الرائدة مطلبا ملحا في سبيل تحقيق التجديد الحقيقي المنشود.

---

*- أستاذة التفسير وعلوم القرآن بدار الحديث الحسنية.

سيحاول البحث استجلاء آفاق تطوير الدرس المصطلحي لمفاهيم القرآن الكريم من جهتي المفهوم والمنهج:

فمن جهة المفهوم: يقترح البحث الارتقاء بمفهوم الدراسة المصطلحية إلى معنى أدق وأعمق من مجرد "منهج للدرس"، وذلك بناء على التأصيل النظري والتطبيقي لهذا الدرس في تراثنا القديم؛ الذي درس خلال البحث الذي عرض خلال المؤتمر الأول.

ومن جهة المنهج: يعرض البحث مقترحات لتطوير منهج الدرس المصطلحي، وذلك ب:

أ. استثمار نتائج الدراسة المصطلحية في مجال التفسير، توجيها وترجيحا وبيانا.

ب. تقويم بعض الأخطاء الناتجة عن سوء تطبيق المنهج.

1. آفاق تطوير الدرس المصطلحي للقرآن الكريم من جهة المفهوم:

1.1. الدراسة المصطلحية من "المنهج" إلى "العلم"

بعد مرور سنوات على تداول هذا النوع من الدرس لمفردات بعض العلوم[1]، بين عدد من الباحثين، يتعين اليوم أن نقف مع تحديد دقيق لمفهوم هذه الدراسة، كيف والدراسة المصطلحية دراسة قوامها الضبط المفهومي، إنها أحوج ما تكون اليوم إلى ضبط مفهومها بشكل يجعلها تمتلك مقومات "العلمية" التي تؤهلها لخوض غمار الدرس العلمي لمصطلحات من حجم وعيار مصطلحات الوحي.

إن الدارسَ للنص القرآني بمنهج الدراسة المصطلحية، كما هو مبين بأركانه وأدواته وخطواته، الضابطَ لرؤيته ومنطلقاته ومقاصده، ليعلم حق العلم أنه منهج من الدرس أصيل وقويم، وحقه في أقل الاعتبارات أن يكون مدخلا من مداخل التفسير، لانطلاقه من دراسة المصطلحات والمفردات التي هي مداخل دراسة النصوص والعلوم.

وقد كنت اقترحت بعد تجريب هذا المنهج على "مفهوم التأويل" في القرآن الكريم، وبعد تلمس أهمية تطبيق هذا المنهج في مجال القرآن الكريم، وأهمية النتائج التي يفضي إليها؛ كنت اقترحت أن نرقى بالدراسة المصطلحية إلى منزلة العلم، وذلك لأن "استبدال **العلم** بالدراسة يحدد طبيعتها أكثر ويرقى بها إلى مستوى يناسب أهميتها ومقاصدها العلمية وخصوصياتها المنهجية"[2].

ولأن المقام كان مقام تأصيل منهجي للدراسة المصطلحية بشكل عام وليس في مجال القرآن الكريم فحسب؛ ولأن الهاجس حينئذ كان هو تمييز "الدراسة المصطلحية" عن "علم المصطلح" الذي لا يعنى بدراسة المصطلحات في نصوصها؛ فقد كنت اقترحت تسمية الدراسة: "**علم اصطلاح النص**"، وذلك لأن "استبدال "اصطلاح النص" "بالمصطلحية" يبرز خصوصيتها

---

[1] - المقصود أساسا: مجال القرآن الكريم، وعلم الحديث، وعلم أصول الفقه، والنقد الأدبي

[2] - مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف:ص: 38

الموضوعية وأنها "دراسة علمية منهجية للمصطلح عبر النص قصدا، وللنص عبر المصطلح نتيجة"[1].

ورغم ما قد يكون من مبالغة في هذا الاقتراح، في نظر البعض، فإن دعوى استحقاق الدرس المصطلحي لوصف العلمية ظلت قائمة، ولكن بالتركيز على الدراسة المصطلحية **في مجال القرآن الكريم**، ولذلك دعوت -على هامش مشاركة في ندوة علمية في موضوع: قضايا المصطلح في العلوم الشرعية في مارس 2009م بكلية الشريعة بأكادير- أهل الدراسة المصطلحية "أن ييسروا لها سبيل الانتقال إلى طور تستوي فيه على سوق **العلمية** قلبا وقالبا، وذلك بتحديد أكثر لمفهومها، وبيان أوفى لأصولها ومنطلقاتها، وتسطير أدق لقوانينها وقواعدها، وهي دعوة ستظل قائمة إلى أن ينهض أهل هذا الشأن لها **ويتنادوا إلى يوم يحسمون فيه هذا الأمر**، فإما **إمساك لهذه الدراسة بمعروف العناية بتحديد هويتها العلمية** وتسميتها بما يليق بها، وإما **إحسان إليها بتسريحها لتجد ركنا علميا شديدا تأوي إليه** من العلوم المشابهة والمماثلة لها"[2].

واليوم، وقد تنادى أهل هذا الشأن إلى عقد مؤتمر دولي خصص لتداول أمر المصطلح القرآني وآفاق خدمته، أجدني في حاجة إلى تجديد هذه الدعوة، والقول: إن الدراسة المصطلحية لمفاهيم القرآن الكريم بكل ما لها من خصائص تتعدى صفة **المنهج** إلى صفة **العلم**، إذ المنهج مكون من مكوناتها، وهي تمتلك إلى جانب المنهج كل شروط العلمية، ولذلك أرى أن تتبوأ مكانتها بين **علوم الكتاب العزيز** الخادمة لبيانه وتفسيره، مثل العديد من العلوم التي تأسست لخدمة مفردات القرآن الكريم كعلم الغريب وعلم الوجوه والنظائر وعلم المفردات...وإذا كانت هذه "الفروع المعرفية" قد عُدت علوما، عند مصنفي العلوم الإسلامية،

[1] - نفسه.

[2] - ندوة قضايا المصطلح في العلوم الشرعية، ص: 41.

لخدمتها لألفاظ القرآن الكريم المعينة على تحصيل فهم معانيه وأحكامه، فإن الدراسة المصطلحية لمفردات القرآن الكريم، أكثر أهمية ودقة في التوصل من خلالها والتوسل بها إلى فهم كلام الله عز وجل ومعرفة أحكامه وحكمه، وأكثر شمولا واتساعا من بعض هذه "العلوم".

لكن إضفاء صفة العلم على "ضرب من الدرس" يحتاج حتما إلى بيان المقومات التي دعت إلى ذلك، وهو ما سنبينه في ما يلي من فقرات:

2.1. مقومات العلمية في الدرس المصطلحي للقرآن الكريم

إن مقومات أي علم من العلوم هي بمثابة جواز عبور إلى مجال العلمية، والدراسة المصطلحية لها من المقومات العلمية، ما يؤهلها لذلك:

- **مقوم الموضوع**: وموضوعها هو **مصطلحات** القرآن الكريم **ونصوصها**، وإضافة النصوص هنا أمر ضروري، وهو ما يرقى بهذه الدراسة إلى منزلة هي أقرب إلى علم التفسير منها إلى علم المفردات، إذ ما يميز دراسة مصطلحات القرآن هنا دراستها في **نصوصها** قصد الوصول إلى تعريف لها، ولا نصل إلى التعريف إلا بمرقاة الدراسة النصية لكل نص نص ورد فيه المصطلح، أيا كان شكل وروده، وهذه الخاصية هي ما يميز الدراسة المصطلحية، عن علم المصطلح، وعن الدراسات الموضوعية والدلالية، وهي نفسها الخاصية التي توفر أكبر قدر من الموضوعية والعلمية في تفسير دلالات المصطلحات القرآنية وما يرتبط بها من قضايا، فهي "تهتم بالمصطلح داخل النص، وليس بمعزل عنه، وبالنص من خلال المصطلح، لا بعيدا عنه"[1].

إن جدلية النص والمصطلح في هذا العلم هي بحق من أهم مقوماته من حيث الموضوع ومن أهم مميزاته على مستوى المنهج أيضا.

- **مقوم المنهج**: لا نحتاج إلى تفصيل القول هنا في المقومات المنهجية لهذا الدرس، فأهم ما أعطى لهذه الدراسة بعدها العلمي المتميز: منهجها الدقيق الذي يتدرج فيه الدارس

[1] - مفهوم التأويل: ص 38.

انطلاقا من المصطلح ومرورا بالنص ووصولا إلى التعريف، عبر مراحل دقيقة يأخذ بعضها برقاب بعض دراسة ثم عرضا:

تبدأ **بالإحصاء** الدقيق والاستقراء التام له، ثم **تحليل النصوص** الوارد فيها تحليلا يستصحب الدلالات اللغوية المعجمية، ويدرس الدلالات الاستعمالية القرآنية بالأدوات والمنهج الذي يمكن من تحليل هذه النصوص ومعرفة أوضاعها المقالية والتداولية، مع استثمار كل العلوم الخادمة للقرآن الكريم، كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والمناسبة...، ثم يلي ذلك مرحلة **التصنيف المفهومي** لنتائج دراسة النصوص وتحليلها، وهي من أدق المراحل في المنهج، ومن أهم مميزاته، إذ بهذا التصنيف تتضح ملامح المصطلح، فتتبين مقوماته المفهومية الخاصة، وامتداداته الدلالية المختلفة عبر اشتقاقاته وضمائمه وقضاياه، ويكون بذلك قابلا **للعرض** بصورة منهجية دقيقة أيضا نتدرج فيها: من **التعريف** الذي يلخص سماته الدلالية، إلى **الصفات والخصائص** التي تميزه في ذاته، إلى **العلاقات** التي تميزه عن غيره، إلى **الامتدادات الاشتقاقية والضميمية**، المكملة له، إلى **الأبعاد والقضايا العلمية** المرتبطة به.

إن هذه المقومات المنهجية الجزئية التي تشكل أساس الدرس العلمي للمصطلحات هنا، هي بمثابة الشروط والضوابط العلمية التي تمكن من الوصول إلى نتائج أقرب ما تكون إلى الصحة والسلامة من شذوذ التأويلات المنحرفة والإسقاطات الدلالية، نظرا لكونها تجعل الدارس مرتبطا بالنص غير منفك عنه، باحثا فيه عن معناه، وهو ما يساعد على تحقيق الغاية من العلم وهي المقوم الثالث من مقومات العلمية فيه.

- **مقوم الغاية والمقصد:** إن المقصد من هذه الدراسة مقصدان: مقصد علمي قريب، ومقصد حضاري بعيد، أما المقصد العلمي فهو الوصول إلى **تعريفات اصطلاحية دقيقة للمصطلحات القرآنية**، تلخص ما تتضمنه من دلالات وأحكام، تُحكم بها هذه الدلالات وتمنع

أي زيغ قد يقع في تأويلها، وأي انحراف قد يقع في تتريلها، ويمكن أن نصل بعد هذا إلى إخراج معجم مفهومي يتضمن هذه التعريفات، يمد الباحثين والدارسين والمفسرين والمتدبرين للقرآن الكريم بما يعين على تبين معانيه على الجملة وتتريلها على التفصيل.

وأما المقصد الحضاري البعيد فهو إعادة الأمة إلى مركزية الحضارة من أكثر المداخل والأبواب أمنا وسلامة، وهو مدخل المصطلح: المفتاح لفهم أساس هذه المركزية وهو النص، ألسنا نصف الحضارة الإسلامية بأنها حضارة النص؟ .....

- **مقوم المصطلح**، والمقصود هنا مصطلحات "الدراسة المصطلحية" التي صارت عَلَما عليها، بعضها مشترك بينها وبين غيرها من الفروع العلمية، كالإحصاء، والتعريف، والمشتقات، والصفات والخصائص، وإن كانت لها في عرف الدراسة معان زائدة، وبعضها يكاد يكون خاصا بها كـ"الدراسة النصية" و"الدراسة المفهومية"، و"العرض المصطلحي"، و"الضمائم"، و"الجذر المفهومي"....

إذا تم الإقرار بهذه الحقيقة، أقصد حقيقة امتلاك الدرس المصطلحي للقرآن الكريم لمقومات "العلمية"، أمكن حينئذ التفكير في الاسم الذي يخرجها من حيز "المنهج" أو "الدرس" إلى حيز "العلم"، ويمكن اقتراح تسميتها ب"علم المصطلح القرآني"أو "علم مصطلحات القرآن الكريم"، واعتباره من العلوم الخادمة لكتاب الله تعالى وبيانه.

2. آفاق تطوير الدرس المصطلحي للقرآن الكريم من جهة المنهج

إن المتأمل في نتائج العديد من الدراسات المصطلحية للقرآن الكريم يجدها مفيدة لبيان القرآن الكريم بشكل عام – رغم أنها تستفيد أساسا من جهود السابقين من المفسرين – ويمكن أن تفيد هذا المجال بشكل خاص إذا استثمرت نتائجها بشكل جيد، ووضعت موضعها الصحيح نظرا وتطبيقا.

وقبل عرض بعض المقترحات في هذا الباب، يستدعي المقام أن نقف عند نقطة مهمة نستجلي بها طبيعة النتائج التي تتوصل إليها "الدراسة المصطلحية" في بيان كلام الله عز وجل، لأن ما يأتي بعدها من هذه المقترحات مبني عليها:

1.2 . الدرس المصطلحي بين قطعية النتائج وظنيتها.

مخطئ من يصف نتائج الدراسة المصطلحية لمفاهيم القرآن الكريم ونصوصها **بالقطعية** لمجرد انبنائها على مقدمات منهجية "صارمة"، ومخطئ من يظن أن التقيد الحرفي بخطوات المنهج وأركانه كفيل – وحده - بالوصول بالباحث إلى نتائج آمنة في فهم النصوص؛ صحيح أن الدارس المصطلحي يكتسب – بفعل تمرسه بالمنهج وطول تدبره للنصوص الذي هو من لوازم "الدراسة النصية" – قدرة على النفاذ إلى معاني مصطلحات القرآن ومفرداته، وتمييز خصائص استعمالها[1]؛ لكن هذا لا يعني بالضرورة أن نتائج الدرس المصطلحي **قطعية** في دلالتها على المقصود، فإن طبيعة الخطاب القرآني تجعل أي نظر فيه محكوما بخاصية "**الاحتمال**" التي تطبع معظم نصوصه، وحيثما كان الاحتمال، كان الاختلاف والتباين في التأويل، مع صعوبة القطع في كثير من الأحيان بصحة بعض هذه التأويلات وبطلان غيرها.

إلا أنه من المعلوم أن المعاني التي يحتملها النص تتفاوت قربا وبعدا من المراد بحسب ما يقويها من **القرائن والأدلة**، ومن هنا يمكن أن نجد للدراسة المصطلحية قدما راسخا في امتلاك المقومات التي تجعل نتائجها (في تفسير الآيات) من أكثر الاحتمالات قربا من المعنى المراد،

[1]- وهو ما قد لا يتيسر للمفسر الذي عادة ما تشغله كثرة النصوص الشارحة للآية (من لغة وشعر ونقول وأقوال) وربما يميل مع ما يبدو له من نظر خاص في النصوص متأثرا بمذهبه أو تخصصه، فيذهل عن تحقيق معاني المفردات وتدقيق دلالات المصطلحات بالنظر إلى سياق استعمالها ومجالها المفهومي القرآني، مما ينتج عنه ذهول عن المعاني والدلالات والأحكام والحكم التي أنيطت بهذه المفردات والمصطلحات.

بسبب قوة قرائنها وأدلتها، كونها تنبني على تحديد **دلالة المصطلحات، والاصطلاح حرز حافظ للدلالة** من كل أشكال التحريف المفهومي، ومن ثم يكون تفسير الآيات التي يرد فيها ذلك المصطلح أقرب التفسيرات إلى المعنى المراد، ولا نقول هو المراد نفسه، إيمانا بأن الله عز وجل هو أعلم بالمراد من كلامه، وأنه تعالى نصب الدلالة على هذا المراد في كلامه، أصابه من أصابه وأخطأه من أخطأه.

إن الدرس المصطلحي نحو من التدبر والنظر في كلام الله عز وجل بقصد الوصول إلى دلالاته وأحكامه، وهو لذلك محكوم بضوابط وقواعد النظر في كتاب الله، بل لعله من أكثر المناهج احتراما لها، ولذلك فإن نتائج هذا الدرس لا تلغي ولا تبطل نتائج التفسير، إلا إذا كان هذا **التفسير ظاهر البطلان**، بأن خرم فيه أصل من الأصول العامة المقررة في هذا الباب، كعدم اعتبار للدلالة اللغوية أو إغفال ظاهر لسياق مقامي أو مقالي موجه للمعنى، أو تفسير للآية بمقتضى فهم حادث أو مذهبية معينة أو تخصص معين....

بعد هذا البيان، نأتي إلى ذكر بعض ما يمكن أن يستفاد من الدرس المصطلحي في مجال التفسير.

2.2. الكشف عن نسقية القرآن الكريم وبنائيته

إن "فهم القرآن لا يمكن من غير معرفة نظامه"[1] تلك حقيقة لا يمكن إنكارها، ولئن كان المتقدمون قد لامسوا شيئا من هذا النظام من خلال بحثهم في المناسبة والنظم، وفي ما درسوه من علاقات تربط الألفاظ القرآنية، على هامش تفسيرهم لها؛ فإن إمكانات بحث نظم القرآن ونسقيته اليوم، ممكنة عبر توسيع مفهوم النظم والمناسبة، وتجديده ليشمل النظام المفهومي أو النسق المفهومي المكون من مجموعة من المصطلحات المترابطة فيما بينها مفهوميا.

[1] - دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، الدار الحميدية، الطبعة 1، 1388هـ، ص: 27

وقد كشف الإمام الفراهي، الذي يعتبر "النظام" أهم خصائص الخطاب القرآني، عن شيء من هذه النسقية المفهومية في القرآن الكريم، في كتابه "دلائل النظام"، حين أشار إلى بعض مظاهر النظام من خلال العلاقة بين بعض المصطلحات في الاستعمال القرآني، حيث ترى مثلا "ذكر الصلاة مع الزكاة، والربا مع الصدقة... وترى الصبر مع الصلاة والجهاد... وترى التقوى مع الإيمان... وغير ذلك من الأمور التي يظهر التناسب بينها بتأمل... فهذا لا يدلك على النظام إلا ويدلك معه على الحكمة"[1].

إن فائدة معرفة هذه الاقترانات مهمة في بيان المفاهيم المتماثلة، وتلك المتنافرة، فحين تقترن الصلاة بالإنفاق أو "الإطعام" (أو المواساة بتعبير الفراهي) كما في قوله تعالى: "قالوا لم نك من **المصلين**، ولم نك **نطعم** المسكين" [المدثر: 42-43]، ثم يقترن الإيمان بالإنفاق كما في قوله: "إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين" [الحاقة: 32-33]؛ نفهم من ذلك أن "الصلاة والإيمان من باب واحد"[2].

إن الكشف عن هذا النظام، وهو في الحقيقة كشف عن إحدى صور الإعجاز القرآني، يمكن أن يتحقق بشكل عميق من خلال الدرس المصطلحي للقرآن الكريم، وذلك لأنه درس يتأسس على هذه الرؤية ابتداء، حين يجعل مفتاح الفهم للقرآن مصطلحاته، ثم يبرز قيمة هذه الخاصية في كل مراحل الدرس وخصوصا في مبحث الخصائص والعلاقات، والقضايا، وينتهي إلى مقصد يخدم هذه النسقية من خلال إمكانية انبناء المعجم المفهومي القرآني على نتائجه.

---

[1]- دلائل النظام، ص: 29

[2]- دلائل النظام، ص: 63

أما في مبحث الخصائص، فلأنه يروم تحديد موقع المصطلح داخل النسق المفهومي القرآني، حيث يتعين على الدارس أن يضعه ضمن لبنات تماثله أو تكمله أو تقابله، ضمن الشبكة المفهومية المكونة لهذا النسق.

وأما مبحث العلاقات، فلأنه المبحث الذي يتم فيه تفكيك هذه الشبكة المفهومية المتعالقة مع المصطلح، بتحليل أنواع التعالقات وطبيعتها، وما تضيفه دلالات هذه التعالقات إلى مفهوم المصطلح.

وفي مستوى دراسة قضايا المصطلح لا تغيب هذه الرؤية النسقية في تحليل ما يرتبط به من قضايا علمية، تزيد مجاله المفهومي بيانا.

إن معرفة النسقية والنظام متوقفة على معرفة النسق المفهومي القرآني، وفائدة ذلك كله تتلخص في أمرين: كمال الفهم، وحسن الانتفاع، وكفى بهما فوائد في هذا الباب.

لكن مع كل هذه المميزات التي تحفل بها الدراسة المصطلحية، لا نجد في ما أنجز من دراسات إلى الآن صورة دقيقة للشبكة المفهومية لكل مصطلح مدروس معروضة بشكل يوضح هذا المقصد بجلاء، وهو أمر يجب تداركه في ما يستقبل من دراسات بتخصيص مبحث ضمن نتائج البحث لاستخلاص هذه الشبكة، وكلما تحصلت لدينا نتائج كلما اتسعت أطراف هذه الشبكة وظهرت معالمها، ويمكن رتق أطرافها مما يتحصل من دراسات، إلى أن نكون الشبكة المفهومية الكاملة.

3.2. ترسيخ مبدأ "تفسير القرآن بالقرآن" وتوسيع تطبيقه.

"تفسير القرآن بالقرآن" أصل تفسيري أصيل، بل هو أكثر أصول التفسير أهمية وخطورة، من حيث فائدته في تحصيل معاني القرآن الكريم، ولذلك عُد عند العلماء أصح الطرق

الموصلة إلى فهم القرآن الكريم وتفسيره[1]، لأن "لا أحد أعلم بمعني كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا" [2]، ونظرا لاتساع دلالة هذا المفهوم نظريا، فإن تطبيقاته تنوعت، منها:

- تفسير الآية بنظائرها.
- النص على بيان الآية للآية بتخصيص عموم أو تفسير مجمل أو تقييد مطلق أو ما شابه.
- جمع الآيات المتشابهة في موضوع ما، سواء بمفهوم التشابه اللفظي عند المتقدمين، أو بمفهوم التشابه "الموضوعي" المعروف عند المتأخرين بالتفسير الموضوعي.
- جمع موارد اللفظ في القرآن الكريم على طريقة أصحاب الوجوه والنظائر.

ومن الطبيعي أن تختلف درجات البيان القرآني ومستوياته وتتفاوت في الوصول إلى الدلالة القرآنية المقصودة، وذلك لأنها في الجوهر مبنية على **اجتهاد** المفسر - الذي قد يصيب وقد يخطئ - في ربط الآية بما يبينها، ومن ثم وجب التنويه إلى أن صفة **الصحة** التي ألصقت بهذا النوع من التفسير مستقاة من التصور النظري له، أو من المفهوم، وأما تطبيقاته أو مصاديقه فهي رهينة بمدى تصور المفسر لحقيقة المفهوم، وآية ذلك أن تفسير الآية بنظائرها مثلا قد لا يوصل بالضرورة إلى الفهم السليم للنص.

وأما ما يمكن أن تقدمه الدراسة المصطلحية لهذا الأصل الأصيل في بيان القرآن الكريم، فهو- فضلا عن توسيع صور هذا النوع من البيان لتشمل الدراسة المصطلحية- ما يتيحه هذا الدرس من إمكانات هائلة لاستنطاق النصوص، والبقاء داخل حدودها، وذلك عبر مستويين:

[1]- ينظر مقدمة أصول التفسير لابن تيمية، ومقدمة تفسير أضواء البيان للشنقيطي، وهو أمر نص عليه الكثير من المفسرين على اختلاف مشاربهم، كالزمخشري والرازي وابن كثير، والأصوليين كالشاطبي والعز بن عبد السلام.

[2]- أضواء البيان 8/1.

الأول: مستوى **الدراسة النصية** للآيات التي يرد فيها المصطلح أو المفهوم حيث يتوقف فهم دلالته في **الآية الواحدة** على معرفة دلالاته في **كل الآيات التي ورد فيها**، وبكل صيغه وفي جميع أحواله الإفرادية والتركيبية.

والثاني: مستوى **الدراسة المفهومية** لعلاقات المفهوم الدلالية المتنوعة اختلافا وائتلافا، وللقضايا والأحكام المتعلقة به نوعا من التعلق، والذي لا يتم إلا من خلال دراسة **كل النصوص والآيات موضوع العلاقة**.

ولا شك أن هذه المستويات هي أكثر عمقا من مجرد ذكر نظائر الآية، أو عرض موارد اللفظ في القرآن، والأهم من ذلك فعلا هو إمداد الدارس بوسائل لتسييج الدلالة القرآنية وحفظها من التفسيرات المحرفة والتأويلات الإسقاطية.

لكن أهمية ما يمكن أن تقدمه الدراسة المصطلحية في هذا الباب تحتاج إلى إبراز من قبل الدارسين، وذلك باستثمار نتائج هذا الدرس الذي يتأسس على هذا الأصل، في توجيه أقوال المفسرين، والترجيح بينها، وربما الحكم عليها أيضا، وهذا ما نبينه في الفقرة الآتية:

4.2. اعتبار الدلالة المصطلحية للألفاظ القرآنية موجهة للتفسير

إن من شأن الدرس المصطلحي، بما يميزه من خصائص منهجية، أن يعين الدارسين للقرآن الكريم، على امتلاك حس مصطلحي، يمكنهم من التدقيق في كيفية استعمال القرآن الكريم لمفرداته ومصطلحاته ومفاهيمه، وضبط دلالاتها، وحصر الفروق بينها، وكل ذلك يصب دون شك في **باب إحكام البيان والتفسير**، وإذا كان للمفسرين والدارسين للنص القرآني نظر سديد في ضبط مفاهيم القرآن الكريم، فإنهم في أحايين كثيرة تنزلق بهم إسقاطات الفهم الحادث لهذه المفاهيم بعد النزول، بتأثير من مذهب متبع أو تخصص غالب، فيشردون عن مقاصد القرآن الكريم، وهنا يكون تدخل الدارس المصطلحي ضروريا لتقويم مثل هذا الانفلات...

ولعل من أهم تطبيقات هذا التقويم، إمكانية استثمار نتائج الدرس المصطلحي للمفاهيم القرآنية في **الترجيح عند وجود الاختلاف في التفسير**، وذلك لأن نتائج التتبع الدقيق لمعاني المصطلح في الاستعمال القرآني، تجعل من هذه الدلالة "**الاصطلاحية**" بحكم اطراد الاستعمال، قوية يمكن ترجيحها عند الاختلاف، وسأضرب لذلك أمثلة من موارد لفظ التأويل الذي درسته، حيث نجد اختلافا بين المفسرين في تفسير المراد بلفظ التأويل في عدد من موارده، بين تفسيره بمعنى "العاقبة والتحقق الفعلي في الواقع"، وتفسيره بمعنى "العلم والبيان والتفسير للمعاني":

ففي تفسير قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ **تَأْوِيلا**﴾ [النساء: 58]، اختلف المفسرون في معنى التأويل في الآية، فذهب بعضهم إلى أن معناه العاقبة، وذهب بعضهم إلى أنه بمعنى "الرد إلى المعنى" وهو قول حكاه الزجاج ثم اختاره بعض المفسرين بعده كالطبرسي الذي يقول: "قيل: أحسن من تأويلكم أنتم إياه من غير رد إلى أصل من كتاب الله وسنة نبيه ، **وهو الأقوى** لأن الرد إلى الله ورسوله ومن يقوم مقامه من المعصومين أحسن لا محالة من تأويل بلا حجة" [1] ، وجاء في تفسير الألوسي للآية: "التأويل إما بمعنى الرجوع إلى المآل والعاقبة، وإما بمعنى بيان المراد من اللفظ الغير الظاهر منه **وكلاهما حقيقة، وإن غلب الثاني في العرف**" [2] .

واختلف المفسرون أيضا في معنى التأويل في قوله ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 39]،

---

[1]- مجمع البيان، الطبرسي، 2 / 100 ـ 101

[2]- روح المعاني، الألوسي: 5/ 67 .

حيث ذكر ابن عطية[1] في تفسير التأويل هنا معنيين لم يرجح أحدهما: الأول "ولا جاءهم تفسير ذلك وبيانه" والثاني"ما يؤول إليه أمره"، وكذلك فعل ابن الجوزي[2]، وذهب الرازي إلى ترجيح معنى التأمل والنظر في المعاني: "والحاصل أن القوم ما كانوا يعرفون أسرار الإلهيات، وكانوا يجرون الأمور على الأحوال المألوفة في عالم المحسوسات. وما كانوا يطلبون حكمها ولا وجوه تأويلاتها، فلا جرم وقعوا في التكذيب والجهل، فقوله: "بل كذبوا لما لم يحيطوا بعلمه" إشارة إلى عدم علمهم بهذه الأشياء، وقوله: "ولما يأتهم تأويله" إشارة إلى عدم جدهم واجتهادهم في طلب تلك الأسرار"[3] ثم أكد هذا المعنى بقوله: "قال أهل التحقيق قوله: "ولما يأتهم تأويله" يدل على أن من كان غير **عارف** بالتأويلات وقع في الكفر والبدعة، لأن ظواهر النصوص قد يوجد فيها ما تكون متعارضة، فإذا لم يعرف الإنسان وجه التأويل فيها وقع في قلبه أن هذا الكتاب ليس بحق، أما إذا عرف وجه التأويل طبق التنزيل على التأويل فيصير ذلك نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء" [4]، وكذلك رجح ابن جزي أن يكون المقصود بالتأويل هنا: "علم تأويله" أي العلم بالوعيد. وفسر ابن كثير التأويل بمثل ما فسر به الإحاطة بالعلم قال: "بل كذب هؤلاء بالقرآن، ولم يفهموه ولا عرفوه "وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ" أي: ولم يُحصّلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلا وسفهًا"[5].

---

[1]- المحرر الوجيز: 121/3.

[2]- زاد المسير لابن الجوزي: 4/ 33.

[3]- مفاتيح الغيب، 103/17.

[4]- نفسه.

[5]- تفسير ابن كثير، 364/7 .

وبالنظر إلى مفهوم التأويل في القرآن الكريم الذي تحصل من دراسة كل موارده في القرآن الكريم، فإن **الراجح** من القولين في الآيتين: أن التأويل فيهما بمعنى العاقبة والتحقق لا بمعنى البيان والتفسير[1].

وكذلك الأمر في تفسير العديد من المفسرين التأويلَ في آيات "تأويل الرؤيا" في سورة يوسف **بالتعبير**، في حين يترجح تفسيره بالتحقق الواقعي للرؤيا ومعاينتها في الواقع، ونفس الأمر في تفسير آيتي الكهف (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) و(ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) [الكهف: 78/ 82]، حيث جاء عن بعض المفسرين أن معنى التأويل في الآيتين: **التفسير**: "أي هذا تفسير ما لم تسطع عليه صبرا"[2]، لكن هذا المعنى لا يستقيم مع سياق الآية التي ذكر فيها الأفعال لا الأقوال[3]، ولا مع المعنى العام للتأويل في السياق القرآني الذي تحصل من النظر في كل نص من نصوص المصطلح.

ويأتي الخلاف المشهور بين العلماء في تفسير معنى "التأويل" في قوله عز وجل (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللَّهُ) متوجا لهذه الأمثلة، حيث فسر البعض التأويل بأنه من قبيل تفسير الألفاظ المبهمة، وفسره البعض الآخر بأنه من قبيل التحقق الفعلي والعاقبة، وبنيت على التفسيرين نتائج في تحديد مفهوم "الإحكام والتشابه"، وحدود العلم بالمتشابه وضوابط هذا العلم، حتى إننا نجد

---

[1]- وهو ما ذهب إليه ابن تيمية أيضا حيث رد ما حكاه الزجاج بقوله: (وهو تفسير له بالاصطلاح الحادث لا بلغة القرآن) [فتاوى 17 :367].

[2]- ينظر مثلا: تفسير كل من القرطبي، وابن كثير، والطاهر بن عاشور.

[3]- وإلى هذا المعنى ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث اعتبر التأويل في الآيتين تأويل عمل لا تأويل قول [ن: الإكليل: 30].

من المفسرين من عقد فصولا في موضوع التأويل والإحكام والتشابه أقرب ما يكون إلى البحث الأصولي للموضوع.

لكن الذي يترجح في تفسير معنى التأويل في الآية: معنى العاقبة وما يقع من غيوب لا يعلمها إلا الله، وهو المعنى الذي يقويه سياق الاستعمال القرآني ودلالة مصطلح التأويل في القرآن عموما، ولو كان التفسير الثاني مستندا إلى **قول صحابي**، إذ قد يكون ذلك القول تفسيرا للفظ بمقتضى دلالة لغوية أو عرفية صحيحة في ذاتها، لكنها ليست صحيحة من حيث الدلالة الاصطلاحية القرآنية المستقاة من سياق الاستعمال القرآني.

إن ذهول المفسرين أحيانا عن تحقيق دلالات المصطلحات القرآنية، يعود إلى أسباب: منها عدم اهتمامهم بتتبع نصوص المصطلح كلها ودراستها ثم استخلاص الدلالة من مجموعها، لانشغالهم أساسا بتفسير الآيات في سياقها الترتيبي التعبدي، ومنها استصحابهم للدلالات الاصطلاحية التي صارت إليها هذه المصطلحات في عرف علوم مختلفة، وخصوصا منها العلوم المتجاورة كعلم أصول الفقه وعلم الكلام.

3. ضوابط وموجهات لتجاوز ثغرات تطبيق المنهج

إن امتلاك الدرس المصطلحي للقرآن الكريم مقومات "العلمية" لا يعني عدم إخضاعه للنقد وخضوعه لسنة التطوير والتجديد، بل لا حياة للعلم إلا بوجود النقص المستلزم للتكميل ووجود الخطأ الموجب للتصحيح، والظاهر أن مرور مدة من الزمن غير قليلة، على ظهور هذا الدرس، وصدور العديد من التطبيقات له، يمكّن من عرض بعض المقترحات للتطوير والتجديد على مستوى المنهج، فالمنهج كما هو مسطر نظريا يبدو"مقنعا ودقيقا وشاملا" ، لكن على مستوى التطبيق العملي، لا يزال في حاجة إلى ضبط...

وأول ما يحتاج إلى الضبط فيه مبحث التعريف:

1.3. الدرس المصطلحي وإشكال التعريف

قبل الحديث عن إشكال التعريف هنا لابد من تحديد المقصود به في هذا المجال، إذ الحكم عن الشيء فرع عن تصوره، والتعريف الذي يبدو الأقرب إلى تقريب مفهوم التعريف في الدراسة المصطلحية هو تعريف الدكتور علي القاسمي: (بلاغ **يصف مجموع السمات الدلالية** التي ينتمي إليها المفهوم الذي يدل عليه مصطلح ما، ويخبر عن **طبيعة المفهوم نفسه**) [1] .

والظاهر أن أهم عقبة يواجهها الدارس المصطلحي هي عقبة تحرير تعريف المصطلح المدروس، وهو المبحث الذي يتوج دراسته للمصطلح في مختلف سياقاته وموارده، وما يستتبع ذلك من خطوات، وهو في الوقت نفسه: زبدة الدرس المصطلحي وخلاصته، والسمة المميزة له عن أشكال الدرس المماثلة تفسيرا كان أو دراسة موضوعية أو دلالية؛ ووجود إشكال في التعريف في الدراسة المصطلحية يرجع إلى عدة أسباب، يجب الوقوف عندها للتفكير في سبل تجاوزها:

السبب الأول: يرجع إلى صعوبة "التعريف" نفسه، فصعوبةُ تحديد المفاهيم أمر لا يجادل فيه اثنان، وهي صعوبة راجعة إلى مفهوم الحد نفسه من حيث دلالته على "بيان حقيقة الشيء المعرف"، وإلى شروطه التي يختزلها الوصف بالجمع والمنع، وهما وصفان إذا تؤملا وجدناهما يجمعان بين خاصيتين متعارضتين: فوصف الجمع يشير إلى خاصية الاستقصاء والتوسع في ذكر كل ما يؤدي إلى تبين "حقيقة" المعرف، ووصف المنع يشير إلى خاصية التحديد والتضييق، بأن لا يدخل في التعريف ما هو خارج عن تلك الحقيقة، ولا شك أن الجمع بين الخاصيتين هو من الصعوبة بحيث أصبح من المعلوم استحالة تحققهما في التعريفات، هذا فضلا

[1] - مقدمة في علم المصطلح،ص: 249.

عن استحالة بيان "الحقيقة أو الماهية" التي يقصدها التعريف. وليس ذلك إلا لصعوبة الحكم على التصورات والمعاني بالإطلاق إذ هي نسبية لنسبية منتجيها زمانا ومكانا.

صحيح أن مفهوم الحد قد خضع لنقد علمي دقيق من قبل علماء الإسلام، استبدلوا به نظرية للتعريف السياقي الاسمي الذي يمكن أن يكتفى فيه ببيان الصفات والخصائص، أو المثال، أو المرادف... وذلك بحسب حاجة متلقي التعريف؛ لكن ذلك لم يحد من صعوبة التعريف لكونه يمثل إحدى أرقى العمليات الذهنية التي يقوم بها الدارس حيث يلزمه التعبير بوضوح عن المقصود من المعرَّف غير غافل عن كل ما من شأنه أن يبين هذا المقصود.

السبب الثاني: يرجع إلى خصوصية "التعريف" في مجال القرآن الكريم: فإذا كانت هذه الصعوبة، الموصوفة آنفا، تنطبق على التعريف في المجالات العلمية الإنسانية، فكيف بالتعريف في مجال القول الإلهي أي في مجال القرآن الكريم، الذي يكون على الباحث فيه **استنباط** التعريف فيه من جملة من النصوص الجزئية التي تتفاوت عددا وتتشعب دلالة، مع ما تتطلبه عملية الاستنباط هاته من مراحل ينتقل فيها الدارس من الاستيعاب والفهم والتبين إلى الوصف والتحليل والتفكيك، إلى التصنيف والترتيب والتقسيم، إلى التجريد والحصر والتدقيق؛ فكيف إذا أضيف إلى كل هذا احتمال هذه النصوص الجزئية للمعاني المتباينة، مما يتطلب ترجيح المعنى الأقرب منها إلى المراد بقرائن واضحة وحجج بينة.

هذا مع ما يعلمه كل ناظر في كتاب الله عز وجل من أنه "لابد لكل قول يجزم به أو يُحمل، من شاهد يشهد لأصله وإلا كان **باطلا** "[1]، والتعريف "قول في القرآن" دون شك، بل هو خلاصة القول فيه.

[1] - الموافقات، للشاطبي. 2/3/244-245

السبب الثالث: يتعلق بالدارسين وعدم معرفة الكثير منهم بأدوات التعريف وشروطه ومقتضياته، أو عدم قدرتهم على إجراء كل تلك العمليات العقلية السالفة الذكر، وهنا يتعين التذكير بأهم شروط التعريف المعتبر وهي:

- أن يكون التعريف أكثر وضوحا من المعرف، وهذا الوضوح يتحقق بمجموعة من الشروط:
- عدم استعمال العبارات الغامضة، والتعبيرات المجازية والألفاظ المشتركة إلا إذا كانت قرائنها ظاهرة.
- عدم استخدام أداة التخيير (أو)
- عدم استعمال لفظ مشتق من المعرف.
- أن يكون التعريف شاملا لكل السمات الدلالية المجلية لطبيعة المفهوم.
- أن يكون المعنى (أو المعاني) الذي عرف به المفهوم مطردا في كل نصوصه.
- أن يشار في التعريف إلى المجال الذي ينتمي إليه المفهوم المعرف، وهو هنا القرآن الكريم، أو القرآن والحديث.

إن التعريف بكل هذه المقتضيات يقصد بالأساس تقريب المفهوم المعرف إلى الأذهان، وإزالة أي غموض أو لبس قد يكتنف تصور الذهن له، ولذلك أمكن توسيع دائرة مستويات التعريف من التعريف بالمقومات الذاتية للمعرَّف، إلى التعريف بخصائصه وصفاته، إلى التعريف بالمثال أو المرادف أو المقابل على سبيل الاتفاق أو الاختلاف، بشرط انضباطها للشروط المذكورة...

لكن الكثير من التعريفات التي وضعها الدارسون لمصطلحات القرآن الكريم لا تستجيب لهذه الشروط والمقتضيات، ومن الأمثلة على ذلك نورد هنا بعض التعريفات نتبعها ببعض الملحوظات:

التعريف الأول: تعريف لمفهوم النعمة في القرآن الكريم: " النعمة عطاء إلهي متعدد الأبعاد والصور، يند عن الإحصاء، ويقتضي الشكر على أنحاء، شكرا يطلب العبد إيزاعه من ربه، وشأنه أن يجلب المزيد، ويورث عكسه التغيير والزوال، ويظن الجاهل حرمانه بعض ذلك العطاء نعمة، وقد يمن بعضهم بعض مظاهره على من تعلقت بهم، جهلا وعتوا، وقد ينسب بعض أشكال ذلك العطاء الإلهي إلى العبد تجوزا، وقد تكون بعض مظاهره على سبيل الاستدراج" [1] .

التعريف الثاني: تعريف الأمة في الاصطلاح القرآني الحديثي: (هي - في الأصل- كل جماعة يجمعهم أمر يجعل منهم مجتمعا موحد القبلة والاتجاه، سواء كان ذلك الأمر الجامع اختيارا أو تسخيرا، وتطلق على الدين والحين من الزمان وعلى الإمام أو الرجل القدوة الجامع للخير) [2] .

التعريف الثالث: تعريف لمفهوم التقوى "التعريف الشامل لمصطلح التقوى يقوم على أربعة أركان: الإيمان، العلم بما يتقى، الخشية، المداومة على الطاعة امتثالا للأوامر واجتنابا للنواهي" [3].

هذه التعريفات فيها من الخوارم المنهجية ما يغيب معه مقصد البيان والإيضاح الذي يجب أن يميز التعريف، نجملها في ما يأتي:

---

[1]- مفهوم النعمة في القرآن الكريم والحديث الشريف، عبد المجيد بن مسعود، ص: 89-90.

[2]- مفهوم الأمة في القرآن الكريم والحديث الشريف ، عبد الكبير حميدي، ص: 123.

[3]- مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، محمد البوزي، ص: 127.

أولا: طول التعريف، ويرجع هذا الطول إلى ذكر التفاصيل والجزئيات المرتبطة بالمفهوم، كالتفصيل في بيان خصائص الشكر على النعمة، في تعريف النعمة: (شكرا يطلب العبد إيزاعه من ربه، وشأنه أن يجلب المزيد، ويورث عكسه التغيير والزوال)، و هذه التفاصيل تتعلق بدلالات جزئية، لا حاجة لذكرها في التعريف الذي يجب أن ينصب على بيان مفهوم النعمة أساسا وليس الشكر على النعمة.

ثانيا: تعقيد معانيه وغموض عباراته، مثاله قول المعرِّف عن النعمة: (ويظن الجاهل حرمانه بعض ذلك العطاء نعمة)، فلا ندري أي عطاء هذا الذي يظن الجاهل أن حرمانه منه نعمة، ولا ندري ما المقصود بالجاهل؟ هل هو من لا علم له أو الذي لا إيمان له؟؟؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة يضطرنا إلى الرجوع إلى النصوص، وهذا أمر من المفروض أن يكفينا التعريف عناءه، لأن وظيفة التعريف: تقريب مفهوم المصطلح بعبارات واضحة، لا نحتاج معها إلى بيان من خارج التعريف، بالبحث عن النصوص، ولا حتى بذلك الشرح الذي يأتي بعد التعريف.

ثالثا: ذكر المصطلح المعرَّف في التعريف "ويظن الجاهل حرمانه بعض ذلك العطاء **نعمة**" واستعمال مصطلحات تحتاج إلى بيان كمصطلح "التغيير": (ويورث عكسه **التغيير** والزوال).

رابعا: التعريف بذكر المعاني الوضعية والمستعملة: كما في تعريف مصطلح الأمة، وهو أمر مرفوض في صناعة التعريفات الاصطلاحية، لأن المقصود هنا تحديدا بيان مفهوم المصطلح في الاستعمال لا في الوضع.

خامسا: التعريف بالاقتصار على ذكر المعاني التي يرد بها اللفظ في القرآن الكريم، وهو شبيه بما يرد في كتب الوجوه والنظائر، ولذلك لا يمكن اعتباره تعريفا، ولعل الباحث اختار هذا

النمط من "التعريف" هربا وربما خوفا من الجزم **بحقيقة** مفهوم من أكبر المفاهيم القرآنية وأكثرها ثراء وتشعبا في القرآن الكريم، أقصد مفهوم التقوى.

إن المتأمل في كل هذه الخوارم، يجد أنها لا ترجع إلى عدم امتلاك الباحث للصناعة الحدية فحسب؛ وهو أمر له ما يبرره من جهة طبيعة التكوين العلمي للباحثين في الدراسات الإسلامية عموما؛ بل ترجع أيضا إلى تعدد المعاني الجزئية التي تندرج تحت مفهوم المصطلح، مما يزيد في صعوبة تحرير تعريف دقيق جامع لكل السمات الدلالية العامة للمفهوم، دون الدلالات الجزئية، غير مغفل لما يجب أن يكون فيه، ولا مقحم لمعنى ليس فيه، يضاف إلى ذلك استصحاب الدارسين لهاجس الخوف من خطورة حصر دلالة المصطلح القرآني على اعتبار أنه نوع من تعيين المراد بها عند الله عز وجل.

إن معضلة التعريف هي أم المعضلات في الدراسة المصطلحية، ولأن السبب في ذلك يعود إلى صناعة التعريف من جهة وإلى خصوصية المصطلحات المعرفة من جهة ثانية؛ فإن **حل هذه المعضلة ممكن عبر أحد أمرين:**

الأول: تمكين الباحثين والدارسين في المجال من الصناعة الحدية عبر ندوات ودورات تكوينية متخصصة، والاجتهاد في بيان طبيعة العلاقة بين "صناعة التعريف" و"بيان المراد من كلام الله عز وجل".

الثاني: الاكتفاء في مبحث التعريف بعرض **المعاني الكبرى للمصطلح**، والتي تتحصل من دراسة نصوصه، وتصنيف دلالاتها **دون تحرير التعريف**، وهو أمر يلجأ إليه بعض الباحثين فعلا خوفا من مزالق التعريف.

2.3. الدرس المصطلحي وإشكال المصادر

1.2.3. ضوابط التعامل من النصوص الشارحة للنص القرآني

ينطلق الدرس المصطلحي أولا من المصطلح ونصوصه، فالأولوية بالنسبة له للنص الأصل لا للنصوص الناشئة حوله، وهو مع ذلك ملزم بالنظر في هذه النصوص، لأنه قد يجد فيها ما يعينه على الفهم الصحيح لها، وخاصة ضمن الجهود التي أولت عناية خاصة لتحقيق الألفاظ القرآنية، أو تلك التي اعتنت بجمع النصوص والروايات المعينة على تبين ملابسات النصوص وتتريلها.

والحقيقة أن هذا الأمر يثير إشكال العلاقة بين الدراسة المصطلحية والتفسير وكيفية استفادة كل منهما من الآخر، فالدراسة المصطلحية لا تملك أن تستقل بنفسها عن التفسير، خصوصا في الجانب المتعلق منه بما لا سبيل إلى العلم به إلا بالرواية عمن عاصروا نزول القرآن الكريم، من قبيل روايات أسباب التزول والنسخ وما شابه، وأيضا في ما يتعلق بالقراءة، دون إغفال إمكانية الاستفادة مما في كتب التفسير من **تعريفات وشروح للمصطلح**، وما قد يجاورها من إفادات، في حين قد تستغني عن الجانب المتعلق بالتأويل، أي بالنظر والاجتهاد في تحديد المقصود من الآيات المحتملة للمعاني، لكن عرض هذين المكونين (مكون التفسير ومكون التأويل) في كتب التفسير كثيرا ما يكون ممتزجا بآراء المفسر وفهمه الذي قد يكون على غير مقتضى الدرس المصطلحي وشرطه وهو: التقيد بالفهم داخل دائرة التتريل نصا وتاريخا.

لكن تعامل أغلب الدارسين للمصطلح القرآني مع نصوص التفسير لا ترقى إلى هذا المستوى من الضبط والتمييز بين ما يفيد وما لا يفيد في كتب التفسير، بحيث يلاحظ عليها في هذا الباب:

- النقل المستفيض الذي لا يميَّز فيه بين الغث والسمين.

- عدم التمييز بين المصادر المفيدة من غيرها بناء على شرط الأقدمية والوثوقية، فالكثير من أقوال الصحابة المعاصرين للتريل العالمين بأحواله، والتابعين القريبين من هذا العصر مثلا، نجدها في بعض كتب التفسير غير متصلة بسند يمكّن من التثبت منها لكي تكون صالحة للإعمال، ونجدها موثوقة العرى بناقليها في مصادر بعينها، وتلك هي التي يجب أن تكون قبلة للدارسين (وهي عموما التفاسير المسندة في القرون الأولى).

- الارتكاز على كتب التفسير في استخلاص دلالات المصطلح، دون بذل الجهد في استخلاصها انطلاقا من الدراسة النصية كما ينص على ذلك المنهج، وهذا الأمر لا يمكن القبول به إلا في حال اتفقت مقاصد المفسر مع مقاصد الدرس المصطلحي، بحيث يكون تفسير ذلك النص أو المصطلح خاليا من شوائب المذهبية الضيقة أو الإسقاط المصطلحي؛ أو إذا سيقت هذه التفسيرات للتعضيد والتأكيد لما جاء في الدراسة.

2.2.3.ضوابط الاستفادة من النص الحديثي

تسهم الدراسة المصطلحية في توثيق عرى الوحيين: القرآن والحديث بشكل كبير، ذلك أنها تعتبر دراسة المصطلحات القرآنية في المتن الحديثي ضرورة لازمة، لا يستقيم الدرس المصطلحي بدونها، إيمانا بأن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وحي، وألفاظه ومعانيه مبينة للقرآن الكريم.

إلا أن التعامل مع نصوص الحديث الشريف في عرف الدراسة المصطلحية مشروط بضرورة اعتبار الصحة في النص **سندا ومتنا**، وهو ما يواجه بإشكال صعوبة إثبات صحة **ألفاظ** الحديث من حيث نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم، خصوصا في ظل إمكانية **رواية الحديث بالمعنى** وإمكانية **قبول زيادة الثقة** كما هو مقرر في علم الحديث، كل هذه الاعتبارات تجعل دراسة النص الحديثي بوصفه **نصا موازيا للنص القرآني**، أو بمعنى أدق دراسة المصطلح المستعمل في القرآن **والحديث** بنفس المنهج والرؤية والخطوات؛ تجعلها مخلة بشروط الدراسة.

لذلك جاء الاقتراح بأن يتم التعامل مع النص الحديثي باعتباره **نصا مبينا للنص القرآني**، ومن ثم يأخذ مكانه في أعلى سلم المصادر المعينة على دراسة المصطلح.

وفي هذه الحال يلزم الدارس بشروط أيضا على رأسها: شرط عدم التعارض بين مدلول المصطلح في القرآن ومدلوله في الحديث، وإذا ما حدث ذلك **فربما** كان ذلك إيذانا بأن **المصطلح** الوارد في الحديث ليس من "لفظ" الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما هو لأحد رواة الحديث.

خاتمة

وبعد، فهذه مقترحات لتطوير منهج لدراسة المصطلح القرآني من خلال ترسيخ قدمه في مجال "العلوم" الخادمة لكتاب الله العزيز، وإعمال نتائجه في مجال التفسير توجيها وتقويما وترجيحا، وتجاوز مواطن الضعف أو الخلل أو الاضطراب في تتريله وتطبيقه، وهو ما سيمكن دون شك من **إغناء علم التفسير** تنظيرا وتطبيقا، **واستكمال الرؤية والمنهج والقواعد** المتعلقة بهذا الدرس؛ لكن ذلك سيبقى متوقفا على مدى حزم الباحثين المصطلحيين في هذا التخصص الشريف، وعزمهم على السير في ذلك **على بصيرة**.

المصادر والمراجع

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار علم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة.
- الإكليل في المتشابه والتأويل، أحمد بن تيمية، تعليق محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان، الاسكندرية، د.ت
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، ط 1: 2000م.
- دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، الدار الحميدية، الطبعة 1، 1388هـ
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي. مصر
- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط 3، 1984م.
- قضايا المصطلح في العلوم الشرعية، منشورات جامعة القرويين، سلسلة ندوات ومحاضرات،ط1: 2011م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، تصحيح وتعليق وتحقيق هاشم المحلاتي وفضل الله الطباطبائي، ط2، 1988م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن القاسم وابنه، مؤسسة قرطبة، 1969م
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1: 2001م.

- مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، دار الفكر،ط: 1، 1981م.
- مفهوم الأمة في القرآن الكريم والحديث الشريف ، عبد الكبير حميدي، دار السلام، ط 1، 2011م.
- مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف، فريدة زمرد، مطبعة أنفو برانت، ط2، 2005م .
- مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، محمد البوزي، دار السلام، ط 1، 2011م.
- مفهوم النعمة في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، عبد المجيد بن مسعود، دار السلام، ط 1، 2011م.
- مقدمة في علم المصطلح، علي القاسمي، مكتبة النهضة المصرية، ط 2 1987 القاهرة.
- الموافقات في أصول الأحكام، أبو إسحاق الشاطبي، دار الفكر 1413هـــ.

أفق النقد في دراسة المصطلح القرآني

د. أحمد حسن فرحات (*)

كثرة الدراسات المصطلحية:

كثرت في السنوات الأخيرة الدراسات المصطلحية، بعد أن وجدفيها طلبة الدراسات العليا في الجامعات العربية، والإسلامية طريقا ذلولا، لاختيار موضوعات رسائل الماجستير، والدكتوراه، سواء أكانت تحت عنوان التفسير الموضوعي، أو تحت عنوان المصطلحات القرآنية. غير أن هذه الدراسات التي يقوم بها طلبة الدراسات العليا، تفتقر غالباً إلى العمق والنضج، نظرا لأنهم في بداية طريقهم العلمي، ولأن أساتذتهم، المشرفين على رسائلهم، قد لا يجدون من الوقت، ما يكفي لمتابعتهم متابعة دقيقة، -وبخاصة إذا كان هؤلاء الأساتذة- يشرفون على عدة رسائل، في وقت واحد. وأمام هذا الحشد الكبير من الدراسات، نرى الحاجة ماسة إلى الدراسات الناقدة، لهذه الرسائل العلمية، والتي تبين مميزاتها ومحاسنها، كما تكشف عن أوجه النقص والقصور فيها، ليتمكن أصحاب هذه الرسائل من استدراك ما فاتهم، وإصلاح الخلل الذي وقعوا فيه. وبذلك يمكننا الاطمئنان إلى صحة ما جاء في هذه الدراسات، وتوظيفها في المشروع الكبير، الذي يمكننا من امتلاك المفاتيح الحقيقية، للدراسات القرآنية الناضجة. إن النقد العلمي النزيه، البعيد عن التعصب والهوى، هو الذي يدفع بالبحث العلمي قُدُماً إلى الأمام - وكان هذا دأب علمائنا السابقين- الذين لا يجاملون في الحق، ولا يداهنون، ويشهدون بالحق، وهم يعلمون. ومن ثمَّ فسوف -نقف في هذا البحث- عند بعض النقاط الهامة، في مسيرة الدراسات القرآنية، لنلقي عليها بعض الأضواء الكاشفة: **المراد بالمصطلح القرآني:** هو المعنى الجديد، الذي أعطاه القرآن للفظ العربي، والذي يسميه بعض العلماء: المعنى الشرعي. ويسميه

---

*- أستاذ القرآن والتفسير في عدد من الجامعات العربية.

البعض الآخر: المعنى الاصطلاحي. علماً أن بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي صلة قربى لا تنفصم. ومن ثمَّ، فالقرآن مع تأكيده على المعاني الجديدة، بكثرة استعمالها، فإنه لم يلغ المعنى اللغوي للكلمة. بل إن القرآن ربما استعمل هذا المعنى اللغوي، في بعض الأحيان، تذكيراً بأنه: الأصل، وإشعاراً: بأن هذه الصلة بين المعنيين، ما تزال قائمة. وأنها لابد أن تراعى دائماً، عند كل انتقال إلى معنى جديد. فذلك مفرق الطريق بين المعاني ذات النسب العريق، وبين المعاني الدخيلة المقحمة. إن القرآن بما أضافه من المعاني الجديدة، للكلمات العربية، التي لم يكن للعرب عهد بها من قبل، إنما أثرى العربية، وأضاف إليها من المعاني: مالا يدخل تحت الحصر، والإحصاء. ومن ثم -فلابد لنا إذا أردنا: أن نفهم القرآن فهماً صحيحاً-: أن نتبين معاني هذه المصطلحات الجديدة، التي أضافها القرآن إلى لغة العرب، ذلك أن هذه المصطلحات: هي مفاتيح الفهم لكتاب الله، وبدونها، سنبعد عن الفهم الصحيح، وذلك لأن المرجعية، ستكون مختلفة.

أهمية المصطلح القرآني وفوائده:

إن دراسة المصطلح القرآني، إنما تكون من خلال المنظومة القرآنية نفسها، ولا يمكن الاعتماد فيها على مرجعية غير قرآنية، لأن صاحب الكلام في هذه الحالة، هو الذي يحدد لنا المراد بكلامه. وذلك طبقا لقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ القيامة: 16-19

أما إذا اعتمدنا مرجعية أخرى، فلن نصل إلى المعنى الصحيح، الذي يريده الله منا؛ إذ خاطبنا بهذا القرآن، ومن ثم نجد أسباب الاختلاف بين الفرق، والمدارس التفسيرية، خلال التاريخ، إنما ترجع إلى اختلاف المرجعيات، التي يحاكمون النص إليها.

وهكذا أدت هذه العملية إلى الفرقة، والاختلاف من جانب، وإلى البعد عن المعاني الحقيقية، التي أراد الله منا: أن نهتدي إليها.

منهجية البحث في المصطلح القرآني:

ولكن ما هي الخطوات التي لابد منها للوصول إلى تحديد المراد بالمصطلح القرآني؟

- لقد أنزل الله كتابه بلسان عربي مبين، وهذا يعني أنه لابد لنا أولاً من الانطلاق من المعنى اللغوي، للمفردة القرآنية، وأن نحدد المراد بها، ويقتضي ذلك الرجوع إلى المعاجم اللغوية، وتبين الأصول الاشتقاقية للكلمة، ومعانيها المتعددة، وتطوراتها الدلالية، كما يتطلب معرفة الفروق، بين المترادفات، لكي يسهل تحديد المعنى اللغوي.

وإذا قصَّرت المعاجم في بعض الأحيان، عن إعطاء المعنى كاملاً، فلابد من الاستعانة بالشعر، الذي يحتج به. - كذلك لابد من الرجوع: إلى معاجم المفردات القرآنية، التي عني بها علماء الأمة منذ القدم، في كتبهم الكثيرة، التي حملت عناوين: الوجوه والنظائر. وغريب القرآن، ومعاني القرآن، ومفردات القرآن، وبخاصة كتب المحققين منهم، أمثال: الراغب الأصفهاني في مفرداته، والسمين الحلبي في عمدة الحفاظ، والفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز، والفراهي في مفرداته، والكفوي في الكليات، وغيرها من الكتب التي لا يستغني عنها الباحث في القرآن. وهذا الإجمال يحتاج إلى شيء من التفصيل:

كتب الوجوه والنظائر:

يقول ابن الجوزي في مقدمة كتابه: "**نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**":

وبعد: لما نظرت في كتب الوجوه والنظائر، التي ألفها أرباب الاشتغال بعلوم القرآن، رأيت كل متأخر، عن متقدم، يحذو حذوه، وينقل قوله، مقلدا له من غير فكرة: فيما نقله، ولا بحث، عما حصله.

وهذا الكلام عن "كتب الوجوه والنظائر": حق لاريب فيه. فأكثر ما جاء فيها مكررات.

ذكره لبعض من ألف في الوجوه والنظائر: ثم يقول ابن الجوزي:

قد نسب كتاب في "الوجوه والنظائر" إلى عكرمة ت 105هـ، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-. وكتاب آخر إلى علي بن أبي طلحة -143هـ- عن ابن عباس.

وممن ألف كتب: "الوجوه والنظائر": الكلبي ت146هـ. ومقاتل بن سليمان ت150هـ. وأبو الفضل العباس بن الفضل الأنصاري ت 186هـ. وروى مطروح بن محمد، بن شاكر، عن عبد الله بن هارون الحجازي، عن أبيه -170هـ، كتابا في "الوجوه والنظائر". وأبو بكر بن محمد بن الحسن النقاش-351هـ وأبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني-478هـ. وأبو علي البناء-471هـ من أصحابنا. وشيخنا أبو الحسن علي بن عبيد الله بن الزاغوني-597هـ. ولا أعلم أحدا -جمع الوجوه، والنظائر- سوى هؤلاء.

هذا ما يقوله ابن الجوزي عمن علمه، ممن ألف في الوجوه والنظائر. علما أن هناك مؤلفين آخرين، يقترب عددهم مما ذكر. وربما زاد على ذلك.

معنى الوجوه والنظائر:

ثم يقول ابن الحوزي في كتابه: "واعلم أن معنى الوجوه، والنظائر: أن تكون الكلمة الواحدة، قد ذكرت في مواضع من القرآن، على لفظ واحد، وحركة واحدة. وأريد بكل مكان: معنى، غير الآخر. فلفظ كل كلمة -ذكرت في موضع- نظير: للفظ الكلمة المذكورة -في الموضع الآخر-. وتفسير كل كلمة: بمعنى -غير معنى الأخرى-: هو الوجوه. فإذن النظائر: اسم للألفاظ. والوجوه: اسم للمعاني.

فهذا الأصل: في وضع كتب: "الوجوه، والنظائر".

أما الزركشي في "البرهان" فقد عرّف: الوجوه، والنظائر: بقوله:

"فالوجوه: اللفظ المشترك -الذي يستعمل في عدة معان-: كلفظ: "الأمة". والنظائر: كالألفاظ، "المتواطئة". وقد تابعه على ذلك السيوطي في: "الإتقان".

ولاشك أن ما ذ هب إليه ابن الجوزي في معنى "الوجوه والنظائر": هو المعتمد عند المحققين، الراسخين. ومن ثم نجد الراغب الأصفهاني يقول في مقدمة تفسيره تحت عنوان:

"**فصل في العموم والخصوص من جهة المعنى**": فالمُفسِّر: إذا فَسَّرَ العام: بالخاص، فقصده:

أن يبين تخصيصه بالذكر، ويذكر مثاله، لا أنه يريد أنه: هو، هو. لا غير.

وكثير -ممن لم يتدرب بالقوانين البرهانية- إذا رأى عاماً: مستعملاً: في خاصّين: قدّر أن ذلك جارٍ: مجرى الأسماء المشتركة، فيجعله: من بابها.

وعلى ذلك كثير -ممن صنفوا في نظائر القرآن- فقالوا:

الإثم: ارتكاب الذنب.

والإثم: الكذب. احتجاجاً بقوله: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾-الواقعة: 25.

والإثم: عامٌّ في المقال، والفعال. وإنما -خُصَّ في هذا الموضع-، لأن السماع: ليس إلا في المقال. وعلى ذلك قال اللحياني في: "الخوف": القتال، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم ﴾-الأحزاب: 19.

والقتل، لقوله: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾-النساء: 83.

والعلم، لقوله: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾-البقرة: 182-. أي: عَلِمَ.

وذلك من ظهور سوء التصور، بحيث لا يحتاج إلى تبيين.

وبهذا يتبين خطأ من يعتبر "الوجوه": من قبيل اللفظ المشترك.

ولعل هذا ما دفع الحكيم الترمذي (-322هـ) في كتابه: "تحصيل نظائر القرآن" أن يسير سيراً مغايراً للمؤلفين في "الوجوه والنظائر"، حيث عمد إلى رَجْعِ- ما ذكر، من الوجوه المتعددة- إلى معنى واحد، ليبين للقارئ أن هذا: ليس من قبيل اللفظ المشترك. ويمكن أن نمثل لذلك، بأول كلمة ذكرها الحكيم وهي لفظ: "الهدى" حيث قال:

"الهدى": فقد جاءت على ثمانية عشر وجهاً.

فالحاصل- من هذه الكلمة-: كلمة واحدة فقط، وذلك، أن: "الهدى": هو الميل، ويقال في اللغة: رأيت فلانا يتهادى، في مشيته. أي: يتمايل. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾-الأعراف:١٥٦-: أي ملنا إليك. ومنه سميت "الهدية": هدية: لأنها تميل بالقلب، إلى مُهديها. وأن القلب: أمير على الجوارح. فإذا هداه الله لنوره، أي: أماله إليه لنوره: اهتدى. أي: استمال، وقد قال في تنزيله: ﴿ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾-النور: ٣٥- فهذا أصل الكلمة. ثم وجدنا تفسير: الهدى:

1- **البيان:** فإنما صار "الهدى": بياناً، في ذلك المكان، لأن البيان: إذا وضح على القلب، بنور العلم: مد ذلك النور: القلب إلى ذلك الشيء، وأماله إليه.

2- **الإسلام:** وإنما صار الهدى في المكان الآخر: (الإسلام)، لأنه إذا مال القلب بذلك النور، إلى ذلك الشيء، الذي تبين له: انقاد العبد، وأسلم، ومد عنقاً، إلى قبوله.

3- **التوحيد:** وإنما صار "الهدى": التوحيد في المكان الآخر، لأنه إذا مال القلب: إلى ذلك النور: سكن عن التردد، واطمأن إلى ربه، فوحَّد.

4- **الدين:** وإنما صار "الهدى": «الدين» في مكان آخر، لأنه: إذا مال القلب، إلى ذلك النور: دان لله، أي: خضع. والدين: هو: الخضوع. ومنه قيل للشيء، المتَّضِع: «دون».

5- **الدعاء:** وإنما صار "الهدى"- في مكان آخر-: «الدعاء»، لأنه إذا دعا إلى الله، بقلب مستنير: مالت القلوب إلى ذلك النور، لأن على ذلك الكلام نوراً، لأنه خرج من قلب مستنير...

6- **بصيرة:** وإنما صار "الهدى": «بصيرة» في مكان آخر، لأنه إذا دعا الداعي بقلب ذي نور: ولج الكلام مع النور، في الأسماع. فاستنارت الصدور، من المستمعين، فأبصرت عيون نفوسهم، وهي بصائرها، فتلك بصيرة النفس، فإن للفؤاد: بصراً، وللنفس: بصيرة. -كلاهما بصيران في الصدر-. لأن الصدر: ساحة القلب، وساحة النفس. - وقد اشتركا في هذه

الساحة-. ومنه تَصْدُر الأمور. ولذلك سمي صَدْراً، لأنه مصدر الأمور. والأعمال منه -تصعد إلى الأركان-: ما دبر القلبُ، وما دبرت النفس، اتفقا. أو اختلفا، فتنازعا-. فالأركان: لأيهما غلب، بجنوده. فإذا كانت النفس ذات بصيرة: بايعت القلب، في الحق، والصواب -الذي هو كائن من القلب-. لأن في القلب: المعرفة، والعقل معها، والحفظ معها، والفهم معها، والعلم معها. فهؤلاء كلهم: حزب واحد. فإذا كانت النفس: ذات بصيرة: تابعت القلب وجنوده. وإذا عميت: فإنما تعمى لغلبة الشهوات... ودخان الهوى، نازعت القلب بجنودها، فغالب، ومغلوب. وذلك قول رسول الله صلّى الله عليه وسلم: حدثنا بذلك عمر بن أبي عمر العبدى، قال حدثنا محمد بن الوعيبي، قال حدثني يعلى بن الأشدق الطائفي، قال سمعت عمى عبد الله بن جراد يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول: ليس الأعمى من يعمى بصره. إنما الأعمى من تعمى بصيرته[1] ومن قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾- سورة القيامة الآية- 14. فكل آدمي على بصيرة. فما دام لا تغلب -على بصيرته: الشهوات- فهو مستقيم. فإذا غلبت الشهوات عليها: عميت. فإذا عميت: استمرت لشِرَّتها، وتجلب على القلب شِرَّتها، حتى يتابعها القلب. فإذا تابعها: عمي القلب. قال الله تبارك اسمه:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾سورة الحج الآية 46.

7- **المعرفة**: وإنما صار "الهدى": المعرفة -في مكان آخر-، لأنه إذا استنار الصدر: انشرح، وانفسح. فعرف القلب: ما يأتي، وما يذر، في ذلك الضوء.

8-9 "**القرآن**": وإنما صار "الهدى": "القرآن" و"الرسول":-في مكان آخر- لأن "القلب": إذا عقل ما في القرآن: مال إلى ما فيه، من الأمر، والنهي، والوعظ.

([1]) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (126/2 ، رقم 1372) ، والديلمي (403/3 ، رقم 5227) ، والحكيم في نوادر الأصول (211/1) . قال المناوي (355/5): فيه يعلى بن الأشدق أورده الذهبي في الضعفاء وقال: قال البخاري: لا يكتب حديثه .

10-11 "**الرشد**": وإنما صار الهدى: «الرشد، والصواب -في مكان آخر-، لأنه إذا مال القلب إلى ذلك النور، فقد رشد، وأصاب.

12- **التقوى:** وإنما صار "الهدى": «التقوى»، لأنه إذا مال القلب، إلى ذلك النور. فقلبه صار في الوقاية. والتقوى: هي: الوقاية من النار.

13- **التوفيق:** وإنما صار: "الهدى": «التوفيق» لأنه إذا مال القلب إلى ذلك النور، وفقه الله للصواب.

14- **التوبة:** وإنما صار "الهدى": «التوبة»، لأنه إذا مال القلب إلى ذلك النور: تاب. والتوبة: هي: الرجوع إلى الله.

15- **الممر:** وإنما صار "الهدى": «الممر»، لأن الممر: طريق العباد، إلى الله. فإذا مال القلب إلى ذلك النور، فقد أصاب الممر.

فمرجع هذه الأشياء -التي صيرت وجوها، ذات شعب-: إلى كلمة واحدة.. لأن الهدى: هو: ميل القلب إلى الله، بذلك النور، الذى أشرق به الصدر. فانشرح وانفسح. وهو قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ -الزمر: ٢٢-.

وهكذا استطاع الحكيم الترمذي بثقافته اللغوية، وروحانيته الغالبة: أن يعيد تلك الوجوه، إلى معنى واحد، مما ينفي عنها: أنها من قبيل اللفظ المشترك -كما زعم الزاعمون- من المؤلفين في الوجوه والنظائر، ومن الدارسين لهم-.

كتب مفردات القرآن:

سبق لي أن شاركت ببحث: "معاجم مفردات القرآن: موازنات ومقترحات" بالمؤتمر الذي انعقد في المدينة المنورة، بدعوة من مجمع الملك فهد ولا بأس هنا أن نقتبس جُمَلاً، مما ذكرناه هناك:

كتب غريب القرآن:.. وبعد هذه المؤلفات في غريب القرآن، ومعانيه، والتي بلغت نحواً من ستين مؤلفاً، يأتي في المقدمة كتاب المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني.

والملاحظ على الكتب السابقة: أنها رتبت حسب السور القرآنية، باستثناء كتاب: "نزهة القلوب" للسجستاني -الذي رتب ترتيباً ألفبائياً، معجمياً- وهو المنحى الذي نحاه الراغب، في كتابه "المفردات". وعلى الرغم من أن السجستاني قضى في تأليف كتابه، نحواً من خمسة عشر عاماً، إلا أن الفرق بينه، وبين مفردات الراغب، فرق كبير. ومن ثم كان الراغب مَعْلَماً واضحاً، في سلسلة التأليف، في مفردات القرآن وغريبه. وهذا ما جعل كتابه موضع ثناء العلماء. وما يزال كتاب الراغب، يحتفظ بألقه، وبريقه، على الرغم من أنه مضى على تأليفه قرابة ألف عام. ولم تستطع الكتب التي جاءت من بعده: أن تنتزع منه مكانته، ووقوعه موقع القبول، لدى عامة العلماء، والمتخصصين، في الدراسات القرآنية والعربية.

ميزات مفردات الراغب:

كشف جذر الكلمة -تتبع المعاني المستعارة- تحرّي المعاني الصحيحة -الكلمات الجامعة لمعنيين- نفي معان موهومة -تعريفات جامعة- قواعد كلية -قواعد أكثرية - ردود وانتقادات-. هذه أهم الميزات التي ذكرناها في بحثنا السابق. وقد شرحنا المراد بها، وأيدناها، بالأمثلة الكافية. -ومن أراد الاطلاع عليها، فهي متاحة على الشبكة العنكبوتية-.

ملاحظات على المعاجم السابقة:

المراد بالمعاجم السابقة: مفردات الراغب -عمدة الحفاظ للسمين- بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي -مفردات القرآن للفراهي- معجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة. بعد تلك المقارنات التي قمنا بها، ومن خلال النماذج التي عرضناها، يمكننا أن نبدي بعض الملاحظات: على المعاجم السابقة. وهي كما يلي:

– على الرغم من كل الجهود التي بذلها -علماؤنا خلال العصور- في بيان معاني المفردات القرآنية، فإنهم لم يقولوا الكلمة الأخيرة، ويبقى الأمر مفتوحاً للدراسة، والتحقيق، والتدقيق.

– على الرغم من أن الراغب الأصفهاني يعتبر: إمام الدارسين في مناسبات الألفاظ، بعضها، لبعض، وفي بيان جذور المعاني الأصلية، وانتقالها خطوة خطوة، إلى المعاني المستعارة، إلا أنه لم يصب دائماً: كبد الحقيقة.

– يعتبر الراغب الأصفهاني: العمدة لكل من جاء بعده، و لم يؤخذ عليه: ملاحظات ذات قيمة، من الذين اعتمدوا كتابه، ضمن كتبهم، وذلك: كالسمين الحلبي، والفيروز أبادي.

– معظم الإضافات التي أضافها السمين: كانت في التوسع، في إيراد الشواهد الشعرية، أو ذكر بعض الأقوال، التي أغفلها الراغب، لضعفها عنده، أو في ذكر الكلمات، التي فاته أن يذكرها. أو في التوسع: في شرح بعض الألفاظ، من خلال ورودها، في الأحاديث النبوية.

– لم يلتزم السمين دائماً: ترتيب المادة العلمية -كما هي عند الراغب- فقد يقدم فيها، ويؤخر. ولكنه في الجملة: يأتي بكل ما ذكره الراغب.

– ينسب السمين أقوال الراغب إليه، في بعض الأحيان، ويغفل ذلك بعض الأحيان. وقد يقول: قال بعضهم: أو قال بعض أهل اللغة -وأمثال هذه العبارات- وعند المقارنة يتبين أنها: أقوال الراغب نفسها.

– أما الفيروز أبادي: فقد استوعب أيضاً: معظم ما جاء في مفردات الراغب.. و لم تكن له ملاحظات تذكر، على الراغب.

– يمتاز الفيروز أبادي بأنه بعد أن يورد معنى المفردة القرآنية، في أصل اشتقاقها، مستفيداً في ذلك، من الراغب، يعمد إلى ذكر وجوهها، في القرآن، كأن يقول: "وقد ورد في القرآن

على ثلاثة عشر وجهاً". ثم يبدأ بذكر هذه الوجوه: واحداً، واحداً، مستشهداً في ذلك بآية، أو أكثر - عند كل وجه، من هذه الوجوه-حتى يستوعب: معظم هذه الآيات. وهو في ذلك: مستفيد من كتب الوجوه، والنظائر، غالباً.

- يتوسع الفيروز أبادي عند شرحه للمفردات القرآنية، بذكر بعض المعاني، التي لم يذكرها الراغب. وكثير منها: قد يؤخذ من الأحاديث النبوية، وبعضها قد يكون من المعاني اللغوية.

- عند الفيروز أبادي: استطرادات عجيبة، فعند كلامه على مادة: "برق": ذكر واحداً وثلاثين فعلاً، يمكن أن يضاف إلى البرق: يشري، ويومض، ويعنّ، ويعترض، ويوبص..

وبعد أن ينتهي من سرد هذه الأفعال، المسندة إلى البرق، يقول: ومما يستحسن -في وصف البرق وخفائه، والرعد في حدائه، والثلج ولألائه- قول بعضهم:

ينبض نبض العرق في استخفاء ... شرارة تطرف من قصباء

ويذكر تسعة أبيات، من هذه القصيدة، ثم يذكر سبعة أبيات، لعدي بن الرِّقاع، من أحسن ما قيل، في البرق، والغيث.. ثم يتبعها بأربعة عشر بيتاً للعتابي

كتب الفروق:

ومن الكتب -التي تفيد الدارسين للمصطلحات القرآنية-: الكتب المؤلفة في الفروق اللغوية، فإنها تساعد الباحث، على التمييز بين المعاني، التي يعتبرها القائلون بالترادف: أنها بمعنى واحد.

وقد أشار الراغب -في مقدمته لكتاب المفردات- إلى أنه سيتبع كتاب المفردات، بكتاب آخر، فقال:

وأتبع هذا الكتاب -إن شاء الله تعالى، ونسأ في الأجل- بكتاب ينبئ عن تحقيق -الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وما بينها من الفروق الغامضة-، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر،

بلفظ من الألفاظ المترادفة، دون غيره، من أخواته، نحو ذكر "القلب" مرة. و"الفؤاد" مرة. و"الصدر" مرة. ونحو ذكره تعالى -في عقب قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾-الروم:٣٧-.وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾-يونس: ٢٤-. وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾-البقرة: ٢٣٠-.

وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾-الأنعام: ٩٨-. وفي أخرى: ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾-آل عمران/13-، وفي أخرى: ﴿لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾-الفجر: ٥-، وفي أخرى: ﴿لِأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾- طه/54-. ونحو ذلك -مما يعده من لا يحق الحق، ويبطل الباطل: أنه باب واحد- فيقدر أنه إذا فسر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾-الفاتحة: -٢ بقوله: الشكر لله. و﴿ رَيْبَ فِيهِ﴾-البقرة: ٢- ب: لا شك فيه. فقد فسر القرآن، ووفاء التبيان.

غير أن هذا الكتاب لم يصل إلينا. إنما الذي وصل إلينا: جزء من تفسيره ينتهي بآخر المائدة. وفي هذا الجزء: يحرص الراغب في أول كل آية: أن يبين الفروق، بين الكلمة التي جاءت في الآية، وبين مثيلاتها، التي يظن فيها الترادف. ويمكن أن نمثل لذلك بما يلي:

قال الراغب في تفسير سورة البقرة (ص 162) وما بعدها:

ورد "الطغيان" -في المصادر- كالعدوان، و الكفران. يقال: طغى يطغو، ويطغي.

والفرق بين "عدا"، و"طغى" و"بغى": أن العدوان: تجاوز المقدار، المأمور بالانتهاء إليه، والوقوف عنده. وعلى ذلك قال: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه": أي: من تجاوز معكم المقدار، المأمور بالانتهاء إليه، فتجاوزوا معه بقدره. لتكون العدالة محفوظة، في المجازاة، بالتعدي.

وأما "الطغيان": فتجاوز المكان، الذي وقفت فيه. وكأن من أخل بما فطر عليه، من المعارف العقلية، والمواقف الشرعية، فلم يرعها، فيما يتحراه، و يتعاطاه، فقد طغى.

وعلى ذلك قوله: "إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية": أي: تجاوز الحد الذي كان عليه من قبل.

و"البغي": طلب تجاوز قدر الاستحقاق -تجاوزه، أو لم يتجاوزه- وأصله: الطلب.

واستعمل في: "التكبر"، لأن المتكبر: طالب مترلة، ليس لها بأهل.

وقال في صفحة (174) من تفسير سورة البقرة:

"الند"، و"الشبيه"، و"المساوي"، و"الشكل"، و"المثل": متقاربة المعنى، لكن بينها فروق:

الند: للشيء، المشارك له في الجوهر. وإن خالفه: في الكمية، والكيفية.

وشبهه: مماثله: في الكيفية. وإن خالفه، في غيرها.

ومساويه: مماثله: في الكمية كلها، وإن خالفه في غيرها.

وشكله: مماثلة: في القدر، والمساحة.

ويدل لهذا الفرق: أنه إذا قيل: ما هذا؟ فيقال: ند كذا. أو يقال: كم هذا ؟ فيقال: مساو لكذا. أو يقال: كيف هذا؟ فيقال: شبه كذا. قنع المخاطب -من عرف المشبه به-.

ولو قال: كم هذا؟ فقال: شبه كذا. أو قال: مساو لهذا. لم يقنع به.

والمثل: عام في جميع ذلك. ولهذا: لما أراد الله تعالى: نفي الشبه -من كل وجه، خصه بالذكر- فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾- الشورى: ١١-.

وبهذا يتبين لنا أهمية الفروق، وضرورة معرفتها، وبخاصة، ما قام به الراغب، حيث يربطها مباشرة، بالنص القرآني، من خلال التمثيل بالآيات القرآنية. كما يتبين لنا مقدار الخسارة، التي خسرها ميدان التفسير، بعدم وصول الكتاب، الذي وعد به الراغب.

ظاهرة الفروق:

وهناك دراسة حديثة قيمة، تناولت ظاهرة "الفروق"، والكتب المؤلفة فيها بعنوان:

تأصيل ظاهِرة الفروق اللغويّة ودراسة الكتب المؤلفة فيها ـــ لأحمد عبد القادر صلاحية

وقد جاء فيها:

"إن من دلائل عظمة لغتنا العربية هو اتساعها الشاسع ودقتها في التعبير، وإن البحث اللغوي الذي يهتم بتحديد دلالة الألفاظ، المتشابهة المعاني، هو ما يسمى بالفروق اللغوية.

وقد تكلم فيها عن نقاط متعددة:

أولاً- أسباب نشوء ظاهرة الفروق اللغوية:

ثانياً- التصنيف في الفروق: والذي يهمنا هنا هو كتب الفروق.

ثالثاً-كتب الفروق: حيث ذكر الكتب التالية:

بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب للحكيم الترمذي -320هـ.

وثمة كتاب لأبي الطيب اللغوي - 351هـ: اسمه: الفروق. وفي المزهر نقول منه.

كتاب الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري. (توفي بعد- 395هـ)

فروق اللغات -في التمييز بين مفاد الكلمات- لنور الدين بن نعمة الله الحسيني الجزائري - 1158هـ.

فرائد اللغة -الجزء الأول: في الفروق- تأليف الأب هنريكوس لامنس اليسوعي - 1356هـ.

- "ومن الكتب التي لم يذكرها كتاب: الفروق ومنع الترادف للحكيم الترمذي - 320هـ

ويرى بعض الدارسين أن ما جاء من الفروق في آخر كتاب "الروح" لابن القيم: هو مأخوذ من كتاب الحكيم الترمذي. ولا يمكن الجزم بذلك إلا بعد الاطلاع على كتاب الحكيم الترمذي-".

وقد قدم أحمد عبد القادر صلاحية: دراسة ضافية عن هذه الكتب، تناولت أسباب تأليفها، ومناهجها. ثم ختم دراسته بقوله:

وبعد، فهذه عصارة مكثفة اعتصرتها من كتب اللغة، توضح دقة اللغة العربية، وتأصِّل هذه الظاهرة اللغوية، وتدرس بعض كتب الفروق، وتبين أهمية التعمق في دراسة هذا الموضوع، وضرورة دراسة مفردات الفروق اللغوية، دراسة دلالية، وصوتية، وكذلك دراسة الفروق لدى المفسرين، وأصحاب الحديث، والفقهاء، والفلاسفة، والأصوليين. فهذه الأمور تؤلف نواة بحث أنف، أرجو من الله تعالى أن يرعى فيه قلمي، أو أقلام غيري.

ومن الكتب الحديثة: كتاب الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن للدكتور محمد عبد الرحمن الشائع

المفردات المضادة:

- أيضاً لابد لنا من الاستعانة أحياناً بالمفردات التي ربما تكون متضادةً مع المعنى الذي نبحث عنه، فمعرفة الضد، مما يساعد على تحديد المعنى المراد.

فمفهوم "الجاهلية" مثلاً، يوضح مفهوم "الإسلام" ولهذا قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1]

وإذا عرفت سبيل المجرمين: عرفت سبيل المؤمنين.

معاجم المصطلحات:

وهي معاجم لا تهتم بشرح غريب الألفاظ أو البحث عن لفظ لمعنى، إنما تعمد إلى توضيح الكلمات التي خرجت عن معانيها الحقيقية لتصبح مصطلحاً له دلالة خاصة به، وقد تنبه القدماء والمحدَثون إلى أهمية هذا النمط من المعاجم، ومدى احتياج الباحثين وطلاب العلم إلى مثل هذه المعاجم، فألفوا عدداً كبيراً من هذه المعاجم، ومن أبرزها: - «كتاب التعريفات»:

([1]) سورة الأنعام : آية 55 .

للجرجاني علي بن محمد (ت 816هـ)، وجاء في مقدمته: «هذه تعريفات جمعتها، واصطلاحات أخذتها من كتب القوم، ورتبتها على حروف الهجاء من الألف والباء إلى الياء؛ تسهيلاً تناولها للطالبين، وتيسيراً تعاطيها للراغبين». ومما جاء فيه: «الزهد: في اللغة ترك المَيل إلى الشيء. وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هو بغض الدنيا، والإعراض عنها. وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة. وقيل: هو أن يخلو قلبك، مما خلت منه يدك». التعاريف "-معجم لغوي مصطلحي- لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت 952هـ) وقد جاء في مقدمته:-" وبعد فقد وقفت على كتاب لبعض المتقدمين ملقب بـ "الذريعة إلى معرفة ما أصلت عليه الشريعة" المحتاج اليها في العلوم الشرعية الثلاثة، ولا يستغني مفسر، ولا محدث، ولا فقيه عن معرفتها. ورأيت المولى -العديم المثال- الإمام شمس الدين بن الكمال، قد انتقى من ذلك الكتاب: تعريفات، واصطلاحات، ولم يستوعبه. لكن زاد من غيره قليلا. وألفيت الإمام الراغب: ألف كتابا في تحقيق مفردات ألفاظ القرآن، أتى فيه بما يدهش الناظر، ويذهل الماهر. وذكر أن ذلك نافع، في كل علم من علوم الشرع. فجمعت زبد هذه الكتب الثلاثة، ووشحتها بفوائد، استخرجتها من بطون الدفاتر المعتبرة. وطرزتها بفرائد: اقتنصتها من قاموس كتب غير مشتهرة، لا يطلع عليها كل وافد. ولا يسرح في روض رياضها: إلا الواحد، بعد الواحد. جلت شرعة الله: أن تكون منهلا لكل وارد. والقرائح مراتب. والفضائل مواهب. والعلم عباب زاخر. وكم ترك الأول للآخر. ولم أتعرض إلا لما تمس الحاجة إليه، ويتوقف فهم أسرار الشريعة عليه، وتركت ما لا يحتاج اليه فيها إلا نادرا، وإن كان بديعا فاخرا. وسميته "التوقيف على مهمات التعاريف".

- «الكليات»: لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت 1094هـ)، وهو معجم مصطلحات، «أفاد منه كل من عني من المتأخرين بدراسة الفلسفة بعامة، والفلسفة الإسلامية

بشكل خاص، وبمعرفة مصطلحات أصحاب كل من الفلسفتين... ثم هو آلة طيعة للعاملين في ميادين العلوم النحوية والصرفية والبلاغية والعروضية، وفي العلوم الفلكية، والحكمة الطبيعية (الفيزياء)، والطب، والرياضيات، والعمران، وغير ذلك من الفنون والعلوم منذ نشأتها عند العرب حتى عصر المؤلف في القرن الحادي عشر للهجرة».

الاحتكام إلى أسلوب القرآن

-وقد نحتاج أيضاً للاحتكام إلى أسلوب القرآن، في تحديد معاني بعض المصطلحات، وبخاصة في مجال الترجيح، لمعنىً على آخر.

- يقول الأشعري في كتاب "الإبانة": تعقيبا على قول المعتزلة: بأن "ناظرة": من الانتظار: "وكذلك إذا ذكر "النظر" مع الوجه، لم يكن معناه: نظر الانتظار؛ الذي يكون للقلب، -وأيضا فإن نظر الانتظار: لا يكون في الجنة؛ لأن الانتظار: معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، من العيش السليم، والنعيم المقيم.

وإذا كان هذا هكذا، لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيء: أتوا به، مع خطوره ببالهم، (37/2)

غير أن الأشعري لم يذكر -هنا- استدلالا آخر للمعتزلة:

وهو ادعاؤهم بأن "إلى" إنما هي واحدة "الآلاء": بمعنى "النعمة" -وعلى هذا فهي هنا، ليست حرف جر-. وبناء على ذلك يكون معنى الآية: نعمة ربها منتظرة. -وذلك بغض النظر، عن التكلف في هذا القول. وضعفا لاحتجاجه-.

وقول الأشعري بعد ذلك: "وأيضا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، من العيش السليم، والنعيم المقيم".

هذا الكلام من الأشعري -هنا- غير مسلم. وفيه نظر:

ذلك أن الحديث -هنا - يمكن أن يكون في الموقف، وقبل دخول الجنة.

وذلك بدلالة ما بعدها، وهو قوله تعالى:

"ووجوه يومئذ باسرة. تظن أن يفعل بها فاقرة".

فوجوه الكافرين باسرة، لأنها تنتظر أن يفعل بها فاقرة — هذا قبل دخول النار-. ووجوه المؤمنين ناضرة -وهي تنظر إلى ربها، وتنتظر ثوابه، وعطاياه-. وهذا قبل دخول الجنة.

وبناء على ذلك: يمكن الجمع بين ما ذهب إليه أهل السنة: من كون "النظر" بمعنى "الرؤية". وما ذهبت إليه المعتزلة من "الانتظار" -الذي يفهم من التقابل، في أسلوب القرآن- بدلالة قوله: "ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة". حيث يدل ذلك، على المعنى المقابل. وهو أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم، وينتظرون ثوابه، وعطاياه. وبذلك لا يحتاج المعتزلة: إلى ما ذهبوا إليه، من جعل "إلى": واحدة "الآلاء".

جمع الآيات:

- بعد ذلك لابد من جمع الآيات التي وردت فيها المفردة القرآنية المراد الحديث عنها، وتتبع معانيها المتعددة في سياقاتها، ويستعان في ذلك بكتب: الأشباه والنظائر، وكتب المتشابه اللفظي، وكتب التفسير الأمهات، التي عنيت بتفصيل تلك المعاني.

التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

- ولابد للباحث من أن يميز بين المعاني التي وردت في الآيات بمعناها الاصطلاحي، أو بمعناها اللغوي، لأن القرآن وإن أضاف إلى الكلمة العربية معنىً اصطلاحياً، إلا أنه لم يلغ المعنى اللغوي، فالمعنى اللغوي مازال قائماً، بل إن القرآن ذاته، قد يستعمل المفردة بأصل معناها اللغوي، في بعض الأحيان.

فـــ "الصلاة" مثلاً أعطاها القرآن معنىً شرعياً، عبر عنه الفقهاء بقولهم عن الصلاة:

"أقوال وأفعال، مبتدأة بالتكبير، مختتمة بالتسليم".

وعبر عنها بعض المحققين -الفراهي- في روح معناها الشرعي فقال:

"الصلاة هي ركون العبد إلى الله محبةً وخشية".

أما قوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[1].

فقد كانت بمعنى "الدعاء" وهو المعنى اللغوي.

ومثلها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾[2]

أي: إن الله يرحم النبي والملائكة تستغفر له.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[3]

أي، ادعوا له بالرحمة والمغفرة.

المعنى الشائع:

- كذلك لابد أن تفسر المفردة القرآنية، بالمعنى الذي كان شائعاً لدى نزول القرآن، فالعرف اللغوي هنا هو المراد بالمعاني اللغوية، ولا يجوز أن نفسر المفردة القرآنية، بمعانٍ مستحدثة، بعد عصر التتريل، فلا يمكن أن نفسر السيارة في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾[4] بالسيارة التي نعرفها في عصرنا، وإنما المراد بها: "القافلة". فهذا هو المعنى الذي كان متعارفاً، وشائعاً.

- ثم لابد لنا أن ننظر في المعاني الاصطلاحية، التي ذكرها علماؤنا المتقدمون، وأن نوازن بينها وبين ما انتهينا إليه من دراستنا، من خلال تلك المعركة الطويلة التيخضناها في معاجم

---

(1) سورة التوبة: آية 103.

(2) سورة الأحزاب: آية 56.

(3) سورة الأحزاب: آية 56.

(4) سورة يوسف: آية 19.

اللغة، ومعاني الآيات التي جمعناها، وأن ننظر في تلك المعاني الاصطلاحية، هل كانت دقيقةً وشاملة؟ وبتعبير آخر: هل كانت جامعةً ومانعة ؟

- إن هذه النظرة النقدية كفيلة أن تعدل لنا بعض ما انتهينا إليه، إذا كان بحاجة إلى تعديل، أو تعدل ما وصلنا من التعريفات السابقة، كل ذلك بالأدلة المقنعة، القائمة على الإحصاء الدقيق، والنظر العميق.

- بهذه الطريقة يمكننا أن نصل إلى تحديد معاني المصطلحات القرآنية، التي هي مفاتيح الدراسة القرآنية، التي تقربنا من الموضوعية، وتجمع الأمة على كلمة سواء، باعتماد المرجعية القرآنية للمصطلح، مما يوحد المنهج، ويبعد الاختلاف والشقاق.

المصطلح القرآني في دراسات السابقين:

كثير من الدارسين في ميدان المصطلح القرآني يرون أن بوا كيره تعود إلى كتاب "الزينة في الكلمات الإسلامية العربية" لأبي حاتم الرازي وهو كتاب فريد في المكتبة العربية. التفت فيه المؤلف أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي - ت 322هـــ - إلى تطور دلالة بعض الألفاظ، من زمن إلى آخر، وإلى المسميات التي تفردت بها الحضارة العربية الإسلامية، فجمع ما وقف عليه في كتابٍ سماه: «الزينة». وقد نبه محقق هذا الكتاب على طبيعته الفريدة وأهميته فقال:

«حاول المؤلف في هذا الكتاب: أن يجمع -من شتى الألفاظ العربية- ألفاظاً تغيرت مدلولاتها، ومعانيها في العصر الإسلامي، عما كانت عليه في العصر الجاهلي، وبعمله هذا: وضع اللبنة الأولى، في علم معاني الأسماء العربية، والمصطلحات الإسلامية».

ومما لا ريب فيه -أن هذه الالتفاتة-: كانت تعبر عن إحساس متقدم، عند القدماء، بفكرة التطور الدلالي للألفاظ، ولو توبعت من بعدُ، لأثْرتِ المكتبة العربية -بجانب من التأليف المعجمي- يُفتقد إليه اليوم، وتكثر الدعوات لاستدراكه».

والملاحظ على هذا الكتاب:

- أن ما جاء فيه ليس خاصاً بالمصطلحات القرآنية، وإن اشتمل على كثير منها.

- أن تحقيق الكتاب اقتصر على الجزأين الأول والثاني. أما الجزء الثالث فقد طبعه محققه ضمن كتاب، عنوانه الكامل: "الغلو والفرقة الغالية، في الحضارة الإسلامية". تأليف عبد الله سلوم السامرائي.

- ويمكن أن يدخل تحت هذا الاتجاه مع شيء من التجوز:

- ما أفرده بعض السابقين – من الحديث عن ألفاظ معينة في القرآن–

بمؤلفات خاصة مثل:

"معاني السنين القحطية، والأيام".

و"التهجد في القرآن".

- كلاهما: لمكي بن أبي طالب القيسي–

- ومثل "الفرق بين الصدر، والقلب، والفؤاد، واللب" للحكيم الترمذي.

- ومثل "ماهية العقل" و"فهم القرآن" للحارث المحاسبي.

- ومثل "تفصيل النشأتين وتحقيق السعادتين" للراغب الأصفهاني.

- ومثل ما ذكره ابن تيمية، من الحديث عن لفظ "القنوت": تحت عنوان: "رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى".

وما تحدث به عن معنى "الفطرة" في القرآن.

وما تحدث به عن معنى " سنة الله ".

وعن معنى: "النزول". وعن معنى: "التأويل".. وأمثال ذلك.

المصطلح القرآني في دراسات المعاصرين:

كتاب "الدين" للدكتور محمد عبد الله دراز. وما قام به الدكتور دراز –في هدا الكتاب–

يعتبر نموذجا فذا، في دراسة المصطلح القرآني، جدير بأن يحتذى، وينسج على منواله: "التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن". لعودة خليل أبو عودة. وهو كتاب ممتاز في بابه، يمكن لدارسي المصطلحات القرآنية، أن يستفيدوا منه: فوائد مهمة. والدكتور أبو عودة: ليس مجرد دارس عابر، للموضوع، يريد أن ينتهي منه، لينصرف إلى غيره. وإنما الموضوع مازال يعيش معه. ومن ثم فهو يكلف إحدى طالباته "تمام محمد السيد" أن تعد رسالة ماجستير تحت إشرافه بعنوان: "ألفاظ وتراكيب ودلالات جديدة في السياق القرآني"

لتكون مكملة لدراسته السابقة. وقد جاء في ملخص هذه الرسالة:

تهدف هذه الرسالة إلى بيان بعض مظاهر التطور اللغوي والدلالي في الألفاظ والتراكيب القرآنية، لتكون دليلاً على تحدي القرآن للعرب، وعدم قدرتهم على الإتيان بمثله، ومن ثم للوصول إلى إثبات قدرة اللغة العربية، على مواكبة التقدم والتطور، إذ تعبر عن المعاني المتجددة، وبيان كيف أن القرآن الكريم حفظ اللغة العربية، في كل عصر وستناقش هذه الدراسة محورين أساسيين هما:

ألفاظ وتراكيب جديدة صنعها القرآن الكريم مثل: الترتيل، والنفاق، والفسوق، وسقط في أيديهم، وغيرها.

ألفاظ وتراكيب -أضفى عليها القرآن- دلالات جديدة: مثل الصلاة، وألم نشرح لك صدرك، وغيرها.

اعتمدت هذه الدراسة على معاجم اللغة الكبرى ابتداء بمعجم العين للفراهيدي، فلسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي وغيرها، وكذلك على مصادر اللغة الكبرى، كجمهرة اللغة لابن دريد. والخصائص لابن جني. والمزهر للسيوطي. وغيرها من الكتب، وعلى كتب التفسير المختلفة مثل: جامع البيان للطبري، والتفسير الكبير للفخر الرازي، والجامع

لأحكام القرآن للقرطبي، وغيرها. كذلك اهتم البحث بكتب الدراسات القرآنية، قديماً، وحديثاً، وبآراء المفسرين وعلماء اللغة، وأهل النقد، والبيان.

وأرجو أن تكون هذه الدراسة خطوة في موضوع (المعجم التاريخي)، الذي يسعى اتحاد مجامع اللغة العربية في الوطن العربي على وضعه وإنجازه المصطلحات الأربعة لأبي الأعلى المودودي.

بحوث حول المصطلحات للدكتور فرحات:

1) القرآن ومعركة المصطلحات – مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – العدد الأول – السنة الثانية- عام 1389هـــ –

2) الأمة في دلالتها العربية والقرآنية – الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض عام 1979م، ودار عمار في عمان عام 1983م.

3) معاني المحكم والمتشابه في القرآن الكريم – مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد الخامس عام 1986م.

4) الخلافة في الأرض – دار الأرقم – الكويت عام 1986م

5) فطرة الله التي فطر الناس عليها – دار البشير – عمان عام 1987م.

6) الذين في قلوبهم مرض – دار البشير – عمان عام 1987م.

7) افتتاحيات مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الكويت من العدد السابع حتى العدد السابع عشر من عام 1986 – 1990م.

8) سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول – مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي – نشر في العدد الثامن عام 1994م وصدر عن دار عمار 1999م

9) مصطلح الفكر الإسلامي – مجلة كلية الآداب – فاس – عدد خاص بعنوان الدراسات المصطلحية والعلوم الإسلامية سنة 2001م، وصدر عن دار عمار سنة 2003م.

10) بحث "معاجم مفردات القرآن موازانات ومقترحات" ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه 30 _ 2000/10/3م بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة

11) المشاركة ببحث "أصول الحضارة الإسلامية" في كتاب "الحضارة العربية الإسلامية" المقرر في جامعة الإمارات 2003م.

12) بحث "نحو منهجية موحدة لتفسير القرآن" نشر ضمن بحوث مؤتمر الوحدة الإسلامية الذي انعقد في الجامعة الإسلامية في ماليزيا كوالا لمبور من 1 _ 2003/10/2م

13) أثر المصطلح القرآني في التداخل والتكامل المصطلحي في العلوم الشرعية – المغرب – مجلة الأحمدية– العدد العشرون – 2005م

14) المشاركة ببحث "الإسلام والحضارة" في كتاب "الفكر الإسلامي لجامعة الإمارات عام 2003م.

منهج الدراسة المصطلحية:

وقد قام أخيراً في المغرب الشقيق "معهد الدراسات المصطلحية"– الذي يشرف عليه ويرعاه أخونا الفاضل الأستاذ الدكتور الشاهد البو شيخي– وقد وضع تصورا جامعا لدراسة المصطلح القرآني، مستخلصا من الدراسات التي سبقته، ومستفيدا مما جاء فيها –بحكم التراكم المعرفي–. ولا بأس أن نتعرف على هذا المنهج –الذي اعتمده عدد من طلبة الدراسات العليا– في رسائلهم الجامعية:

– يستند منهج الدراسة المصطلحية إلى رؤية شاملة –كما لخصه أحد الدارسين– تجمع بين البعدين الآني والتاريخي في الدراسة.

– كما أن خصوصية هذا المنهج، تبدو في طبيعة المعالم، التي يقوم عليها، والتي تتجلى في خمسة أركان وهي:

أولاً: الإحصاء:

وهو إجراء عملي يقتضي:

- إحصاء لفظ المصطلح إحصاءاً تاماً، حيثما ورد، وكيف ما ورد، وبأي معنىً ورد في المتن المدروس.
- إحصاء مشتقاته من جذره اللغوي، والمفهومي
- إحصاء التراكيب التي ورد بها المصطلح دون لفظه.
- إحصاء القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه.

ولا يخفى ما سيفيده هذا الإحصاء، على مستوى عرض كافة المعطيات المتعلقة بالحجم، أو الشكل، أو المفهوم، مما من شأنه أن يخدم الهدف المنشود، ألا وهو تقديم حد دقيق للمصطلح المدروس، على أساس من العلمية والشمولية.

ثانياً: الدراسة المعجمية:

وهي دراسة ترمي إلى رصد كل المعاني الجزئية للمصطلح، من خلال المعاجم اللغوية، والاصطلاحية، مع مراعاة التسلسل التاريخي، ومن هذه المعاني ترصد مدار المادة اللغوية للمصطلح، ومن خلالها تحدد مأخذه.

ثالثاً: الدراسة النصية:

وهي الدراسة العمود في منهج الدراسات المصطلحية، ونتيجة البحث تقوم عليها، وتقصد إلى تحديد تعريف للمصطلح، ولكن من خلال معطيات النصوص التي يرد فيها، أي: بعد استخلاص صفاته وعلاقاته وضمائمه، وكل ما من شأنه أن يعطي إضاءة مفهومية للمصطلح.

وهذا يقتضي نوعاً من التعامل الجاد والمركز مع النصوص، بالإضافة إلى استثمار كل القدرات الذاتية والمعرفية، على اعتبار أن كل نص يمثل مجالاً يلتمس منه الدّارس كل ما يعين

على تحديد معنى المصطلح من جهة، ومن جهة أخرى، قد يستقل فيه المصطلح بشخصية خاصة، يتميز بها عن نفسه في موقع آخر في نص آخر.

رابعاً: الدراسة المفهومية:

ويقصد بها دراسة النتائج التي فرغت واستخلصت من نصوص المصطلح، وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفاً مفهومياً، يجلي خلاصة التصور المستفاد بمفهوم المصطلح المدروس، في المتن المدروس، من خلال تحديد التعريف الشامل، لكل السمات الدلالية للمفهوم، والصفات الخاصة به، والعلاقات التي تربطه بغيره، والضمائم التي تكثر نسله، والمشتقات من مادته، والقضايا المرتبطة به.

وذلك بعد دراسة هذه العناصر، وتصنيفها مفهومياً، ثم استخلاص التعريف من نتائج ذلك.

خامساً: العرض المصطلحي:

ويقصد به: الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها، وذلك بعرض العناصر الكبرى التالية:

أ- التعريف:

والمقصود به حد المصطلح موضوع الدراسة، مع تحري الدقة والوضوح، والشمولية، واستخلاص هذا الحد مرحلةً بعد مراحل تسبقها وهي المتعلقة بـــ:

- تحديد المعنى اللغوي مع رصد مأخذه ومداره.
- وتحديد المعنى الاصطلاحي العام بالاختصاص.
- رصد كل السمات الدلالية والخصائص المتناثرة في نصوص المصطلح، والتي تسهم في دقة التعريف.

ثم يختبر هذا الحد المقترح من خلال تحليل عناصره والتفصيل فيها بضرب الأمثلة.

ب- الصفات:

وهي إما صفات مصنفة للمصطلح، داخل الجهاز المصطلحي موضوع الدراسة، وإما صفات مبينة تحدد درجة اتساع أو ضيق محتوى المصطلح، ومدى قوة اصطلاحيته أو ضعفها، وإما صفات حاكمة تفيد حكماً على المصطلح، كالنعوت والعيوب التي تلصق بذاته.

ج- العلاقات:

من الطبيعي أن تكون للمصطلح علاقات بغيره، إما على مستوى الائتلاف، كالترادف، والتعاطف، وغيرهما. وإما على مستوى الاختلاف، كالتضاد، والتخالف وغيرهما. وإما على مستوى التداخل، والتكامل، كالعموم، والخصوص. والأصل، والفرع. وغيرهما وهذه العلاقات لابد من رصدها، للوقوف على الفروق الدقيقة بين المصطلح، وغيره، وعلى أوجه التعالق بينهما.

د- الضمائم:

وتتعلق بعرض المركبات المصطلحية التي تتكون من المصطلح المدروس مضموماً إلى غيره، أو مضموماً إليه غيره، على اعتبار أن كل ضميمة منها تمثل مفهوماً جديداً مقيداً للتركيب، وأهم أنواع هذه الضمائم:

- ضميمة الإضافة: سواء أضيف المصطلح إلى غيره، أو أضيف غيره إليه.
- ضمائم الوصف: وقد يكون فيها المصطلح واصفاً أو موصوفاً.

هـ- المشتقات:

وتتضمن كل لفظ اصطلاحي ينتمي لغوياً أو مفهومياً ينتمي إلى الجذر الذي ينتمي إلى المصطلح المدروس، كالمهتدي مع الهدى. والبحث هنا بحث في امتدادات المفهوم خارج ذاته.

و- القضايا:

وهو ركن يتم فيه عرض القضايا التي تثيرها نصوص المصطلح المدروس، مما له اختلاط بالمصطلح، وهذه القضايا قد تقل وقد تكثر بحسب طبيعة المصطلح، ويمكن التمثيل لها بــ "الأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير.." [1].

فهذه إذن أهم معالم منهج الدراسة المصطلحية.

ولاشك بأن هذه المنهجية من الناحية النظرية، تبدو مقنعةً ودقيقةً وشاملةً، ولكن إلى أي حدٍّ تكون مرضية في التطبيق العملي، ذلك أنها لم تأخذ بالحسبان واقع الدارس للمصطلح، ومستواه العلمي، وقدرته على الاستفادة من المعطيات المذكورة، وبخاصة أن كثيراً من الدارسين من طلبة الدراسات العليا مازالوا في أول طريق العلم، وربما يقال بأنهم يدرسون هذه المصطلحات بإشراف أساتذة كبار، ويبقى السؤال مطروحاً، إلى أي حد يمكن لهؤلاء الأساتذة أن يتابعوا طلبتهم ويقرؤوا ما كتبوه بدقة، ليرشدوهم في كل قضية، وعند كل موقف؟.

ولقد أتيح لي الاطلاع على واحدة من هذه الرسائل، وأشير فيما يلي إلى ملاحظاتي على هذه الدراسة:

موضوع "الهدى في القرآن الكريم":

- **من حيث الموضوع:** أهميته وجدته:

الموضوع مهم جداً لأنه يتعلق بدراسة مصطلح قرآني:**"مفهوم الهدى"**:

والموضوع جديد، لم يسبق بحثه بهذا التوسع، وهذا الشمول.

([1]) ملخص لما ورد عن الدكتور الشاهد البوشيخي، في عرض له تحت عنوان "نظرات في منهج الدراسة المصطلحية" من ص:7 – 11 .

- **من حيث خطة البحث:** ترتيب الفصول والمباحث، وترتيب الأفكار وتسلسلها:

خطة البحث خطة محكمة، تضمنت مقدمةً ومدخلاً وثلاثة أبواب، والأبواب قسمت إلى فصول، والفصول إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب، ثم أتبع ذلك بخاتمة تلخص ما جاء في البحث، وتبرز أهم نتائجه، وبعد الخاتمة ذكر فهرساً للآيات القرآنية، وفهرساً للأحاديث النبوية، وثبتاً بالمصادر والمراجع، وفهرساً للموضوعات.

أما الأفكار التي جاءت في البحث: فقد كانت على العموم مرتبة متسلسلة، بحيث تقوم فيها الجزئيات على الكليات، ويفضي بعضها إلى بعض. وربما كانت هناك بعض الملاحظات الجزئية سنستعرضها في نهاية هذا التقرير.

- **من حيث الأسلوب:** سلامته لغوياً، ونحوياً، وحظه من البلاغة، والبيان:

أسلوب الباحث تغلب عليه السلامة، وقدرته البيانية والبلاغية جيدة جداً، وربما عرضت له الركاكة في بعض الأحيان، ولا غرابة في ذلك فلكل جواد كبوة، ولكل فارس نبوة. وقد حصلت فيه بعض الأخطاء والهنات -سنذكرها في نهاية الورقة الإضافية لمن يرغب الاطلاع عليها-.

- **من حيث العرض:** عرض علمي، أو خطابي إنشائي:

العرض علمي في الغالب. وربما لجأ الباحث إلى العرض الخطابي والإنشائي أحيانا، وبخاصة في آخر البحث، حيث أخذ منه الجهد والتعب كل مأخذ، وربما ذكرنا نماذج لذلك في الورقة الخاصة التي سنضيفها في نهاية التقرير.

- **من حيث الابتكار والجدة:**

يعتبر البحث جديداً في موضوعه، ومبتكراً في طريقة تناوله، حيث حاول أن يطبق منهج معهد الدراسات المصطلحية، في الدراسة والذي أشار إليه في مطلع البحث، ولاشك أنه بذل

جهداً كبيراً في محاولة تطبيق هذا المنهج، ولكن إلى أي حد حالفه التوفيق، في الوصول إلى النتائج المطلوبة. هذا ما سنؤخر الحديث عنه إلى الورقة الإضافية في هذا التقرير.

- **من حيث العمق والشمول:**

حاول الباحث أن يكون عميقاً في دراسته وشاملاً، ولم يأل جهداً في العمل من أجل ذلك، ومع ذلك فالتوفيق في الوصول إلى النتائج المتوخاة، شيء ليس بالسهل، ولا باليسير. وسنفصل القول في ذلك لاحقا.

الورقة الإضافية:

"بحث مفهوم الهدى في القران الكريم" —دراسة مصطلحيه وتفسير موضوعي-.

لقد جاء هذا البحث في ثلاث وستين وثلاثمائة صفحة، مع المصادر والمراجع، والفهارس. وبالإضافة إلى ما ذكرته سابقا فسأحاول بيان بعض الملاحظات التي أحلت فيها إلى هذه الورقة. وسأعرضها طبقا لتسلسل ورودها في البحث. وذلك تسهيلاً على القارئ، والمصحح:

ص -26- أشار الباحث إلى أهمية كتاب "معجم مفردات القرآن للراغب الأصفهاني". وكان يحسن به أن يرجع إلى بحث "معاجم مفردات القرآن- موازنات ومقترحات-" للدكتور فرحات حيث أضاف إلى كتاب الراغب ما أسماه بـــ "مكملات مفردات الراغب" وهي تعرض نماذج من الفروق بين المترادفات، التي عرض لها الراغب في كتبه الأخر: مثل "الذريعة إلى مكارم الشريعة" وكتاب "تفسير الراغب" المخطوط حيث يبدأ تفسير الآية ببيان الفروق، بينما يظن أنه من قبيل المترادف.

- والبحث منشور ضمن اصدارات مجمع الملك فهد في المدينة المنورة. ويمكن الحصول على نسخة منه من الشبكة العنكبوتية-

ومن الكتب الهامة في الموضوع: "مفردات القرآن للفراهي الهندي"- طبع بدار الغرب

الاسلامي-.

ص -27- أشار الباحث إلى الرافعي الذي يرى أن القرآن الكريم قد أكسب الألفاظ اللغوية معاني جديده. وكان يحسن بالباحث أن يشير إلى كتاب قديم في الموضوع، وأن يرجع اليه، وهو كتاب:

" الزينة في الكلمات الإسلامية العربية" لأبي حاتم الرازي.

ص -30- بعد أن أشار الباحث إلى بعض الدراسات الحديثة عند د. دراز. ود. بنت الشاطئ، كان من المستحسن أن يشير إلى بعض الدراسات المصطلحية الخاصة بالقرآن. وذلك مثل كتاب "المصطلحات الأربعة في القرآن" للمودودي. وكتب الدكتور فرحات:

- الخلافة في الأرض.
- الأمة في دلالتها العربية والقرآنية.
- فطرة الله التي فطر الناس عليها.
- سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول.
- الذين في قلوبهم مرض.
- معاني المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

إذ تعتبر هذه الدراسات في صلب موضوع المصطلحات القرآنية.

- علما بأن صاحب هذه الدراسات، أشار إلى أهمية دراسة المصطلحات القرآنية في مرحلة مبكرة، حيث نشر بحثاً في مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام 1389هـ في العدد الثاني من السنه الثانية بعنوان

"القرآن.. ومعركة المصطلحات"-.

ص-47- سطر 5 – قوله: "أما الأصل الثاني لمادة هدى": فلا اعتبار له في هذا المقام، لأنه اتخذ مساراً اشتقاقيا آخر، بدلالته على معنى "الإعطاء" وليس "الهداية" وهذا نفس ما أورده

العلامة الراغب في "المفردات".

أقول: ما نسبه إلى الراغب في المفردات غير دقيق. ذلك أن الراغب قال في المفردات تحت لفظ "هدى":

"الهداية": دلالة بلطف. ومنه: "الهدية" وقال في آخر حديثه عن "هدى":

والهدية مختصة باللطف، الذي يهدي بعضنا إلى بعض.. قال تعالى:﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾[1].

وهذا الكلام من الراغب، كان جديراً بالباحث، أن يتوقف عنده، لأنه يربط بين المعاني -التي ظن الباحث- أنها اتخذت مساراً اشتقاقيا آخر، بدلالته على معنى الإعطاء، وليس الهداية.

إن كلام الراغب في هذا، أدق من كلام ابن فارس، في معجم مقاييس اللغة. وكأن قوله "الهداية: دلالة بلطف" هو الجذر الذي تلتقي عنده كل مشتقاتها، والتي لم يستطع الباحث أن يدركها، مع أن كلام الراغب في أول حديثه عن الهداية يعرفها: بأنها "دلالة بلطف". ويؤكد أن منها: "الهدية".

وآخر كلامه يشير إلى أن "الهدية": مختصة باللطف، الذي يهدي بعضنا، إلى بعض. فالهدية إذن: من اللطف، وكأنها طريقة لطيفة، للتحبب، بين المهدي والمهدى إليه. ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

"تهادوا تحابوا"[2].

فالهدية: طريقة لطيفة، للتحبب بين الناس.

وبهذا يتبين أن الأمر ليس كما ذهب اليه الباحث.

([1]) سورة النمل : آية 35 .

([1]) رواه البخاري في الأدب المفرد.

كذلك فإن معنى "الإعطاء" الذي ادعى الباحث: أنه سلك مسلكا اشتقاقيا آخر. قد أشار اليه الراغب، عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾[1]: والهداية: هي الإرشاد إلى الخيرات: قولاً وفعلاً. ثم يقول:وهي من الله تعالى على منازل، بعضها يرتب على بعض، لا يصح حصول الثاني، إلا بعد الأول. ولا الثالث، إلا بعد الثاني.

فأول المنازل: إعطاؤه العبد: القوى التي بها، يهتدي إلى مصالحه، إما تسخيراً. وإما طوعاً. كالمشاعر الخمسة، والقوة الفكرية. وبعض ذلك قد أعطاه: الحيوانات. وبعضه: خص به الانسان. إذن قوله في أول المنازل:

"إعطاؤه العبد: القوى التي بها يهتدي إلى مصالحه"، ليست بعيدة عن معنى الهداية، الذي هو: الدلالة بلطف".

ص-55- أورد الباحث تعريفات بعض المفسرين "للهدى" في الاستعمال القرآني، و لم يذكر المنازل الأربعة، التي ذكرها الراغب، في المفردات. وذلك لأنه استعملها بعد ذلك.

ص -75- وما بعدها – معتبراً: أنه وصل إليها، من خلال استقراء شامل، للنصوص. وجعل الإشارة إلى الراغب، قبل نقل هذا النص. وهو نوع من تدليس الشيوخ !!

وهكذا فقد وزع المادة العلمية -التي ذكرها الراغب- في أماكن متعددة و لم يكن التصريح بذلك، مطرداً دائماً.

ص -90- السطران الأخيران – قوله "ولا يتصور المرء أن يطلب الهدى -بمعنى الإرشاد العام- لأنه حاصل، كما لا يتصور أن يدعو الإنسان ربه، أن يخلقه وهو مخلوق".

ولقد أجاب الراغب عن هذا الإشكال في كتاب المفردات بقوله: وقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا

---

[2] سورة الفاتحة : آية 6.

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[1] ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨﴾[2].

فقد قيل: عنى به الهداية العامة، التي هي العقل، وسنة الأنبياء. وأمرنا أن نقول ذلك بألسنتنا -وان كان قد فعل- ليعطينا بذلك ثوابا. كما أمرنا أن نقول اللهم صلي على محمد -وإن كان قد صلى عليه، بقوله: "إن الله وملائكته يصلون على النبي"-.

وقيل: إن ذلك دعاء بحفظنا، عن استغواء الغواة، واستهواء الشهوات.

وقيل: هو سؤال: للتوفيق الموعود به، في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾[3]

وقيل: سؤال للهداية: إلى الجنة، في الآخرة".

ص -102- تعريف الهدى كما انتهى اليه الباحث:

"الهدى: إرشاد رباني عام يتضمن إيصال المكلف إلى المطلوب بالقوة.

ويختص بإخراج الإيصال، من القوة إلى الفعل".

ويلاحظ على هذا التعريف الملاحظات التالية:

-أنه جعل هذا الإرشاد خاصا بالمكلفين، على حين أن الإرشاد الإلهي، يعم المخلوقات جميعا، بدلالة قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾[4].

أنه جعل هذا الإرشاد، موصلاً إلى المطلوب. دون أن يحدد هذا المطلوب.

- يبدو أن الباحث لم يطلع على تعريف الراغب الأصفهاني للهدى -كما أورده في تفسيره- حيث قال الراغب:

([1]) سورة الفاتحة: آية 6.

([2]) سورة النساء: آية 68.

([3]) سورة محمد: آية 17.

([4]) سورة طه : آية 50 .

والهداية: هي الإرشاد إلى الخيرات: قولاً، وفعلاً.

وهكذا فقد حدد الراغب المطلوب بـــ " الخيرات " قولاً، وفعلاً.

ص – 15– سطر 8–9 – من أسفل – قوله عن سورة الحج: مدنية. ليس موضع اتفاق. والصحيح: أن فيها مكيا ومدنيا.

ص –98–249– خصصه للباب الثاني من الخطة، وتحدث فيه عن مقومات لفظ الهدى وعلاقاته. حيث تحدث عن خصائص اللفظ، وصفاته. وفي جانب العلاقات تحدث عن علاقة اللفظ بأسرته، حيث شملت العلاقات: كلاً من الائتلاف، والترادف والتعاطف، والتداخل، والاختلاف.

ولقد بذل الباحث في ذلك كله جهداً كبيراً، واعتمد على جداول إحصائية، للكلمات والآيات، التي وردت فيها. وهذه ميزة واضحة في البحث، الذي أراد أن يعتمد فيه على استقراء كامل، لكل ما يتصل بلفظ "الهدى"، وعلاقاته مع الألفاظ الأخر.

وأرى أن الباحث: لم يستطع أن يوظف كل هذه الإحصاءات، والدراسات، في نتائج دقيقة، كاملة. فالمنهج الذي اتبعه كان متعباً، وشاقاً. ولا أرى أن النتائج التي توصل إليها، مساوية للجهد المبذول.. وعلى كل حال فهو جهد، حري بأن يقدر، ويقبل، على الرغم من كل ما قيل في نتائجه.

ص–193– سطر –12– يقول الباحث تعقيباً على قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ ﴾[1]

فقوله تعالى "من قبل" تقييد زمني، وموضوعي، لوظيفة التوراة، والإنجيل. أي أن الوصف بالهدى: مقيد، بزمنيهما "

([1]) سورة آل عمران: آية 3.

فهذا الكلام ليس صحيحاً، لأن كلمة "من قبل": متعلقة بالإنزال، وليست متعلقة بـــ"هدى". والهدى -الوارد في الكتب السابقة-: إن كان متعلقاً بالعقائد، فهي واحدة، في الكتب الإلهية. وإن كان متعلقاً بالشرائع. فالشرائع: قد تختلف. وقد وصف القرآن بأنه: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[1] فهو مصدق لما فيه من العقائد، التي لا تختلف بها الأديان الإلهية، وهو مهيمن على الشرائع السابقة.

فما كان منها موافقا للقرآن قبل. وما كان مخالفا له: اعتبر منسوخاً، أو محرفاً عن مواضعه. ومن ثم تحدث العلماء عن حكم شريعة من قبلنا: إذا ذكرت في القرآن، فقالوا:

"شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم يرد نسخ لها".

وبناء على هذا ما ذكر في تلك الشرائع، مما لم يحرف، ولم يرد له ناسخ، في شريعتنا، يمكن أن يدخل -في إطار قوله تعالى عن الأنبياء- مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[2].

وهذا التوضيح لابد منه، لأن كلام الباحث: تكرر أكثر، من مرة، في هذه القضية.

ص — 250 — 334– ويتضمن الباب الثالث الذي جعل عنوانه:

"في امتدادات مفهوم الهدى" وقد تحدث فيه عن ضمائم مصطلح الهدى، ومشتقاته في القرآن الكريم مثل "هدى الله" و"سنن الهدى" و"الهادي" و"المهتدي" و"المهدي" كما تحدث عن القضايا، المتعلقة بمفهوم الهدى، كالجبر، والاختيار، وقضية الهدى، في الكتب السماوية السابقة، والسنة النبوية.

وقد سار في هذا الباب، على نفس النهج الذي ذكرناه في الباب الذي قبله، وقد سجلنا

([1]) سورة المائدة: آية 48.

([2])سورة الأنعام : آية 90 .

على الباحث الملاحظات التالية:

ص– 263– سطر –5– وما بعده– يقول الباحث –نقلا عن لسان العرب–: والاتباع مصدر: اتبع الشيء: إذا سار في إثره وتلاه. والكلمة تدور حول معاني اللحاق، والطلب، والاقتفاء، والاقتداء، والتأسي..."

وهنا يثور تساؤل عن هذه المترادفات هل بينها فروق أو لا ؟

ولم يقف الباحث عندها، كما سبق كلامه عند غيرها، من المترادفات. غير أن الراغب الأصفهاني قد حل هذا الإشكال، حين جعل لفظ "الاتباع" عاماً في كل ذلك، بينما ذكر فروقاً لبقية المترادفات، كما هو مذهب المحققين من علماء العربية، فقد جاء تفريق الراغب الأصفهاني بين هذه المترادفات، في تفسيره المخطوط، والذي نقلنا عنه في بحث "معاجم مفردات القرآن" الذي سبق أن أحلنا اليه، حيث يقول الراغب تعقيبا على قوله تعالى: ﴿ **فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴿٣٨﴾ ﴾[1]: "الاتباع" و"الإتلاء" و"الاحتذاء" و"الاقتداء": تتقارب: فالإتلاء: مجيء بعد آخر. بلا فاصل بينهما، من جنسهما. والاحتذاء: منقول: من حذو النعل، بالنعل. والاقتداء: اتباع على قدر، أي على قدر المتبع، بلا تجاوز ولا تأخر. والاتباع: عام في كل ذلك. ومنه قيل للرعية أتباع. وسمي العجل التابع لأمه تبيعا".

ويستحسن للباحث أن يرجع إلى بحث "فطرة الله التي فطر الناس عليها" وذلك تعقيبا على ما جاء في الهامش.

ص – 299– سطر 9 – قوله "بهداية التكوين بخلق الإيمان في قلوبهم":

هذا المصطلح: "هداية التكوين بالخلق" تكرر كثيراً في هذه الرسالة –وهو من ابتكار الباحث– ولم يرد على ألسنة العلماء المحققين. والمعروف أن مثل هذا الإيمان، إنما هو الإيمان

([1]) سورة البقرة: آية 38.

الفطري، الذي خلق عليه الناس جميعا، والمشار إليه بقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[1]

وهذا المعنى أكده النبي صلى الله عليه وسلم:

"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو يشركانه"[2] ولم يقل: أو يسلمانه، لأنه ولد على الإسلام.

ويعد هذا التوحيد الفطري، الذي ولد عليه الإنسان، هو فطرة الكون كله، والمخلوقات كلها، بدلالة قوله:

﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[3] وبدلالة قوله:

﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[4]

ويتلو هذا الإيمان الفطري، الإيمان العقلي، الذي يهتدي إليه الإنسان بعقله، والمشار إليه بقوله تعالى:

﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[5]

ويتلو الإيمان العقلي، الإيمان الشرعي، الذي جاءت به الرسل والكتب الإلهية.

أما آلية الهداية العقلية، والشرعية، فمترتبة على موقف الإنسان، من الهداية الفطريه، التي أعطيت للجميع.

([1]) سورة الروم: آية 30.

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه حديث 1385.

([3]) سورة طه: آية 3.

([4]) سورة آل عمران: آية 83.

([5]) سورة الملك: آية 10.

فمن أكد هذه الهداية الفطرية، بالهداية العقلية، والشرعية، فهو الذي يهديه الله، ويزيده هدى وتوفيقاً.

والذي يقف من الهداية الفطرية، موقفا سلبيا هو الذي يضله الله:

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾[1] وذلك كله طبقا للدستور القرآني الخالد:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[2] ومن ثم يحسن بالباحث، أن يرجع إلى بحث "فطرة الله التي فطر الناس عليها"، لمزيد التوضيح في هذا الجانب.

ص –299– تحدث الباحث عن "الكفر" في اللغة و"الكفر" في الاصطلاح، وجعل مصدره في المعنى اللغوي لسان العرب، وكذلك في المعنى الشرعي. علما بأن المعنى الشرعي: لا يؤخذ من معاجم اللغة، وإنما يؤخذ من المصادر الشرعية المعتمدة

ص –300– ما جاء في هذه الصفحة، عن الكفر، والنفاق، ليس دقيقاً. ويحسن بالباحث أن يرجع إلى بحث "الذين في قلوبهم مرض" للدكتور فرحات.

ص –302– استشهاده بالآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾[3] ثم عقب عليها بقوله "فهؤلاء الذين يحرمهم الله من الهدى التكويني، لأنهم لم يقوموا بمقتضى الهدى التكليفي قبله، فلما انعدم الشرط: انعدم المشروط".

هذه الآية عند أكثر العلماء، ليست على عمومها. وإنما هي من العام الذي أريد به الخاص. ومن ثم فهي في طائفة مخصوصة من الكافرين –سبق في علم الله أنها لن تؤمن– بدليل أن

([1]) سورة الصف: آية 5.

([2]) سورة الرعد: آية 11.

([3]) سورة البقرة : آية 6 – 7 .

كثيراً من الكفار، نفعهم الإنذار، وآمنوا.. ومن ثم فإن الراجح في المراد بها: كفار اليهود، الذين سبق في علم الله أنهم لن يؤمنوا –مثل كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب وأمثالهما– وذلك لأن صدر سورة البقرة، كان أول ما نزل بعد الهجرة، والخطاب فيه موجه إلى مجتمع المدينة، المؤلف من المؤمنين –من المهاجرين والأنصار– والمؤمنين من اليهود – الذين استجابوا، وقد قال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾[1]

ومن ثم الكفار من اليهود الذين جاءت فيهم الآية: "إن الذين كفروا". وبعدها قوله "ومن الناس من يقول آمنا" –وهي في المنافقين من اليهود–. ويحسن الرجوع إلى بحث "الذين في قلوبهم مرض" لتتضح مثل هذه الأمور.

ص –303– قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا﴾[2] استشهد بها الباحث على عدم التسوية في الجزاء، مع أن الآية ليست في معرض الحديث عن الجزاء، والآخرة. وإنما هي في الحياة الدنيا

ص–314– الفقرة الأخيرة، المتعلقة بالنسخ بين الشرائع، نقلها من كتاب "عقيدة المسلم" لأبي بكر الجزائري. ومثل هذه الأشياء، لا تنقل من كتب متأخرة، وغير متخصصة. فلا بد من الرجوع إلى أمهات الكتب، في علوم القرآن، ككتاب "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه" لمكي ابن أبي طالب القيسي.

ص –316– فيها تكرار لما أشرنا إليه سابقا، حول هداية التوراة، والإنجيل. فنحيل إلى ما سبق.

ص –321– سطر– 5 – من أسفل – قوله عن النبي: "ولأنه لا ينطق عن الهوى": لا

([1]) سورة البقرة : آية 5 .

([2]) سورة الملك: آية 22.

يراد به السنة، وإنما يراد به القرآن، لأنه من أول ما نزل، والخطاب للمشركين: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾[1] والموضوع الذي كانوا يجادلون فيه، هو القرآن، وليس السنة. ومن ثم فقد وصف ما حدث للنبي بعد أن نزل من حراء، إلى أجياد، فنظر في السماء فرأى جبريل على هيئته.. ومن ثم فقد قال: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[2] أي: القرآن.

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[3] أي: جبريل.

﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾[4] أي ذو خلق حسن.

﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾[5]أي جبريل-.

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[6] أي فأوحى الله إلى عبده جبريل، ما أوحاه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ثم فالاستشهاد بالآية -هنا- على حجية السنة لا يستقيم. غير أن حجية السنه: تفهم من نصوص أخر.

([1]) سورة النجم: آية 2.

([4])سورة النجم: آية 4.

([2])سورة النجم: آية 5.

([3])سورة النجم: آية 6.

([4])سورة النجم : آية 7 – 9 .

([5])سورة النجم : آية 10 .

ومثل هذا الخطأ: يسميه ابن تيمية: خطأ في الدليل، وليس خطأ في المدلول.

هذه أهم الملاحظات التي سجلت على هذه الرسالة. باستثناء الأخطاء العربية، والمطبعية، التي آثرنا عدم ذكرها.

وبعد: فلا بد لنا قبل أن نطوي الحديث عن جهود "**منهج الدراسة المصطلحية**" وبعض تطبيقاته، أن نشيد بهذا الجهد الكبير، الذي يقف وراءه صديقنا، وأخونا الأستاذ، الدكتور: الشاهد البو شيخي، والذي أسفر عن تأسيس "معهد الدراسات المصطلحية"، و"مؤسسة مبدع" و"الرابطة المحمدية"، فأخرج بذلك الجهود المصطلحية: من نطاق الجهود الفردية، إلى نطاق المؤسسات الجادة، الفاعلة. وكان حصاد ذلك كله: هذه الكوكبة الرائدة، من الباحثين، والباحثات، الذين وضعوا أقدامهم على طريق النهضة، متجهين إلى هدف واحد. كما كان من نتيجة ذلك: ظهور دراسات ناضجة مبدعة، في ميدان المصطلح، والدراسات القرآنية عموما، تمثلت في ما كتبه الأستاذ: الشاهد حفظه الله، وما كتبه الدكتور: فريد الأنصاري، رحمه الله. وفيما كتبته الدكتورة فريدة زمرد. وفقها الله.

مقترحات:

- يحسن بدارسي المصطلحات -أن يذكروا في نهاية كل دراسة-: خلاصة وافية، لما جاء فيها -في حدود عشرين صفحة- لتكون هذه الخلاصات: جزءا من الموسوعة المنتظرة، التي لا بد أن توضع بيد الجمهور. -يحسن بدارسي المصطلحات: أن يرجعوا إلى دائرة المعارف الإسلامية -التي وضعها المستشرقون- وأن يتبينوا مواضع الخطأ، والخلل. وأن يبينوا للناس: وجه الصواب فيها.

- يحسن بدارسي المصطلحات: أن يتتبعوا الدراسات التي يقوم بها -بعض المستغربين- المنتسبين إلى هذه الأمة، والذين يهدفون من وراء ذلك، إلى تفريغ هذه المصطلحات، من مضمونها الإسلامي. وأن يبينوا للناس: وجه الكيد الذي يقوم به هؤلاء، متناغمين فيه مع الكيد، الاستشراقي المشار إليه سابقا.

- إن الذي يتصدّى لمثل هذه المهمة العظيمة: لا ينبغي له أن يسلك الطريق السهل، وإنما عليه أن يركب الصعب، وأن يكدّ الذهن، في التأمل والدراسة. وألا يقف على الشواطئ القريبة، وإنما عليه أن يغوص في الأعماق البعيدة، باحثاً عن الدر المصون، وطامعاً في اللؤلؤ المكنون.

- لا يكفي لمن يريد ارتياد هذه الآفاق، أن يحمل شهادة في الأدب العربي، أو الدراسات الإسلامية، دون أن يكون عاكفاً على كتاب الله، تلاوة، وفهماً. تذوقاً وتدبراً. يجيل الطرف في آياته، ويجدّ في البحث عن أسرار حروفه، وكلماته.

-و آخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين-.

أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح المعرف وغير المعرف في الدراسات القرآنية

د. محمد أزهري (*)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

((الحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لهذا ومَا كُنَّا لنَهْتَدِيَ لولا أن هَدانا الله))[1].

أما بعد: فيشرفني اليوم أن أشارك بهذه الورقة المتواضعة، مع هذه الثلة من العلماء الفضلاء، والنخبة من الأساتذة الأجلاء، في أشغال هذا المؤتمر الكريم المعطاء: **المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، في موضوع: "آفاق خدمة النص والمصطلح في الدراسات القرآنية"**، ضمن العنصر الأول من المحور الثاني: **آفاق الخدمة لمصطلح القرآن الكريم وعلومه.**

وأقدم جزيل شكري إلى أعضاء اللجنة المنظمة بكل من مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، والرابطة المحمدية للعلماء، ومعهد الدراسات المصطلحية، راجيا لهم التوفيق والسداد، لخدمة كتاب ربنا العزيز سبحانه وتعالى.

وعنوان ورقتي، هو:

أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح المعرَّف وغير المعرَّف في الدراسات القرآنية

---

* - عميد كلية اللغة العربية بجامعة القاضي عياض بمراكش.

[1] - سورة الأعراف، الآية: 42.

وتشمل مقدمة وتمهيدا وفصلين وخاتمة وملحقا. تتحدث المقدمة عن طبيعة هذه الورقة، وصلتها بموضوع المؤتمر. ويتناول التمهيد تحديد المراد بألفاظ عنوان الورقة. أما الفصلان، فقد خصص أولهما لأفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح المعرَّف في الدراسات القرآنية، ويضم مبحثين، جعل أولهما لأفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح القرآني المعرَّف، وثانيهما لأفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح المعرَّف في علوم القرآن.

وخصص الفصل الثاني لأفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح غير المعرَّف في الدراسات القرآنية، ويضم مبحثين، يتطرق أولهما لأفق الإحصاء للمصطلح غير المعرَّف في الدراسات القرآنية، وثانيهما لأفق التصنيف للمصطلح غير المعرَّف في الدراسات القرآنية.

وجُعلت خاتمة هذه الورقة لما تكون عليه خاتمة الأوراق من خلاصات واستنتاجات، ومقترحات وتوصيات.

أما الملحق فهو عبارة عن نموذج للتصنيف للمصطلح القرآني المعرَّف في الدراسات الحديثة.

هذا، وإن الخوض في أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلحات في الدراسات القرآنية أمر ينبغي أن يوضع في مقدمة الأولويات، لتيسير السبل أمام الدارسين والباحثين، وكذا أمام الراغبين في الاستزادة من العلم؛ وعليه، يتعين العمل على إحصاء تلك المصطلحات وتصنيفها، عبر إحصاء مظانها وتصنيفها التصنيفات المناسبة، وفي مقدمتها ((تصنيف المصطلحات إلى معرَّفة، فتفردَ مع تعاريفها، موثقة، وإلى غير معرَّفة، فترشَّحَ للتعريف)) [1] لغة واصطلاحا.

[1] - نظرات في المصطلح والمنهج، د. الشاهد البوشيخي: 61.

تمهيـــد:

نخصص هذا التمهيد لبيان المراد بالألفاظ التي يتشكل منها عنوان الورقة؛ وهي: "الأفق"، و"الإحصاء"، و"التصنيف"، و"المصطلح المعرَّف"، و"المصطلح غير المعرَّف"، و"الدراسات القرآنية".

أ- مفهوم الأفق:

قال ابن فارس: ((الهمزة والفاء والقاف أصل واحد، يدل على تَبَاعُد ما بين أطراف الشيء واتساعه، وعلى بلوغ النهاية، من ذلك الآفاق: النواحي والأطراف))[1]. وآفاق السماء: ((ما انتهى إليه البصر منها مع وجه الأرض من جميع نواحيها... وأما آفاق الأرض فأطرافها من حيث أحاطت بك))[2]. ونقل ابن فارس عن الخليل قوله: ((واحد الآفاق أُفُق، وهي الناحية من نواحي الأرض))[3]. وقال ابن منظور: ((الأُفْقُ والأُفُقُ: ما ظَهَرَ من نواحي الفَلَك وأطراف الأرض))[4].

والمراد بالأفق، في هذه الورقة، هو ناحية من نواحي الاهتمام والاشتغال في مجال العلم، وهي ناحية فيها نوع من استشراف المستقبل، وتحديد ما ينبغي أن يصير إليه الأمر، في مجال الدراسة المصطلحية للمصطلح القرآني، ولمصطلحات علوم القرآن كلها.

---

[1] - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس/ أفق.

[2] - نفسه/ أفق.

[3] - نفسه / أفق.

[4] - لسان العرب، ابن منظور/ أفق.

ب- مفهوم الإحصاء:

من معاني الإحصاء **لغة:** العَدُّ، والحِفْظ، والحَصْر، والضَّبْط، والإحاطة بالشيء[1]، تقول: ((أَحْصَيْتُ الشيءَ، إذا عَدَدْتُهُ))[2]. قال الراغب: ((الإحصاءُ: التحصيلُ بالعَدَد))[3]. وقال الزمخشري: ((الإحصاء: الحَصْر والضَّبْطُ)). وقال ابن منظور: ((الإحصاءُ: العَــدُّ والحِفْظُ. وأَحْصَى الشيءَ: أَحَــاطَ به))[4].

وجاء في (الكليات): ((الإحصاء أخصُّ من العَدِّ، لأنه العد على سبيل الاستقصاء))[5].

والإحصاء **اصطلاحا** هو طريقة علمية، مهمتها جمع البيانات العددية، أي المعطيــات الخاصة بموضوع ما، وتصنيفها، ووصفها، وتحليلها، ثم استعمال المعلومات الناتجة عن ذلك كله لاستخلاص النتائج والقرارات المناسبة. وقد عرَّفه د. أحمد بدر بقوله: الإحصاء هو ((ذلك الفرع من الدراسات الذي يهتم بالأساليب الرياضية، أو العمليات اللازمة لتجميع ووصف وتنظيم وتجهيز وتحليل وتفسير البيانات الرقمية))[6].

والإحصاء الذي سنتحدث عنه، في هذه الورقة، ثلاثة أنواع:

- إحصاء خاص بمظان المصطلح القرآني ومصطلحات علوم القرآن، ما عُرِّف منها وما لم يعرَّف.

---

[1] - ينظر: الصحاح، ومعجم مقاييس اللغة، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن، وأساس البلاغة، ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس/ حصا.

[2] - معجم مقاييس اللغة / حصا.

[3] - معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصبهاني/ حصا.

[4] - لسان العرب / حصي.

[5]- الكليات، أبو البقاء الكفوى/ الإحصاء: 69/1.

[6]- أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر: 348.

- وإحصاء خاص بالمصطلح القرآني المعرَّف، ومصطلحات علوم القرآن المعرَّفة.
- وإحصاء خاص بالمصطلح القرآني غير المعرَّف، ومصطلحات علوم القرآن غير المعرَّفة.

ولكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة ضرورته، وخصوصيته، وطرق إنجازه، كما سنبين بعدُ.

ج- مفهوم التصنيف:

قال ابن فارس: ((الصاد والنون والفاء أصلٌ صحيحٌ مُطَّرِدٌ في معنيين؛ أحدهما: الطائفة من الشيء، والآخر: تمييز الأشياء بعضها عن بعض. **فالأول**: الصِّنفُ، قال الخليل: الصِّنف: طائفة من كل شيء. وهذا صِنف من الأصناف، أي: نوع... **والأصل الآخر**، قال الخليل: التصنيف: تمييز الأشياء بعضها عن بعض))[1]. تقول: ((صَنَّفَ الأشياءَ: جعلها صُنوفا وميّز بعضها من بعض))[2]. وجاء في اللسان: ((التصنيف: تمييز الأشياء بعضها من بعض. وصنَّف الشيءَ: ميَّزَ بعضه من بعض. وتصنيف الشيء: جعله أصنافا))[3].

والتصنيف اصطلاحا، هو: ((جمع المعلومات المتشابهة، وفصل المعلومات غير المتشابهة))[4]. وهناك معايير عدة يتحدد في ضوئها التشابه من عدمه؛ ومنها معيار ((التشابه والاختلاف على أساس التشابه الموضوعي، لأن الصفة والخاصية الجوهرية للمعلومات هي الموضوع أو المحتوى الفكري))[5]. ومن ثم، فالتصنيف:

- ((عملية تنظيم الأشياء أو الأفكار في مجموعات، وفق درجات تشابهها، وحسب مبادئ وقواعد خاصة))[6].

---

1 - معجم مقاييس اللغة/ صنف.

2 - أساس البلاغة، الزمخشري/ صنف.

3 - لسان العرب / صنف.

4 - مدخل إلى علم المكتبات والمعلومات، د. عبد الله الشريف: 171.

5 - نفسه: 171.

6 - نفسه: 172.

– وهو ((التقسيم المنطقي للأشياء، وتجميعها حسب ما بينها من أوجه الشبه، أو فصلها بعضها عن بعض، حسب ما بينها من أوجه الاختلاف))[1].

والمراد بالتصنيف، في هذه الورقة، هو تقسيم البحوث والدراسات التي أنجزت عن القرآن الكريم وعن علومه– بعد القيام بإحصائها–، والتمييز فيها بين تلك التي عرَّفت المصطلح في الدراسات القرآنية، وبين التي لم يتم تعريف المصطلح فيها، وجمع كل قسم منها مميَّزا في مجموعة مخصوصة، تضم ما تشترك فيه تلك البحوث والدراسات في صفة ما، أو خاصية معينة أو أكثر. وقد حرصنا على أن يكون التصنيف منطقيا، متدرجا من العام إلى الخاص.

د– مفهوم المصطلح المعرَّف:

1– مفهوم المصطلح.

سيرد استعمال لفظ "المصطلح"، في هذه الورقة، بدلالتين كبيرتين؛ هما:

– **أولا: المصطلح:** ((هو اللفظ الذي يسمي مفهوما معينا داخل تخصص ما. وهذا الذي يُجمع، مضافا إلى علم ما، أو موصوفا بعلم ما))[2]؛ فيقال: "مصطلحات قرآنية"، و"مصطلحات فقهية"، و"مصطلحات حديثية"، أو "مصطلحات علم القراءات"، و"مصطلحات علم التجويد"، و"مصطلحات علم التفسير"، وما إلى ذلك...

– **ثانيا: المصطلح:** ((هو مجموع الألفاظ الاصطلاحية لتخصص ما، وغالبا ما يذكر مفردا موصوفا بعلم ما))[3]، أو مجال ما، فيقال: "المصطلح القرآني"، و"المصطلح الفقهي"، و"المصطلح الأصولي "، وغير ذلك...

[1] – مدخل إلى علم المكتبات والمعلومات، د. عبد الله الشريف: 172.

[2] – مصطلحات النقد العربي، د. الشاهد البوشيخي: 54-55.

[3] – نفسه: 54-55.

2- مفهوم المصطلح المعرَّف:

المصطلح المعرَّف، هو: كل لفظ شرحت دلالته ((الاصطلاحية ضربا من الشرح، سواء كان ذلك في صورة تعريف "جامع مانع"، كما يقال، أم لم يكن. فكل إضاءة لمفهوم المصطلح تسهم في تعرفه، تعتبر في هذا الباب تعريفا، وكل مصطلح شرح مفهومه ضربا من الشرح، يعتبر أيضا مصطلحا معرَّفا))[1].

هـ- مفهوم المصطلح غير المعرَّف:

والمصطلح غير المعرَّف، هو كل لفظ له دلالة اصطلاحية ما، ولكن اكتُفي بذكره في نص ما، من غير أي شرح له.

و- مفهوم الدراسات القرآنية:

"الدراسات القرآنية" ضميمة وصفية مكونة من لفظين: أولهما هو "الدراسات"، وثانيهما هو "القرآنية"، فما المراد بكل واحد منهما؟ وما المراد بهما مركبين ذلك التركيب الوصفي؟

1- مفهوم الدراسات:

الدراسات: جمع دراسة. وأصلها: ((الرياضةُ والتَّعَهُّد للشيء))[2]. وهي مصدر فعل "دَرَسَ". ويستعمل هذا الفعل لازما، فيقال: ((دَرَسَ الدارُ معناهُ بقيَ أَثَرُها، وبقاءُ الأثرِ يقتضي انمِحَاءَهُ في نفسه))[3]. كما يستعمل متعديا إلى مفعول به واحد. قال الراغب: ((درستُ العلمَ: تناولتُ أثره بالحفظ. ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عُبِّرَ عن إدامة القراءة بالدَّرْس))[4].

---

[1] - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة، د. الشاهد البوشيخي: 8.

[2]- لسان العرب / درس.

[3]- معجم مفردات ألفاظ القرآن / درس.

[4]- نفسه.

وقال ابن فارس: ((ودرستُ الحنطةَ وغيرَها في سُنبُلها، إذا دُسْتَها. فهذا محمول على أنها جُعلت تحت الأقدام، كالطريق الذي يُدرسُ ويُمشَى فيه... ومن الباب: درسْتُ القرآنَ وغيرَه، وذلك أن الدارسَ يَتَتَبَّعُ ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتبَّعُه))[1]. وجاء في اللسان: ((ودرَسُوا الحنطة دراسا، أي: دَاسُوها... ودَرَسَ الكِتابَ يدرُسُه درْساً ودراسةً ودَارَسَهُ، من ذلك؛ كأنه عاندَهُ حتى انقاد لحفْظه))[2]، ويقال: ((درسْتُ الكتَابَ أدرُسُهُ درساً، أي: ذلَّلْتُهُ بكثرة القراءة حتى خفَّ حفظه عَلَيَّ))[3].

والذي يعنينا من تلك الشروح هو دلالة الفعل في حالة التعدية؛ وعليه، فالدراسة تقتضي القراءات الكثيرة، في تمعن وتدبر، بغية الفهم والاستيعاب والتمكن من المدروس.

2- مفهوم القرآن:

قال الراغب: ((والقرآن في الأصل مصدرٌ، نحو: كُفْرَان ورُجْحَان... وقد خُصَّ بالكتاب المُنَزَّل على محمد صلى الله عليه وسلم، فصار له كالعَلَم... قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم))[4]. وقال د. أحمد أبو زيد: ((القرآن الكريم كلام رب العالمين، أنزله بلسان عربي مبين، على خاتم الأنبياء والمرسلين، جلله بجلال الألوهية، وأفاض عليه من أنوار الرسولية، ألفاظه مصابيح نورانية، ومعانيه دلالات روحانية))[5].

1- معجم مقاييس اللغة / درس.

2- لسان العرب / درس.

3- لسان العرب / درس.

4 - معجم مفردات ألفاظ القرآن / قرأ.

5- مدخل لدراسة جهود المفسرين في تفسير المصطلح القرآني، الدكتور أحمد أبو زيد ، مجلة "دراسات مصطلحية، العدد: 2، سنة: 2002م، ص19.

3- مفهوم الدراسات القرآنية:

وصفت الدراسات بكونها "قرآنية"، نسبة إلى "القرآن الكريم"، وقد عرفها شيخنا الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي، فقال: الدراسات القرآنية: ((هي كل الدراسات التي جعلت موضوعا لها القرآن الكريم و علومه وما يتصل بذلك. فكل تلك الدراسات هي من الدراسات القرآنية))[1].

وبما أن الدراسات القرآنية مجال واسع جدا، يشمل عددا هائلا من الدراسات التي جعلت موضوعا لها القرآن الكريم وعلومه وما يتصل بذلك. فيمكن تصنيفها صنفين كبيرين:

- صنف الدراسات التي تنصب على القرآن الكريم.
- وصنف الدراسات التي تدخل في ما اصطلح عليه بـــ"علوم القرآن"، وهي كل العلوم الخادمة للقرآن الكريم، أو المستنبطة منه.

فالأولوية الأولى تقتضي دراسة القرآن الكريم أولا، ثم دراسة مختلف العلوم المرتبطة به التي اصطلح عليها بـــ"علوم القرآن" علما علما ثانيا، بغية التعرف على كل المصطلحات الخاصة بالصنفين معا.

وإن أول ما يلاحظ على المصطلح في مجال الدراسات القرآنية هو كثرته، نظرا لكثرة المصطلحات القرآنية أولا، ثم كثرة المصطلحات في علوم القرآن، بسبب كثرة تلك العلوم ثانيا. ومما زاد في كثرة تلك المصطلحات كثرة المشتغلين بالدراسات القرآنية، من قريب أو بعيد، بحسب نوع التخصص أو المجال المعرفي، وبحسب طول الاشتغال بالقرآن الكريم وعلومه، منذ أول نزوله على خير البشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، إلى الآن. وهذا يعني أن المصطلح في الدراسات القرآنية ممتد زمانا ومكانا وإنسانا وعنوانا:

[1] - أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، الدكتور الشاهد البوشيخي، منشور نشرا إليكترونيا بموقع: www.alfetria.com/articles/29-quran.html

– فهو ممتد زمانا، من بداية نزول القرآن إلى الآن.

– وهو ممتد مكانا؛ لأن الاشتغال بالدراسات القرآنية شمل بيئات عدة، متفرقة في أرض الله الواسعة.

– وهو ممتد إنسانا؛ لأن من اشتغل بالدراسات القرآنية أكثر من أن يحيط بهم العد.

– وهو ممتد عنوانا؛ لأن عناوين الدراسات القرآنية أيضا كثيرة جدا، بدءا من ((الوحي: كتابا وسنة، ثم عطاء العلوم المستنبطة منه، أو الخادمة له، أو المتأثرة به، عبر القرون، من علوم شرعية، أو إنسانية، أو مادية))[1]. ولله در من قال: ((ما أكثر المؤلَّفات والمؤلِّفين في كل تخصص! وما أقل الباحثين والباحثات في المصطلح!))[2].

وهذا أمر يدعو إلى ضرورة الخوض في أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلحات في الدراسات القرآنية، لتيسير السبل أمام الدارسين والباحثين، وكذا أمام الراغبين في الاستزادة من العلم، والعمل على إحصاء تلك المصطلحات وتصنيفها، عبر إحصاء مظانها وتصنيفها التصنيفات المناسبة، وفي مقدمتها ((تصنيف المصطلحات إلى معرَّفة، فتفردَ مع تعاريفها، موثقة، وإلى غير معرَّفة، فترشَّحَ للتعريف))[3] لغة واصطلاحا.

وقد ارتأينا، في هذه الورقة، – انطلاقا من كون الدراسات القرآنية تضم الصنفين الكبيرين المذكورين – أن نتناول الموضوع في فصلين، يختص كل فصل بصنف منها. وعليه، نبدأ بالفصل الأول، ثم نتبعه بالفصل الثاني، كما يلي:

[1] – مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، د. الشاهد البوشيخي:15.

[2] – نفسه: 20.

[3] – نظرات في المصطلح والمنهج، د. الشاهد البوشيخي:61.

الفصل الأول: أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح المعرَّف في الدراسات القرآنية

ويضم مبحثين، يتطرق أولهما لأفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح القرآني المعرَّف، وثانيهما لأفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح المعرَّف في علوم القرآن. وقد مُهد لكل واحد منهما بتمهيد مناسب يخص تعريف بعض المصطلحات الأساسية فيه.

المبحث الأول: أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح القرآني المعرَّف:

1- مفهوم المصطلح القرآني وخصوصيته:

1-1- مفهوم المصطلح القرآني:

إن المراد بالمصطلح القرآني، هو كل لفظ يسمي مفهوما معينا، في القرآن الكريم. فهو ((**إجمالا**: كل لفظ قرآني عبَّر عن مفهوم قرآني. **وتفصيلا**: كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، مفردا كان أم مركبا، اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية قرآنية، جعلت منه تعبيرا عن مفهوم معين، له موقع خاص داخل الرؤية القرآنية ونسقها المفهومي))[1].

ويشمل المصطلح القرآني، في ضوء ذلك، ((كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أو مقيدة، وعلى الصورة الاسمية الصريحة، أم على الصورة الفعلية التي تؤوَّل بالاسمية))[2].

1-2- خصوصية المصطلح القرآني:

تحدث عدد من الباحثين عن خصوصية المصطلح القرآني، قال الدكتور الشاهد البوشيخي، مثلا: ((هذا الكتاب، كما تعلمون، أنزل بلسان عربي مبين، الألفاظ التي استعملها، والجمل والتراكيب والأساليب وكل ذلك من البيان العربي؛ لكن هذا الكتاب انطلق من الألفاظ بدلالتها المعروفة المألوفة، لكنه منذ بدأ نزوله حتى انتهاء نزوله ضمن الألفاظ مفاهيم، ووضعها

---

[1] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية ، د. الشاهد البوشيخي: 20.

[2] - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة،: 2، والقرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 21.

في سياقات بعينها، جعلها في النهاية تنتقل دلاليا من المعاني التي كانت لها في اللسان العربي، إلى آفاق جديدة، وإلى مفاهيم جديدة، تنسجم مع هذه الرؤية الشمولية الربانية التي جاءتنا من الله جل جلاله والتي يجب أن نستدرجها بين جنوبنا، ونصدر عنها في كل ما نأتي وما ندر؛ لذلك فالألفاظ- وإن كانت عربية، وتوجد في المعاجم العربية وفي الكتب العربية-، إلا أن درسها الحقيقي ينبغي أن يتركز بعد التعريج على كل ذلك، واستيعاب كل ذلك، ينبغي أن يتركز على استعمالاتها في القرآن الكريم، لتستخلص الخصوصيات الدلالية لهذه الألفاظ، ليتمهد الطريق إلى فقه عالم القرآن بصفة عامة))[1].

فإذا كان الحذر أمرا واجبا في صياغة أي تعريف لأي مصطلح، فإنه في مجال المصطلح القرآني يصبح أوجب واجب، لأن كلام الله له خصوصيته، وهو ما بينه الدكتور الشاهد البوشيخي، عندما قال: إن ((للمصطلح الإسلامي، في أصله القرآني، خصوصية مفهومية غير قابلة للتغيير والتبديل، وذلك بسبب الطريقة التي استعمل بها اللفظ في القرآن الكريم، والسياقات التي وضع فيها؛ حتى إنك لو حاولت تغيير دلالة لفظ لَفَظَك القرآن خارجه. وهذا من إعجازه المصطلحي، فهو كتاب يحمل معجمه فيه، ويحمي معجمه به، ولا سبيل إلى التمكن من معجمه من خارجه))[2].

وأكد هذه النقطة الدكتور أحمد أبو زيد، فقال: ((ألفاظ القرآن عربية، لكنها حين صدرت من عالم الملكوت اكتسبت جلالا ونورا))[3]. ثم قال: ((إن ألفاظ القرآن الكريم وكلماته

[1]- نظرات في مفهوم الحوار في القرآن الكريم، د. الشاهد البوشيخي:

[2] - نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، د. الشاهد البوشيخي: 30- 31.

[3] - مدخل لدراسة جهود المفسرين في تفسير المصطلح القرآني، مجلة "دراسات مصطلحية"، العدد: 2، سنة: 2002م، ص19.

ليست مجرد أصوات لغوية عربية، وليست مقيدة برموزها ودلالاتها التي جرى بها الاستعمال العربي، بل هي كلمات ودلالات تحمل في طياتها صفات الألوهية))[1].

والمصطلح القرآني مصطلحان: مصطلح معرَّف، ومصطلح غير معرَّف. ونخصص هذا المبحث للحديث عن أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح القرآني المعرَّف، من خلال مطلبين؛ هما:

- أفق الإحصاء والتصنيف لمظان المصطلح القرآني المعرَّف.
- وأفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح القرآني المعرَّف.

2- أفق الإحصاء والتصنيف لمظان المصطلح القرآني المعرَّف:

2-1- أفق الإحصاء لمظان المصطلح القرآني المعرَّف:

بذل العلماء المسلمون- قديما وحديثا- جهودا كبيرة في بيان المراد بكلام الله تعالى، فألفوا كتبا ورسائل اعتبرت ((أصلا من أصول المعجم العربي التاريخية، من رسائل مفردة، وغريب مصنف، ودلائل إعجاز، ومعاجم مختصة أو عامة، قد وضعت في أول أمرها تفسيرا أو تأويلا لآيات القرآن ومعانيه ومجازاته))[2]. وكان طبيعيا أن تتضمن تلك الكتب والرسائل وغيرها تعريفات لعدد كبير من المصطلحات القرآنية.

وسنحاول في هذا المبحث أن نتناول أفق الإحصاء لمظان المصطلح القرآني المعرَّف، الذي يتعين فيه القيام بإحصاء خاص يشمل مظان المصطلح القرآني كلها؛ ويقتضي ذلك جرد كل البحوث والدراسات التي ورد بها المصطلح القرآني معرَّفا ضربا من التعريف، على أساس أن يكون ذلك الجرد تاما وأمينا؛ لأن الإحصاء يعتبر أساس الدعامة العلمية في المنهج السليم القويم،

---

[1] - مدخل لدراسة جهود المفسرين في تفسير المصطلح القرآني، مجلة "دراسات مصطلحية"، العدد: 2، سنة: 2002م ص20.

[2] - المعجم العربي- إشكالات ومقاربات: 87.

وشرطا من شروطها. فلا علمية في الدراسة إذا لم تقم على الإحصاء التام؛ وانطلاقا من هذا كله، كان الإحصاء ((مرحلة أولى في درب المنهج السليم القويم))[1]؛ إذ به يتم التوصل إلى أمور في غاية الأهمية؛ ومنها، في هذا الباب:

- جمع الدراسات كلها التي وردت بها المصطلحات القرآنية المعرَّفة.
- وإدراك حجم حضور المصطلحات المعرفة في الدراسات التي تم الوقوف عليها.

ليتأتى تصنيف ما تم إحصاؤه بعدُ من مظان.

2-2- أفق التصنيف لمظان المصطلح القرآني المعرَّف:

يمكن تصنيف مظان المصطلح القرآني المعرَّف تصنيفات عدة؛ منها: التصنيف بحسب التخصصات العلمية، والتصنيف التاريخي، والتصنيف الألفبائي، و...

- **فالتصنيف بحسب التخصصات العلمية:** يقتضي مراعاة كل مجال علمي على حدة؛ لأن الذين عرفوا المصطلح القرآني كثر، وهم المشتغلون بالعلوم التي لها صلة بالقرآن الكريم، إما من قريب، أو بعيد. قال الدكتور الشاهد البوشيخي: ((المصطلح في كتاب الله عز وجل، أي: ألفاظ هذا الكتاب، هي ألفاظ هذا الدين، وعليها المدار، والقرآن نفسه بينها في مواطن كثيرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بينها أيضا في مواطن كثيرة، والراسخون في العلم عبر القرون اجتهدوا أيضا في بيانها في مواطن كثيرة))[2].

---

[1] -من كلمة الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي في الجلسة الافتتاحية للدورة التدريبية الثانية التي نظمها معهد الدراسات المصطلحية بفاس، لفائدة الباحثين في الدراسات المصطلحية في موضوع: "**إحصاء المصطلح**"، يومي السبت والأحد: 25 – 26 شعبان 1420 هـ/ 4-5 دجنبر 1999م.

[2] – نظرات في مفهوم الأمن في القرآن الكريم، د. الشاهد البوشيخي:

ويتضح من هذه القولة أن أول ما يجب البدء به في البحث المصطلح القرآني المعرَّف، هو القرآن الكريم، ثم شروح الحديث النبوي الشريف، ثم بقية العلوم الشرعية بعد ذلك.

- **والتصنيف التاريخي:** يقتضي ترتيب تلك المظان بحسب تواريخ الوفاة بالنسبة للقدماء، وبحسب تواريخ إنجاز الدراسات أو نشرها بالنسبة للمحدثين.

- **والتصنيف الألفبائي:** يقتضي ترتيبها بحسب عناوين البحوث والدراسات، أو بحسب أسماء المؤلفين.

ولعل الغاية الأساسية من إحصاء مظان وجود المصطلح المعرَّف هي ((جمع جهود العلماء السابقين في مجال بيان المراد من الألفاظ الاصطلاحية))[1] في القرآن الكريم، ثم ((وضعها رهن إشارة الدارسين المصطلحيين للاستفادة منها بكل ضروب الاستفادة، ولدراستها أيضا بكل أنواع الدراسة، وللبناء عليها فيما هو آت))[2].

وليتأتى ذلك، على الوجه المطلوب، لا بد من إنجاز التصنيفات المناسبة الكفيلة بتحقيق الغايات المرجوة.

3- أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح القرآني المعرَّف:

3-1- أفق الإحصاء للمصطلح القرآني المعرَّف:

إن إحصاء المصطلح القرآني المعرَّف يمكّن من التعرف على ما أنجز في الماضي، وما ينجز في الحاضر، في مجال تعريف المصطلح القرآني؛ ومن ثم، فلا بد - في بداية الأمر- من ((استيعاب للموجود))[3]، ولن يتأتى ذلك إلا بالوقوف على ((مختلف الجهود))[1].

---

[1] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرَّفة، د. الشاهد البوشيخي: 4. (وهي المدارسة العلمية الأولى التي قدمت بمعهد الدراسات المصطلحية بفاس، يوم 1995م).

[2] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرَّفة:4.

[3] - نظرات في المصطلح والمنهج، د. الشاهد البوشيخي: 63.

وقد بذلت بعض الجهود في مجال إحصاء المصطلح القرآني المعرَّف منه وغير المعَرَّف، نذكر منها دراستين، هما:

- حصر وإحصاء كلمات القرآن الكريم كله، أحمد هليل، الإسكندرية 2008م، (269 صفحة).

- دراسة إحصائية لألفاظ القرآن الكريم، عاطف مظهر، (موقع صوت العربية).

ومع ذلك ما نزال في حاجة إلى إنجاز إحصاء شامل دقيق تام، يضم المصطلحات القرآنية المعرَّفة، في المظان كلها التي أُحصيت قبلُ، كيفما كانت طبيعة التعريف؛ ويتطلب ذلك تتبع مجموع ((الفهوم التي فهمت بها مصطلحات القرآن الكريم، في مختلف الأعصار والأمصار، ولدى مختلف العلماء في مختلف التخصصات، والتي تتجلى أساسا في التعاريف والشروح التي شرحت بها المصطلحات؛ ذلك بأنها تمثل خلاصة الفهم، وخلاصة التفاعل بين النص الثابت والواقع المتغير، عبر الإنسان المختَبَر الوسيط، وخلاصة الرصيد الذي لا يدانيه رصيد في المساعدة على التبين والتنزيل والتجديد))[2].

إن هذا النوع من الإحصاء يقتضي القيام بِ ((حصر جهود السابقين في تحديد دلالة المصطلحات القرآنية؛ وهي جهود — على كثرتها وأهميتها، وحاجة الأمة والتخصص في الحاضر والمستقبل إليها- لما تحظ بالعناية اللازمة لها، ليتم استيعابها))[3]. ولكن لا بد مما ليس منه بد! فعلى المتخصصين من باحثي الأمة التجند لتقصي ((جميع المصطلحات المعرَّفة ضربا من

[1] - نظرات في المصطلح والمنهج: 63.

[2] - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة: 9.

[3] - نفسه.

التعريف، في جميع المظان، بدءا بالأقدم فالأقدم، والأغزر مادة فالأغزر، والأوثق نصا فالأوثق؛ تجمع، وتوثق في جذاذات خاصة مصممة لهذا الغرض، لتسهيل التصنيف بعد))[1].

وقد سبق لمعهد الدراسات المصطلحية بفاس أن نظم يومين دراسيين في موضوع:" مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية المعرَّفة"[2]، اتُّفق فيهما على جذاذة نموذجية لهذا الغرض، تكون بهذا الشكل:

عنوان المصطلح المعرَّف (وجذره)		
المعرِّف وتاريخ وفاته	عنوان المصدر (الجزء والصفحة)	رقم الجذاذة
	صيغة التعريف	

ويلتزم فيها بما يلي:

((- تخصيص جذاذة واحدة لكل تعريف.

- عنونة الجذاذة بلفظ المصطلح المعرَّف، مع إثبات جذره أمامه بين قوسين.

- تخصيص طُرَّة، يمين الجذاذة، بمقدار 3 سنتيمتر.

- كتابة الملحوظات والتنبيهات، إن كانت، مميَّزة أسفل الجذاذة.

- إلحاق جذاذة جديدة، عند الضرورة، تحمل كل المعلومات السابقة، مع إضافة كلمة (تابع) أمام المصطلح))[3].

ومعلوم أن التعريفات يتم إحصاؤها بأجمعها، كيفما كانت طبيعتها: طويلة أم قصيرة، مركَّبة أم غير مركَّبة.

---

[1] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 19.

[2] -كان ذلك يومي: 15-16 ذي القعدة 1418هـ- 14-15 مارس 1998م.

[3] - مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني، د. محمد أزهري: 49.

ويشمل الإحصاء كذلك كل ((التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح أو بعضه، دون لفظه، إحصاء تاما كذلك))[1].

وينبغي ألا يقتصر في الإحصاء على القيام به مرة واحدة فقط، بل يلزم تكراره مرتين على الأقل؛ لأن من شأن تكرار العملية التأكد من صحة الإحصاء الأول، وتدارك بعض النقص الذي قد يكون حصل فيه...

إن الإحصاء الذي نريد نتوخى منه العودة إلى المظان التي أحصيت قبل، ثم ((تقرأ جميع أصناف المصادر المتقدمة، وتستخلص منها جميع التعاريف والشروح، موثقة النسبة إلى أصحابها، مؤرخا لهم، موثقة النسبة إلى مصادرها، مضبوطة البيانات، موثقة المتن، صحيحة العبارة، منظمة تنظيما يجعل الاستفادة منها فيما يتلو ميسرة))[2].

3-2- أفق التصنيف للمصطلح القرآني المعرَّف:

من المعلوم أنه لا وجود لتصنيف واحد قار يمكن الاقتصار عليه في تصنيف المصطلح القرآني المعرَّف؛ ولذلك فالتصنيف يكون أوليا، في بداية الأمر، وغالبا ما يُلجأ فيه إلى التصنيف الألفبائي، بحسب عناوبن المظان التي ورد بها المصطح، ثم يتغير بحسب ما تمليه طبيعة الدراسة والبحث.

وتأتي صعوبة التصنيف، أحيانا، من كون بعض المصطلحات القرآنية تندرج أيضا ضمن بعض مصطلحات علوم القرآن الأخرى، ك"المحكم"و"المتشابه"، مثلا.

ومعلوم أن جهودا كثيرة محمودة بذلت في تعريف كثير من المصطلحات القرآنية، يمكن تصنيفها تصنيفات عدة، بحسب طبيعة المنظور الذي ينظر به إلى تلك التعريفات:

---

[1] - نظرات في المصطلح والمنهج: 23.

[2] - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 13.

- فإن نظر إليها **بالمنظور الزمني**، صنفت **تصنيفا تاريخيا**؛ يميز فيه بين جهود القدماء وجهود المحدثين، أولا، ثم ترتب التعريفات تاريخيا كذلك، داخل جهود كل فئة على حدة؛ فإن كان التعريف ((قديما: روعي فيه التصنيف التاريخي، بحسب تواريخ وفيات أصحاب التعريفات. كما ينبغي الحرص، ما أمكن، على الترتيب التاريخي بحسب تواريخ التأليف، عند نفس الرجل إن تعددت مؤلفاته، وإن وجد ما يدل على أسبقية هذا المؤلَّف على ذلك))[1].

وإن كان التعريف ((حديثا: روعي فيه تاريخ الصدور والنشر))[2]، أو تاريخ إنجاز الدراسة إن كانت مرقونة.

إن تصنيف تعريفات المصطلحات تصنيفا تاريخيا يمكننا من ((رصد التطور الدلالي والاستعمالي الذي طرأ عليها، منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها))[3].

- وإن نظر إليها **بمنظور شكل الدراسة** التي ورد فيها تعريف المصطلح، صنفت إلى كتب، وبحوث ومقالات، ورسائل وأطروحات، وصُنّف كل صِنف من هذه الأصناف تصنيفات داخلية؛ كأن:

- تُصنَّف الكتب صنفين: مطبوع ومخطوط.
- وتصنف البحوث والمقالات ثلاثة أصناف: صنف منشور في مجلات أو دوريات، وصنف منشور ضمن أعمال مؤتمرات أوندوات، وصنف منشور نشرا إلكترونيا.
- وتصنف الرسائل والأطروحات ثلاثة أصناف: صنف رسائل دكتوراه الدولة، وصنف رسائل الدكتوراه (النظام الجديد)، وصنف رسائل دبلوم الدراسات العليا، أو الماجستير. ثم يصنف كل صنف منها تصنيفا يميز فيه بين: الرسائل المطبوعة، والرسائل المرقونة.

[1] - مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 51.

[2] - نفسه: 51.

[3] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، د. الشاهد البوشيخي:.

- وإن نظر إليها **بمنظور طبيعة الدراسة** التي ورد فيها تعريف المصطلح، صُنفت إلى دراسات دُرس وعُرّف فيها مصطلح واحد، ودراسات دُرس وعُرّف فيها مصطلحان اثنان، ودراسات دُرس وعُرّف فيها أكثر من مصطلحين.

- وإن نظر إليها **بمنظور صيغة المصطلح المعَرَّف** في عنوان الدراسة، صُنفت إلى دراسات ورد فيها المصطلح بصيغة مطلقة، أو مركبا؛ ذلك أن هناك مصطلحات تأتي مركبة ضربا من التركيب، إذ يأتي المصطلح المدروس إما مضموما إلى غيره، أو مضموما إليه غيره. ويقتضي تصنيفها، بحسب ذلك، التمييز بين أنواع التركيب التالية: التركيب الإضافي. والتركيب الوصفي. قال الدكتور الشاهد البوشيخي: إن ضمائم المصطلح ((تكثر نسله، وتحدد توجهات نموه الداخلي، كضمائم الإضافات والأوصاف))[1].

- وإن نظر إليها **بمنظور نوع العلاقة بين المصطلحات المعَرَّفة** الواردة في عنوان الدراسة، تم ((**تصنيفها مفهوميا**، تبعا للنسق الأصلي لها))[2] في تخصصها، لتحديد أنواع العلاقات الممكنة بين المصطلحات المعَرَّفة، مع التركيـــز على العلاقات الثلاث التي نص عليها الدكتور الشاهد البوشيخي أكثر من مرة[3]، وهي:

- **أ** – علاقات الائتلاف: كالترادف والتعاطف.
- **ب**– علاقات الاختلاف: كالتضاد والتخالف.
- **ج**– علاقات التداخل والتكامل: كالعموم و الخصوص، والأصل والفرع.

---

[1] – مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، د. الشاهد البوشيخي: 32.

[2] – نظرات في المصطلح والمنهج، د. الشاهد البوشيخي: 61.

[3] – تنظر: مصطلحات نقدية وبلاغية: 19، ومصطلحات النقدي العربي: 30، ومشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 35، ونظرات في المصطلح والمنهج: 28 – 29.

- وإن نظر إليها **بحسب الاشتقاق**، صنفت المشتقات بحسب علاقاتها بالمصطلح الأهم؛ وذلك لأن المشتقات من مادة المصطلح ((تحمي ظهره، وتبين امتدادات نموه الخارجي))[1].

- وإن نظر إليها بمنظور نوع المنهج المطبق في الدراسة والتعريف، صُنفت إلى صنفين كبيرين:

- صنف أول، هو الدراسات طبق فيها منهج الدراسة المصطلحية، ومُيز في هذا الصنف بين الدراسات التي وظفت المنهج الوصفي، وبين التي وظفت المنهج التاريخي.
- وصنف ثان، وهو الدراسات التي طبق فيها منهج آخر منهج الدراسة المصطلحية.

- وإن نظر إليها بمنظور **التخصص العلمي**، صنفت بحسب جهود أصحاب كل تخصص علمي على حدة: (التفسير- الحديث- الفقه- الأصول...)، فيكون التصنيف بحسب المحتوى، مراعاة لكل مجال معرفي.

ومعلوم أنه ((قد بُذلت قبلُ، بفضل الله عز وجل، جهود في درس دلالة الألفاظ القرآنية هي في غاية الأهمية، أسهم فيها مختلف المصنفين في مختلف العلوم، كل على قدر طاقته، وحسب حاجته وصلته واختصاصه))[2].

وبما ((أن كتب هذه العلوم كثيرة، وأن عناية رجالها بالمصطلح كبيرة))[3]، ونظرا لأن مادة المصطلح القرآني المعرَّف ((متشعبة التخصصات، وأن مصادره ممتدة في الزمان والمكان))[4]، فإن الإحاطة الشاملة بها كلها أمر صعب للغاية، ومع ذلك يمكن تصنيف المجالات العلمية

---

[1] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 32.

[2] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 11- 12.

[3] - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 11.

[4] - نفسه: 13.

الكبرى التي تفيدنا في استخراج المصطلحات القرآنية المعرفة في جهود كل من المفسرين، والفقهاء، وأصحاب الوجوه والنظائر، والمعجميين، وعلماء آخرين. ونبين ذلك كما يلي:

1. **جهود المفسرين**: اجتهد المفسرون في تفسير القرآن الكريم، وأعطوا دلالات معينة للمراد بالمصطلحات القرآنية في ثنايا تفاسيرهم، قديما وحديثا. ((وقد أبلوا البلاء الحسن في بيان المراد من الألفاظ، ولاسيما داخل الآيات))[1]. ويعتبر التفسير مجالا قوي الصلة بالقرآن الكريم؛ ذلك أن كتب التفسير - بأشكالها وأحجامها ومناهجها المختلفة- مرتبطة ارتباطا مباشرا ((بالقرآن، وقيامها على بيان المراد من القرآن الذي لا سبيل إليه بغير بيان المراد من مصطلحات القرآن؛ مما جعل معظم كتب التفسير- إن لم يكن كلها- يشتمل على معاجم كاملة للمصطلحات القرآنية المعرَّفة، يمكن استخلاصها منها في كتب مستقلة))[2].

ويدخل في تلك الجهود جهود أصحاب كتب غريب القرآن ومجازه ومشكله. والمقصود بها مجموع المصنفات عن القرآن الكريم التي تكون مسبوقة بـــ"غريب"، أو "معاني"، أو "مشكل"، أو" مجاز"، أو "إعراب"، وما إلى ذلك...؛ ومنها مثلا: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت 276هـ)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن لأبي عبيد أحمد بن محمد الهَرَوي (ت 401هـ)، وغيرها...

وقد سبق للدكتور أحمد أبو زيد أن قدم عرضا بعنوان: **"مدخل لدراسة جهود المفسرين في تفسير المصطلح القرآني"**[3].

[1] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 12.

[2] - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 11.

[3]- وكان ذلك في يوم دراسي بعنوان: (جهود العلماء في خدمة المصطلح القرآني)، نظمه معهد الدراسات المصطلحية بفاس، بتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، في مارس 1998م. وهو مطبوع بمجلة "دراسات مصطلحية"، العدد: 2، سنة: 2002م، (ص27- 34).

2. جهود علماء الحديث: يتم التركيز فيها أساسا على جهود أصحاب كتب شروح الحديث النبوي الشريف وعلومه، من خلال تتبع ((اللفظ الذي استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعبر به عن مفهوم إسلامي، وهو في أصله بيان لنصوص القرآن))[1]. ولا غرابة في ذلك؛ ((لأن الحديث هو وحي البيان، والشق الثاني المستعمِل لمصطلحات القرآن، فشروحه لابد أن تكون من أغنى المصادر بشروح ألفاظ القرآن، على أساس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو الذي عليه أنزل القرآن، وكُلف بتبليغ القرآن- لا يتصور أن يستعمل غير مصطلحات القرآن إلا لضرورة بيان))[2].

ثم ((تأتي بعد شروح الحديث على رتبها، كتب علوم الحديث))[3].

3. جهود الفقهاء:

لعب الفقهاء دورا كبيرا كذلك في تعريف المصطلح القرآني. وقد سبق للدكتور محمد الروكي أن قدم عرضا بعنوان: "**جهود الفقهاء في دراسة المصطلح القرآني**"[4]، بين فيه أن المصطلحات الأساسية الكبرى لدى الفقهاء ((مأخوذة من الألفاظ القرآنية، على نحو من الأنحاء في الأخذ. وعلى هذا، فأصول المصطلحات الفقهية هي قرآنية المصدر، وهذا أمر طبيعي عادي))[5]؛ ومن ثم ((فالمصطلحات الفقهية هي قرآنية ابتداء، وعمل الفقهاء هو متجه، بوجه

---

1 - المصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم- مائدة مستديرة، إعداد: د. مصطفى فوضيل، نظمها معهد الدراسات المصطلحية على هامش اليوم الدراسي: "جهود العلماء في دراسة المصطلح القرآني". تنظر مجلة "دراسات مصطلحية"، العدد: 2، السنة: 2002م، ص: 62.

2 - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 11.

3 - نفسه: 11.

4 - كان ذلك في اليوم الدراسي: (جهود العلماء في خدمة المصطلح القرآني) المشار إليه.

5- جهود الفقهاء في دراسة المصطلح القرآني، د. محمد الروكي، مجلة "دراسات مصطلحية"، العدد: 2، سنة: 2002م، ص27- 28.

عام، نحو دراسة هذه المصطلحات القرآنية دراسة علمية))[1]. وعليه، فما دامت ((أصول هذه المصطلحات وأمهاتها قرآنية المأخذ، سواء منها ما تعلق بالعبادات أو المعاملات، فإن عمل الفقهاء من بسط وجمع، وتحليل وتقعيد وتفريع، كل ذلك خادم للمصطلح القرآني، ومتجه نحو دراسته، بالتعريف به، وبيان مدلوله ومفهومه، وتحليل أحكامه، وعرض مادته ومضمونه))[2].

إن الفقهاء ((عند بيان المصطلح الفقهي وبسط مضمونه وأحكامه، درجوا على البدء بالتعريف به لغة واصطلاحا، ومرادهم بالتعريف الاصطلاحي إنما هو المعنى الشرعي الذي جاء به القرآن والسنة))[3].

كان الفقهاء يُعرِّفون المصطلح القرآني، ويبينون مفهومه، ويدرجون تحته ما يثار حوله من مسائل وتفريعات. قال الدكتور محمد الروكي، في هذا الصدد: إن الفقهاء ((درسوا المصطلح القرآني بالتعريف به وبيان مفهومه ومضمونه، وعرض ما يندرج فيه من مسائل ومباحث، فقد درسوه أيضا من جهة تقرير حكم الشرعي وحجيته، وينضاف إلى ذلك أيضا إبراز علته ومقصده الشرعي والحكمة منه من خلال سياق النص القرآني وقراءته ودلالة ألفاظه بمناحيها ومسالكها. وكل ذلك إنما هو تعميق لدراسة المصطلح القرآني))[4].

وعليه، لا بد من جرد التعريفات التي عرفت بها المصطلحات القرآنية في مصنفات الفقهاء المختلفة، سواء الكتب منها أو الرسائل، أو ما صنف حولها من شروح، أو تعليقات، أو

[1]- جهود الفقهاء في دراسة المصطلح القرآني، د. محمد الروكي، مجلة "دراسات مصطلحية"، العدد: 2، سنة: 2002م، ص 28.

[2]- نفسه: ص 28.

[3]- نفسه، ص 30- 31.

[4] - نفسه: ص 32.

مختصرات، أو حواش، أو ما إلى ذلك... وإن تلك التعريفات لو قدر لها أن تجمع يوما لشكلت ((تفسيرا فقهيا للقرآن ومصطلحاته))[1].

4. **جهود أصحاب "الوجوه والنظائر"**: و((إسهامهم كذلك بارز متميز))[2]، نظرا لأن كتب الوجوه والنظائر لها ((عنايتها الخاصة بالمعاني المختلفة للألفاظ القرآنية))[3]. وقد تحدثت الدكتورة فريدة زمرد عنها، فقالت: ((إن كتب الوجوه والنظائر، تعكس لونا خاصا من دراسة الألفاظ القرآنية، تتقاطع مع كتب المفردات في الغايات، وتتباين معها في المنهج والأدوات. فقد كان هم الدارسين لهذه الوجوه والنظائر ملاحظة دلالات الألفاظ في سياقاتها المختلفة، واقتناص هذه الدلالات من النصوص القرآنية مباشرة. ورغم اختلاف الدارسين في تصنيف "علم الوجوه والنظائر" ضمن فروع اللغة أو فروع التفسير، فإن ارتباط هذا العلم بالقرآن الكريم وبالتفسير ظاهر بيّن، لكن الذي يميز كتب الوجوه والنظائر أساسا هو منهج عرض المادة، والمقاصد العلمية التي تكمن وراء هذا النوع من التأليف، فقد كان اهتمام المؤلفين في هذا الفن متجها صوب إحدى الظواهر الدلالية في القرآن الكريم المرتبطة بالألفاظ في علاقتها بسياقات ورودها، حيث يكون للفظ في كل سياق معنى غير معناه في سياق آخر))[4].

5. **جهود المعجميين**: ترك لنا المعجميون تراثا معجميا كبيرا ومتنوعا، يميز فيه دوما بين:

---

[1] – جهود الفقهاء في دراسة المصطلح القرآني، د. محمد الروكي، مجلة "دراسات مصطلحية"، العدد: 2، سنة: 2002م، ص 32.

[2] – القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 12.

[3] – نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 11.

[4] – تفسير القرآن من التوجيه المذهبي إلى المدخل المصطلحي، الدكتورة فريدة زمرد، بحث منشور بموقع الرابطة المحمدية للعلماء بالرباط.

أ- **المعاجم الخاصة:** وهي التي عنيت بشرح ألفاظ القرآن الكريم خاصة، ((وهي في أهميتها على الترتيب السابق للمصادر، فمعاجم ألفاظ القرآن الكريم بأصنافها لها الصدارة))[1]، وتدخل فيها جهود ((أصحاب كتب غريب القرآن، وفي مقدمتهم إمامهم الراغب الأصفهاني في "المفردات" الذي كاد يتفرد بشيء لم يسبق إليه ولم يلحق فيه، وهو التفطن إلى خصوصية الدلالة القرآنية، مما أكسبه تدقيقا في الشرح ميزه عن سواه تمييزا))[2].

ثم تأتي بعد هذا الصنف من المعاجم بقية المعاجم الخاصة، في بقية العلوم، ومنها ((معاجم ألفاظ الحديث النبوي الشريف، ثم معاجم ألفاظ سائر العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وأصول وغيرها))[3].

ب- **المعاجم الاصطلاحية العامة:** ومنها مثلا: كتاب الزينة في الألفاظ الإسلامية العربية، لأبي حاتم أحمد الرازي (ت 322هـ)، وكتاب التعريفات، لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني (ت 810هـ)، والكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت 1094هـ)، وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقي التهانوي (ت 1158هـ)، وغيرها...

ج- **المعاجم اللغوية العامة:** وهي غنية بتعريفات العديد من المصطلحات القرآنية؛ إذ ((فيها ما لو جمع وحده، لكوّن معجما هاما عاما للمصطلحات القرآنية كلها. والظن - نتيجة المزاولة- أنه لا يغني بعضها عن بعض، وإن كان بعضها أغنى بالمادة من بعض؛ وهي بذلك من المصادر التفسيرية التي يمكن القول إنها مهملة أو كالمهملة))[4].

---

[1] - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 12.

[2] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 12.

[3] - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 12.

[4] - نفسه.

ويتم البدء فيها تاريخيا بالأقدم، مع معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، وانتهاء بآخر ما صدر منها في عصرنا.

6. **جهود علماء آخرين**: تشمل تخصصات أخرى، تدخل فيها:

أ- جهود العلماء في بقية العلوم الشرعية الأخرى، من عقيدة، وأصول، و... و((ذلك لقيامها على مصطلحات قرآنية بعينها، أو انطلاقها منها، أو اهتمامها بها، أو نظر إليها من زاوية لم ينظر منها إليها في غيرها. مما جعل المعجم الأساس في هذه العلوم، هو بمعنى ما، معجما قرآنيا، وجعل خدمة العلماء له في تلك التخصصات، هي بوجه ما، خدمة للمصطلح القرآني))[1].

ب- جهود العلماء في اللغة وعلومها، من نحو، وصرف، وبلاغة، وما إلى ذلك...

ويمكن تصنيف تلك الجهود، في كل مجال علمي، إلى صنفين: مطبوع ومخطوط.

ومما لوحظ على تلك الجهود أنها بقيت ((مفتقرة إلى الشروط التي تجعل من نتائجها مفاتيح للفهم الكلي النسقي للقرآن الكريم؛ لغيبة الإحصاء في دراسة مفاهيم الألفاظ، وقلة الاهتمام أو انعدامه بحجم المفهوم، وعلاقاته بسواه، وموقعه في النسق العام. وذلك ما يترشح له منهج الدراسة المصطلحية بكفاءة بحكم اختصاصه))[2].

ومن ثم، فإن مختلف الجهود التي تحدثنا عنها، قديما وحديثا، ينبغي أن ((تُجمع وتوثق وتصنف معجميا وتاريخيا التصنيف الذي يتتبع كل جديد قيل في شرح كل لفظ عبر القرون، فيُحصَر وييسَّر وينظم بذلك إسهام له أهميته الكبرى في الدرس الدلالي لمفاهيم الألفاظ القرآنية))[3].

---

[1] - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 11.

[2] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 12.

[3] - نفسه: 12.

ولا بد، في هذه التصنيفات كلها، من التمييز بين التعريفات المعلومة النسبة، أي التي ذكرت في المتون المدروسة مقترنة بأسماء المعرِّفين، وبين التعريفات المجهولة النسبة التي تكون مقترنة بعبارات من قبيل: "قال قوم"، و"قال آخرون"، و"قال بعضهم"، و"قيل"، و"ومما جاء في تعريفه"، وما أشبه ذلك...

أما إذا طبقنا **التصنيف** انطلاقا من نوع **المنهج المطبق** في الدراسة- بعد القراءة الفاحصة للدراسات التي وردت بها تعريفات المصطلحات القرآنية- فإن ذلك سيسهل التمييز بين التعريفات العلمية التي تراعي شروط التعريف معنى ومبنى، انطلاقا من منهج دقيق ومضبوط من بداية الدراسة إلى نهايتها، وبين التعريفات الأخرى التي لا نقبل بتسميتها "تعريفات" إلا تجاوزا، نظرا للعيوب والأخطاء التي قد تشوبها، إما من وجه واحد، أو من وجوه عدة. ومرد ذلك كله إلى المنطلق المنهجي الذي تنطلق منه كل فئة؟

وقد حدد منهج الدراسة المصطلحية ضوابط تعريف المصطلح المدروس، واعتبر التعريف زبدة الدراسة، بعد القيام بالدراسة الدقيقة الفاحصة لنصوص المصطلح كلها. وهنا يتم تعريف ((غير المعرَّف، وهو الأغلب))[1]، ثم تدقيق ((تعريف ما عُرِّفَ فلم يُعَرَّف))[2]؛ لأن كثيرا من المصطلحات لم تحدد بشكل دقيق، في دراسات بعض الدارسين، قدماء ومحدثين. ومن شأن عمل من هذا القبيل أن يقوم بتصحيح ((أخطاء أصحاب النظارات الملوَّنة، ... أو الذين لا يقوم منهجهم على الإحصاء، فتَنِـدُّ عنهم أشياء وأشياء))[3]، وكذا تصحيح أخطاء بعض الدارسين الذين يسقطون في تحديداتهم إسقاطاتهم الفكرية والمذهبية، مما يسبب للقارئ كثيرا من التشويش

[1] - نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية ، د. الشاهد البوشيخي: 9.

[2] - نفسه. ومعنى ذلك أن تلك التعريفات ناقصة إما من وجه واحد أو من عدة وجوه.

[3] - نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية: 9 .

واللبس والخلط، فلا يخرج من قراءته لذلك النوع من الدراسات بأي تحديد دقيق للمصطلح القرآني المدروس، من جراء ما يقوم به بعض الدارسين، حيث ((غالباً ما يسيء المرتجلون والعجلون في الدراسات القرآنية، إذ تتحول أعمالهم إلى مسخٍ مشوَّه، أو نسخٍ مُمَزق، أو جمعٍ مُفَرق، كل ذلك يجري بالرغم من وجود تراكم معرفي، تراثي ومعاصر، مهم حول منهجية الدرس القرآني وآفاقه))[1].

ومن أجل هذا، وجب الحسم مع أمر التعريف، وذلك باتباع ما يلي:

- إقرار التعريفات التي تستحق أن تعتمد بين الدارسين، لأنها نتيجة ((الفهوم الممحصة المحققة))[2]، وهي مجموع التعريفات التي يكون معبَّرا عنها ((بأدق لفظ، وأوضح لفظ، وأجمع لفظ))[3]. ومن شأن التعريف العلمي الذي يحترم الضوابط العلمية والمنهجية، معنى ومبنى، أن يخلصنا ((من الأخطاء القديمة والجديدة في الفهم، وما ينبني عليها من اختلافات أو اضطرابات في الحكم))[4]. ويتم التشديد على ذلك أكثر، إذا تعلق الأمر بتعريف المصطلح القرآني؛ لأن ((شأن مصطلح الذكر لعظيم، وتغييره أو تبديله مما يحسبه الناس هينا وهو عند الله عظيم، ومسه بسوء مس بالنظام العام للكون والحياة والإنسان جِدٌّ أثيم))[5].

- استبعاد التعريفات التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتدقيق؛ ذلك أن مجموعة منها لا تتوفر فيها الشروط العلمية والمنهجية الضرورية، مما يجعل كثيرا من المصطلحات التي ظُن أنها قد عُرِّفت ما تزال تحتاج إلى إعادة تعريفها. وتدخل في هذا المجال ((كل الأعمال غير العلمية

---

[1] - المدخل إلى دراسة المفهومات القرآنية، د. عبد الرحمن حللي: 3.

[2] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية:11.

[3] - نظرات في المصطلح والمنهج:61-62.

[4] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 14.

[5] - نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية: 4.

التي قد يكون ضررها أكثر من نفعها. وما أملأ الأسواق بالأعمال التجارية التي تحرص على السبق بغير حق!))[1].

ويسهل التمييز بين الصنف الأول من التعريفات وبين الصنف الثاني، انطلاقا من طبيعة المنهج المطبق في الدراسة. وهكذا، فالتعريفات التي طبق فيها منهج الدراسة المصطلحية بأركانه الخمسة يمكن الاطمئنان إليها علميا ومنهجيا، أما تلك التي طبق فيها منهج آخر، فلا بد من إعادة النظر فيها، للتأكد من قيمة التعريف فيها ومدى استجابته للمعايير العلمية التي ينبغي أن تتوفر فيه.

وعليه، فالتعريف لا يكون دوما دقيقا في عدد من الدراسات، نظرا للاعتبارات الآتية:

– انعدام الإحصاء الأمين التام لموارد المصطلح "المعرَّف" كلها في المتن المدروس؛ ذلك أن الذين ((لا يقوم منهجهم على الإحصاء،... تند عنهم أشياء وأشياء))[2].

– انعدام تتبع كل النصوص التي ورد بها المصطلح، مما يفوت على "المعرِّف" كثيرا أو قليلا من ((العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم))[3]؛ لأن التعريف الدقيق المطلوب لا بد أن يراعي المعرِّف فيه ((كل العناصر والسمات الدلالية المكونة للمفهوم، المستفادة من جميع نصوص المصطلح وما يتعلق به في المتن المدروس؛ فلا تبقى خاصة دون إظهار، ولا ميزة دون اعتبار))[4].

---

[1] – مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 7.

[2] – نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية: 9.

[3] – مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 32.

[4] – نفسه: 34.

إن ضبط مفاهيم مصطلحات القرآن الكريم من شأنه أن يبدد ((ما تعانيه الأمة من أمر المصطلح الأصل، الذي به قامت، وعليه قامت، وله قامت، المصطلح الذي به كانت خير أمة أخرجت للناس، وبه كان رجالها شهداء على الناس: مصطلح القرآن والسنة البيان؛ إذ هي لا تفهمه اليوم حق الفهم))[1].

وقد شكلت الدراسة المصطلحية مجالا جديدا من مجالات البحث العلمي، ولاسيما في العقود الأخيرة، كانت حصيلتها إنجاز بحوث عدة، درست مصطلحات كثيرة، في تخصصات مختلفة، وفق منهج من مناهج الدراسة المصطلحية.

وتبلور منهج خاص، لهذه الغاية، بكل من معهد الدراسات المصطلحية ومؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) بفاس، سمي "**منهج الدراسة المصطلحية**"، يقوم على خمسة أركان؛ هي: الإحصاء، والدراسة المعجمية، والدراسة النصية، والدراسة المفهومية، والعرض المصطلحي.

ومن أهم النتائج التي أسفر عنها تطبيق هذا المنهج، الكشف عن الواقع الدلالي للمصطلحات المدروسة في المتون المدروسة، والتأكد من كونه صالحا لأن يطبق في دراسة مصطلحات العلوم والفنون المختلفة، في التخصصات كلها.

ومكن تطبيق هذا المنهج، في دراسة مجموعة من المصطلحات الواردة في القرآن الكريم، من التوصل إلى نتائج جديدة مهمة ساعدت على تجلية مفاهيمها وتحديدها تحديدا دقيقا، ذلك أن القرآن الكريم كله قائم على جملة من المفاهيم، ((إذا حُصِّلت حصلت كليات الدين، وإذا لم تفقه لم يفقه الدين))[2].

---

[1] - نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية: 21.

[2] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 19.

إن المفاهيم القرآنية تشكل نسقا تصوريا شاملا كاملا، وليست معزولة عن بعضها بعضا. ومن ثم، فلا بد من وضع تلك المفاهيم في موقعها الصحيح، وفي حجمها الحقيقي؛ ولذلك يقول فضيلة الدكتور الشاهد البوشيخي: ((ولا سبيل إلى فقه النسق، أو المفاهيم المكونة له، بغير دراسة ألفاظ القرآن الكريم، فهي مفتاح الوصول إلى ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة...))[1].

وقد تبين من خلال البحوث التي طبق فيها منهج الدراسة المصطلحية أنه ((يتصدى أساسا لضبط المفاهيم المكونـــة لأي نسق))[2]؛ ومن ثم، وجب الالتزام به[3] حتى يقود إلى ضبط دلالات المصطلحات المدروسة، وتحديدها تحديدا دقيقا. وهذا يعني التمكن من مفاهيم الألفاظ الاصطلاحية تمكنا كاملا بالتقصي التام، ثم تجلية ذلك للقارئ تجلية تامة منظمة، لنقل ما في المتن المدروس إلى القارئ بأمانة. قالت الدكتورة فريدة زمرد، في هذا الصدد: ((ولما كان تعريف المصطلحات والمفاهيم هو المقصد الأعلى للدراسة المصطلحية، فإنها بذلك تخدم أحد أهم مقاصد التفسير، وهو مقصد البيان الشافي لمراد الله عز وجل من كلماته التي تشكل نفسها المدخل لبيان القرآن الكريم كله. وهل هناك أسمى بيانا من التحديد والتعريف؟))[4]. واعتبرت التعريف يقدم

[1] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 20 .

[2] - نفسه: 11.

[3] - نعم نؤكد على ضرورة الالتزام به، وإن كان باحثون آخرون يقولون بإمكانية استعمال مناهج أخرى. يقول الأستاذ أحمد الشاوني بنعبد الله: ((إنه لا يوجد منهج واحد – سحري – قابل للتطبيق في كل الحالات وعلى جميع المستويات، وصالح لدراسة أي نوع من أنواع المصطلحات: فكل نوع من أنواع المصطلحات يجب أن توفر له طريقة للدراسة)). (ينظر: مفهوم المصطلح ومنهج دراسته، ضمن ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية: 1/ 79).

[4] - تفسير القرآن من التوجيه المذهبي إلى المدخل المصطلحي، الدكتورة فريدة زمرد، بحث منشور بموقع الرابطة المحمدية للعلماء بالرباط.

((خلاصة ما يطلبه المتلقي من القرآن الكريم وهو: الفهم الصحيح الذي يكون مقدمة للعمل السديد. وإذا كان تحديد المصطلحات والمفاهيم في مجال الفهم والتفاهم والتحاور والتناظر في مختلف المعارف والعلوم، هو السبيل الأسلم للوصول إلى نتيجة مثمرة، فكيف لو كان في مجال القرآن الكريم، وهو الذي يتشكل من نسق من المفاهيم))[1].

وقد مكن تطبيق هذا المنهج في دراسة مجموعة من المصطلحات الواردة في القرآن الكريم من التغلب على تلك المشاكل والصعوبات، وذلك بالتوصل إلى نتائج جديدة مهمة ساعدت على تجلية مفاهيم تلك المصطلحات وتحديدها تحديدا دقيقا، ومن ثم، ف ((هناك نسق مفهومي لهذا الدين كامن في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تبينه. هو كامن يحتاج إلى تجلية جزئية وكلية. هذا الأمر إذا لم يتم على وجهه الصحيح لم تتضح الصورة على وجهها الصحيح))[2].

إن تطبيق منهج الدراسة المصطلحية لا بد أن يكون وفق أحد المناهج الأربعة التي طبقت في عشرات البحوث والدراسات. قال الدكتور الشاهد البوشيخي: ((... ومعلوم أن مستوى التطبيق أصلا فيه أربعة مناهج، واضحة من البداية؛ هي: المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج الموازن، والمنهج المقارن. ولا سبيل إلى الذي يتلو إلا بعد الفراغ من الذي يسبق؛ لأن بعضها ينبني على بعض. وإذا لم يُفعل الأول في أي موضوع، لا يستطاع الانتقال إلى الثاني، إلا إذا قام صاحبه بنفسه بجميع المراحل الأخرى. إذ ذاك يمكن ذلك))[3].

---

[1]- تفسير القرآن من التوجيه المذهبي إلى المدخل المصطلحي، الدكتورة فريدة زمرد، بحث منشور بموقع الرابطة المحمدية للعلماء بالرباط.

[2]- أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، الدكتور الشاهد البوشيخي.

[3]- من تقديم الدكتور الشاهد البوشيخي لكتاب الدكتور محمد أزهري: "مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني": 4.

ويمكننا أن نقوم بتصنيف داخلي أول للدراسات التي طبقت منهج الدراسة المصطلحية في تعريف المصطلح القرآني، فنصنفها تصنيفين كبيرين: صنف الدراسات التي طبقت المنهج الوصفي، وصنف الدراسات التي طبقت المنهج التاريخي. وكل صنف منهما يشكل عنوان مرحلة معينة ينبغي أن تقطع في أوانها، وبأدق شروطها وتفاصيلها[1]؛ وهما:

أولا: مرحلة تطبيق المنهج الوصفي:

وهي المرحلة الأولى في منهج الدراسة المصطلحية؛ ذلك أن المنهج الوصفي[2] يمكن الدارس من تـتبع المصطلح المدروس، والوقوف على دلالاته الاصطلاحية، بحسب حجم وروده في المتن المدروس الذي هو القرآن الكريم.

والمطلوب في هذه المرحلة هو دراسة مصطلحات القرآن الكريم كلها، مصطلحا مصطلحا، وفق أركان منهج الدراسة المصطلحية الخمسة؛ التي هي ((أركان، ضرورية ومتلاحمة، يأخذ بعضها برقاب بعض: أولها الإحصاء، فالدراسة المعجمية، فالدراسة النصية، فالدراسة المفهومية، فالعرض المصطلحي. وإن أي إخلال بأحد هذه الأركان من شأنه أن يؤدي إلى نتائج لا يمكن الاطمئنان إليها علميا، بأي حال من الأحوال. ولذا، فإن إيلاء كل ركن منها ما يستحق- أثناء البحث- له ما يسوغه منهجيا؛ إذ هي بمثابة حِلَاقٍ، كل حلقة منها تمهد للتي تليها، وتصحح اللاحقة ما يمكن أن يعتري السابقة من أخطاء ... وهكذا، إلى أن يستوي البحث – في النهاية – على صورة مقبولة))[3].

---

[1]- تنظر: مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم، د. الشاهد البوشيخي، ضمن أعمال ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم:(ص 20-31).

[2]- يرى الدكتور أحمد بدر أن المنهج الوصفي هو الذي ((يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات، ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة)). (ينظر كتابه: أصول البحث العلمي ومناهجه: 222).

[3]- مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 41.

وقد طبق المنهج الوصفي في دراسة مفهوم مصطلح واحد أو أكثر، في القرآن الكريم أو في علم من علوم القرآن.

فمن النوع الأول، مثلا: مفهوم الأمر في القرآن الكريم- دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، للدكتورة جميلة زيان.

ومن النوع الثاني، مثلا: ألفاظ البنيان في القرآن الكريم والحديث الشريف، للباحث محمد النمينج.

ثانيا: مرحلة تطبيق المنهج التاريخي:

والمنهج التاريخي[1] هو الذي يرصد التعريفات الخاصة بكل مصطلح، ويرتبها ترتيبا تاريخيا، من أقدمها إلى أحدثها، ((يقدم فيه السابق على اللاحق))[2]، ويتضمن ((جميع شروح المصطلح مذ ظهر أول شرح له... حتى آخر شرح، موثقة محققة قدر الإمكان))[3].

ويدخل في هذه المرحلة الشروع في المشروع الذي بدأه معهد الدراسات المصطلحية لإنجاز "المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة". ومن باكورات هذا المشروع كتاب: (المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة في تفسير الطبري)، للدكتورة فريدة زمرد، منشورات معهد الدراسات المصطلحية بفاس، سلسلة: مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة، رقم:1، ط1، مطبعة أنفوبرانت، فاس، 2005م.

---

[1]-يرى الدكتور أحمد بدر أن المنهج التاريخي هو الذي ((يعتمد على الوثائق ونقدها وتحديد الحقائق التاريخية، ثم يحاول الباحث بعد مرحلة التحليل هذه مرحلة أخرى هي التركيب، حيث يتم التأليف بين هذه الحقائق وتفسيرها)). (ينظر كتابه: أصول البحث العلمي ومناهجه: 222).

[2] – مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 13.

[3] – مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 13.

إن تطبيق المنهج التاريخي هنا يمكن من ((رصد التطور الذي طرأ على فهم المصطلحات القرآنية عبر التاريخ، وهو رصد سيفسر كثيرا من الظواهر في شخصيتنا العلمية والحضارية، عموديا وأفقيا، مدا وجزرا، استقامة وانحرافا، عطاء وأخذا))[1].

والهدف من إحصاء المصطلح المعرَّف وتصنيفه، هو خطوة أولى في درب إيجاد "معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة". وهو ((هدف قريب أول))، كما ينعته شيخنا الدكتور الشاهد البوشيخي، في أكثر من موضع[2]، حيث قال مرة: ((وخير تمهيد لفهم القرآن فهم مصطلحاته، وخير تمهيد لفهم مصطلحاته استيعاب الفهوم السابقة. ولا ينهض بذلك الاستيعاب على وجه محرر ميسر، غير "المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة"))[3]، على أساس أن تتحقق بعده أهداف أخرى، يأتي في مقدمتها ((ضرورة إنجاز المعجم المفهومي للقرآن الكريم: ويراد به المعجم الذي يحدد مفاهيم ألفاظ القرآن الكريم ومواقعها في النسق المفهومي الكلي للقرآن الكريم، ليمكن الوصول إلى الفهم الكلي النسقي للقرآن الكريم))[4].

إن هذا المعجم المفهومي هو ((غاية مطمح الدارسين، وإنجازه على وجهه الصحيح، هو قرة عين العالمين))[5]. ولا يتيسر الوصول إليه، على أحسن وجه، إلا من خلال ((الدراسة المصطلحية لمفهوم كل مصطلح قرآني على حدة، وتلك تستلزم – فيما تستلزم- استيعاب تعريفات السابقين وجهودهم في تبين وبيان المراد من كل مصطلح))[6].

---

[1] – نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 10.

[2] – ينظر منها مثلا: مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 19.

[3] – نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 3.

[4] – نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية: 32.

[5] – نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 6.

[6] – نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة: 6.

المبحث الثاني: أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح المعرَّف في علوم القرآن:

1- مفهوم علوم القرآن:

"علوم القرآن": مصطلح مركب تركيبا إضافيا، من "علوم"، و"القرآن"، ويراد به بهذه الصيغة: مجموع ((العلوم التي وضعها العلماء خادمة للقرآن، وذلك بناء على المعنى الأول الذي يحتمله مصطلح "علوم القرآن"، إذ هناك معنى ثان وهو العلوم التي في القرآن، فهي مستنبطة منه أو مستفادة، بمعنى أن هناك علوما خادمة وعلوما مستنبطة))[1]. ومن ثم، ((فهذا المصطلح- وما يندرج تحته من مصطلحات- تختلف دلالته وتتداخل من زاويتين:

-1- تردده بين معنيين: الأول متعلق بالعلوم الخادمة للقرآن، والثاني متعلق بالعلوم المستمدة منه أو التي يتصور أنها تستمد منه.

-2- تداخله مع علم آخر كعلم أصول الفقه، فهناك مصطلحات توجد هناك كما توجد هنا، كالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمطلق والمقيد، وغيرها كثير))[2].

2- أفق الإحصاء والتصنيف لمظان المصطلح المعرَّف في علوم القرآن:

2-1- أفق الإحصاء لمظان المصطلح المعرَّف في علوم القرآن:

إن لفظ "علوم" الذي اقترن بالقرآن، هو جمع "علم"، وهو يفيد الاستغراق، أي من غير حصر، وهو ما يعني كثرة تلك العلوم. قال أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري:

---

[1]- المصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم- مائدة مستديرة، إعداد: د. مصطفى فوضيل، نظمها معهد الدراسات المصطلحية على هامش اليوم الدراسي: "جهود العلماء في دراسة المصطلح القرآني". تنظر مجلة "دراسات مصطلحية"، العدد: 2، السنة: 2002م، ص: 59.

[2]- المصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم، ص61- 62.

إن ((علوم القرآن غزيرة وضروبها جمة كثيرة، يقصر عنها القول وإن كان بالغا))[1]. وجاء في كتاب (البرهان في علوم القرآن) أن علوم القرآن سبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة[2]. وقال الشاطبي: ((العلوم المضافة إلى القرآن تنقسم إلى قسمين: قسم هو كالأداة لفهمه واستخراج ما فيه من الفوائد، والمعين على معرفة مراد الله تعالى منه كعلوم اللغة العربية التي لابد منها...)).

وما دامت علوم القرآن بتلك الكثرة، فإنه يتعين حصر عددها أولا، ليتيسر إحصاء مظان المصطلح المعرَّف فيها؛ وذلك بجرد عناوين ما كتب من دراسات في هذه العلوم كلها.

وقد خرجت المائدة المستديرة التي نظمها معهد الدراسات المصطلحية بفاس، في موضوع: "المصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم" بتصنيف ثلاثي لعلوم القرآن جاء فيه: ((إن الموجود من علوم القرآن بالمعنى الشائع – أي المعنى المتعلق بخدمة القرآن الكريم- يمكن تصنيفه إلى ثلاثة أصناف:

- علوم تتعلق بالتنزيل.
- علوم تتعلق بالتدوين.
- علوم تتعلق بالتفسير.

فإذا قصرنا الكلام على العلوم الخادمة للقرآن الكريم في علاقتها بالمصطلح القرآني، فسنجد أن أقربها إليه هي العلوم التي اعتنت بألفاظ القرآن الكريم، فهي أشد ارتباطا به مقارنة مع علوم أخرى كالتي أرخت للقرآن الكريم؛ مثل: أسباب النزول، والمكي والمدني... فالعلوم

[1] – أسباب النزول: 3.

[2] – البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: 16/1.

التي لها ارتباط وثيق –من ضمن علوم القرآن الكريم- هي أساسا علم التفسير بتشعباته؛ كغريب القرآن ومشكله وغير ذلك مما يمكن أن يلحق به))[1].

ومن بين أهم علوم القرآن التي كثر التأليف فيها قديما وحديثا:

- علم الوقف والابتداء.
- علم الناسخ والمنسوخ.
- علم غريب القرآن.
- علم أسباب الترول.
- علم المناسبة بين الآيات.
- علم الوجوه والنظائر.
- علم المحكم والمتشابه.
- علم معرفة أسماء القرآن.
- علم القراءات
- علم المكي والمدني.
- وغيرها...

وهي على كثرها وتنوعها متكاملة في نهاية الأمر؛ لأن غايتها الأساسية هي خدمة القرآن الكريم. قال الدكتور محمد جميل مبارك: ((العلوم الشرعية حقول معرفية متعددة متكاملة، ثم هي مستمدة من الوحيين وخادمة لهما في الوقت ذاته؛ وأهمها علوم التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والعقيدة وتوابعها. فهي كلها مرتبطة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة))[2].

---

[1] – المصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم- مائدة مستديرة، إعداد: د. مصطفى فوضيل، ص: 62.

[2] – حاجة طالب العلوم الشرعية للدراسة المصطلحية، د. محمد جميل مبارك، مجلة "دراسات مصطلحية"، العدد: 11-12، السنة: 2011م- 2012، ص: 36.

2-2- أفق التصنيف لمظان المصطلح المعرَّف في علوم القرآن:

يُبدأ في تصنيف مظان المصطلح المعرَّف في علوم القرآن بالتصنيف التاريخي، فيُميز بين جهود القدماء والمحدثين. ثم تصنف مظان كل علم على حدة في فهارس خاصة.

3- أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح المعرَّف في علوم القرآن:

يجب حصر عدد هذه العلوم أولا، عبر إحصاء دقيق لها، وتصنيفها التصنيف الأنسب ثانيا، ثم إحصاء مصطلحات كل علم على حدة، فتصنيفها بعدُ. ولا بد هنا أيضا من التمييز بين المصطلحات المعرَّفة في كل علم، وبين المصطلحات غير المعرَّفة.

3-1- أفق الإحصاء للمصطلح المعرَّف في علوم القرآن:

يتعين القيام بإحصاء دقيق للمصطلح المعرَّف في علوم القرآن، على الطريقة نفسها التي أوضحنا في مبحث أفق الإحصاء للمصطلح القرآني المعرَّف. فلا نعيد تلك الأمور، تجنبا للتكرار والإطالة.

3-2- أفق التصنيف للمصطلح المعرَّف في علوم القرآن:

يتم تصنيف المصطلح المعرَّف في علوم القرآن بحسب كل علم على حدة، وتوضع مصطلحات كل علم في فهرس خاص، أول الأمر، ثم تصنف بعد ذلك تصنيفا تاريخيا، بحسب إسهام المعرِّفين في مختلف العصور، بدءا من الأقدم دوما، لأن هذا التصنيف يسهم في إبراز الاهتمام بتعريف كل مصطلح عبر التاريخ.

وسيسهم التصنيفان معا في تسهيل الطريق لإنجاز المعجم التاريخي الخاص بكل علم من علوم القرآن. ويومها سنتحدث عن "المعجم التاريخي للمصطلحات المعرَّفة في علم القراءات"، و"المعجم التاريخي للمصطلحات المعرَّفة في علم التجويد"، وما إلى ذلك... ثم يؤلف من مجموع تلك المعاجم معجم جامع، هو: "المعجم التاريخي لمصطلحات علوم القرآن المعرَّفة".

الفصل الثاني: أفق الإحصاء والتصنيف للمصطلح غير المعرَّف في الدراسات القرآنية

يضم هذا الفصل مبحثين، يتطرق أولهما لأفق الإحصاء للمصطلح غير المعرَّف في الدراسات القرآنية، وثانيهما لأفق التصنيف للمصطلح غير المعرَّف في الدراسات القرآنية.

المبحث الأول: أفق الإحصاء للمصطلح غير المعرَّف في الدراسات القرآنية:

أدمجنا -في تناولنا لأفق الإحصاء للمصطلح غير المعرَّف في الدراسات القرآنية- حديثنا عن المصطلح القرآني غير المعرَّف، ومصطلحات علوم القرآن غير المعرَّفة، وذلك لأن الإحصاء في الصنفين معا، يتطلب القيام بنفس العمليات والإجراءات والخطوات.

يكون الإحصاء المطلوب لمصطلحات القرآن الكريم ومصطلحات علوم القرآن غير المعرَّفة، في مرحلة ثانية، تأتي بعد المرحلة الأولى التي يتم فيها إحصاء المصطلح القرآني المعرَّف ومصطلحات علوم القرآن المعرَّفة، ثم تصنيف ذلك كله، ووضعه في فهارس خاصة. وفي ضوئها يبرز حجم المصطلح غير المعرَّف.

ولا بد من القيام بعملية حصر المصطلح القرآني الذي لم يعرَّف بعد، وكذا مصطلحات علوم القرآن غير المعرَّفة، وذلك بعد جرد المصطلحات القرآنية ومصطلحات علوم القرآن كلها، وإخراج المصطلح الذي تم تعريفه قديما أو حديثا. ويتم الانتقال بعد ذلك إلى إنجاز العمليتين الكبيرتين الضروريتين: الإحصاء والتصنيف.

و ينبغي أن يكون إحصاء المصطلح القرآني غير المعرَّف ومصطلحات علوم القرآن غير المعرَّفة شاملا:

- فبالنسبة لإحصاء المصطلح القرآني غير المعرَّف، يلزم تتبع موارد كل مصطلح في القرآن الكريم، والقيام بـِ ((إحصاء جميع مشتقات الجذر اللغوي للفظ، في جميع الآيات التي

ورد بها في القرآن الكريم كله، وقد تصدق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله تعالى بهذه الصدقة الجارية على الباحثين، و لم يبق إلا ما قد يكون عليه من استدراك فوات))[1].

- وبالنسبة لإحصاء مصطلحات علوم القرآن غير المعرَّفة، ينبغي جرد تلك المصطلحات من مظان علوم القرآن المختلفة التي تحدثنا عنها سابقا، انطلاقا من تتبع مصطلحات كل علم على حدة.

ومن ثم، يجب- في المجالين معا- استبعاد الإحصاء الناقص الذي ((يذكر بعضا ويترك بعضا؛ فيجعل التصور للواقع مبتورا، والدلالة ناقصة))[2]، وكذا الإحصاء الذي يقحم ألفاظا ذات دلالات لغوية محضة وليست لها دلالات اصطلاحية.

وقد لاحظ الدكتور الشاهد البوشيخي أن ((المصطلح غير المعرَّف أكثر بكثير من المعرَّف))[3]؛ وعليه وجب أن تتجند الطاقات للنهوض بهذه المهمة، وفق منهج قادر على اقتحام هذه العقبة؛ وهو منهج الدراسة المصطلحية.

وهذه العملية بدورها ((طويلة شاقة إلا من يسرها الله تعالى عليه))[4]؛ لأنها تقتضي إنجاز مجموعة من العمليات، بشكل متسلسل ومتدرج؛ منها:

- القيام بإحصاء مصنفات علوم القرآن قديما وحديثا، ثم تصنيفها بحسب كل علم على حدة. وإنجاز فهارس شاملة وكاملة تضم المصنفات الموجودة في العالم كله ((استلزم ذلك ما استلزم، وكلف ما كلف))[5].

---

[1] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 13.

[2] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 8.

[3] - نفسه: 20.

[4] - نفسه: 20.

[5] - نظرات في المصطلح والمنهج: 18.

- قراءة تلك المصنفات مؤلَّفا مؤلَّفا واستخراج مجموع المصطلحات الموجودة فيها.

- التمييز فيها بين المصطلحات المعرَّفة وبين غير المعرَّفة، ثم تصنيفها التصنيفات المناسبة بعد ذلك.

- القيام بإحصاء المصطلحات غير المعرفة في كل مؤلَّف على حدة، ثم تصنيفها التصنيفات المناسبة بعد ذلك.

إن الإحصاء المطلوب، هنا أيضا، على غرار إحصاء المصطلح المعرَّف الذي رأينا في الفصل الأول، ينبغي أن يكون عبر ((الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس، وما يتصل به، لفظا ومفهوما وقضية، في المتن المدروس))[1]. وهذا يقتضي شيئا من التفصيل عن موضوع الإحصاء وكيفيته، نبينه على هذا الشكل:

1- موضوع الإحصاء:

((ينبغي أن يكون الإحصاء أمينا ودقيقا وتاما. وحتى يكون ذلك كذلك وجب أن يعرف الباحث ما الذي يتعين عليه إحصاؤه. وهو:

- إحصاء لفظ المصطلح.
- وإحصاء المشتـــقات.
- وإحصاء القضايـــا))[2].

وسنفصل الحديث عن تلك الأمور كلها، كما يلي:

أ- إحصاء لفظ المصطلح:

إن أول يُحصى هو لفظ المصطلح؛ ويكون في دراسة المصطلح القرآني بتحديد السور والآيات التي ورد بها، وفي دراسة كتب علوم القرآن بتحديد موارد المصطلح، بتعيين السطر

---

[1] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 29.

[2] - مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 45.

والصفحة، وإحصائه ((إحصاء تاما، حيثما ورد، وكيفما ورد...، ما دام قدر من الاصطلاحية، داخل مجاله العلمي الخاص، ملحوظا فيه))[1]؛ كيفما ((كانت الصورة التي ورد عليها: فقد يرد بصيغة واحدة، وقد تتعدد صيغه، فيأتي مثـــلا:

- بصيغة المفرد أو الجمع.
- وبصيغة التعريف أو التنكير.
- وبصيغة الاسم أو الفعل[2].
- وبصيغة اللفظ المفرد غير المركَّب.
- وبصيغة اللفظ المركَّب ضربا من التركيب، فيكون مضموما إلى غيره، أو مضموما إليه غيره؛ وذلك التركيب قد يكون:

تركيبا إضافيا: إذ يأتي المصطلح مضافا، أو مضافا إليه غيره.

أو تركيبا وصفيا: إذ يكون المصطلح واصفا أو موصوفا.

أو تركيبا إسناديا.

أو تركيبا عطفيا))[3]؛ إذ ((كل ذلك ضروري المراعاة عند الإحصاء))[4].

ثم يجعل المحصى كله في فهارس، تيسيرا للرجوع إلى كل مصطلح على حدة، في المراحل الموالية، بحسب ما تقتضيه طبيعة الدراسة أو البحث. فنضع فهرسا للمصطلح القرآني غير

---

[1] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 30.

[2] - نشير هنا إلى أن المصطلح قد يرد بصيغة الفعل، إلا أنه لا ينبغي اعتبار الأفعال مصطلحات مستقلة، وإنما نتعامل معها على أنها مصادر، ومن ثم فإننا لا نحدد المعنى الفعلي للمصطلح، وإنما نحدد معناه المصدري، بعد أن نحول الفعل إلى مصدر.

[3] - مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 45- 46.

[4] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 29-30.

المعرَّف، وفهرسا لمصطلح علم القراءات غير المعرَّف، وفهرسا لمصطلح علم التجويد غير المعرَّف، وهكذا...

ب- إحصاء المشتقات:

وثاني ما يُحصى هو ((الألفاظ الاصطلاحية المشتقة من جذره[1] اللغوي والمفهومي إحصاء تاما كذلك، على التفصيل نفسه))[2]؛ إذ ((لا ينبغي إغفال أية صيغة من صيغ المشتقات التي تنتمي إلى المادة الاصطلاحية نفسها والجذر المفهومي نفسه، إن وجدت في المتن المدروس. فالمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، واسم التفضيل، والصفة المشبَّهة، وصيغ الأفعال في الأزمنة كلها، مبنية للمعلوم أو للمجهول، كل ذلك ضروري المراعاة أثناء الإحصاء))[3].

ج- إحصاء القضايا:

وثالث ما يُحصى هو ((القضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه[4]، وإن لم يرد بها لفظه))[5]. وهي قضايا متعددة تتنوع بحسب تنوع المصطلحات، ((وتتضمن كل المسائل المستفادة من نصوص المصطلح المدروس، وما يتصل به، المرتبطة بالمصطلح أو المرتبط بها المصطلح))[6].

وهكذا يتبين أن الإحصاء الدقيق والاستقراء التام، يقتضيان هذه الأمور كلها، كما يستوجبان على الباحث- من باب مزيد من الاحتراز المنهجي - ألا ((يرصد فقط المواد القطعية

[1] - يعود الضمير هنا على "المصطلح".

[2] - نظرات في المصطلح و المنهج: 23 .

[3] - مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 46.

[4] - يعود الضمير هنا على"المصطلح".

[5] - نظرات في المصطلح و المنهج: 23 .

[6] - نفسه: 30 .

الاصطلاحية أو الظاهرة الاصطلاحية، ولا الاستعمال القطعي الاصطلاحية أو الظاهر الاصطلاحية، وإنما يتعداه – احتياطاً- إلى ما ضعفت اصطلاحيته، و ربما رصد من الاستعمال حتى بعض اللغوي الذي يُعِينُ على التَّبَــيُّن للمصطلح بعض الإعانة؛ وذلك مراعاة لتوقف بعض المصطلحات على بعض، وليتم تصوُّر المصطلح وتصويره في حجمه الحقيقي، وليتحدد موقعه وعلاقاته في الكتاب أو الكتب المدروسة))[1].

2-كيفية الإحصاء:

هذه مسألة تقنية محضة تقتضي أدوات معينة، واحترام قواعد وضوابط لا بد منها، والالتزام بمراحل بعينها؛ وفي مقدمتها:

((- قراءة المـــتن المـــراد دراسته قراءة أوليـــة، ثم قراءات متكررة ومتأنية، من أجل التعرف على طبيـــعته وخصوصيتـــه.

- تهـــيئ جذاذات الجمع: إذ لابـــد من اختيـــار جذاذات ذات حجم موحد. ويستحسن أن تكون مختلفة الألوان، إذا دعت الضرورة إلى ذلك. كما أن الجذاذة ينبغي أن تخضع لتصميم معين، دقيـــق ومضبوط))[2].

ومن هنا فإن الجذاذات الخاصة بإحصاء المصطلحات غير المعرَّفة ينبغي أن يعتنى بها كثيرا، في هذه المرحلة، لأنها الوسيلة الأهم. ويُحتاج- من أجل تنظيمها أكثر أن ((يتم التميـــيز فيها بين وجهها وظهرها:

[1] - مصطلحات النقد العربي: 29. وينظر كذلك: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين: 16.

[2] - مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 48.

فبالنسبة لوجهها:

ـ يُعنوَن بحسب المـــادة الاصطلاحية التي يدخل ضمنها المصطلح، وينص فيها على عنوان المؤلِّـــف، لأن المـــتون قد تــتعدد .

ـ يُفرَد كل مشتـــق من المادة الاصطلاحية، وكذا كل ضميمة من ضمائم المصطلح بحيز من جذاذة، ثم توضع أمـــامه أمـــاكن ورود المصطلح، في المـــتن المـــدروس))[1]، بتحديـــد السورة والآية بالنسبة للمصطلح القرآني. أما بالنسبة للمصطلح في المظان الأخرى، فيتم ((تحديد رقـــم الصفحة والسطـــر، و كذا عدد التكرار في نفس السطر، بوضع رقم صغـــير فوق السطر، أو وضعه بين قوسين أمـــام رقم السطر والصفحة))[2].

أما ظهر الجذاذة، ((فإنه يخصَّص لتسجيل الملاحظـــات التي تعِنّ أثنـــاء الإحصاء))[3].

المبحث الثاني: أفق التصنيف للمصطلح غير المعرَّف في الدراسات القرآنية:

أدمجنا الحديث في هذا المبحث الخاص بأفق التصنيف للمصطلح غير المعرَّف في الدراسات القرآنية عن تصنيف المصطلح القرآني غير المعرَّف وتصنيف المصطلح غير المعرَّف في علوم القرآن؛ وذلك لأن التصنيف المقترح فيهما متشابه إلى أبعد حد.

وقد ذكرنا في هذه الورقة أنه لا وجود لتصنيف واحد قار؛ ولذلك ((فالتصنيف – في مرحلة الإحصاء – يكون أوليا. وقد يتغير بحسب ما تمليه طبيعة الدراسة و البحث. وغالبا ما يُبتدأ بالتصنيف الألفبائي أول مرة، ثم تستخرج منه التصنيفات الأخرى))[4].

ومن التصنيفات التي يمكن أن تفيد، في هذا الباب:

---

1 – مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 48.

2 – نفسه: 48.

3 – نفسه: 48.

4 – مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 50.

1- التصنيف بحسب الاشتقاق: يلزم ((تصنيف جميع النصوص المحصاة بعد استخلاصها، حسب الأهم فالأهم من المشتقات))[1]. وفيه ((يُبدأ بالمصدر، وتُلحق به الأفعال، ثم يليه اسم الفاعل مفردا ومثنى وجمعا، ثم الصفة المشبهة، ثم اسم المفعول مفردا ومثنى وجمعا، ثم اسم التفضيل. مع مراعاة تقديم المعرفة على النكرة، والمفرد على المثنى والجمع، كما ترتب فيه هذه المشتقات بحسب علاقاتها بالمصطلح الأهم))[2]، ترتيبا داخليا تراعى فيه أمور عدة؛ كالصيغة الصرفية، مثلا، ((مع اعتبار المصْدر الأصل، والاجتزاء أو الاستعاضة به عن الفِعل. ولا يتخلف ترتيب الاشتقاق إلا إذا غُلِّبت الأهمية الاصطلاحية لملحَظ ما يجعل تقديم المتأخر أنسب))[3].

2- التصنيف بحسب الصيغ التركيبية: ف ((هناك مصطلحات تأتي مركبة ضربا من التركيب، إذ يأتي المصطلح المدروس إما مضموما إلى غيره، أو مضموما إليه غيره. ويقتضي تصنيفها، بحسب ذلك، التمييز بين أنواع التركيب التالية:

- التركيب الإضافي.
- والتركيب الوصفي.
- والتركيب العطفي.
- والتركيب الإسنادي))[4].

[1] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 13.

[2] - مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 50.

[3] - مصطلحات نقدية و بلاغية: 19.

[4] - مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 50-51.

3- التصنيف بحسب العلاقات: ويتم فيه ((التركيز على كل علاقة ممكنة لكل مصطلح مدروس، بغيره من المصطلحات الموجودة في نفس المتن الذي ورد فيه. مع التركيــز على العلاقات الثلاث التي نص عليها شيخنا أكثر من مرة[1]، وهي:

أ- علاقات الائتلاف: كالترادف والتعاطف.

ب- علاقات الاختلاف: كالتضاد والتخالف.

ج- علاقات التداخل والتكامل: كالعموم والخصوص، و الأصل والفرع))[2].

4- التصنيف بحسب القضايا العلمية: ينبغي ((أن يخضع، أيضا، لترتيب يتم فيه الحرص على إبراز القضايا التي ترتبط بالمصطلح المدروس، أو يرتبط هو بها، مع مراعاة ارتباط كل قضية بالمصطلح المدروس، ارتباطا يراعى فيه تسلسل القضايا بحسب أهميتها، في علاقتها بالمصطلح المدروس))[3].

وأهم أصناف تلك القضايا كما حددها الدكتور الشاهد البوشيخي: ((الأسباب والنتائج، والمصادر والمظاهر، والشروط والموانع، والمجالات والمراتب، والأنواع والوظائف، والتأثر والتأثير))[4].

هذا وإن التصنيفات التي تحدثنا عنها تبقى في مرحلة الإحصاء تصنيفات أولية فقط.

[1]- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية: 19، ومصطلحات النقدي العربي: 30، ومشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 35، ونظرات في المصطلح والمنهج: 28 – 29.

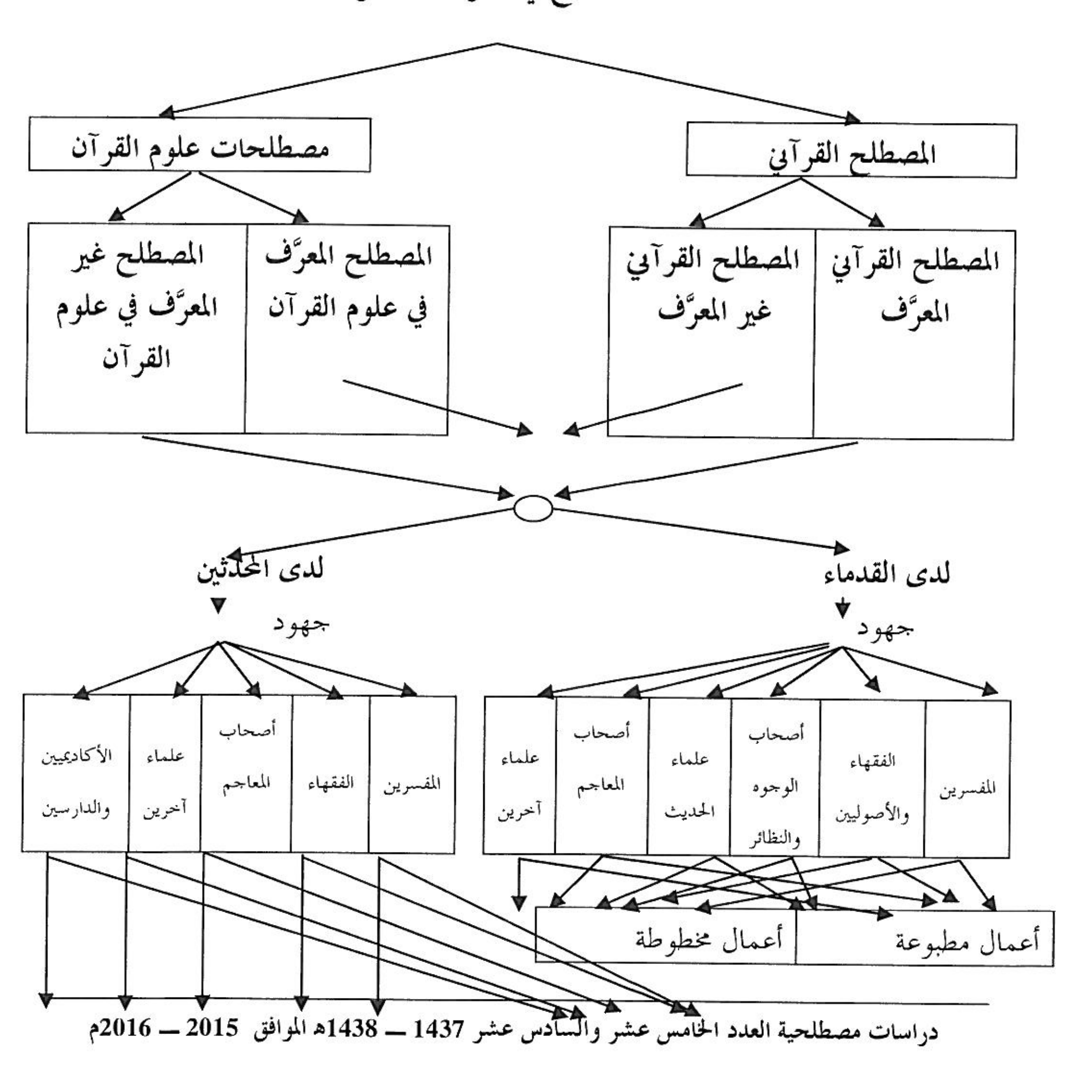
[2]- مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 51.

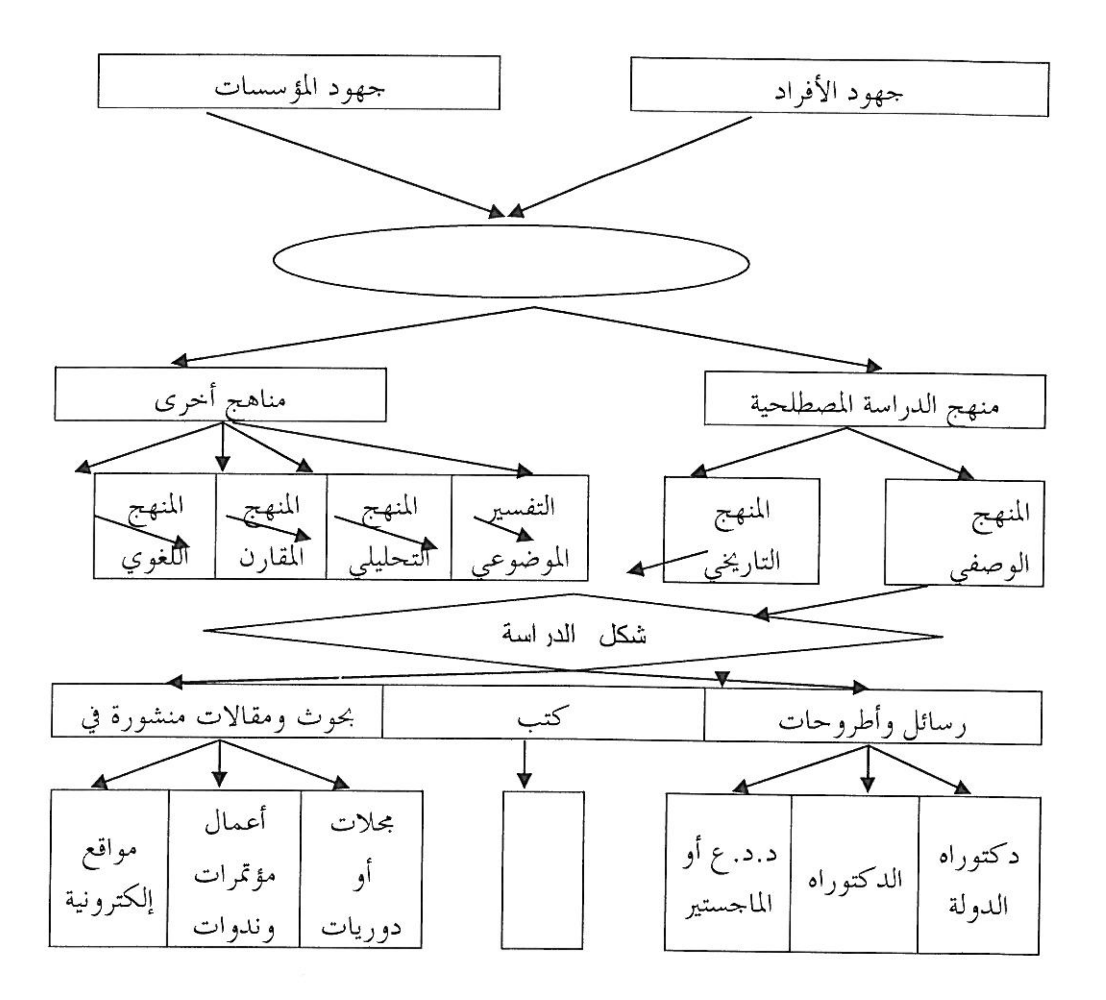
[3]- مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني: 52.

[4]- مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 37، ونظرات في المصطلح والمنهج: 31.

مقترح لتصنيف المصطلح في الدراسات القرآنية

نقدم، في ختام هذه الورقة، مقترحا لتصنيف المصطلح في الدراسات القرآنية يضم أصنافا من التصنيفات التي تحدثنا عنها سابقا، يمكن أن يكون على هذا الشكل:




جهود المؤسسات
جهود الأفراد
مناهج أخرى
منهج الدراسة المصطلحية
المنهج اللغوي
المنهج المقارن
المنهج التحليلي
التفسير الموضوعي
المنهج التاريخي
المنهج الوصفي
شكل الدراسة
بحوث ومقالات منشورة في
كتب
رسائل وأطروحات
مواقع إلكترونية
أعمال مؤتمرات وندوات
مجلات أو دوريات
د.د.ع أو الماجستير
الدكتوراه
دكتوراه الدولة

خاتمـــة:

هذا ما يسر الله قوله في هذه الورقة المتواضعة، بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر المبارك. وكلي أمل لأعود إلى هذا الموضوع لإكمال جوانبه، واستيفاء عناصره، في ضوء الملحوظات التي سأستفيد منها عندما يطلع الباحثون المختصون عليها، وفي ضوء ما سيسمح به الوقت مستقبلا، إن شاء الله تعالى.

وغني عن البيان أن الإحصاء والتصنيف للمصطلح في الدراسات القرآنية كلها، قديمها وحديثها، والتمييز بين المعرَّف منها، وغير المعرَّف أمر ((فوق طاقة الأفراد، ويحتاج في تخطيطه المنهجي، وتنفيذه العملي، إلى جهود وجهود من ذوي التفكير السديد، والتدبير الرشيد، والصبر المديد))[1]. وهي جهود تتوزع ما بين إحصاء مظان المصطلحات أولا، وإحصاء المصطلحات الواردة فيها ثانيا، والتمييز بين المعرَّف منها وغير المعرف ثالثا، ثم تصنيف ذلك التصنيفات المناسبة التي تقتضيها طبيعة الدراسة، في كل مرحلة كبرى أو صغرى من مراحل الدراسة، على أساس أن يتوج ذلك كله، بإنجاز معاجم مفهرسة، كما يلي:

1. معجم مفهرس للمصطلحات القرآنية المعرَّفة.
2. معجم مفهرس للمصطلحات القرآنية غير المعرَّفة.
3. معاجم مفهرسة للمصطلحات المعرَّفة في كل علم من علوم القرآن.ك: المعجم المفهرس للمصطلحات المعرَّفة في علم القراءات، مثلا.
4. معاجم مفهرسة للمصطلحات غير المعرَّفة في كل علم من علوم القرآن.ك: المعجم المفهرس للمصطلحات غير المعرَّفة في علم التجويد، مثلا.

ومن شأن هذه المعاجم المفهرسة أن تحدد لنا حجم المصطلح المعرَّف وغير المعرَّف في كل مجال، وطبيعة التعريفات التي عُرِّفت بها كل مصطلح.

[1] - مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية: 8.

كما أن للإحصاء والتصنيف فوائد أخرى، من بينها تجلية المكرر من الدراسات التي عرَّفت بعض المصطلحات. وقد لاحظت، عند إنجازي لبعض الوراقيات، واطلاعي على بعضها الآخر، في هذا المجال، كثيرا من المصطلحات التي تكررت دراستها، في شرق الوطن العربي وغربه، بل تكررت في البلد الواحد أحيانا، بل في الجامعة الواحدة أحيانا أخرى. ومرد ذلك أساسا، إلى ((انعدام التنسيق العام بين المهتمين بالبحث العلمي: أفرادا ومجموعات، مجامع وجامعات... فتقع الحوافر على الحوافر، وتتضارب جهود الأوائل والأواخر، وتبدأ سلاسل من التخبط لا أول لها ولا آخر!))[1].

فالمعوَّل عليه –أولا وأخيرا– هو العمل الدؤوب في اتجاه التنسيق العام التام، بين الأفراد والمؤسسات، لأن هذا العمل، ((كأي طريق للخير، غير مفروش بالورود، ولا بد لسالكيه من ضروب من الصبر))[2]، حتى يستطيعوا التغلب، بإذن الله تبارك وتعالى، على أنواع الصعوبات والحواجز التي تعترضهم في الطريق؛ وفي مقدمتها:

– ((حاجز واقع التراث النصي العربي الأليم الذي مازال ينتظر جهودا علمية منهجية متكاملة، لإخراجه إخراجا موثقا محققا مكشفا))[3].

– و((حاجز واقع علم بيان القرآن أو أصول التفسير الذي مازال ينتظر جهودا صادقة مخلصة، لاستخلاصه من مصادره، وتخليصه مما التبس به، وتصنيفه وتكميل بنائه، علما ضابطا لبيان القرآن الكريم؛ من الفهم السليم حتى الاستنباط السليم))[4].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

[1]- نظرات في المصطلح والمنهج: 21.

[2]- القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 15.

[3] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 15.

[4] - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية: 15- 16.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، مصحف بالرسم العثماني، على رواية الإمام ورش، الشركة المغربية لتوزيع الكتاب، الدار البيضاء.
- الإحصاء في الدراسة المصطلحية، الأستاذ إدريس الفاسي الفهري والأستاذ نجيب بن عبد الله، مجلة دراسات مصطلحية، العدد:5، 1427هـ/2006م. (ص17-29).
- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1399هـ- 1979م.
- أصول البحث العلمي ومناهجه، الدكتور أحمد بدر، الطبعة: 2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975م.
- أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، الدكتور الشاهد البوشيخي، منشور نشرا إليكترونيا بموقع:
www.alfetria.com/articles/29-quran.html
- تاج العروس من جواهر القاموس، الشيخ مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، بمصر، 1306هـ.
- تفسير القرآن من التوجيه المذهبي إلى المدخل المصطلحي، الدكتورة فريدة زمرد، بحث منشور بموقع الرابطة المحمدية للعلماء بالرباط.
- جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد، مصورة عن ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، تصحيح محمد بن يوسف السورتي وزين العابدين الموسوي ثم المستر سالم الكرنكوري، (1344-1351هـ).
- الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، أعمال ندوة، منشورات معهد الدراسات المصطلحية بفاس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة:1، 1996م. (جزءان).

- دليل معهد الدراسات المصطلحية، منشورات معهد الدراسات المصطلحية بفاس، الطبعة: 2، مطبعة آنفو برينت، فاس، 1422هـ/2001م.
- دور المصطلحات والمفاهيم في بناء العلوم الإسلامية، الدكتور عز الدين البوشيخي، ضمن أعمال ندوة: الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، (ص61-68).
- الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، 1377هـ.
- القاموس المحيط، محمد الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، 1403 هـ/1983م .
- القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، الطبعة: 1، مطبعة آنـفو- برانت، فاس 1423هـ، 2002م. (سلسلة: دراسات مصطلحية، رقم: 4).
- الكليات- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوى، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1412هـ- 1992م.
- لسان العرب= لسان العرب المحيط، لابن منظور، إعداد وتصنيف: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، مطابع أوفست تكنوبريس الحديثة، بيروت، 1389هـ/1970م.
- المدخل إلى دراسة المفهومات القرآنية، الدكتور عبد الرحمن حللي، حلب، دار الملتقى، دمشق: دار الريادة، ط.1، 2011م.
- مدخل إلى علم المكتبات والمعلومات، د. عبد الله الشريف، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 1983م.
- مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، الدكتور الشاهد البوشيخي، الطبعة:1، مطبعة آنـفو- برانت، فاس، 1423هـ، 2002م. (سلسلة: دراسات مصطلحية، رقم:1).

- مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم، الدكتور الشاهد البوشيخي، ضمن أعمال ندوة: "المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم"، (ص20-31) .
- المصطلحات المتصلة باللغة عند المتكلمين (أنموذج القاضي عبد الجبار)، الدكتور عبد السلام المسدي، ضمن أعمال ندوة: الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، (547/2-568).
- مصطلحات النقد العربي= مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: قضايا ونماذج، الدكتور الشاهد البوشيخي، الطبعة:1، دار القلم، تصفيف دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1413 هـ/1993م.
- مصطلحات نقدية وبلاغية= مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيُّين للجاحظ، الدكتور الشاهد البوشيخي، الطبعة:1، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، 1402هـ/1982م.
- مصطلحات نقدية وبلاغية= مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيُّين للجاحظ، الدكتور الشاهد البوشيخي، الطبعة: 2، دار القلم للنشر والتوزيع، الصفاة، الكويت، 1415هـ/1995م.
- المصطلح الأصولي عند الشاطبي، الدكتور فريد الأنصاري، منشورات معهد الدراسات المصطلحية بفاس، سلسلة الرسائل الجامعية، رقم:1، بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة:1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1424هـ/2004م.
- مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم وأبعاده الحضارية، د. عبد المجيد النجار، ضمن أعمال "ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، منشورات معهد الدراسات المصطلحية بفاس، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996م.

- مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني، الدكتور محمد أزهري، منشورات مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، فاس ومعهد الدراسات المصطلحية بفاس، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1431هـ- 2010م.
- المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، أعمال ندوة، ط1، في عدد خاص من أعداد مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس- ظهر المهراز، العدد: 4، سنة 1400هـ/1988م. وط2، خاصة بمعهد الدراسات المصطلحية بفاس، سنة 1405هـ/1993م.
- المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة في تفسير الطبري، دة. فريدة زمرد، منشورات معهد الدراسات المصطلحية بفاس، سلسلة: مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة، رقم:1، ط1، مطبعة أنفوبرانت، فاس، 2005م.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي، القاهرة، 1366هـ -1371هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ- 2008م.
- مفهوم **الأمر** في القرآن الكريم – دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، للدكتورة جميلة زيان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1431هـ. (مجلدان، 842 صفحة).
- مفهوم **الأمانة** في القرآن الكريم والحديث الشريف، للدكتور عبد القادر محجوبي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سلسلة المفاهيم القرآنية، ط1، 1432هـ- 2011م.

- مفهوم الأمة في القرآن الكريم والحديث، الشريف، د. عبد الكريم حُمَيدي، منشورات مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)- فاس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م. (365 صفحة).
- مفهوم الإنسان في القرآن الكريم والحديث الشريف، د. أحمد بوشلطة، منشورات الحلبي الحقوقية، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2009م. (488 صفحة).
- مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف، الدكتورة فريدة زمرد، منشورات معهد الدراسات المصطلحية بفاس، سلسلة الرسائل الجامعية، رقم:2، الطبعة:1، مطبعة أنفو- برانت، فاس، 2001م. (300 صفحة).
- مفهوم الترتيل: النظرية والمنهج، د. أحمد عبادي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2007م.
- مفهوم التقوى في القرآن والحديث- دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، الدكتور محمد البوزي، الطبعة:1، منشورات مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، فاس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1432هـ/2011م.
- مفهوم الحق في القرآن، د. عبد الرزاق الوزكيتي، إشراف: د.إدريس ناقوري، نوقشت يوم: 2001/10/03م.
- مفهوم الحياة في القرآن والحديث، الدكتور محمد الأحمدي، الطبعة:1، منشورات مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، فاس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1432هـ/2011م.

- مفهوم السلام في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتور الطيب البوهالي، الطبعة:1، منشورات مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، فاس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1431هـ/2010م.
- مفهوم المصطلح ومنهج دراسته، الأستاذ أحمد الشاوي بنعبد الله، ضمن أعمال ندوة: الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، (1/69-81).
- مفهوم النعمة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف- دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، د. عبد المجيد بنمسعود، منشورات مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)- فاس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م.
- مفهوم الهدى في القرآن الكريم- دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، د. الحبيب مغراوي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دار النوادر، دمشق، بيروت، الكويت، سلسلة الدراسات القرآنية، ط1، 1432هـ- 2011م. (435 صفحة).
- مناهج البحث العلمي، الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، 1963م.
- منهج البحث العلمي عند العرب، الدكتور أحمد جاسم النجدي، منشورات وزارة الثقافة والفنون بالجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978م. (سلسلة دراسات، رقم: 154).
- منهجية دراسة المصطلح التراثي، الأستاذ فريد الأنصاري، ضمن كتاب:" نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي، (ص171-224).
- نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، مطبعة آنفو- برانت، فاس، (سلسلة "دراسات مصطلحية"، رقم: 3).

- نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرَّفة، د. الشاهد البوشيخي، سلسلة: دراسات مصطلحية، رقم:5، ط1، مطبعة أنفو برانت، فاس، 1423هـ-2003م.
- نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي، أعمال دورة تدريبية، معهد الدراسات المصطلحية بفاس والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، الطبعة:1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1421هـ- 2000م.
- -نظرات في قضية المصطلح العلمي في التراث، الدكتور الشاهد البوشيخي، الطبعة:1، مطبعة آنفو – برانت، فاس، 2006م، (سلسلة "دراسات مصطلحية"، رقم: 6).
- نظرات في المصطلح والمنهج، الدكتور الشاهد البوشيخي، الطبعة:1، مطبعة آنفو – برانت، فاس، 1423هـ/2002م، (سلسلة "دراسات مصطلحية"، رقم: 2).
- نظرات في مفهوم الأمن في القرآن الكريم، الدكتور الشاهد البوشيخي. منشور نشرا إليكترونيا.
- نظرات في مفهوم الحوار في القرآن الكريم ، الدكتور الشاهد البوشيخي. منشور نشرا إليكترونيا.

مآخذ مصطلحات القرآن الكريم
وأهميتها في تحديد مفاهيمه

دة. كلثومة دخوش (*)

تقديم:

لقد كان القرآن الكريم محور عناية المسلمين منذ اللحظة الأولى لنزوله، حيث حرصوا على فهم ألفاظه ومعانيه، حرصا مكنهم من استنباط أحكامه وتنزيلها في حياهم بقدر كبير من اليسر بالنظر إلى وجود المثال التطبيقي لهذه الأحكام بين ظهرانهم وهو الذي مثله الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبعد غياب هذا النموذج الحي بانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، حرصوا على التمسك بكتاب الله وفهمه من خلال مساءلته بخصوص ما كان يستجد من قضايا في حياهم، ما دفعهم إلى تثويره ومدارسته، فكانت بذلك بداية الدراسات القرآنية.

ومن أهم هذه الدراسات تلك التي تناولت ألفاظه بالبيان، باعتبار الألفاظ مفاتيح المعاني.

هذا الوعي المبكر بخصوصية ألفاظ القرآن وما حملته من دلالت شرعية أدى إلى عناية خاصة بكلمات القرآن، تمثلت في تتبع معاني هذه الألفاظ في اللسان العربي، وجمعها تحت ما أسموه بغريب القرآن، فكانت تلك بداية تأليف المعاجم عند العرب، هذه الحركة العلمية الأولى كان هدفها الأساس هو حفظ مفردات القرآن الكريم ومن ثم حفظ هذا النص الخالد الذي وعد الله تعالى بحفظه.

---

* - أستاذة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين وجدة.

ولقد ظهرت نواة هذا العمل في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، حيث أدركوا مبكرا العلاقة الوطيدة بين حفظ القرآن الكريم وحفظ اللغة التي نزل بها، فبحثوا عن معاني مفردات القرآن الكريم وعن أصل استعمالها عند العرب، ووثقوا هذا الاستعمال بالرجوع إلى ديوانهم الشعري، كما نجد ذلك واضحا في مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس على سبيل المثال[1]، ثم سجلوا ذلك كله في كتب خاصة منها المعاجم اللغوية.

وكان من أهم ما مكنهم من فهم معاني ألفاظ القرآن، معرفتهم بمآخذ هذه الألفاظ وبأصل استعمالها عند العرب، مما جعلهم يستعملونها استعمالا صحيحا في حياتهم العلمية والعامة، قبل أن تأتي مراحل أخرى في تاريخ المسلمين عرفت فيه بعض مصطلحات القرآن الكريم، والحديث الشريف أيضا، تحريفا في الفهم و الاستعمال معا.

ونحن قد نحتاج في أحيان كثيرة إلى تقليب النظر في المقصود ببعض المصطلحات على ضوء المستجدات المعاصرة، ومن ثم نحتاج إلى تحديد دلالات جديدة لها قد تكون أوسع أو أضيق مما فسرت به سابقا، ونحن، في سبيل ذلك، أحوج منهم إلى معرفة مآخذ المصطلحات القرآنية وذلك بالنظر إلى المدة الزمنية التي تفصلنا عن عصر الوحي، إضافة إلى ما لحق باللسان العربي من امتزاج بغيره وتداخل، مما يؤدي إلى تحريف معاني الكثير من المفاهيم إما بالتغيير والتبديل، أو بالزيادة والنقصان من السمات الدلالية لهذه المفاهيم، ولذلك فإن محاولة التفهم الجديد لمصطلحات الشرع دون استحضار هذه الحقائق، تعد مغامرة علمية غير محمودة ولا مقبولة النتائج.

[1]-ذكرت هذه المسائل مجموعة ومفرقة في كتب علوم القرآن وفي كتب أخرى منها كتب اللغة والشعر، ولقد ذكرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن مجموعة من محال ورودها، وقالت:" المسائل معروفة لعلماء اللغة والشعر والقرآن، على خلاف بينهم في طرقهم إليها وأسانيدهم، وفي مساقها وعددها، وربما اختلفوا كذلك في المروي عن ابن عباس في تفسير بعضها وشواهده عليها"-كتاب : الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق- دراسة قرآنية لغوية وبيانية-ص:289.

بناء على ما سبق، يظل إدراك المأخذ اللغوي هو الضابط الذي يمنع من التزيد والزلل في هذا النوع من التفسير، إضافة إلى ضوابط أخرى معروفة ضمن أصول التفسير، كما أن معرفة مأخذ المصطلح تساعد في غالب الأحيان على الحسم في تحديد معاني بعض المفردات التي اضطربت أقوال المفسرين في تحديد معانيها وتباينت إلى درجة التضاد أحيانا.

وأجزم هنا بأن منهج الدراسة المصطلحية بأركانه – التي من ضمنها الدراسة المعجمية للمصطلحات المدروسة في ضوئه – يعد أكثر المناهج الحديثة وعيا بأهمية مآخذ الألفاظ في تحديد مفاهيمها، يصف الدكتور الشاهد البوشيخي الدراسة المعجمية التي هي أحد أركان الدراسة المصطلحية بأنها "دراسة ما وقع عليه الاختيار من المواد الاصطلاحية بالمعاجم اللغوية فالاصطلاحية[...]دراسة تضع نصب عينيها مدار المادة علامه؟ ومأخذ المستعمل اصطلاحيا ممه؟ وشرح المصطلح -إن كان قد تُعُرض له- بمه؟"[1]

ومن هذا المنطلق، فإن دراسة الكتب اللغوية وتوثيق ما لم يوثق منها، وتحقيق ما لم يحقق، تعد من المهام التي يجب أن توضع ضمن أولوياتنا في البحث العلمي الشرعي، ثم يلحق بهذه المرحلة ربط كل مصطلح بمأخذه اللغوي وبأصل استعماله عند العرب على طريقة ابن فارس مثلا في كتابه مقاييس اللغة، وحفظ ذلك كله بشكل ما إلى جانب القرآن الكريم ليتم استحضاره بسهولة ويسر عند كل دراسة جديدة له أو محاولة مستجدة لفهمه بحيث لا يسمح بتجاوزه في أثناء ذلك.

1-اللغة والتفسير:

إن ضرورة العناية بكتب اللغة العربية نابعة من كون اللغة هي أهم ما منه استمداد علم تفسير كلام الله تعالى، و" استمداد العلم يراد به توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك العلم عند مدونيه لتكون عونا لهم على إتقان تدوين ذلك العلم، وسمي ذلك في

---

[1] - مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ- الدكتور الشاهد البوشيخي ص: 16.

الاصطلاح بالاستمداد عن تشبيه احتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المدد، والمدد العون والغوات"[1]

وبما أن القرآن الكريم نزل باللسان العربي، فإن فقه اللغة العربية وأساليبها يعد من أجل العلوم التي ينبغي تجديد النظر فيها والعناية بها، وقد وعى السلف أهمية العناية باللغة العربية فألفوا فيها مختلف أنواع التأليف، العرب منهم والعجم على السواء، وذلك حرصا منهم على حفظها بشكل أسهم في حفظ للذكر الحكيم، فأقبلوا على اللغة جمعا ودراسة وتفهما حتى قال الثعالبي عن اللغة العربية: "والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم"[2]

ولقد اعتُبِر العلم باللغة من الأدوات الضرورية للمفسر، قال الزركشي في البرهان: "ومعرفة هذا الفن [علم اللغة] للمفسر ضروري، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى، قال يحيى بن نضلة المديني: سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا، وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[3]

غير أن اعتماد التفسير على اللغة قد اتخذ عدة مسارات، تتراوح بين التفريط والإفراط في أمر اللغة واعتمادها في التفسير، فألفت تفاسير كثيرة في القديم والحديث تحمل معاني الألفاظ على مجرد ما يراد بها في اللغة دون النظر إلى سياق الخطاب القرآني المقامي والمقالي، بينما ظهرت تفاسير أخرى تعنى بالمعاني التركيبية التي تحمل عليها آيات الذكر الحكيم بشكل يثبت معاني لا

---

[1]- مقدمة التحرير والتنوير- المقدمة الثانية في استمداد علم التفسير.

[2]- فقه اللغة وأسرار العربية. الثعالبي- ص: 29.

[3]- البرهان في علوم القرآن - الزركشي- 292/1.

يحتملها اللفظ المفرد، ومن ذلك بعض تفاسير الفرق الإسلامية التي تتخذ من هذا النوع من التفسير وسيلة لتأكيد مواقف معينة، ومنه أيضا بعض ما جاء في التفسير الإشاري.

وهذا التباين كان أحد أسباب الاختلاف في التفسير بين العلماء، قال ابن تيمية مبينا أسباب هذا الاختلاف: "وأما النوع الثاني من مستندي الاختلاف، وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين (...) إحداهما: قوم اعتقدوا معاني، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها، والثانية: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه، والمخاطب به"[1].

وقال أحد الدارسين عند حديثه عن اعتماد التفسير على اللغة:

"فكانت مناهج التفسير من زاوية نظر لغوية ثلاثة أصناف: ما كان المنهج فيه معولا على اللغة تعويلا كليا وذلك هو المنهج اللغوي في تفسير القرآن، وما كان على نقيض ذلك معرضا عن اللغة إعراضا تاما من قبيل التفسير الباطني، وما كان في منزلة بين المنزلتين مستعينا باللغة غير مقتصر عليها وهو نوعان: أن تتقدم اللغة على غيرها، ومنه المنهج الاعتزالي، وأن تتأخر الأداة اللغوية على غيرها من الأدوات ومنه التفسير بالمأثور كتفسير الطبري"[2]

وعموما، فقد اتفق المفسرون على أن التفسير لا يتم إلا بالفهم الصحيح لألفاظ الكتاب الحكيم ومصطلحاته، لأن المصطلحات هي مفاتيح العلوم، وهذا لا يكون إلا بالرجوع إلى أصلها اللغوي الذي عرفت به قبل استعمالها في القرآن الكريم وقبل تلك الزيادة في دلالتها اللغوية حتى تصبح لها دلالة اصطلاحية جديدة كما قال ابن فارس: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم، وآدابهم، ونسائهم، وقرابينهم. فلما جاء الله جل ثناؤه

---

[1]- مقدمة في أصول التفسير. 72/71. ثم بين أن نشوء الفرق من خوارج وروافض وغيرهما إنما كان مرده لهذا النوع من الاختلاف ص:73

[2]- قضايا اللغة في كتب التفسير- المنهج التأويل الإعجاز- الهادي الجطلاوي- ص:13 .

بالإسلام، حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى، بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول"[1]

وهذه الزيادات في مدلولات الألفاظ أدت إلى تطورها دلاليا مما أسبغ عليها هالة اصطلاحية إعجازية.

وعن العلاقة بين الاستعمال اللغوي والاستعمال القرآني للألفاظ نقل السيوطي قولين في المسألة قال: "وقال ابن برهان في كتابه في الأصول: اختلف العلماء في الأسامي؛ هل نُقلت من اللغة إلى الشرع؟ فذهبت الفقهاء والمعتزلة إلى أن من الأسامي ما نُقِل كالصَّوْم، والصلاة، والزكاة، والحج.

وقال القاضي أبو بكر: الأسماء باقيةٌ على وَضْعها اللُّغوي غير منقولة.

قال ابن برهان: والأولُ هو الصحيح"[2]

ثم قال: "وممن صَحَّح القول بالنقل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وألكيا؛ قال الشيخ أبو إسحاق: وهذا في غير لفظ الإيمان؛ فإنه مُبْقى على موضوعه في اللغة. قال: وليس من ضرورة النقل أن يكون في جميع الألفاظ، وإنما يكون على حسب ما يقومُ عليه الدليل.

وقال التاج السبكي: رأيت في كتاب الصلاة للإمام محمد بن نصر عن أبي عبيد: أنه استدلَّ على أن الشارعَ نَقَل الإيمان عن معناه اللُّغوي إلى الشرعي بأنه نقلَ الصلاة والحجّ وغيرهما إلى معانٍ أخر. قال: فما بالُ الإيمان؟ قال السبكي: وهذا يدلُّ على تخصيص محلِّ الخِلاف بالإيمان"[3].

[1]- الصاحبي في فقه اللغة- باب الأسماء الإسلامية.

[2]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها- السيوطي -298/1.

[3]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها- السيوطي ص:299.

ثم نقل رأيا ثالثا فقال: "وقال الإمام فخر الدين وأتباعه: وقع النقلُ من الشارع في الأسماء دون الأفعال والحروف؛ فلم يوجد النّقل فيهما بطريق الأصالة بالاسْتقْراء؛ بل بطريقِ التّبعيَّة؛ فإن الصلاةَ تستلزِمُ صَلّى.

قال الإمامُ: ولم يوجد النقلُ في الأسماء المترادِفة، لأنها على خلاف الأصْل؛ فتقدَّر بقدر الحاجة"[1].

يستفاد مما سبق أن هناك علاقة لا تنكر بين الأصل اللغوي للمصطلح وما أصبح عليه في الاستعمال القرآني، ومن هنا فلا يمكن التوصل إلى التفهم الدقيق لمعاني ألفاظ القرآن الكريم إلا بالرجوع إلى أصل استعمالها عند العرب قبل الاستعمال القرآني لها.

2- مآخذ المصطلحات وأهميتها في تفسير القرآن الكريم:

ا-لماذا المأخذ:

المأخذ على وزن مفعَل من الأخذ، جاء في لسان العرب: "الأَخْذ خلاف العطاء وهو أيضاً التناول"[2]

والمأخذ اسم مكان الفعل أخذ، لأن "اسم زمان الحدث ومكانه: يبنى على "مَفْعَل" بفتح الميم والعين"[3]

وعند تتبع استعمال هذا اللفظ وجدت من مشتقاته المستعملة بهذا المعنى لفظ "مأخوذ" كما أورده السهيلي عند حديثه عن نسب ثَقِيف الْأولِ ابْن إيَاد بْن معد، قال: "وَالْإِيَادُ فِي اللّغَةِ التّرَابُ الّذِي يُضَمّ إلَى الْخِبَاءِ لِيَقِيَهُ مِنْ السّيْلِ وَنَحْوِهِ وَهُوَ **مَأْخُوذٌ** مِنْ الْأَيْدِ وَهِيَ الْقُوّةُ لِأَنّ فِيهِ

---

[1]- نفسه 1/299-300.

[2]- لسان العرب/أخذ

[3]- المفتاح في الصرف- أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (المتوفى : 471هـ)

قُوَّةً لِلْخِبَاءِ"[1]، وقال في موضع آخر: "يُنَافِرُ أَيْ يُحَاكِمُ. قَالَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ: لَفْظُ الْمُنَافَرَةِ **مَأْخُوذٌ** مِنْ النّفر وَكَانُوا إذَا تَنَازَعَ الرّجُلَانِ وَادّعَى كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنّهُ أَعَزّ نَفَرًا مِنْ صَاحِبِهِ تَحَاكَمُوا إلَى الْعَلّامَةِ..."[2]

كما وجدت عند بعض المفسرين صورا من هذا الاستعمال على تفاوت في المعنى، فقد جاء المأخذ بصيغة الجمع: **مآخذ** عند المفسرين بمعنى **مآخذ** الماء في تفسيرهم للمصانع في قوله تعالى في سورة الشعراء على لسان هود عليه السلام: (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)[3]، غير أن ابن منظور لم يستعمل هذا اللفظ إفرادا ولا جمعا في هذا المعنى حيث قال: "والأَخْذُ ما حَفَرْتَ كهيئةِ الحوض لنفسك والجمع الأُخْذانُ تُمْسِكُ الماءَ أَياماً والإِخْذُ والإِخْذَةُ ما حفرته كهيئةِ الحوض والجمع أُخْذٌ وإِخاذ"

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا}: "أي: وتقول الملائكة للكافرين حَرَام محرم عليكم الفلاح اليوم".

ثم قال: "وقد حكى ابن جرير، عن ابن جُرَيْج أنه قال: ذلك من كلام المشركين: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ}، أي: يتعوذون من الملائكة؛ وذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة يقولون: {حِجْرًا مَحْجُورًا}" ثم قال متعقبا هذا القول: "وهذا القول -وإن كان له **مأخذ** ووجه-ولكنه بالنسبة إلى السياق في الآية بعيد"[4]

واستعمل المأخذ بمعنى مصدر الشيء عند العلماء كما نجده عند الزركشي بمعنى مصادر التفسير في قوله:

---

[1]- الروض الأنف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: 581هـ) 116/1.

[2]- نفسه -160/1.

[3]- سورة الشعراء الآية 129.

[4]- تفسير القرآن العظيم ا بن كثير 93/6.

"لطالب التفسير **مآخذ** كثيرة أمهاتها أربعة الأول النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ..."[1]

وبهذا المعنى استخدمه الفراهي في ما سماه بالمآخذ اللسانية عند حديثه عن مآخذ التفسير، قال: "فأما في سائر الألفاظ [يقصد المصطلحات غير الشرعية] وأساليب حقيقتها ومجازها **فالمأخذ** فيه كلام العرب القديم والقرآن نفسه، وأما كتب اللغة فمقصرة، فإنها كثيرا ما لا تأتي بحد تام ولا تميز بين العربي القح والمولد، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى فلا يدري ما الأصل، وما الفرع؟ وما الحقيقة وما المجاز؟فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب الله، ومن كلام العرب القديم الذي وصل إلينا ما هو منحول، وما هو شاذ، ولكن لا يصعب التمييز بين المنحول والصحيح على الماهر الناقد، فينبغي لنا أن لا نأخذ معنى القرآن إلا مما ثبت"[2]

فالمآخذ هنا عند الفراهي يقصد بها معنى قريب من المصادر، بدليل قوله بعد ذلك: "وأما باقي علوم اللسان كالنحو والمنطق والأصول والبيان والبلاغة والقافية، فالكتب المدونة فيها مع كثرة فوائدها، أشد تقصيرا من كتب اللغة لفهم القرآن"[3].

وأما المأخذ بالمعنى الخاص الذي أقصده في هذا البحث فكأنه يستشف من كلام الفراهي تسميته بلفظ "**جرثومة المعنى**" التي قال إن جملة كتب اللغة لا تهدي إليها: "فلا يدري ما الأصل، وما الفرع؟ وما الحقيقة وما المجاز؟.

ويقرب من معنى المأخذ المراد في هذا البحث قول ابن عاشور: "والنفس الواحد من الناس لأنه صاحب نفس أي روح وتنفس وهي **مأخوذة** من التنفس "ثم قال:"اختلف في جواز

---

[1]- البرهان في علوم القرآن 156/2.

[2]- نظام القرآن – الفراهي ص:32- المقدمة الثالثة

[3]- نفسه 32-33.

إطلاق النفس على الله وإضافتها إلى الله فقيل يجوز[...] وقيل: لا يجوز إلا للمشاكلة [...]ولظاهر الجواز ولا عبرة بأصل **مأخذ** الكلمة من التنفس"[1]

وجاء في تفسير المنار أثناء الكلام عن تسمية الله تعالى بأسماء لم يسم بها نفسه كاسم الصانع: وَلِلصَّانِعِ **مَأْخَذٌ** مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّمْلِ: (صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)[2] عِنْدَ مَنْ يَقُولُ بِجَوَازِ مِثْلِهِ وَهُوَ ضَعِيفٌ"[3]

وقد استعمل الدكتور الشاهد البوشيخي لفظ المأخذ في كتابه مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ، وذلك ضمن مراحل الدراسة المعجمية التي هي أحد أركان الدراسة المصطلحية حيث قال واصفا هذا النوع من الدراسة: "دراسة ما وقع عليه الاختيار من المواد الاصطلاحية بالمعاجم اللغوية فالاصطلاحية [...] دراسة تضع نصب عينيها مدار المادة علامه؟ ومأخذ المستعمل اصطلاحيا ممه؟ وشرح المصطلح-إن كان قد تُعُرض له-بمه؟"[4]

من خلال النماذج السابقة يتضح أن المأخذ استعمل بعدة معاني، لكن المعنى الذي أستعمله به في هذه الدراسة، قريب من أصل الكلمة أو اللفظ محل الدرس، وأقصد بالأصل هنا أول استعمال للفظ ما عند العرب قبل أن يستعمل استعمالا مجازيا أو اصطلاحيا على السواء، أما المدار الذي جاء في كلام الدكتور الشاهد البوشيخي فيشبه أن يكون هو القدر المشترك من معنى المصطلح بين سائر استعمالاته، أو هو أصل اللفظ بمعناه عند ابن فارس في كتاب المقاييس، والعلاقة بين المأخذ والأصل بمعناه عند ابن فارس هي علاقة إثبات واستدلال كما سيأتي، أي أن

1- التحرير والتنوير عند تفسير الآية 72 من سورة البقرة.

2- النمل 90.

3- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - محمد رشيد رضا (المتوفى : 1354هـ) -9/370.

4- مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ - الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي ص:16.

المأخذ يعين على تحديد الأصل من جهة، ويكون دليلا على صحته من جهة ثانية، وأصل اللفظ يطلق عليه أيضا اسم الجذر، وجذر الكلمة "حروفها الأصلية التي تحمل معناها الأساسي[1]، والتي لا تغيب في جميع مشتقات الكلمة أو تصريفاتها"[2].

وقال ابن فارس عن أصل الكلمة: إنَّ لِلُغةِ العرب مقاييسَ صحيحةً، وأصولاً تتفرّع منها فروع. وقد ألَّف النَّاسُ في جوامع اللغة ما ألَّفوا، ولم يُعربوا في شيءٍ من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول. والذي أوْمَأْنا إليه بابٌ من العلم جليلٌ، وله خطرٌ عظيمٌ. وقد صدَّرْنا كلَّ فصل بأصله الذي يتفرّع منه مسائلُه"[3]

من خلال كلام ابن فارس يكون معنى المدار هو ما تجتمع عليه الفروع أو ترد إليه حيث نجد ابن فارس يبدأ في كل لفظ بذكر أصله أو أصوله، ثم يتبعها بقول العرب، وهو المأخذ، ثم يستدل على ذلك في الغالب بأشعار العرب المشتملة على استعمالهم للفظ موضع الشرح، ثم بتتبع باقي استعمالات جذر اللفظ رادا لها إلى أصولها التي انطلق منها، ومثبتا وجه علاقتها بالأصل الذي ردها إليه، وهذا مثال عن هذا التناول من كتاب المقاييس:

"(غل) الغين واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على **تخلل** شيءٍ، وثباتِ شيء، كالشيء **يُغْرَزُ**.

من ذلك قول العرب: غَلَلْتُ الشَّيء في الشّيء، إذا أثبتَّه فيه، كأنه غَرزْتَه. قال:

وعينٌ لها حَدْرةٌ بَدْرَةٌ *** إلى حاجب غُلَّ فيه الشّفر

والغُلّة والغَليل: العَطَش. وقيل ذلك لأنَّه كالشَّيء **ينْغلُّ في الجَوف** بحرارة. يقال بَعيرٌ غَلاَّنٌ، أي ظَمْآن. والغَلَل: الماء الجاري بين الشَّجر.

---

[1]- الأصوب: الأساس.

[2]- معجم الألفاظ والقراءات –مقال إلكتروني- الدكتور/أحمد مختار عمر- أستاذ بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة وعضو بمجمعي اللغة العربية بمصـــر وليبيا.

[3]- مقاييس اللغة- ابن فارس.

ومنه الغُلول في الغُنم، وهو أن يخفَى الشَّيء فلا يردَّ إلى القَسْم، كأنَّ صاحبَه قد **غَلّه بين ثِيابه**.

ومن الباب الغِلُّ، وهو الضِّغْن **ينْغَلُّ في الصَّدر**"[1].

وتبرز أهمية التكامل بين المأخذ والأصل في تحديد المعنى في صنيع ابن فارس، الذي ينبني على إثبات أحدهما بالآخر في انسجام واضح بينهما، ولعل هذا التكامل هو أحد أسباب تميزه ودقة نتائج عمله، ذلك أنه متى تم إغفال المأخذ غابت الدقة في تحديد أصل الكلمة، وسأورد مثالا على ذلك من كتاب التحقيق في كلمات القرآن للعلامة المصطفوي، فهو على أهميته وعظيم فائدته، إلا أنه في بعض الأحيان تنقصه الدقة في تحديد أصل الكلمة بسبب إغفاله لمأخذها وأصل استعمالها عند العرب، واخترت مثالا على ذلك ما قاله عن مادة دسر:

فبعد ما أورد قول ابن فارس الذي يرجع أصل الدسر إلى الدفع، معتمدا في ذلك قول العرب: "دَسَرْتُ الشّيءَ دَسْرَا، إذا دَفَعتَه دَفْعاً شديداً. وفي الحديث: ليس في العَنْبَر زَكاةٌ، إنّما هو شيءٌ دسرَه البَحرُ".

وبعد ما أورد ما جاء في التهذيب من أن الدسر هو الطعن والدفع الشديد، قال:

"والتحقيق أن الأصل الواحد في هذه المادة هو الطعن، وباعتبار هذا المفهوم يطلق على مصاديقه وفي كل ما يطعن أو يتحقق به الطعن أو هو وسيلته، كالجمل الضخم القوي الذي من شأنه أن يكون طاعنا ولو بالقوة، وكالرمح الصادق فيه إنه مِدْسر، وكالكتيبة التي من شأنها إيراد الطعن والضربة، وكالمسمار الذي يُصنع بهذا المنظور، وكالخيط الذي ينوب مناب

---

[1]- مقاييس اللغة/غل.

المسمار، ويطلق أيضا بهذه المناسبة على السفينة نفسها الطاعنة للماء وعلى صدرها المواجهة له، وعلى أمواج البحر الطاعنة بعضها البعض بشدة."[1]

وإذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية فإنها تكاد تجمع على أن أبرز معاني الدسر هو الدفع، قال الجوهري:"والدَسْرُ: الدَفْعُ. قال ابن عباس رضي الله عنهما في العَنْبَرِ: إنَّما هو شيءٌ يَدْسُرُهُ البَحْر دَسْراً، أي يَدْفَعُه. ودَسَرَه بالرُمْحِ."[2]

وقال في اللسان: وقال الزجاج كل شيء يكون نحو السَّمْرِ وإِدخال شيء في شيء بقوَّة فهو الدَّسْرُ يقال دَسَرْتُ المسمار أَدْسُرُه وأَدْسِرُهُ دَسْراً"[3]

وقال ابن فارس: "الدال والسين والراء أصلٌ واحد يدلُّ على الدَّفْع. يقال دَسَرْتُ الشّيءَ دَسْرًا، إذا دَفَعتَه دَفْعاً شديداً. وفي الحديث: "ليس في العَنْبَر زَكاةٌ، إنّما هو شيءٌ دسرَه البَحرُ[4]"، أي رماهُ ودفع به. وفي حديث عُمَر: "إنّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم أن يُؤخَذ الرّجلُ فيُدْسَر كما تُدسَر الجَزور"، أي يُدفَع.

ومن الباب: دَسَره بالرُّمح، ورمْح مِدْسَر. قال:

بِرُكْنِهِ أرْكَان دَمْخٍ لانْقَعَرْ *** عَنْ ذي قَدَامِيسَ لُهَامٍ لو دَسَرْ

أي لو دَفَعَها. ويقال للجمل الضّخْم القويّ: دَوْسَري. ودَوْسَر: كتيبة؛ لأنّها تدفع الأعداء"[5].

[1] - التحقيق في كلمات القرآن- المصطفوي 230/3.

[2] - الصحاح في اللغة- الجوهري/دسر.

[3] - لسان العرب/دسر .

[4] -أخرجه البيهقي في السنن الكبرى من قول ابن عباس رضي الله عنهما-حديث رقم: 7593-باب ما لا زكاة فيه مما أخذ من البحر من عنبر وغيره.

[5] - المقاييس/دسر .

كما تورد بعض المعاجم الطعن إضافة إلى الدفع في معنى الدسر، غير أن الطعن يحمل على أنه نوع مخصوص من الدفع، ومما يدل على ذلك ما قاله المصطفوي نفسه في مادة طعن، متبعا رأي ابن فارس الذي يرجع مادة طعن إلى أصل واحد "هو النَّخْس في الشَّيءِ بما يُنْفِذُهُ، ثمّ يُحْمَل عليه ويستعار"[1] قال المصطفوي: "والتحقيق أن الأصل الواحد في هذه المادة هو ضرب نقطة من شيء أو على شيء بقصد الإنفاذ فيه والإضرار سواء كان ماديا أو معنويا، فيقال طعنت زيدا بالرمح وطعنت عليه بالقول واللسان" ثم قال: "فلا بد من ملاحظة القيود المذكورة وإلا فيكون مجازا"[2]

كما أن قوله عن الطعن إنه "ضرب نقطة من شيء أو على شيء بقصد الإنفاذ فيه والإضرار" لا يتناسب مع قوله عن الدسر بأنه الطعن عندما قال: "ويطلق أيضا بهذه المناسبة على السفينة نفسها الطاعنة للماء وعلى صدرها المواجهة له، وعلى أمواج البحر الطاعنة بعضها البعض بشدة" إذ لا يتوفر في هذين الاستعمالين ما سبق تحديده من قيود في معنى الطعن، ومنها ضرب نقطة من شيء، وقصد الإنفاذ والإضرار.

هذا ويعد كتاب مقاييس اللغة لابن فارس من أهم الكتب الرائدة في مجال تحديد أصول الألفاظ، بل لعله أول كتاب في هذا المجال كما ذكر محققه عبد السلام هارون في تقديمه للكتاب، قال: "على أن ابن فارس في كتابه هذا "المقاييس"، قد بلغ الغاية في الحذق باللغة، وتكنُّه أسرارها، وفهم أصولها؛ إذ يردُّ مفرداتِ كل مادة من مواد اللغة إلى أصولها المعنوية

---

[1]- المقاييس/طعن.

[2]- التحقيق في كلمات القرآن- المصطفوي 94/7 .

المشتركة فلا يكاد يخطئه التوفيق. وقد انفرد من بين اللغويين بهذا التأليف، لم يسبقه أحدٌ ولم يخْلُفْه أحد."[1]

وأشار إلى أن الفكرة قد أوحى له بها أستاذه ابن دريد (ت 321)، قال: "وأرى أن صاحبَ الفضل في الإيحاء إليه بهذه الفكرة العبقرية هو الإمام الجليل أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد؛ إذ حاول في كتاب "الاشتقاق" أن يرد أسماء قبائل العرب وعمائرها، وأفخاذها وبطونها، وأسماء ساداتها وثُنيانها، وشعرائها وفرسانها وحكامها، إلى أصول لغوية اشتُقَّت منها هذه الأسماء"[2].

ب- أهمية العناية بمآخذ المصطلحات في تفسير القرآن الكريم:

إننا لنحتاج في عصرنا إلى تفسير القرآن الكريم بما يفي بحاجات العصر ويتوافق مع مقاصد الشرع، وفي هذا قد يظهر أن المعاني التي فسرت بها بعض الألفاظ لا تلامس هذا المقصد، ولذلك نحتاج إلى تجديد التفسير لتحقيق هذا الغرض، ولكن بضوابط لا تبعدنا عن مراد الله عز وجل، ومن هذه الضوابط ما يؤخذ من كلام ابن عاشور حيث قال في المقدمة الرابعة بعد ذكر مقاصد القرآن: "فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ"[3]

كما أنه "لا يمكن فك مغاليق أيّ نص لغوي دون تحليله إلى مكوناته الأساسية: اللفظية والدلالية، التي تتدخل لتحديد معاني ألفاظه، والتي تشمل جذر الكلمة، ووزنها أو صيغتها

---

[1]- من كلام المحقق في تقديمه للكتاب.

[2]- نفسه.

[3]- التحرير والتنوير -ابن عاشور – المقدمة الرابعة

الصرفية، ونوعها أو جنسها النحوي الذي تنتمي إليه، والمعنى المعجمي للفظ محكوما بسياقاته الواقعية، ومصاحباته اللفظية التي ورد فيها"[1].

وقبل الحديث عن أهمية اللغة في تحديد المعنى لا بد من الإشارة إلى ما يتعلق بحجية التفسير بالرأي للعلاقة بينهما، واستمداد هذا النوع من التفسير من اللغة وتوقفه عليها.

*** معنى التفسير بالرأي وحجيته:**

لن أتوقف طويلا عند معنى التفسير بالرأي وحجيته، بل سأكتفي ببعض الإشارات المناسبة لموضوع هذه الدراسة:

- فالرأي في اللغة مخصوص بما يتوصل إليه الإنسان بعد تفكر وتأمل، قال ابن القيم في اعلام الموقعين:

"الرأي في الأصل مصدر رأى الشيء يراه رأيا، ثم غلب استعماله على المرئي نفسه من باب استعمال المصدر في المفعول كالهوى في الأصل مصدر هويه يهواه هوى ثم استعمل في الشيء الذي يهوى فيقال: هذا هوى فلان، والعرب تفرق بين مصادر فعل الرؤية بحسب محالها فتقول: رأى كذا في النوم رؤيا، ورآه في اليقظة رؤية، ورأى كذا لما يعلم بالقلب ولا يرى بالعين رأيا، ولكنهم خصوه بما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الإمارات، فلا يقال لمن رأى بقلبه أمرا غائبا عنه مما يحس به أنه رأيه ولا يقال أيضا للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول ولا تتعارض فيه الإمارات إنه رأى وإن احتاج إلى فكر وتأمل كدقائق الحساب ونحوها"[2].

---

[1]- معجم الألفاظ والقراءات ص: 22 الدكتور/أحمد مختار عمر أستاذ بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة

[2]- أعلام الموقعين عن رب العالمين- ابن قيم الجوزية -53/1.

- والتفسير بالرأي يجعله كثير من العلماء مقابلا للتفسير بالمأثور، ومن تعاريفهم له: "هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومفاهيمهم في القول، ومعرفته للألفاظ ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب الترول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر"[1]

- وخير من يستدل بقوله في التفسير بالرأي، الإمام الطبري الذي يصنف تفسيره بأنه تفسير بالمأثور[2] ومع ذلك فهو يقول:

"وفي حَثِّ الله عز وجلّ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات - بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [سورة ص: 29] وقوله: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [سورة الزمر: 27، 28] وما أشبه ذلك من آي القرآن، التي أمر الله عبادَه وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتِّعاظ بمواعظه- ما يدلّ على أنّ عليهم معرفةَ تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آيه".

ثم قال: "قد قلنا فيما مَضى من كتابنا هذا في وُجوه تأويل القرآن، وأن تأويل جميع القرآن على أوجهٍ ثلاثة:

أحدها لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، وحَجبَ علمه عن جميع خلقه [...]، والوجه الثاني: ما خصَّ الله بعلم تأويله نبيَّه صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته، وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجةُ، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويلَه.

---

[1]- عبد السلام عبد الشافي محمد - من مقدمة تحقيقه للمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - ص:18 .

[2]- الحقيقة أن في تفسير الطبري جانب عظيم من الرأي يظهر في ترجيحاته بين الأقوال المأثورة التي ينقلها ثم يختار منها برأيه.

والثالث منها: ما كان علمهُ عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، لا يُوصَل إلى علم ذلك إلا من قِبَلهم[1]".

من خلال كلام الطبري نستخرج تقسيمات التفسير وهي:

الأول- ما لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، وحَجبَ علمه عن جميع خلقه.

الثاني- ما خصَّ الله بعلم تأويله نبيَّه صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته، ومن شرط صحته أمران:

- إما النقل المستفيض
- أو بنقل العدول الأثبات.

وهذا النوع من التفسير قليل كما أثبت ذلك ابن عاشور قائلا: "قال الغزالي والقرطبي: لا يصح أن يكون كل ما قاله الصحابة في التفسير مسموعا من النبي صلى الله عليه وسلم لوجهين: أحدهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه من التفسير إلا تفسير آيات قليلة وهي ما تقدم عن عائشة. الثاني أنهم اختلفوا في التفسير على وجوه مختلفة لا يمكن الجمع بينها. وسماع جميعها من رسول الله محال، ولو كان بعضها مسموعا لترك الآخر"[2]

الثالث- ما كان علمهُ عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، لا يُوصَل إلى علم ذلك إلا من قِبَلهم.

وأصح تأويل في ما يتعلق بهذا النوع الثالث ما كان مدركا علمه من جهة اللسان وذلك بأمرين:

---

[1]- جامع البيان في تأويل القرآن- ابن جرير الطبري- مقدمة التفسير.

[2]- المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور.

- الشواهد من أشعار العرب.

- منطق العرب ولغاتهم المستفيضة المعروفة.

وشرط هذا النوع من التفسير ألا يكون خارجا عن أقوال السلف من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة، حيث قال عن المفسرين المعتمدين في تفسيرهم على اللسان: "وأصحُّهم برهانًا -فيما ترجَم وبيّن من ذلك- مَمَا كان مُدركًا علمُه من جهة اللسان: إمّا بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإمّا من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائنًا من كان ذلك المتأوِّل والمفسِّر، بعد أن لا يكون خارجًا تأويلُه وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة"[1].

لكن هذا القيد الأخير لا يفهم منه المطابقة لما جاء عن السلف بقدر ما يفهم منه عدم المخالفة لما ورد عنهم، بمعنى أنه يمكن للمفسر أن يتأول لفظا على معنى خاص لم يقل به من سبقه، شرط ألا يكون هذا القول ملغيا لما سبقه، ويمكن الاستدلال على هذا الفهم بما قاله ابن عاشور في المقدمة الثالثة من مقدمات تفسيره، قال:

"فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ"[2]

ثم قال في موضع آخر في خاتمة المقدمة التاسعة مبينا أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن، تعتبر مرادة بها: "وعلى هذا القانون يكون طريق الجمع بين المعاني التي يذكرها المفسرون، أو ترجيح بعضها على بعض، وقد كان المفسرون غافلين عن تأصيل هذا الأصل فلذلك كان الذي يرجح معنى من المعاني التي يحتملها لفظ آية من القرآن، يجعل غير ذلك المعنى

[1]- جامع البيان في تأويل القرآن- ابن جرير الطبري- مقدمة التفسير.

[2]- التحرير والتنوير-ابن عاشور – المقدمة الرابعة.

ملغى. ونحن لا نتابعهم على ذلك بل نرى المعاني المتعددة التي يحتملها اللفظ بدون خروج عن مهيع الكلام العربي البليغ، معاني في تفسير الآية"[1].

وقال في المقدمة الثالثة:

"إن قلت: أتراك بما عددت من علوم التفسير تثبت أن تفسيرا كثيرا للقرآن لم يستند إلى مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه، وتبيح لمن استجمع من تلك العلوم حظا كافيا وذوقا ينفتح له بهما من معاني القرآن ما ينفتح عليه، أن يفسر من آي القرآن بما لم يؤثر عن هؤلاء، فيفسر بمعان تقتضيها العلوم التي يستمد منها علم التفسير"

[أجاب]: "قلت: أراني كما حسبت أثبت ذلك وأبيحه، وهل اتسعت التفاسير وتفننت مستنبطات معاني القرآن إلا بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله. وهل يتحقق قول علمائنا إن القرآن لا تنقضي عجائبه إلا بازدياد المعاني باتساع التفسير؟ ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصرا في ورقات قليلة. وقد قالت عائشة: ما كان رسول الله يفسر من كتاب الله إلا آيات معدودات علمه جبريل إياهن كما تقدم في المقدمة الثانية"[2].

لعل ما سبق يقطع بحجية التفسير بالرأي متى كان هذا التفسير يندرج ضمن ما سموه بالتفسير بالرأي المحمود الذي يدخل في باب الاجتهاد، ومتى توفرت فيه شروطه كما حددوها وتعارفوا عليها، وذلك من شأنه أن يثري الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم من جهة، وأن يجيب عن تساؤلات كل عصر ويوجه الناس بهداياته المناسبة لكل زمان ومكان، وتلك هي طبيعة هذا الذكر الحكيم.

---

[1] - التحرير والتنوير- المقدمة التاسعة : في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن، تعتبر مرادة بها-

[2] - مقدمة التحرير والتنوير - ابن عاشور- المقدمة الثالثة

قال أحد الدارسين: "تمثل عملية تفسير القرآن تجربة في قراءة النص فريدة من نوعها، إذ لا نظن أنه يوجد في الحضارة العربية من النصوص ما استقطب من الاهتمام وتعدد القراءة وتنوع الأقوال كالذي استقطبه النص القرآني، ومرد ذلك إلى أمور فيه مميزة نذكر منها أنه نص سماوي وأنه نص دين وتشريع وأنه نص معجز وأن فيه من الخصائص الأسلوبية ما يهيئه لاختلاف الفهم وتعدد التأويل"[1]

ولعل من أهم العلوم، علوم القرآن، التي أوحى بها الاهتمام بالنص القرآني، والتي لها علاقة باللغة والمأخذ، علم الوجوه والنظائر، والأضداد، والقراءات. وأعني باللغة هنا خاصة الجانب المعجمي أو ما عرف في مرحلة سابقة بغريب القرآن.

وسأحاول تبيين دور مآخذ المصطلحات في الخروج من كثير من الإشكالات التي طرحت في الدراسات المختلفة لألفاظ القرآن الكريم على مستوى الوجوه والنظائر والتضاد على وجه الخصوص، على أن أتبع كل مسألة بتطبيق توضيحي لما أرمي إليه في هذا البحث من بيان أهمية المأخذ اللغوي في التفسير:

*** تطبيقات على ضوء بعض أنواع علوم القرآن:**

- علم الوجوه والنظائر:

قال ابن الجوزي :إن "معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة

---

[1]- قضايا اللغة في كتب التفسير - الهادي الجطلاوي ص:201

بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه. فإذن النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر"[1]

وقال الزركشي في البرهان: "فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة، والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني، وضُعّف، لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجوه نوعا لأقسام والنظائر نوعا آخر كالأمثال"[2]

يلاحظ أن صاحب البرهان نقل تضعيف ما قال به ابن الجوزي، وعرف النظائر بأنها غير الوجوه، بل قال إنها كالألفاظ المتواطئة، وإذا رجعنا إلى تعريف ابن الجوزي فهو يذكر هذا التعريف وكأنه يسميه بالوجوه والنظائر غير الحقيقية في مقابل الوجوه والنظائر الحقيقية السابقة في تعريفه حيث يقول: "وقد تجوز واضعوها فذكروا كلمة واحدة معناها في جميع المواضع واحد. كالبلد، والقرية، والمدينة، والرجل، والإنسان، ونحو ذلك. إلا أنه يراد بالبلد في هذه الآية غير البلد في الآية الأخرى وبهذه القرية غير القرية في الآية الأخرى. فحذوا بذلك حذو الوجوه والنظائر الحقيقية".

وقد جعل ابن فارس هذا النوع من المشكل حيث قال في باب مراتب الكلام فِي وُضوحه وإشكاله:

"أما واضح الكلام – فالذي يفهمه كلّ سامع عرَف ظاهرَ كلام العرب.[....] وأما المشكل، فالذي يأتيه الإشكال من غَرابة لفظه، أَوْ أن تكون فِيهِ إشارة إِلَى خبر لَمْ يذكره قائلهُ

[1]- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر – جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى : 597هـ)

[2]- البرهان في علوم القرآن – الزركشي- 102/1.

عَلَى جهته، أَوْ أن يكون الكلام فِي شيء غير محدود، أَوْ يكون وَجيزاً فِي نفسه غير مَبْسوط، أَوْ تكون ألفاظه مُشتركةً"[1].

– وفي علاقة هذا العلم باللغة وتكاملهما في التفسير يقول الإمام الزركشي: "وينبغى العناية بتدبر الألفاظ كى لا يقع الخطأ كما وقع لجماعة من الكبار"[2] إلى أن قال: "واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر"[3]

غير أن كثيرا مما ذكره العلماء في باب الوجوه والنظائر ينطوي على مبالغة شديدة تحول أحيانا دون الوقوف على المعنى الذي تدل عليه هذه المفردات، والحقيقة أنه يمكن رد معاني الكثير من هذه المفردات إلى معنى واحد، حيث يمكن أن نجد لهذا التعدد في المعنى مخرجا برد اللفظ إلى أصله ومأخذه اللغوي اعتمادا على ما جاء في كتاب المقاييس مثلا، وأذكر على ذلك مثالين:

* جاء في الإتقان أن " الهدى يأتي على سبعة عشر وجهاً. بمعنى الثبات: اهدنا الصراط المستقيم. والبيان: أولئك على هدى من ربهم. والدين: إن الهدى هدى الله. والإيمان: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى. والدعاء: ولكل قوم هاد. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا. وبمعنى الرسل والكتب: فإما يأتينكم مني هدى. والمعرفة: وبالنجم هم يهتدون. وبمعنى النبي صلى الله عليه وسلم: إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى. وبمعنى القرآن: ولقد جاءهم من ربهم الهدى، والتوراة، ولقد آتينا موسى الهدى. والاسترجاع. وأولئك هم المهتدون. والحجة: لا يهدي القوم الظالمين بعد قوله تعالى – ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه – أي لا يهديهم

[1]– الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى : 395هـ)

[2]– البرهان في علوم القرآن– الزركشي 294/1.

[3]– البرهان – الزركشي 295/1.

حجة. والتوحيد: إن نتبع الهدى معك. والسنة: فبهداهم اقتده. وإنا على آثارهم مهتدون. والإصلاح: إن الله لا يهدي كيد الخائنين. والإلهام: أعطى كل شيء خلقه ثم هدى: أي ألهم المعاش. والتوبة: إنا هدنا إليك. والإرشاد: أن يهديني سواء السبيل."[1]

وقال ابن فارس: "الهاء والدال والحرف المعتلّ: أصلانِ [أحدهما] التقدُّمُ للإرشاد، والآخر بَعثة لَطَفٍ.

فالأوَّل قولُهم: هدَيتُه الطَّريق هِدايةً، أي تقدّمتُه لأرشدَه. وكلُّ متقدِّمٍ لذلك هاد [..]وينشعب هذا فيقال: الهُدَى: خِلافُ الضَّلالة. تقول: هَدَيته هُدىً. ويقال أقبلَتْ هَوادِي الخيل، أي أعناقها، ويقال هاديها: أوّلُ رَعِيل منها، لأنّه المتقدِّم. والهادِيَةُ: العصا، لأنَّها تتقدَّم مُمسِكَها كأنَّها تُرشِده.

ومن الباب قولهم: نَظَر فلانٌ هَدْيَ أمرِهِ أي جِهتَه، وما أحسَنَ هِدْيَتَهُ، أي هَدْيَه. ويقولون: جاء فلان يُهادِي بين اثنَين، إذا كان يمشي بينهما معتمداً عليهما. ورَمَيْتُ بسهمٍ ثمَّ رميتُ بآخَرَ هُدَيَّاه، أي قَصْدَه.

والباب في هذا القياس كلّه واحد.

والأصل الآخر الهَدِيّة: ما أهدَيْتَ من لَطَف إلى ذي مَودَّة "[2].

إذا اعتمدنا الأصل الأول الذي هو التقدم للإرشاد، ومأخذ اللفظ من قولهم: "هدَيتُه الطَّريق هِدايةً، أي تقدّمتُه لأرشدَه" فإنه يصلح تفسيرا لكل ما ذكره السيوطي، فقوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) مثلا، يمكن أن يحمل على معنى الإرشاد إلى الطريق المستقيم، وقوله سبحانه: (أولئك على هدى من ربهم)، يحمل على أنهم متبعون للطريق الذي أرشدهم إليه ربهم

---

[1] - الإتقان في علوم القرآن-143/1.

[2] - مقاييس اللغة/هدي

بكتابه، وهكذا في باقي الوجوه التي ذكرها، فيكون الانطلاق من أصل الكلمة مع ربطها بسياق الآية ليتوصل إلى معنى اللفظ فيها، والله تعالى أعلم وأحكم.

وما قيل عن الهدى يمكن أن يقال عن العدل في المثال الموالي:

قال ابن الجوزي: "وذكر بعض المفسرين أن العدل في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: الفداء. ومنه قوله تعالى في البقرة: (ولا يؤخذ منها عدل)، وفي الأنعام: (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها).

والثاني: الإنصاف. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: (فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة)، وفيها: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم).

والثالث: القيمة. ومنه قوله تعالى في المائدة: (أو عدل ذلك صياما)، أراد: أو قيمة ذلك بصيام والرابع: الشرك. ومنه قوله تعالى في الأنعام: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) والخامس: التوحيد. ومنه قوله تعالى في النحل: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)، قيل أراد بالعدل: كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله"[1].

وقال ابن فارس: "العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنَّهما متقابلان كالمتضادَّين: أحدُهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج.

فالأول العَدْل من النَّاس: المرضيّ المستوِي الطّريقة. يقال: هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ. قال زهير:

متىٰ يَشتجرْ قوم يقلْ سَرَوَاتُهم *** هُم بيننا فهمْ رِضاً وهُمُ عدلُ

وتقول: هما عَدْلانِ أيضاً، وهم عدول وإن فلاناً لعَدْلٌ بيِّن العَدْل والعُدولة. والعَدْل: الحكم بالاستواء. ويقال للشَّيء يساوي الشيء: هو عِدْلُه. وعَدلْتُ بفلانٍ فلاناً، وهو يُعادِله. والمُشْرِك يَعدِل بربِّه، تعالى عن قولهم عُلُوّاً كبيراً، كأنه يسوِّي به غيره.

[1]- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى : 597هـ)

ومن الباب: العِدْلان: حِمْلا الدَّابّة، سمِّيا بذلك لتساويهما. والعَديل: الذي يعادلك في المحمل. والعَدْل: قِيمة الشيء وفِدَاؤُه. قال الله تعالى: {وَلاَ يُقبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ} [البقرة 123]، أي فِدْية. وكلُّ ذلك من المعادَلة، وهي المساواة."[1]

ويكفي في هذا المثال أن أقارن ما قاله ابن الجوزي في علاقة العدل بالشرك بما قاله ابن فارس عن اللفظين، قال ابن الجوزي: "والرابع : الشرك. ومنه قوله تعالى في الأنعام: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)"، بينما قال ابن فارس: "والعَدْل: الحكم بالاستواء. ويقال للشَّيء يساوي الشيء: هو عِدْله. وعَدلْتُ بفلانٍ فلاناً، وهو يُعادِله. والْمُشْرِك يَعدِل بربِّه، تعالى عن قولهم عُلُوّاً كبيراً، كأنه يسوِّي به غيره".

هذا ولقد جربت مسألة أهمية الرجوع إلى مأخذ اللفظ في تحديد معناه بالبحث عن معنى قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿سَأُوريكُم دارَ الفاسِقين سأصْرِفُ عن آياتي الذين يَتكبَّرونَ في الارْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾[الأعراف 145-146]، فقد اختلف المفسرون في معنى (دار الفاسقين) اختلافا كبيرا إذ منهم من قال إن المقصود بها: مصر التي هي دار فرعون وقومه أو المقصود منازل عاد وثمود وقائل إن المقصود الشام وقائل إن المقصود بها نار جهنم... ومعظمهم حمل (الدار) على معنى المترل، بينما حملها بعضهم على المصير المتمثل في نار جهنم، وقال مقاتل إن المقصود بدار الفاسقين سنة أهل مصر، ولقد جمع الماوردي هذه الأقوال فقال: {سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ} فيها أربعة أقاويل:

أحدها: هي جهنم، قاله الحسن، ومجاهد.

والثاني: هي منازل من هلك بالتكذيب من عاد وثمود والقرون الخالية، لتعتبروا بها وبما صاروا إليه من النكال، قاله قتادة.

2 – مقاييس اللغة /عدل.

والثالث: أنها منازل سكان الشام الجبابرة والعمالقة.

والرابع: أنها دار فرعون وهي مصر"[1].

وبعد تأمل هذا الاختلاف بينهم وتدبر للآية الكريمة بحثت عن معنى يشمل هذه المعاني كلها وله سند لغوي فاتضح لي أنه يمكن حمل "سأريكم دار الفاسقين" على معنى العاقبة لأن الآية جاءت في سياق الوعيد لمن زاغ عن منهاج الله من بني إسرائيل ممن كان مع موسى عليه السلام فخالف عن أمره، وهي توحي بالوعيد بعاقبة خاصة بالفاسقين، وهي عاقبة محققة الوقوع، وقد تكون متمثلة في الصرف عن آيات الله، فيكون قوله تعالى (سأصرف) مفسرا لقوله: (سأوريكم دار الفاسقين)، ويكون لفظ: (دار) بمعنى العاقبة، ويكون المقصود بالفاسقين كل من السابقين واللاحقين منهم، لأن الوعيد لا يتحقق فقط برؤية هذه العاقبة متحققة في من سبق منهم، بل يتحقق بتعرض من يتم تهديدهم لنفس العاقبة، وهي الصرف عن آيات الله المؤدي إلى سوء المصير في الآخرة، وبذلك يمكن حمل الدار على معنى العاقبة، أو الدوران الذي يكون للأيام وما تحمله من تصاريف الدهر، واستندت في هذه النتيجة إلى ثلاثة أمور: مأخذ الدار الذي هو "دورانها الذي لها بالحائط"[2]، وشبه هذا الاستعمال بالدائرة، أو دائرة السوء، التي جاءت في غير ما آية من القرآن الكريم، والاختلاف بين المفسرين الدال على عدم وجود تفسير توقيفي للآية، والله أعلم[3].

---

[1]- النكت والعيون- نسخة إلكترونية.

[2]- المفردات/دور

[3]- كان هذا الاستنتاج هو ما أوحى إلي بفكرة هذا البحث، وتوصلت إليه بعد بحث طويل عن معنى الآية التي هي ضمن النصوص التي ورد فيها مصطلح الفسوق، وهو موضوع الأطروحة التي نلت بها شهادة الدكتوراه

- **الأضداد:**

عرفها أبو الطيب اللغوي في كتابه: الأضداد في كلام العرب بقوله:

"الأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين"[1]

قال محمد نور الدين المنجد عن هذا التعريف بعد أن اختاره: "وبهذا التعريف أزال أبو الطيب الإبهام والاضطراب عن فكرة التضاد التي هي أخص من الاختلاف في معناها العام"[2].

وقد اختلف العلماء قديما وحديثا بخصوص وجود الأضداد في اللغة بين منكر ومثبت.كما كانت الأضداد أحد أهم أسباب الاختلاف بين المفسرين في تحديد معاني بعض الألفاظ التي قيل إنها من المشترك اللفظي.

بالرجوع إلى ما قيل عن الأضداد يتبين أنها موجودة في كلام العرب ولكن لا يمكن تحديد زمن حدوثها في لغة العرب، خاصة إذا اعتمدنا رأي من قال إن سبب وجودها في اللغة يرجع إلى تداخل اللهجات أو التحريف الصوتي لبعض الكلمات[3]، ومن ثم نتساءل عن وجودها في القرآن الكريم، وأنا أفترض هنا أحد افتراضين:

---

[1]- كتاب الأضداد في كلام العرب- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت 351هـ)

[2]- التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق-محمد نور الدين المنجد- ص:26.

[3]- ذكر محمد نور الدين المنجد اثني عشر سببا محتملا منها الوضع اللغوي الأول واختلاف اللهجات والاقتراض من اللغة المجاورة والتطور اللغوي الصوتي والدلالي والأسباب البلاغية كالحذف والاختصار والأسباب النفسية والاجتماعية كالتفاؤل والتشاؤم من الشيء وتسميته بضده مثلا على وجه التفاؤل وغيرها من الأسباب-ينظر كتابه:التضاد في القرآن الكريم من 56 إلى 81.

- الأول: أنها وجدت بعد نزول القرآن بسبب تداخل اللهجات الذي حدث بسبب دخول الناس في الإسلام، وأن ما يحمل من كلمات القرآن على التضاد إنما حدث في زمن متأخر عن نزوله بدليل أنها لم تشكل على الصحابة في زمن التزول عند أول سماعها من الرسول صلى الله عليه وسلم، كما حدث مع معاني أخر، وكان يفترض عند سماعهم لكلمة تحمل معنيين عندهم أن يبادروا بطلب تحديد المعنى المراد في التتريل.

- الثاني: إنها إن وجدت في القرآن الكريم فالسبيل إلى معرفة ما يراد بها هو حملها على لغة قريش، كما أُمِر بذلك كتبة المصاحف[1]، كما أن الرجوع إلى سياق النص محل ورودها يعين على تحديد معناها، لأنه يبعد أن يكون المراد بها المعنى وضده معا، لأن ذلك يؤدي إلى الإبهام الذي يتتره عنه التتريل، خاصة في قسم المحكم الذي منه آيات الأحكام. قال الزركشي في البرهان عن المشترك الذي يحتمل معنيين:" وادعاء إشعاره بالجميع بعيد"[2]

فيكون السبيل إلى معرفة حقيقة اللفظ اليوم، أو على الأصح ترجيح أحد المتضادين والقول به دون ضده، هو النقل عن الصحابة، فإن لم يوجد عنهم نقل فيرجع إلى سياق النص محل ورود اللفظ، وأقترح هنا أن تتولى جهة علمية ما حصر جميع الألفاظ التي قيل بتضادها ثم دراستها، للقول بأحد المعنيين دون ضده.

ذلك أن تحديد المعنى يتأكد وجوبه خاصة في الألفاظ التي تبنى عليها أحكام شرعية، لأن هذه الألفاظ لا يتصور فيها أن يراد بها المعنى وضده لأنه يتنافى مع البيان الذي هو من خصائص الشريعة، قال الزركشي في البرهان محللا أقوال العلماء في التعامل مع ظاهرة التضاد: "فعلى هذا يجوز أن يقال: أراد الله بهذا اللفظ كلا المعنيين على القولين، أما إذا قلنا بجواز

---

[1]- قال عثمان بن عفان رضي الله عنه لكتبة الوحي عند جمع القرآن في عهده: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم"الإتقان -61/1.

[2]- البرهان – النوع الحادي والأربعون: معرفة تفسيره وتأويله -208/2.

استعمال المشترك في معنييه فظاهر، وأما إذا قلنا بالمنع فبأن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين، مرة أريد هذا ومرة هذا، وقد جاء عن ابي الدرداء رضي الله عنه: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة، رواه احمد، أي اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة ولا يقتصر به على ذلك المعنى بل يعلم انه يصلح لهذا ولهذا، وقال ابن القشيري في مقدمة تفسيره : مالا يحتمل إلا معنى واحدا حمل عليه وما احتمل معنيين فصاعدا بأن وضع لأشياء متماثلة كالسواد، حمل على الجنس عند الإطلاق، وإن وضع لمعان مختلفة فإن ظهر احد المعنيين حمل على الظاهر إلا أن يقوم الدليل، وإن استويا سواء كان الاستعمال فيهما حقيقة أو مجازا أو في احدهما حقيقة وفي الآخرة مجازا كلفظ العين والقرء واللمس ، فإن تنافى الجمع بينهما فهو مجمل، فيطلب البيان من غيره، وإن لم يتناف فقد مال قوم الى الحمل على المعنيين، والوجه: التوقف فيه، لأنه ما وضع للجميع، بل وضع لآحاد مسميات على البدل **وادعاء اشعاره بالجميع بعيد**"[1]

وأوضح ما يمثل به في هذه الحالة لفظ القرء، بفتح القاف وضمها، في قوله سبحانه وتعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) سورة البقرة الآية 226:

إن الاختلاف بين العلماء في معنى القرء مشهور، ولقد قال بعضهم إن المراد به الطهر، وقال آخرون إن المراد به الحيض، وقال فريق ثالث إن المراد به الانتقال من أحدهما إلى الآخر[2]، والفرق بين الرأيين ينبني عليه الشك في مدة عدة الطلاق مما لا يتصور أن يكون مقصودا للشرع الحكيم، فلا بد من البحث عن طريق يرجح به أحد القولين على الآخر.

---

[1]- البرهان – النوع الحادي والأربعون: معرفة تفسيره وتأويله – 208/2.

[2]- نقل هذا القول أبو الطيب قال: واستدل أبو حاتم على أن القرء الانتقال من الطهر إلى الحيض ومن الحيض إلى الطهر بقولهم: أقرأت النجوم إقراء إذا تهيأت للغروب كأنها تحولت من مكان إلى مكان ومن حال إلى حال" الأضداد ص:358.

وإذا رجعنا إلى أدلة كل فريق فقد نظفر بما يعيننا على ذلك، وهذه الأدلة معروفة ومبينة في مظانها بما يغني عن إيرادها هنا، وقد جمعها ابن رشد ثم علق عليها قائلا:

"ولكل واحد من الفريقين احتجاجات متساوية من جهة لفظ القرء والذي رضيه الحذاق أن الآية مجملة في ذلك، وأن الدليل ينبغي أن يطلب من جهة أخرى"[1].

فقول ابن رشد: "والذي رضيه الحذاق أن الآية مجملة في ذلك..." يبينه قول الزركشي السابق: "فإن تنافى الجمع بينهما فهو مجمل فيطلب البيان من غيره، وإن لم يتناف فقد مال قوم الى الحمل على المعنيين، والوجه التوقف فيه لأنه ما وضع للجميع بل وضع لآحاد مسميات على البدل وادعاء اشعاره بالجميع بعيد"

فقد أشار إلى عدم ترك المجمل بلا طلب للبيان من غيره، ويتأكد هذا في القرء لتعلقه بالطلاق وهو من الأمور التي لابد من تحديد أحكامها وتدقيقها لانبناء مصير العلاقات الأسرية والاجتماعية عليها.

فالقائلون إن الأقراء هي الأطهار تترجح أدلتهم التي يمكن تلخيصها كالآتي:

- إن القرء بمعنى الطهر هو الذي يجمع على قروء بخلاف القرء بمعنى الحيض فهو يجمع على أقراء، والمذكور في القرآن الكريم هو الجمع قروء.

- لفظ ثلاثة يدل على أن الحديث عن لفظ مذكر وهو الطهر لا الحيض.

- الاشتقاق أو مأخذ اللفظ من قرأت الماء في الحوض أي جمعته فيه.

أما حجة القائلين إن القرء هو الحيض فأقصى ما فيها أنها "إذا وصفت الأقراء بأنها هي الأطهار أمكن أن تكون العدة عندهم بقرءين وبعض قرء لأنها عندهم تعتد بالطهر الذي تطلق فيه"[2]

---

[1]- بداية المجتهد ونهاية المقتصد- ابن رشد 2/67-68.

[2]- بداية المجتهد ونهاية المقتصد- ابن رشد 2/67-68.

وينبني على هذا الكلام أن القول بأن القرء هو الطهر يقتضي اعتداد المرأة بزمن أقل، لكننا إذا فرضنا فرضا آخر، وهو ألا يحتسب الطهر الأول الذي تطلق فيه، فلا يبدأ العد إلا بأول طهر كامل بعد الحيض فإن زمن العدة سيطول، ويحتمل أن يكون هذا هو المطلوب خدمة لمقصد حفظ الأسرة من الطلاق وآثاره بإعطاء وقت أطول للزوجين ليتمكنا من التأكد من رغبتهما الفعلية في الانفصال أو عدمه، وذلك بعد تجاوز الانفعالات، والتفكير في المآلات بشكل هادئ لا يتم إلا بتوفر مدة زمنية كافية لمراجعة النفس ووزن الأمور بشكل عقلي حكيم، وهذا ما يتماشى مع مقاصد الشريعة مما تأكدت الحاجة إليه في مجتمعاتنا المعاصرة.

ويؤيد هذا الفرض ما روي عن علي وعمر رضي الله عنهما، وهما ممن احتج برأيهما القائلون بأن القرء هو الحيض، وإنما احتج هؤلاء المحتجون بما يدل منهما رضي الله عنهما أن المرأة لا تبين من زوجها إلا بخروجها من الحيضة الثالثة، وأرى أن هذا الخروج يعني أنها دخلت في الطهر الثالث بعد طهرها الذي طلقت فيه، وقوله تعالى (يتربصن) يعني مجرد الحصول لا تمام الحصول[1].

فمما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: (زَوْجُهَا أَحَقُّ بِهَا مَا لَمْ تَغْتَسِلْ مِنَ الْحَيْضَةِ الثَّالِثَةِ) وروي عن عمر بن الخطاب في المسألة (أَنَّ رَجُلًا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَحَاضَتْ حَيْضَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ وَدَخَلَتِ الْمُغْتَسَلَ، أَتَاهَا زَوْجُهَا فَقَالَ: قَدْ رَاجَعْتُكِ، ثَلَاثًا، فَارْتَفَعَا إِلَى عُمَرَ، فَأَجْمَعَ عُمَرُ، وَعَبْدُ اللهِ عَلَى أَنَّهُ أَحَقُّ بِهَا مَا لَمْ تَحِلَّ لَهَا الصَّلَاةُ، فَرَدَّهَا عُمَرُ عَلَيْهِ)[2]

---

[1]- قال الراغب الأصفهاني: "التربص الانتظار بالشيء سلعة كانت يقصد بها غلاء أو رخصا، أو أمرا ينتظر زواله أو حصوله"-المفردات/ربص.

[2]ـ أورد أبو جعفر الطحاوي هذه الأقوال ليثبت أن عليا وعمر وغيرهما كانوا يرون أن القرء هو الحيض-شرح معاني الآثار-باب الأقراء 60/3.

فهذه الأقوال احتج بها القائلون إن القرء هو الحيض[1]، ولو كان الأمر كذلك لما أمرت المرأة بانتظار الطهر ولكان مجرد رؤيتها الحيضة الثالثة دليلا على براءة رحمها وانتهاء عدتها.

ويترجح هذا الاحتمال بالرجوع إلى مأخذ اللفظ، قال ابن فارس: "القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جمعٍ واجتماعٍ." ثم قال: "وإذا هُمِز هذا الباب كان هو والأوّلُ سواءً." ثم قال: "فأمَّا أقْرأَتِ المرأةُ فيقال إنَّها من هذا أيضاً. وذكروا أنّها تكون كذا في حال طُهرها، كأنَّها قد جَمَعَتْ دمها في جوفها فلم تُرْخِه. وناسٌ يقولون: إنما إقراؤها: خروجُها من طُهرٍ إلى حيض، أو حيضٍ إلى طُهْر. قالوا: والقُرْء: وقْتٌ، يكونُ للطُّهر مرَّةً وللحيض مرة"[2].

ويمكن أن يستأنس في هذا الترجيح، برأي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لأن المسألة تتعلق بالنساء، وما كان يخفى عليها رضي الله عنها من أمرهن شيء إلا استفتت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى حذقها باللغة ومعرفتها بأساليب العرب في الخطاب، قال الباجي ناقلا رأيها في المسألة، وهو المعتمد عند الإمام مالك رحمه الله: "أَمَّا الْأَقْرَاءُ فَمَالِكٌ وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: هِيَ الْأَطْهَارُ وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الْأَقْرَاءُ وَالْقُرُوءُ وَاحِدُهَا قرْءٌ مِثْلُ فَرْعٍ، وَهُوَ قَوْلُ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ وَهُمَا مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ"[3].

---

[1]- منهم أيضا من احتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة التي استفتته في أمر استحاضتها: (دعي الصلاة أيام أقرائك)،ولقد أجاب ابن عبد البر عن هذا بقوله: "وأما احتجاجهم بقوله - عليه السلام - للمستحاضة (دعي الصلاة أيام أقرائك) فإنه أراد القرء الذي هو الحيض وتترك له الصلاة ولم يرد القرء الذي تعتد به المطلقة وهو الطهر بدليل حديث بن عمر المتكرر، وقد أوضحنا أن الحيض يسمى قرءا كما أن الطهر يسمى قرءا إلا أن القرء الذي هو الدم ليس هو المراد من قول الله تعالى ثلاثة قروء" كتاب الاستذكار- 132/6- طبعة إلكترونية.

[2]- مقاييس اللغة/قري

[3]- المنتقى365/5

وقد جاء في الموطأ عَنْ مَالِك عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا انْتَقَلَتْ حَفْصَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ حِينَ دَخَلَتْ فِي الدَّمِ مِنْ الْحَيْضَةِ الثَّالِثَةِ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِعَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَتْ صَدَقَ عُرْوَةُ وَقَدْ جَادَلَهَا فِي ذَلِكَ نَاسٌ فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: {ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}، فَقَالَتْ عَائِشَةُ صَدَقْتُمْ تَدْرُونَ مَا الْأَقْرَاءُ إِنَّمَا الْأَقْرَاءُ الْأَطْهَارُ.

غير أن هناك احتمالا ثالثا وهو كون القرء دالا على ما يعرف في المجال العلمي بالدورة الشهرية وهي المدة الكاملة بين أول يوم في الحيض وأول يوم في الحيض الأخر، وهي تستغرق عند معظم النساء ثمانية وعشرين يوما، وهذا الرأي أشد تناسبا مع مأخذ اللفظ من الجمع، لأن فيه جمعا بين الحيض والطهر، وقد أوحى لي به ثلاثة أمور:

- الأول قول سابق أشرت إليه في تعريف القرء أورده أبو الطيب قال:"واستدل أبو حاتم على أن القرء الانتقال من الطهر إلى الحيض ومن الحيض إلى الطهر بقولهم: أقرأت النجوم إقراء إذا تهيأت للغروب كأنها تحولت من مكان إلى مكان ومن حال إلى حال"[1]

- الثاني حديث علماء الأحياء عن الدورة الشهرية باعتبارها وحدة متكاملة في ربطها بين دورتي المبيض والرحم عند المرأة.

- الثالث: انسجام هذا التصور مع قوله سبحانه وتعالى: (وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ)[2]،

وبذلك يتم الجمع بين الرأيين، فتحتسب العدة كالآتي:

---

[1]- كتاب الأضداد ص:358.

[2]- سورة الطلاق الآية 4.

الطهر الأول فيه تطلق المرأة ليقع طلاقها وفقا للسنة، وهو لا يحتسب لأنها لم تتربصه، فلا حكم له.ثم تقع الحيضة الأولى وبعدها الطهر الأول، ثم الحيضة الثانية فالطهر الثاني، وبعدهما الحيضة الثالثة فالطهر الثالث الذي بمجرد دخوله تنقضي عدتها، وبذلك تقع العدة على الشكل الذي سبق إيراده من رأي علي وعمر رضي الله عنهما، كما يكون اللفظ جامعا لأمرين، والجمع هو مأخذ لفظ القرء، فيكون استعمال لفظ القرء خاصا للدلالة على اللفظين معا عند اجتماعهما، ويؤكد هذا الفرض أن القرآن الكريم استعمل لفظ الحيض ولفظ الطهر منفصلين لما تعلقت الأحكام بأحدهما دون الآخر.والله تعالى أعلم وأحكم.

وليس غرضي هنا الترجيح ولا أدعيه، وإنما غرضي أن أبين دور مأخذ الألفاظ في الترجيح عند وجود التضاد في اللفظ.

- **القراءات:**

إذا كان المحققون من الفقهاء والقراء والأصوليين قد نظروا إلى القراءة "باعتبارها وسيلة تعبُّد، وطريق تقرُّب، وشرطًا لصحة الصلاة، ومصدرًا للتشريع والتحريم والتحليل – فهناك إلى جانبهم فريق اللغويين الذين نظروا إلى القراءة نظرة مغايرة؛ لأن هدفهم مختلف، وغايتهم من قبول القراءة ليست العبادة أو الصلاة بها، إنما هي مجرد إثبات حكم لغوي أو بلاغي. ولذا فقد وضعوا شرطًا واحدًا لصحة الاستدلال اللغوي بالقراءة، وهو صحة نقلها عن القارئ الثقة حتى ولو كان فردا، سواء رويت القراءة بطريق التواتر، أو الآحاد، وسواء كانت سبعية، أو عشرية، أو أكثر من ذلك.[1]"

وهذا خلافا لما اشترط لصحة القراءة كما نقله ابن الجزري إذ قال: "كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتِ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهٍ، وَوَافَقَتْ أَحَدَ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَلَو احْتِمَالًا وَصَحَّ سَنَدُهَا، فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا وَلَا يَحِلُّ إِنْكَارُهَا، بَلْ هِيَ مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ

[1] معجم الألفاظ والقراءات الدكتور/أحمد مختار عمر ص:14

وَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ قَبُولُهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ الْأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ، أَمْ عَنِ الْعَشْرَةِ، أَمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَقْبُولِينَ، وَمَتَى اخْتَلَّ رُكْنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ أُطْلِقَ عَلَيْهَا ضَعِيفَةٌ أَوْ شَاذَّةٌ أَوْ بَاطِلَةٌ، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ السَّبْعَةِ أَمْ عَمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَئِمَّةِ التَّحْقِيقِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ"[1]

وقال ابن جني عن القراءات وأقسامها: " ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه أبو بكر بن موسى بن مجاهد رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبعة هو بشهرته غان عن تحديده. وضربا تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذا أي خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله، أو كثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته وتعنف بغيره فصاحته" إلى أن قال:

" ولسنا نقول ذلك فسحا بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءاتهم أو تسويغا للعدول عما أقرته الثقات عنهم، لكن غرضنا منه أن نري وجه قوة ما يسمى الآن شاذا وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه".

ثم قال عن هذا النوع: "إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية، فإنا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله، وأراد منا العمل بموجبه وأنه حبيب إليه ومرضي من القول لديه، نعم وأكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عندهم عليه أقوى منه إعرابا وأنهض قياسا إذ هما جميعا مرويان مسندان إلى السلف"[2].

[1] النشر في القراءات العشر- شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)

[2] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها 1/ 32-33

وإذا كان أمر القراءة كما سبق، فإن الحديث هاهنا عن القراءات إنما ينصب عليها في علاقتها بالدلالة اللغوية للألفاظ عامة، وبمأخذ هذه الألفاظ على وجه الخصوص، وإذا كان المقال يتضح بالمثال فإني أورد هنا مثالا يبين دور القراءة في إعطاء دلالة جديدة لبعض المصطلحات القرآنية التي نجد المفسرين قد احتاروا في توجيهها.

يقول الله تعالى: ﴿وإذا أَرَدْنا أنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسقوا فيها فَحَقَّ عليها القَوْلُ فدمرناها تدميرا﴾- الإسراء 16.

هذه الآية الكريمة أثارت عند الدارسين لها جملة تساؤلات عن معنى الأمـــر، وارتباطه بإرادة الله تعالى, ثم نتج عن تلك التساؤلات آراء ارتبطت بالقراءات المختلفة لـــ (امرنا) وتفصيل ذلك في أربعة تفاسير حسب أربع قراءات:

1- قرئت "أمَرنا" بمعنى الأمر ثم اختلف في المقصود به على قولين:

* أحدهما: أن المراد منه الأمر بالفـــعل، ويكون المعنى: إن الله أمرهم بالطاعـــة فخالفوا وعصوا، أي أن المترف إذا أمر بالطاعة خالف إلى الفسوق.

* والثاني: أن المراد بالأمر الإكثار حيث "يـــقال أمِر القوم إذا كثـــروا"[1]، واستند أصحاب هذا القول إلى الحديث الذي يقول فيه الرسول عليه الصـــلاة والسلام (خير المال مهرة مأمورة)[2] أي كثيرة النتاج والنسل.

2- وقرئت: "امَّرنا" بتشديد الميم، أي سلطنا مترفيها وجـــعلنا لهم إمـــرة وسلطانا ففسقوا فيها، "وقد يكون امّرنا بمعنى كثرنا"[3] أيضا.

3- وقرئت: "آمرنا"، ومعنى آمرنا بالمد أكثرنا [4].

---

[1] - المحتسب 16/2 وقال أبو حيان (ت 745 هـــ) : امرنا كثرنا وكذلك آمرنا – تحفة الأريب ص: 45.

[2] - من رواية سويد بن هبيرة – مسند الإمام أحمد-468/3.

[3] - المحتسب 16/2.

[4] - الفراء 119/2.

4- وقرئت: "أمِرنا" وهي أيضا بمعنى الإكثار[1].

يتحصل من ذلك كله أربع قراءات بثلاثة معان هي: الأمر والإكثار والإمارة أو السلطة، غير أن الأمر هنا قد اختلف الدارسون في فهمهم له، ويمكن حصر هذه الفهوم في ثلاثة أوجه:

- فإما أن يكون الأمر متعلقا بمحذوف هو الطاعة[2].

- أو أن يكون على سبيل المجاز، "ووجه المجاز أنــه صب عليهم النعمة صبا، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه"[3].

- وقد يكون أمرا قدريا[4].

إذا عرف ما قيل عن الأمر، فإن إرادة الإهلاك المسببة لهذا الأمر قد تكون على وجه المحنة أو العقاب[5]، وهو الظاهر من النص، فإن بحثنا عن المسبــب للعقاب وجدنــاه متضمنا في قوله تعالى في نهاية الآية 15: ﴿وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتىّ نَبْعَثَ رَسُولا﴾، ثم يقول بعد ذلك مباشرة: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾الآية، فيفهم من ذلك — والله اعلم — أن القرية المذكورة، بعد أن

---

[1] - ينظر مناقشة هذه القراءات وأصحابها ومعانيها في معاني القران — الفراء 119/2- ومجالس ثعلب 541/2- ومعاني القران وإعرابه الزجاج 231/3-232 — والمحتسب 15/2-16-17- وتفسير الخازن 153/4/3 وغيرها.

[2]- من أصحاب هذا الرأي من المحدثين الشيخ ابن عاشور قال: "ومتعلق أمرناهم محذوف، أي أمرناهم بما نأمرهم به، أي بعثنا إليهم الرســول وأمرناهم بما نأمرهم على لسان رسولهم فعصوا وفسقوا في قريتهم" التحرير 53/15/7.

[3]- الكشاف 442/2.

[4]- قال ابن كثير : "فالمشهور قراءة التخفيف، واختلف المفسرون في معناها فقيل معناه امرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرا قدريا كقوله تعالى: أتاها أمرنا ليلا أو نهارا" مختصر تفسير ابن كثير 367/2 ونفهم هذا الرأي أيضا من كلام سيد قطب في تفسيره للآية، ن: الظلال 2217/15/4-2218

[5]- قال القاضي عبد الجبار: "أما قوله: وإذا أردنا أن نهلك قرية، فالهلاك المراد قد يكون حسنا إذا كان عقابا أو محنة، فلا ظاهر له في انه قد أراد القبيح تعالى الله عن ذلك. "متشابه القران" ص: 460.

جاءها الرســـول فلم تعمل برسالته حق عليها القول، فأمر مترفوها – على أحد وجوه الأمـــر السابقة الذكر- ففسقوا فيها، وهذا المعنى يتقرر في مثل قوله تعالى ﴿وما كان ربُّك مُهْلِكَ القرى حتى يَبْعَثَ في أُمِّــها رسولاً يتْلو عليـــهم آياتِنا ومـــا كُنَّـــا مُهْلِكي القُرى إلا وأَهْلُها ظالمون﴾ – القصص59.

وقد يكون وجود المترفين في القرية وحده سببا كافيا لاستحقاق العذاب كما يقرره سيد قطب عند حديثه عـــن سنة الله في الأرض المتعلقة بترتيـــب النتائج عن الأسباب، وذلك في معرض تفسيره للآية الكريمة، قال: "فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك فكثر فيها المترفون فلم تدافعهم و لم تضرب على أيديهم, سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعم فيها الفسق فتحللت وترهلت فحقت عليها سنة الله وأصابها الدمار والهلاك، وهي المسؤولة عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين و لم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين" [1].

وفي هذا الكلام يجتمع ثلاثة من معاني الأمر، وهما الكثرة، والأمر القدري، والإمارة بمعنى السلطة والنفوذ، والعلاقة بين هذه المعاني في الآية واضحة، وهذا يتماشى مع تعدد قراءة اللفظ من جهة، ورجوعه إلى عدة أصول لغوية بدل الأصل الواحد من جهة ثانية، قال ابن فارس: "الهمزة والميم والراء أصولٌ خمسةٌ: الأمر من الأمور، والأمر ضدّ النهي، والأَمَر النَّماء والبَرَكة بفتح الميم، والمَعْلَم، والعَجَب" ثم قال عن الأصل الثالث:" وقد أَمِرَ الشّيء أَي كثُر" [2].

كانت هذه محاولة للدلالة على دور اللغة عامة ومآخذ المصطلحات خاصة في تبين وبيان معاني ألفاظ القرآن الكريم، فما كان فيها من صواب فمن الله تعالى، وما كان فيها من خطإ فمن نفسي، وأسأل الله تعالى أن يغفره لي ويتجاوز عني برحمته وفضله.

[1]- في ظلال القرآن 2218-2217/15/4

[2]- المقاييس/أمر.

خاتمـــة وتوصية:

إذا كان الأمر كما سبق بيانه، فإن المسلمين اليوم مطالبون طلبا كفائيا بانتقاء كتب خاصة في اللغة يتم الاتفاق على أنها استوعبت أصول كلمات القرآن ومعانيها التي كانت لها قبل اصطلاحيتها، ثم تتبع كلمات القرآن بربط كل كلمة بأصلها اللغوي، على شكل شبيه إلى حد ما بما فعله ابن فارس في كتاب المقاييس، مع إثبات القراءات المختلفة بما في ذلك القراءات الشاذة متى توفرت للمصطلح، إضافة إلى ما تم التأكد من كونه من الوجوه المعتبرة للفظة الواحدة، وضبط ذلك كله بشكل ما إلى جانب مفردات القرآن، حتى يكون متاحا لكل من أراد التصدي للتفسير ولاستخراج هدايات القرآن في الحاضر والمستقبل، ويمكن أن يُضَمن ذلك في معاجم خاصة تضم عدة أعمدة أو خانات، يشار في أولها إلى اللفظة كما وردت في القرآن الكريم، وفي الثانية مثلا إلى مأخذها وأصلها إن وجدا معا، أو أحدهما عند عدم توفر الآخر، ثم يشار في الخانة التي تتبعها إلى جميع قراءات اللفظة بما في ذلك القراءة الشاذة، ثم في الخانة الموالية تثبت الوجوه التي صح أن اللفظة وردت عليها، على أن يشار إلى فهوم السابقين للفظة بشكل يتم فيه التركيز على جديد ما أضافه اللاحق للسابق من المفسرين، وإن صعب تنفيذ هذا بسبب كثرة الفهوم وارتباط فهم اللفظ برده إلى نص وروده فيمكن الإحالة إلى تفاسير يتم انتقاؤها انتقاء، وأفضل ما يمكن اعتماده في ذلك الجامع التاريخي لبيان القرآن الكريم الذي سهرت على إنجازه مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) بإشراف الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله تعالى، ولذلك أقترح أن تتبنى هذه المؤسسة الفكرة التي أشرت إليها في بحثي هذا، ويتم تكليف مجموعة من الباحثين بإنجازها حتى يلحق هذا العمل بالجامع ليكونا بعد ذلك عملا متكاملا لا يستغنى عنه في كل محاولة لتجديد فهم كلام الله تعالى. والحمد لله رب العالمين.

لائحة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم** برواية ورش عن نافع.
- **الإتقان في علوم القرآن،** جلال الدين السيوطي- دار الفكر – بيروت
- **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق- دراسة قرآنية لغوية وبيانية**-عائشة عبد الرحمن- الطبعة الثالثة-دار المعارف-القاهرة .
- **البرهان في علوم القرآن.** بدر الدين الزركشي- المكتبة العصرية- صيدا - بيروت - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
- **التحرير والتنوير،** الشيخ الطاهر بن عاشور- الدار التونسية للنشر 1984.
- **التحقيق في كلمات القرآن الكريم،** العلامة الحسن المصطفوي- مركز نشر آثار العلامة المصطفوي (نسخة مصورة).
- **الروض الأنف** - السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي
- **التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق،** محمد نور الدين المنجد-الطبعة الأولى 1420-1999
- **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها،** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى : 395هـ) - تحقيق أحمد صقر- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه-القاهرة.
- **أعلام الموقعين عن رب العالمين،** ابن قيم الجوزية – منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية-بيروت-1417-1996.
- **الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** الزمخشري المكتبة التجارية - أحمد الباز- دار الفكر.
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،** ابن جني- تحقيق:علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي- ط:1415/1994-القاهرة.

- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، السيوطي - دار الجيل - بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم.
- **المفتاح في الصرف**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ) حققه وقدم له: الدكتور علي توفيق الحَمَد، كلية الآداب - جامعة اليرموك - إربد
- **المنتقى - شرح موطأ مالك**، القاضي أبو الوليد الباجي - تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا-دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الثانية 2009.
- **النشر في القراءات العشر** - شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ) المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى 1380هـ) الناشر: المطبعة التجارية الكبرى
- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، ابن رشد (الحفيد) - دار الفكر.
- **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب** - أبو حيان الأندلسي تحقيق سمير المجذوب - المكتب الإسلامي - ط:1-1403/1983.
- **تفسير القرآن الحكيم** (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: 1990م.
- **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700-774هـ] المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م

- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ابن جرير الطبري - دار الفكر بيروت- 1988/1408.
- **فقه اللغة وأسرار العربية**، الثعالبي - المكتبة العصرية - صيدا -الطبعة الثانية 1420-2000.
- **قضايا اللغة في كتب التفسير - المنهج التأويل الإعجاز**، الهادي الجطلاوي - نشر كلية الآداب سوسة - دار محمد علي الحامي الجمهورية التونسية
- في ظلال القرآن - سيد قطب - ط:10- دار الشروق-القاهرة.
- -**كتاب الأضداد في كلام العرب**، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت 351هـ) الطبعة الثانية 1996- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر-تحقيق د/عزة حسن.
- **لسان العرب**، ابن منظور- تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي - دار إحياء التراث العربي - بيروت- ط:3-1419/1999.
- **متشابه القرآن**-القاضي عبد الجبار-تحقيق عدنان محمد زرزور - دار التراث - دار النصر-القاهرة.
- **مجالس ثعلب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار المعارف - القاهرة -ط:4-1400هـ/1980م.
- **مختصر تفسير ابن كثير**، محمد علي الصابوني- دار الفكر- الطبعة الثانية 1419-1999.
- **مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين**، للجاحظ - د الشاهد البوشيخي - دار الآفاق الجديدة -بيروت - ط:1-1402/1982.
- **معجم الألفاظ والقراءات**، الدكتور/أحمد مختار عمر أستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة(مقال إلكتروني)

- **معاني القرآن وإعرابه،** الزجاج - شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي - عالم الكتب- ط:1-1408/1988.
- **-معاني القرآن،** الفراء – الجزء 1و2: تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي - عالم الكتب - بيروت ط:2-1980م- الجزء3: تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي وعلي النجدي ناصف -الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972م.
- **مفردات ألفاظ القرآن،** الراغب الأصفهاني - تحقيق إبراهيم شمس الدين - منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية – بيروت -1425هـ-2004م.
- **مقاييس اللغة،** أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون - الدار الإسلامية – 1410هـ/1990م.
- **مقدمة في أصول التفسير،** ابن تيمية - اعتنى به فواز أحمد زمرلي - دار بن حزم ط2 1418هـ/1997م.
- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،** جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت - 1404هـ-1984م الطبعة: الأولى تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي
- **نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان،** عبد الحميد الفراهي (نسخة مصورة).

المصطلح القرآني وأثره في العلوم النّفسيّة

"أطوار خلق الإنسان ونموه أنموذجا"

د. عبد الله الطارقي (*)

ملخص الورقة

كثيرًا ما نستعمل أسماءً لأطوار خلق الإنسان ونموه مما أغرقنا به الغربي من منتجات علم النفس (طفولة مبكرة، طفولة متوسطة... -إلى- مراهقة مبكرة، مراهقة متوسطة...) وتبع ذلك بالطبع استيراد نظرته لتلك الأطوار ومناهج التعامل معها وعلاج مشكلاتها فأصبحنا نقول: (أزمة المراهقة، أزمة منتصف العمر، أزمة الشيخوخة...). نفعل ذلك في الوقت الذي لو رجعنا للوحي لوجدنا فيه تسميةً لكل مرحلة عمرية، وتحديدًا لمنهجية التعامل معها الأمر الذي يومئ إلى أفق جدير بالعناية لبناء علوم نفسية تمتح من الوحي ومعارفه.

فنحن نجد أن الله تعالى سمى طور الجنينية فقال {وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} [النجم: 32]، وسمى الطفولة فقال سبحانه: {أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ} [النور: 31]، وقال سبحانه في تسمية طور البلوغ {وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [النور: 59]، وقال في الشباب والفتوة {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ} [الكهف: 10]، وقال في تسمية الأشد {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً } [الأحقاف: 15].

---

* - مدير الأبحاث في مركز قراءات، جدة المملكة العربية السعودية.

وجمع الله تعالى مجمل الأطوار العمرية في سياق واحد فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} [الحج:5]. وبينها كذلك مع تسمية مرحلة الشيخوخة {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا} [غافر: 67].

وفي السنة النبوية كذلك نجد تمييزًا للأطوار بأسمائها فعن عبد الله قال: كنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج)[1]. وفي الحديث تسمية لمرحلة الشباب بهذا الاسم.

وحين نحيد عن تسمية الوحي؛ فإن ذلك مُؤْذِنٌ باضطرابٍ في فهم الأطوار العمرية، واضطراب في تحديد المنهج المناسب في الدراسة والتوجيه والتعامل، وهو أمر يمكن أن يعد من المؤثرات في سوء تربية بعض أجيالنا المعاصرة!

إن الاتجاه نحو هذا الأفق في دراسة المصطلح القرآني مع عظيم فوائده فإنه كذلك يقينا أن يحصل معنا ما أسماه الإمام ابن حزم بالتخليط والتخبيط في الأسماء والمصطلحات والأحكام[2].

ومن هنا تهدف الدراسة لمعالجة القضايا التالية:

- اقتراح أفق لدراسة المصطلح القرآني المتعلق بالأطوار العمرية.
- محاولة استقراء القرآن الكريم والكتب الستة من خلال "جامع الأصول لابن الأثير"

(1) رواه البخاري (360/6).

(2) الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد ابن حزم (101/8).

وهنا أقول حسب الورقة أن تشير لطلاب العلم والمختصين في "الدِّراسات القرآنية والعلوم النفسية معًا" إلى هذا الأفق وتمد أصبع الإشارة إليه ليكملوا المسيرة ويضفوا على القضية لباسًا سابغًا لم يكن في السابق!

والله أعلم.

بين يدي الورقة:

تحاول الورقة مقاربة أهدافها في الأجزاء التالية:

مقدمة وتمهيد، ثم بيان المصطلح القرآني في الأطوار، وذلك يقودنا إلى استجلاء قضايا منهجية ومقاصدية في المصطلح القرآني للأطوار، ثم الأبعاد التطبيقية في إفادة المصطلح القرآني للعلوم النفسية في الأطوار، حتى تنتهي الدراسة بالتوصيات.

أولاً: مقدمة وتمهيد

خلق الله تعالى نفوس عباده وتحدث عنها باسمها الصريح "**نفس**" على اختلاف أشكال ورودها في زهاء 298 موضعًا من القرآن الكريم بألفاظ ومصطلحات شملت خلقها وحركتها وسواءها واضطرابها؛ ومع جهود كثير من العلماء والباحثين في إسلامية العلم بالنفس الإنسانية أو محاولات التأصيل والأسلمة الكثيرة والمتنوعة إلا أن "**العلم بالنفس الإنسانية**" المبني من هذا المحتوى القرآني العظيم باستقلال، لم تحدث فطامًا للدارسين وسائر المهتمين، وربما لأنها جاءت بعد شربنا من كدر الوارد ما نما منه اللحم والعصب أي بعد (أن خربت مالطة) فيما يبدوا إذ بات انزياح المصطلحات والمفاهيم الغربية التي تقذف بها مجامعهم العلمية يوحي في كثرته وسبقه لأذهان المشتغلين بالعلوم النفسية بأنه لا يمكن تجاوزها ولابد لنا من استعمالها حتى في دراستنا لأنفسنا؛ وكأنّه بات لزامًا علينا أنْ (نترع ملابسنا المميزة لنا قبل أن نترل إلى النهر!)، فلا نرى أنفسنا إلا بالعيون الزرقاء كما يعبر - البوشيخي حفظه الله - ومن ذلك استعمالنا لمصطلحات

أطوار خلق الإنسان ونموه العمري بمصطلحات غربية البناء عربية الحروف -تعريبًا وترجمةً- واستوجب ذلك بالطبع استيراد أدبيات التوجيه لتلك الأطوار وفق رؤيته ومنظوره.

وفي هذا الشأن المصطلحي الوافد يقول الشاهد البوشيخي وفقه الله: "وقد كان هم النّبوات، مذ آدم عليه السلام، تسمية الأشياء بأسمائها، وضبط كلمات الله عز وجل لكيلا يعتريها تبديل أو تغيير... والأمة اليوم... تعاني من أمر المصطلح ما تعاني: تعاني من أمر المصطلح الوافد، الذي يمثل فيضان الغرب وطوفانه الذي أغرق أغلب أجزاء الأمة، لاسيما في العلوم المادية والإنسانية... إلى أن دعا لمقترحه الشهير في **الجمارك الحضارية على حدود الأمة** لأجل السؤال، والتثبت من الهوية، وحسن النية، ودرجة النفع[1].

وما دام الوحي تحدث عن هذه النفس خلقها وحركتها وسواءها بتفصيل وعلى أنساق ومفاهيم شاملة فإن تلك الأنساق والمفاهيم "لا سبيل إلى فقهها، بغير دراسة ألفاظ القرآن فهي مفتاح الوصول إليها... ومفتاح المفتاح إنما هو الدراسة المصطلحية[2].

إذا كانت العلوم النفسية تنزع إلى تسمية أطوار الإنسان بأسماء ومصطلحات بقصد تفهم ذلك الطور العمري نفسيًا ودراسته بكافة الأدوات المنهجية. فإننا إذا أمام مصطلحين: مصطلح مستورد لفهم الذات –المصطلح النفسي للأطوار- والمصطلح الأصيل الذي تدعو الورقة إلى تبيئته المنزلة التي هو أحق بها؛ وهو المصطلح القرآني.

(1) قول في المصطلح الدكتور الشاهد البوشيخي ، مجلة دراسات مصطلحية، تصدر عن معهد الدراسات المصطلحية بجامعة سيدي محمد عبد الله بفاس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية. العدد الأول ص (5 –6). 1422هـ

(2)القرآن والدراسة المصطلحية للشاهد البوشيخي (6-7) انفو برانت فاس المغرب 2002.

أ- ما المصطلح القرآني؟

"يقصد بالمصطلح القرآني: كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، مطلقة كانت أم مقيدة، وعلى الصورة الإسمية الصريحة أم على الصورة الفعلية التي تؤول بالإسمية ويلحق بها أسماء الذوات غير الأعلام، لشبهها القوي بها، واختلاف الناس في مفهومها"

وكيف يجوز ان تسلم النفوس بمصطلحية ألفاظ كل طائفة، أو فرقة، أو مذهب وعمدها وأساسها ألفاظ ونصوص مؤسس الطائفة... ثم لا يسلم بمصطلحية "ألفاظ أصل الدين وهي ألفاظ كلام رب العالمين[1].

وإذا اعتبارنا الحديث عن أطوار خلق الإنسان من القضايا الدينية؛ لأجل حديث القرآن عنها من جهة ومن ربط الشريعة أحكامها بها، وهي من جهة مرتكز مهم في العلم بالنفس الإنسانية لتمايز ظاهر في الخصائص والتعاطي النفسي مع كل طور؛ فإن ذلك يجعل إقصاء المصطلح القرآني في هذا الصدد " لابد أن يحمل – بحكم طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول والمصطلح والمفهوم– قدرًا من التشوه أو التشويه"[2] في فهم الطور العمري!

ب- أطوار الخلق أول ما نزل به القرآن:

إن بيان القرآن لأطوار الخلق من أوائل ما نزل به على الإطلاق، في أول سورة العلق التي حملت اسم هذا الطور من أطوار الخلق، قال تعالى: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** (1) **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**} [العلق: 1، 2]. وهو أمر يوحي بأهمية وأولوية واضحة تنطوي على حكم وغايات خليقة بالدرس والبيان.

(1) نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة للدكتور الشاهد البوشيخي (7) انفو برانت فاس المغرب 2003.

(2) المصدر السابق

ثم تتابع نزول الوحي يفصل في أطوار خلق الإنسان مصطلحات استوعبت وجوده وحياته ومماته وما بعد ذلك؛ بدأت بتفاصيل الخلق الأول المتمثل في خلق "آدم عليه السلام" وتبع ذلك تفاصيل أوامره وشرائعه التي ترعى مصالحه في الدنيا والآخرة مناطة بكل طور من تلك الأطوار؛ وبما أن العلوم النفسية تدرس الإنسان في كل طور من أطوار حياته لتلمس خصائصه وحاجته ودوافعه لتساعده في تحقيق سعادته؛ فإننا –والحالة هذه- بحاجة ماسة للبحث عن عرض القرآن لتلك الأطوار لنستعمل كلمات الله مصححين بذلك مسار علومنا النفسية في مصطلحات تلك الأطوار، وهي قضية، تحمل في طياتها دعوة ليعمل "عصبة من أولي القوة" في الأمة على متح علوم نفسية من الوحي ومصطلحاته وتشريعاته وهذا ما تحاول هذه الدراسة أن تقترح فيه أفقًا جديرًا بالعناية خليقًا بالاهتمام.

ولذا فليست الورقة إلا إشارةً واقتراحًا لهذا الأفق في المصطلح القرآني المصحح لعلومنا النفسية!

ج – علم مراحل النمو أو علم أطوار الخلق؟

كثيرًا ما نجد التسمية الشهيرة لمسائل خلق الإنسان في علم النفس تحت عنوان "النمو الإنساني"[1] ولهذا كان علم النفس المتصدي لهذه المسائل "علم نفس النمو" Developmental Psychology كما تنقل ترجمته في معاجم المصطلحات النفسية[2] لكن اللفظة التي نجدها في

(1) وجدت للدكتور نزار العاني إشارة لهذا التباين المصطلحي للأطوار بين القرآن وعلم النفس في كتابه الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي دراسة مقارنة (135).

(2) معجم علم النفس فاخر عاقل دار العلم للملايين بيروت ص 50، ومنهم من يترجمه بعلم النفس التطوري انظر علم النفس أحمد الزق دار اوائل النشر ص (34).

القرآن هي "أطوار الخلق" لأجل قوله تعالى {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} [نوح: 14] ولهذا جاء بيان المفسرين لها في تركيب من لفظها هو "أطوار خلق الإنسان"[(1)]

وأصل كلمة الطّور كما يقول ابن فارس: الطاء والواو والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنىً واحد، وهو الامتداد في شيءٍ من مكانٍ أو زمان... ومن الباب قولهم: فعل ذلك طَوْراً بعد طَوْر. فهذا هو الذي ذكرناه من الزّمان، كأنّه فَعَلَه مَدَّةً بعد مدة[(2)]، ويقول الراغب: فعل كذا طورا بعد طور أي تارة بعد تارة، وقوله {وقد خلقكم أطوارا} قيل هو إشارة إلى نحو قوله تعالى {خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة} وقيل إشارة إلى نحو قوله {واختلاف ألسنتكم وألوانكم} أي مختلفين في الخَلق والخُلق[(3)] وعلى تفسير أطوار خلق الإنسان بالمعنى الذي ذكرناه وهو الأول عند الراغب –أطوار خلق الإنسان – تواطأت عبارات المفسرين، فيقول الطبري: وقوله:(وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) يقول: وقد خلقكم حالاً بعد حال، طورا نُطْفة، وطورا عَلَقة، وطورا مضغة، **وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل**. ثم أتبعه بنقله بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وقتادة وغير هم[(4)]

ولهذا تقترح الدراسة في طريق انطلاق علومنا النفسية من معارف الوحي أن تحضر هذه التسمية لقاموسنا النّفسي "أطوار خلق الإنسان" عوضًا عن "مراحل النمو الإنساني" وما استعمل القرآن من الألفاظ للدلالة على معنى محدد فهو أولى بالاستعمال مما استعمله الناس كل

---

(1) نجد هذه التسمية "أطوار خلق الإنسان" بهذا التركيب عند الطاهر بن عاشور في تفسير سورة الحج، التحرير والتنوير (149/17)، وفي سورة المؤمن، التحرير والتنوير (240/24). وكذلك الإمام الشنقيطي في تفسير سورة الحج، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (265/4). وهي متكررة لدى كثير من المفسرين المتأخرين مثل أبي بكر الجزائري، حسنين مخلوف، سيد طنطاوي.

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (431/3)

(3) المفردات في غريب القرآن (309).

(4) تفسير الطبري (635/23).

الناس، وربما يصلح هذا تجاوبًا مع أصداء الدعوة القائلة: **فتعالوا يا أهل العلم إلى كلمة سواء.. وألا نقترض من خارج الذات، إلا بعد الفراغ من إحصاء ممتلكات الذات**[1] وها قد ولعل هذا يشمله أيضًا ما أسماه- البوشيخي-؛ (**التوبة المصطلحية**) حيث يقول: لقد آن الأوان لتوبة مصطلحية نصوح يرد فيها وبها، لمصطلحات القرآن الاعتبار) [2]

د- أهمية علم الأطوار

كل طور من أطوار الإنسان لله فيه حكم، وللشريعة الإسلامية معه رؤية ونظرة ولهذا فإن هذا العلم يكتسب من الأهمية أبعادًا غير قليلة ويكفي في باكورة هذه الأهمية تصدير الوحي لعدد من المواضع بأن أطوار الخلق هذه ماهي إلا آية من آياته سبحانه ومن هنا فإن بيان الآية وتفصيلاتها تتعلق بالتعريف بالله عز وجل.

وخطورة الأمر تكمن – أيضًا – في تعليق الوحي لكثير من الأحكام الشرعية على مصطلح طور، وسن ومرحلة عمرية معينة، وحينها يكون الجهل بأطوار خلق الإنسان طريق للجهل بتتريل الحكم الشرعي على الموضع الذي أراده الله تعالى

وبذات الأهمية فإن فهم الطور العمري للإنسان نفسيًا يزداد وضوحًا؛ لأن المصطلح القرآني سيؤثر بمدلوله في وضع مفهوم يجلي حقيقة الطور وأدبيات تعامل النص القرآني معه.

ومادام المصطلح القرآني في أطوار الإنسان العمرية يحمل كل هذه الأهمية فما هي تلك المصطلحات على وجه التحديد؟

---

(1) نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي ص 7.

(2) نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة الدكتور الشاهد البوشيخي ص8

ثانيًا: بيان المصلح القرآني في أطوار خلق الإنسان

قبل التفصيل نجد بالجملة ثلاثة مواضع من القرآن الكريم سردت أسماء أطوار خلق الإنسان ونموه وإن كانت تتفاوت المواضع في الشمولية لكنها تتفق في استيعابها لكافة الأطوار

الموضع الأول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الحج: 5]

الموضع الثاني: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 12 – 14]

الموضع الثالث: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [غافر: 67]

أما تفصيل تلك الأطوار فيتجلى فيما يلي:

سمى الله تعالى أطوار خلق الإنسان وعمره في مواضع من كتابه جاءت على النحو التالي:

م	شكل الورود	حجم الورود	المواضع
1	تراب	6	[غافر: 67]، [فاطر:11] [الكهف:37] [الحج: 5]، [الروم: 20] [آل عمران: 59]
	طين	7	[الأنعام:2] [الأعراف:12] [المؤمنين: 2] [السجدة:7] [الصافات:11] [ص:71] [ص:76]
	صلصال من حمأ مسنون	3	[الحجر:26] [الحجر:28] [الحجر: 33]
	صلال كالفخار	1	[الرحمن: 14]
2	نطفة	11	[النحل: 4]، [الكهف: 37] [الحج: 5] ،[المؤمنون:13] [فاطر:11]، [يس: 77] [غافر: 67]، [النجم: 46] [القيامة:37] ، [الإنسان: 2] [عبس: 19]
3	علقة	4	[القيامة: 38]، [غافر:67] [المؤمنون:14]، [الحج:5]
4	مضغة	2	[الحج: 5]، [المؤمنون:14]
5	العظام	1	[المؤمنون: 14]
6	جنين	1	[النجم: 32]
7	طفل	4	[النور: 31]، [النور:59] [غافر:67]،[الحج: 5]
8	المهد	3	] [المائدة:110]،[مريم: 29]46([آل عمران:
9	صبي	2	[مريم: 12]، [مريم: 29]

م	شكل الورود	حجم الورود	المواضع
10	ولد	30	[المجادلة: 2]، [التوبة:69] [آل عمران: 47]، [الإسراء: 64] [النساء: 11]، [الأنفال:25] [الحديد: 20]، [سبأ: 37] [التغابن: 15]، [التغابن: 14] [آل عمران:10] [آل عمران: 116] [التوبة: 55] [التوبة: 85] [الأنعام: 140]، [الأنعام:137] [مريم: 35]، [المؤمنون: 91] [الصافات: 152] [الزخرف: 81] ، [البلد: 3] [البقرة: 233] [النساء: 11] [الأنعام: 151] [الإسراء: 31] ، [سبأ: 35] [الشعراء: 18] [الممتحنة: 3] [المنافقون: 9]
11	غلام	13	[الصافات: 101] [يوسف: 19] [الكهف: 74] [الكهف: 80]، [مريم:7] [مريم: 8]، [الحجر: 53] [مريم: 20]، [آل عمران: 40] [الكهف: 82]، [الذاريات: 28] [الطور: 24]
12	فتية	8	[الكهف: 13]، [الكهف: 62] [الأنبياء: 60]، [يوسف: 62] [يوسف: 36]، [الكهف: 10]

م	شكل الورود	حجم الورود	المواضع
			[النساء: 25]، [النور: 33]
13	بالغ	4	[النور: 59]، [الحج: 5] [غافر: 67]، [الكهف: 82]
14	رجل	13	[الزخرف: 31] [غافر: 28] [يس:20]، [سبأ: 43] [سبأ: 7]، [القصص: 20] [المؤمنون: 38]، [المؤمنون: 25] [هود: 78] [يونس:2] [الأعراف: 69]، [الأعراف: 63]، [النساء: 12]
15	الرشد	2	[النساء: 6]، [هود: 78]
16	الأشد	8	[يوسف: 22]، [غافر: 67]، [القصص: 14]، [الأحقاف:15] ، [الإسراء: 34]، [الحج: 5]، [الأنعام: 152] ، [الكهف: 82]
17	شيخ	4	[غافر: 67]، [يوسف: 78]، [هود: 72]، [القصص: 23]
18	عجوز	4	[هود: 72]، [الذاريات: 29] ، [الشعراء: 171] ، [الصافات: 135]
19	حالم	2	[النور: 59]، [النور: 58]
20	ذرية	10	[النساء: 9]، [آل عمران: 38] ، [البقرة:266]، [مريم: 58]، [الإسراء:3]، [الرعد: 38]، [الأعراف: 173]، [الأنعام: 133]،

م	شكل الورود	حجم الورود	المواضع
			[آل عمران: 33، 34] ، [يونس: 83]
21	معمر	4	[فاطر: 11]، [يس: 68] ، [فاطر:37]، [البقرة: 96]
22	الكبر	8	[البقرة: 266]، [آل عمران: 40]، [إبراهيم: 39]، [الحجر: 54] ، [الإسراء: 23]، [مريم: 8]، [القصص: 23]، [يوسف: 78]
23	أرذل العمر	2	[الحج: 5]، [النحل: 70]
24	فصال	2	[البقرة: 233]، [لقمان: 14]، [الأحقاف: 15]
25	رضاع	3	[الحج: 2]، [البقرة: 233] ، [النساء:23]
26	صغير	1	[الإسراء: 24]
27	الصلب	1	[النساء: 23]
28	الشيب	3	[مريم: 4]، [المزمل: 17] ، [الروم: 54]
29	كهل	2	[آل عمران: 46]، [المائدة: 110]،
30	حمل	7	[الأعراف: 189]، [مريم: 22]، [لقمان: 14]، [الأحقاف: 15] ، [الحج: 2]، [الطلاق: 6]، [الطلاق: 4]

وهذا يبين مقدار عناية النص القرآني بأطوار خلق الإنسان ونموه العمري على اختلافها وتنوعها وهي تسميات تأتي على كافة العوالم التي يمر بها الإنسان حتى من قبل أن يخلقه الله عز

وجل، حتى يصل لنهايته موته بل ويبقى الوحي يسميه بأسماء مثلها حتى في حياته الآخرة في دار الخلود الأبدي.

أما ورود أسماء أطوار خلق الإنسان في كتب السنة النبوية فأكتفي هنا بتتبع لما ورد من تلك الأسماء في الكتب الستة "جامع الأصول لابن الأثير"

م	المصطلح	حجم الورود	م	المصطلح	حجم الورود
1	صبي	32	15	رجل	6
2	شباب	45	16	الكبير	4
3	عجوز	5	17	وليد	13
4	ولد	88	18	حالم	2
5	عيال	6	19	مُناهز	1
6	جنين	9	20	مولود	3
7	جارية	14	21	فتى	10
8	ذرية	3	22	مراهق	1
9	صغير	24	23	كهل	2
11	الشرخ	2	42	وصيف	2
12	الجفر	3	25	عاتق	2
13	حَانث	5	26	مختون	1
14	جِزوّر	2	27		

والملفت للنظر أنّ بيان العلماء لكل مصطلح قرآني – في القرآن الكريم أو في بيانه

المتمثل في السنة النبوية- وتعريفهم له كشف عن شمولية تلك الأطوار كل زمن وسن عمري بتفصيل مذهل منذ خلق آدم عليه السلام حتى نهاية عمر الإنسان **من غير أن يوجد أي فراغ زمني بغير اسم ومصطلح يليقه** وإليك بيان ذلك[1]:

التراب

التراب: هو الأصل الأول في خلق الإنسان، وكل اسم في آي القرآن عن خلق آدم عليه السلام هو اسم ومصطلح يعبر عن طور من أطوار خلقه وهي "التراب، ثم الطين ثم الحمأ المسنون، ثم صلصال كالفخار" ثم نفخ فيه من روحه فكان بشرًا سويًا قال تعالى{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: 59]، وقال {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ } [الحجر: 28]

طين لازب: وهو التراب والماء المختلط، ولازب أي لازم لا يكاد يفارق،[2] وكأنه متماسك بعضه إلى بعض لا يفارق.

حمأ مسنون: وهو الطين المصبوب صبًا، وقيل المنتن[3] ولعل الأقرب للسياق المعنى الأول -والله أعلم-

صلصال كالفخار: أصله تردد الصوت من الشيء، ولذا سمي الطين الجاف صلصالاً، وشبه بالفخار الذي هو الطين الذي أُحرق بالنار بجامع إصدار الصوت من كل.[4]

قال في زاد المسير: فإن قيل قد أخبر الله تعالى عن خلق آدم عليه السلام بألفاظ مختلفة فتارة يقول خلقه من تراب (آل عمران 59) وتارة من صلصال وتارة من طين لازب (الصافات

---

(1) اجتهدت في اقتراح المصطلح الرئيس على رأس كل طور عمري والذي يضم تفصيلات مصطلحية قرآنية في داخله.

2 مقاييس اللغة (245/5)، المفردات (450).

3 مقاييس اللغة (60/3) وانظر: المفردات (133)

4 تهذيب اللغة 181/4) / (المفردات 284

11) وتارة كالفخار (الرحمن 14) وتارة من حمأ مسنون (الحجر 29) فالجواب أن الأصل التراب فجعل طينا ثم صار كالحمئ المسنون ثم صار صلصالا كالفخار هذه أخبار عن حالات أصله[1]. وجاء في حديث أبي هريرة إثبات لهذا الترتيب لولا خلاف بعض المحدثين في صحته (إن الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار)[2]

وبعد آدم عليه السلام تحول تناسل البشر إلى الماء المهين، الذي يقذف في الأجنة والأرحام فيخلق الله منها البشر. بقدرته سبحانه وتعالى وتفصيل تلك الأطوار التي تتخلق في الأجنة كما يلي:

ثم يليه

الجنين

اللفظ الجامع لأطوار الخلق في الأرحام هو الجنين يقول ابن فارس الجيم والنون أصل واحد، وهو [الستر و] التستر.. والجنين: الولد في بطن أمه[3] ويقول الراغب أصل الجن ستر الشيء عن الحاسة والجنين الولد ما دام في بطن أمه وجمعه أجنة قال تعالى: {وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم} وذلك فعيل في معنى مفعول. [المفردات في غريب القرآن ص: 98] وأجنت الحامل الجنين أي الولد في بطنها وجمعه أجنة[4].

فالجنين: هنا هو الولد مادام في بطن أمه منذ كان نطفة حتى يخرج

1 زاد المسير 110/8

2 قال الهيثمي: رواه أبو يعلى وفيه إسماعيل بن رافع قال البخاري: ثقة مقارب الحديث وضعفه الجمهور وبقية رجاله رجال الصحيح) مجمع الزوائد (363/8).

3 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 421/1

4 كتاب العين 21/6

وتفصيل مصطلحات أسماء الإنسان في هذا الطور جاءت بتفصيل في القرآن مرتبة في مواضع من أجمعها: قوله تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 12 – 14]، وفي السنة جاء بيانها مع أزمانها ومددها كذلك ففي الحديث (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا، فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد. ثم ينفخ فيه الروح[1]

نطفة: الماء الصافي[2] ويعبر بها عن ماء الرجل [3]، ووصفت في القرآن بأنها تمنى {ألم يك نطفة من مني يمنى} وقوله {من نطفة إذا تمنى} أي تقدر، لأن المني التقدير فهي نطفة تقدر بالعزة الإلهية، ومنه المنية وهي الأجل المقدر[4]

فالنطفة في القرآن هنا ماء الرجل المقدر بقدرة الله تعالى

علقة: والعلق: الدم الجامد، وقياسه صحيح، لأنه يعلق بالشيء؛ والقطعة منه علقة[5] قال الراغب: والعلق الدم الجامد ومنه العلقة التي يكون منها الولد، قال : {خلق الإنسان من علق} وقال: {ولقد خلقنا الإنسان } إلى قوله {فخلقنا العلقة مضغة}[6]

فالعلقة في القرآن الدم الجامد في طور تخلقه إنسانًا.

1 رواه البخاري 197/4، ومسلم 2036/4.
2 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 440/5
3 المفردات في غريب القرآن ص: 496
4 المفردات في غريب القرآن ص: 475.
5 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 125/4.
6 المفردات في غريب القرآن ص: 343

مضغة: والمضغة: قطعة لحم[1]. قال الراغب: وجعل اسما للحالة التي ينتهي إليها الجنين بعد العلقة، قال تعالى: {فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما} وقال: {مضغة مخلقة وغير مخلقة}[2]

أما وصفها بالمخلقة وغير المخلقة فيقول ابن فارس "خلق" الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء... ومن الباب رجلٌ مُخْتَلَقٌ: تامُّ الخَلْق[3]؛ فالمخلقة تامة الخلقة وغير المخلقة بخلافها، وهو المعنى الذي رجحه ابن جرير الطبري حيث يقول: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: المخلقة المصورة خلقا تامًا، وغير مخلقة: السِّقط قبل تمام خلقه...وذلك هو المراد بقوله (مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ)[4]

فإذا خرج الجنين بعد تلك الأطوار كان طفلاً

ثم يليه

الطفل

طفل: يقول فارس العربية ابن فارس (طفل) الطاء والفاء واللام أصل صحيح... والأصل المولود الصغير؛ يقال هو طفل، والأنثى طفلة[5]

ويقول الراغب في المفردات : الطفل الولد ما دام ناعما[6]

1 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 330/5

2 المفردات في غريب القرآن ص: 469

3 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 214/2، معجم مقاييس اللغة لابن فارس 213/2

4 تفسير الطبري 569/18 تفسير الطبري 568/18

5 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 413/3

6 المفردات في غريب القرآن ص: 305.

وفي تحديد سنه جاء في تهذيب اللغة: الصبي يُدعى طفلاً حين يسقط من أمه إلى أن يحتلم[1]

وهو مناسب للآيات فعند الميلاد سمي طفلاً (ثم يخرجكم طفلا) وفي سورة النور لم تجعل بين الطفولة وبلوغ الحلم فاصلا (فإذا بلغ الأطفال منكم الحلم..).

وتفصيل مصطلحات أطوار الطفولة يستفاد من مجموعة نصوص وهي على ضربين مصطلحات عامة على المرحلة كلها من الميلاد إلى البلوغ مثل "الطفل" وأخرى تختص بجزء من مرحلة الطفولة مثل رضيع الذي هو في العامين الأولين فحسب: ففي القرآن سماه عند ولادته وليد ومولودًا، ثم في العامين رضيع، وفي المهد، ثم بعدها صبي.. وجاء في السنة تسميته ذو العشر مراهق، ويافع، وجفر، ومناهز وجارية ومراهقة ومعساء ومعاصير ونحوها من الأسماء وهذا بيان لتلك الأسماء ومددها الزمنية:

إذا خرج الجنين من بطن أمه فهو (مولود)

مولود قال تعالى (وعلى المولود له) المولود يقال للواحد والجمع والصغير والكبير[2]
والولد: هو فعل بمعنى مفعول يتناول الذكر والأنثى [3]

وما دام في العامين الأولين بعد ولادته: يسمى رضيعًا:

رضيع: والرضاعة شُرْب اللَّبَن من الضَّرْع أو الثَّدي. تقول رَضِع المولودُ يرضَع[4] قال تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين). قال الطبري قوله: "دلالة على مبلغ غاية الرضاع[5] يعني العامين وفي الحديث عن عائشة قالت أتي رسول الله صلى الله عليه و سلم بصبي

1 تهذيب اللغة للأزهري 406/4

2 المفردات في غريب القرآن ص: 532

3 كتاب الكليات ص: 944

4 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 400/2

5 تفسير الطبري 31/5.

يرضع فبال في حجره فدعا بماء فصبه عليه قال النووي (يرضع) أي رضيع وهو الذي لم يفطم[1] فإذا أتم العامين وفطم عن الرضاعة يسمى: فطيمًا

فطيم: الصبي دخل في وقت (الفِطَامِ)[2] وفي السنن عن رافع بن سنان: أنه أسلم، وأبَتِ امرأته أن تُسْلِمَ، فَأَتَتِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: ابْنَتِي، وهي فَطِيمٌ أو شبهه[3].

ويصدق على من في العامين إلى أن يفطم صبي قال في اللسان والصبي من لدن يولد إلى أن يفطم[4]، ثم يبقى يشمله مصطلح الطفولة

طفل: قال في المصباح المنير: طفل: قال بعضهم ويبقى هذا الاسم للولد حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك (طِفْلٌ)[5]. والتمييز في اللغة: القوة التي في الدماغ، وبها تستنبط المعاني [6]، واختلف العلماء في تحديد بداية سن التمييز على قولين فمنهم من حده بسن السابعة (الحنفية، وأكثر الحنابلة وهو قول عند الشافعية لحديث مروا أولادكم بالصلاة لسبع) رواه أبو داود وغيره) ومنهم من علقه بالصفات يقول النووي: الصبي المميز الذي يفهم الخطاب ورد الجواب ولا يضبط بسن بل يختلف باختلاف الأفهام [7] وذلك من السابعة حتى العاشرة

فإذا بلغ العاشرة سمي بأسماء ومصطلحات أخرى حتى يحتلم، منها:

---

1 صحيح مسلم 237/1

2 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - ث 477/2

3 صحيح أبي داود للألباني 13/7

4 لسان العرب 449/14

5 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - ث 374/2

6 المفردات في غريب القرآن ص: 478

7 تحرير ألفاظ التنبيه ص: 134

المراهق: وهو الذي قارب الحلم" قاله الخليل[1]، والأزهري[2] وابن فارس[3]، والزمخشري[4] والخوارزمي في المغْرِب[5] وابن دريد[6] والجوهري[7] والفيروز آبادي[8] والزبيدي[9]،والفيومي[10]. وحدده بالعاشرة حتى البلوغ غير واحد منهم صاحب اللسان: "وراهق الغلام فهو مراهق: إذا قارب الاحتلام. والمراهق: الغلام الذي قارب الحلم. وجارية: مراهقة. ويقال: جارية راهقة وغلام راهق؛ وذلك: ابن العشر إلى إحدى عشرة"[11] قال ابن القيم: ثم بعد العشر إلى سن يسمى مراهقًا ومناهزًا للاحتلام، فإذا بلغ خمس عشرة سنة عرض له حالٌ آخر) [12] وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه[13]: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طلحة: <التمس لي غلامًا من غلمانكم يخدمني؛ حتى أخرج إلى خيبر. فخرج بي أبو طلحة مُرْدِفي، وأنا غلام راهقتُ الحلمَ، فكنتُ أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل[(14)]، وعن ابن عباس أنه

---

1 العين للخليل، (367/3).

2 تهذيب اللغة للأزهري (260/5).

3 معجم مقاييس اللغة لابن فارس (405/2).

4 أساس البلاغة، لابن فارس(400/1).

5 المغرب في ترتيب المعرب(355/1).

6 جمهرة اللغة، لابن دريد (مادة: رهق 797/2).

7 الصحاح، للجوهري (1486/4).

8 القاموس المحيط (مادة: رهق 889).

9 تاج العروس من جواهر القاموس (383/25).

10 المصباح المنير(مادة رهق).

11 لسان العرب، (مادة رهق 345/5هـ).

12 تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم (ص252).

13 قال الذهبي:"أنس قد خدم النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحتلم، وقبل جريان القلم". سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان (232/13).

(14) رواه البخاري حديث رقم (2893).

(صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بمنى إلى غير جدار، فجئت راكبًا على حمار لي، وأنا يومئذ قد راهقت الاحتلام، فمررت بين يدي بعض الصف، فنزلت وأرسلت الحمار يرتع، ودخلت مع الناس، فلم ينكر ذلك علي أحد)[1] وكثيرًا ما يعلق فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة أحكامًا خاصة للمراهق باعتباره صبيًا مقاربًا للبلوغ ولما يبلغ بعد ولعدم الإطالة[2] أكتفي بمثال واحد عند الشافعية قال في المهذب: كتاب (الإقرار): (فإن أقر مراهق أنه غير بالغ فالقول قوله، وعلى المقر له أن يقيم البينة على بلوغه، ولا يحلّف المقر؛ لأن حكمنا بأنه غير بالغ؛ أي: بمجرد تسميته مراهقًا)[3].

اليافع: روى مسلم بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت لعائشة رضي الله عنها: إنه يدخل عليك الغلام الأيفع الذي ما أحب أن يدخل عليّ، فقالت عائشة: أمالك في رسول الله أسوة... الحديث). قال النووي عقبه: الأيفع: هو بالياء المثناة من تحت وبالفاء وهو الذي قارب البلوغ و لم يبلغ[4] قال القاضي عياض: (اليَفع: الذي قارب البلوغ)[5]

المناهز: روى البخاري عن ابن عباس قال: (أقبلت راكبًا على حمار أتان وأنا يومئذ ناهزت الاحتلام) قال العيني: "قوله ناهزت الاحتلام: أي قاربت الاحتلام. يقال ناهز الصبي البلوغ: إذا قاربه وداناه[6]

---

(1) رواه البيهقي في الكبرى (273/2)، وهو في البخاري (7/4) بلفظ (ناهزت الاحتلام).

(2) انظر كتاب "دعه فإنه مراهق" لعبد الله الطارقي

(3) المهذب (50/3).

(4) شرح صحيح مسلم، للنووي (33/10).

(5) مشارق الأنوار، (134/2).

(6) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (69/2).

الحَزَوّر: لغلام الحَزْوَر وذلك إذا اشتدّ وقوِي[1] في الحديث كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلمانًا حزاورة قال في النهاية: حزاورة جمع حزوّر وهو الذي قارب البلوغ[2]

الوصيف: روى البخاري في اللباس عن ابن عباس في إرادته سؤال عمر رضي الله عنه. وفيه " (وعلى باب المشربة وصيف). قال الحافظ: (الوصيف: هو الغلام دون البلوغ[3] وقال القاضي عياض: "الوصيف من الغلمان هو الذي قارب البلوغ و لم يبلغ بعد، والأنثى وصيفة[4].

الشرخ: جاء في الحديث: (اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم)، قال أبو شجاع الديلمي: (الشرخ.. المراهقون الذين لم يبلغوا الحلم[5].

الجَفْر: قال عياض: في حديث جابر: (فخرج ابن له جفر): (قيل هو الذي قارب البلوغ) [6].

الجارية: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنّيان...)، قال العيني: (الجارية في النساء: كالغلام في الرجال. يقال على من دون البلوغ منهما)[7].

العواتق: عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نُخرِج العواتقَ وذواتِ الخدور...) قال النووي: (قال ابن دريد العاتق: هي التي قاربت البلوغ)[8]

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس 55/2.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر205).

(3) فتح الباري (315/10).

(4) مشارق الأنوار، للقاضي عياض (289/2).

(5) الفردوس بمأثور الخطاب، (109/1).

(6)مشارق الأنوار، للقاضي عياض (159/1).

(7) عمدة القاري (268/6).

(8) شرح صحيح مسلم، (178/6).

معاصير: معاصر ومعاصير هي التي قاربت الحيض؛ لأن (الإعصار في الجارية كالمراهقة في الغلام)[1].

وهذا بطبيعته يقودنا للمصلح التالي وهو الطور الأهم في عمر الإنسان عند بلوغه إذ ما قبله تمهيد له وما بعده يبنى عليه!

الشباب :

يقول ابن فارس الشين والباء أصل واحد يدل على نماء الشيء، وقوته في حرارة تعتريه.. والشباب: جمع شاب، وذلك هو النماء والزيادة بقوة جسمه وحرارته[2]

قال ابن حجر: والشباب جمع شاب ويجمع أيضا على شببه وشبان بضم أوله والتثقيل.. وهو اسم لمن بلغ إلى أن يكمل ثلاثين[3] اتفق العلماء في بدايته واختلفوا في نهايته والذي عليه الأكثر ما قاله ابن القيم: يسمى شابًا إلى الأربعين ثم يأخذ في الكهولة إلى الستين ثم يأخذ في الشيخوخة([4]) ومن مشتهر الحديث ما جاء عن عبد الله كنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[5]. وبيان مصطلحات طور الشباب من لدن البلوغ حتى الكهولة ما يلي:

---

(1) المصدر السابق (مادة عصر) (237/9).

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس 177/3.

(3) فتح الباري، للحافظ ابن حجر (108/9) وقوله الأصحاب: يعني الشافعية.

(4) تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ص: 302.

(5) رواه البخاري (360/6).

البالغ: بلغ الغلام بلوغا: أدرك، واحتلم وفي القرآن الكريم: (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) (النور: 59). فهو بالغ وهي بالغ، وبالغة. [1] قال الأزهري وكان الشافعي يقول جارية بالغ[2]. وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه الأشد الحلم [3]

الحانث: البالغ قال الراغب: وعبر بالحنث عن البلوغ لما كان الإنسان عنده يؤخذ بما يرتكبه خلافا لما كان قبله فقيل بلغ فلان الحنث [المفردات في غريب القرآن ص: 133] وفي الحديث: > لم يبلغوا الحنث<[4].

الحالم: هو من بلغ سن الحلم قال الراغب وقوله عز وجل: {وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم} أي زمان البلوغ، وسمي الحلم بكون صاحبه جديرا بالحلم [المفردات في غريب القرآن ص: 129] وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ومن كل حالم دينارًا"[5].

فتى: الفتى الطري من الشباب والأنثى فتاة والمصدر فتاء، ويكنى بهما عن العبد والأمة، قال تعالى: {تراود فتاها عن نفسه}... وجمع الفتى فتية وفتيان وجمع الفتاة فتيات وذلك قوله: {من فتياتكم المؤمنات} وقوله {إذ أوى الفتية إلى الكهف} وقوله{إنهم فتية آمنوا بربهم} [6]

---

(1) القاموس الفقهي ص: 41

(2) المصباح المنير 61/1.

(3) تحفة المودود بأحكام المولود ص: 300.

(4) رواه البخاري (102)، ومسلم (2634).

(5) رواه أحمد (320/5)، وغيره، وصححه الألباني في الإرواء (1254).

(6) المفردات في غريب القرآن ص: 373

الكبير: الكبير (كبر) الكاف والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خِلاف الصِّغَر. يقال: هو كَبيرٌ [1] ؛ واستعمل في الحديث دالاً على البلوغ كما في قوله صلى الله عليه وسلم: <رفع القلم عن ثلاث عن المجنون حتى يعقل, وعن المبتلى حتى يفيق, وعن الصبي حتى يكبر>[2].

وصف البالغ بالرشد: يقول ابن فارس: عن الرشد: الراء والشين والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استقامةِ الطريق، والرُّشْد والرَّشَد: خِلافُ الغَيّ"[3]

والرشد: وصف للإنسان في طور البلوغ، قال تعالى: {فإن آنستم منهم رشدا} وهو وصف يطلب إضافة على بلوغ الحلم عند إرادة دفع مال اليتيم إليه، قال الطبري بعد سوق أقوال العلماء فيما هو الرشد: وأولى هذه الأقوال عندي بمعنى "الرشد" في هذا الموضع، العقل وإصلاح المال؛ لإجماع الجميع على أنّه إذا كان كذلك، لم يكن ممن يستحق الحجرَ عليه في ماله، وحَوْزَ ما في يده عنه[4] فهو وصف إضافي في أهلية البالغ لدفع ماله إليه[5] وإلا فإن الإجماع منعقد على تكليفه بسائر شعائر الإسلام بمجرد بلوغه كما نقل غير واحد من العلماء

الأشد: يقول الراغب الشين والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على قوةٍ في الشيءِ[6] يقول الراغب: قوله تعالى: {حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة} ففيه تنبيه أن الإنسان إذا بلغ هذا

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس 153/5

(2) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (1660: 347/1).

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (398/2).

(4) تفسير الطبري (577/7).

(5) لأجل القيد الوارد في دفع مال اليتيم إليه انظر المبسوط للسرخسي (162/12)، بداية المجتهد لابن رشد (313/2)، الأم للشافعي (220/2)، الروض المربع للبهوتي (278) ويضع أبو حنيفة حدًا لانتظار إيناس الرشد منه بسن25 سنة وبعدها يدفع إليه على أية حال.

6 معجم مقاييس اللغة لابن فارس (179/3).

القدر يتقوى خلقه الذي هو عليه فلا يكاد يزايله بعد ذلك[1] والأشد هو طور الشباب إذ هو المرحلة الممتدة من البلوغ إلى أربعين سنة قال الراغب عن "بلوغ الأشد" في الآية اي الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى[2] ويقرر هذا ابن القيم فيقول: فإذا تيقن بلوغه جرى عليه قلم التكليف وثبت له جميع أحكام الرجل ثم يأخذ في بلوغ الأشد... وقد أحكم الزهري تحكيم اللفظة فقال بلوغ الأشد يكون من وقت بلوغ الإنسان مبلغ الرجال الى أربعين سنة...فبلوغ الأشد محصور الأول محصور النهاية غير محصور ما بين ذلك فبلوغ الأشد مرتبة بين البلوغ وبين الأربعين[3]

ثم يليه

الكهولة

يقول ابن فارس (كهل) الكاف والهاء واللام أصل يدل على قوة في الشيء أو اجتماع جبلة... ويقولون للرجل المجتمع إذا وخطه الشيب: كهل، وامرأة كهلة [4]

يقول الراغب: كهل: الكهل من وخطه الشيب، قال: {ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين} واكتهل النبات إذا شارف اليبوسة مشارفة الكهل الشيب [5] وظاهر تقدمه في السن وإن لم يبلغ حد الشيخوخة.

ونقل في مهمات التعاريف عن زمنه: من حد نيف وأربعين إلى ستين[6]، وفي تحديد سنه من الأربعين إلى الستين يقول ابن القيم: يسمى شابًا إلى الأربعين ثم يأخذ في الكهولة إلى

1 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (256).

2 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (60)

3 تحفة المودود بأحكام المولود لا بن القيم (300).

4 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 144/5

5 المفردات في غريب القرآن ص: 442

6 التوقيف على مهمات التعاريف ص: 613

الستين ثم يأخذ في الشيخوخة[1] ومن أهل اللغة من يجعله من الأربعين حتى الخمسين قال الأزهري: وإذا بلغ الخمسين فإنه يقال له كهل [2].

ثم يليه

الشيخوخة

قال ابن فارس: (شيخ) الشين والياء والخاء كلمة واحدة، وهي الشيخ. تقول: هو شيخ، وهو معروف، بين الشيخوخة والشيخ والتشييخ[3] يقول الراغب شيخ: يقال لمن طعن في السن الشيخ وقد يعبر به فيما بيننا عمن يكثر علمه لما كان من شأن الشيخ أن يكثر تجاربه ومعارفه، قال {وهذا بعلي شيخا} وقال وتعالى: {وأبونا شيخ كبير}[4]

وأنثى الشيخ العجوز، قال ابن فارس (عجز) العين والجيم والزاء أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على الضَّعف، والآخر على مؤخَّر الشيء[5]، وقد اجتمعت في العجوز حيث حتى قال الراغب: والعجوز سميت لعجزها في كثير من الأمور، قال تعالى {إلا عجوزا في الغابرين} وقال {أألد وأنا عجوز}[6] وهي كذلك في آخر عمرها.

1 تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم (302).

2 تاج العروس من جواهر القاموس – ث 360/30.

3 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 234/3.

4 المفردات في غريب القرآن ص: 270.

5 معجم مقاييس اللغة لابن فارس (232/4).

6 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (323).

وقد يراد يوصف الشيخ والعجوز بالكبر لكبر سنهما قال الراغب: يقال فلان كبير أي مسن نحو قوله: {إما يبلغن عندك الكبر أحدهما} وقال: { وأصابه الكبر} وقال: {وقد بلغني الكبر}[1]

ثم إذا تقدمت بالإنسان السن أكثر دخل في أرذل العمر، وأصل الرذل كما يقول ابن فارس: الدُّون مِن كلِّ شيء[2] ويقول الراغب الرذل المرغوب عنه لرداءته قال تعالى: {ومنكم من يرد إلى أرذل العمر}[3]. وذلك أيضًا زمن وهن العظم وضعف القوى وتنكس الخلق حتى يرغب عنه وجمعها الراغب في قوله: ومن النكس في العمر قوله تعالى {ومن نعمره ننكسه في الخلق} وذلك مثل قوله {ومنكم من يرد إلى أرذل العمر}[4] وهو سن (الهرم) الذي تعوذ منه صلى الله عليه وسلم: "وأعوذ بك من الهرم"[5] وفي رواية وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر[6]

وبعده الوفاة ونهاية الحياة الدنيا يدخل الإنسان إلى ثلاثة عوالم : الأول عالم البرزخ في قبره والثاني البعث وما بعده، والثالث حين يستقرون في الجنة أو النار عياذا بالله منها ونسأل الله الجنة، وكل تلك العوالم يبقى التمييز في عمر الإنسان منحصرا في طورين رئيسن: الطفولة، وما بعد البلوغ، لأن الأول غير مكلف والثاني مخاطب بالنص مكلف.

1 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (421).

2 معجم مقاييس اللغة لابن فارس (509/2).

3 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (194).

4 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (505). قال في تحفة الأحوذي" وأرذل العمر هو الخرف يعني يعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ويقال أرذل العمر أردؤه وهو حالة الهرم والضعف. تحفة الأحوذي 11/10.

5 رواه البخاري (498/7)

6 رواه البخاري (475/3)

لذا نجد لدى الفقهاء خلافًا في سؤال الأطفال في القبر وفي مسألة أطفال الكفار، ثم نجد نصوصًا في بيان سن أهل الجنة أنهم شباب وأن سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين.

المصطلحات العامة:

ما سبق من المصطلحات القرآنية في الأطوار مصطلحات تطلق على طور خاص وسن محددة، غير أن بعض تلك المصطلحات ترد في القرآن ويراد بها عموم الجنس ومنها ما يلي:

منها لفظ **الولد:** {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} [النساء: 11] فلا يراد به الصغير دون الكبير

منها لفظ **الذرية** : {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ } [مريم: 58] فلا يراد بالذرية الصغار

هذا مع اكتفائنا بالمصطلح القرآني والحديث الشريف، وإلا فلو رجعنا للإطلقات اللغوية العامة لوقفنا على إضافات كثيرة، ولما لم تكن هدفًا لنا هنا لم أهتم بإيرادها **مع أنّ ما صح في متن اللغة العربية أولى بالاستعمال في علوم أهل الإسلام النفسية من اللغة الأجنبية عنا والله أعلم!**

تقسيمات المتقدمين لأطوار عمر الإنسان

وقد وضع العلماء تقسيمات وهي - والله أعلم- على ضربين، الضرب الأول: تقسيمات حافظت على تلك الأسماء والمصطلحات القرآنية وهي:

مثل ما شاع عند المفسرين من قول عكرمة حيث يقول: رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ [1]، ولم يخرج عنه الحافظ ابن الجوزي في رسالته الشهيرة تنبيه النائم الغمر، حيث جعله عمر الإنسان في مواسم خمسة وهي:

الأول: من وقت الولادة إلى زمان البلوغ، وذلك، خمس عشر سنة. والثاني: من زمان بلوغه إلى نهاية شبابه، وذلك إلى تمام خمس وثلاثين سنة، (وهو زمن الشباب). والثالث: من ذلك الزمان إلى تمام خمسين سنة، وذلك زمان الكهولة. وقد يقال: (كهل) لما قبل ذلك.الرابع: من بعد الخمسين إلى تمام السبعين، وذلك زمان الشيخوخة. والخامس: ما بعد السبعين إلى آخر العمر، فهو زمن الهرم)[2].

كذلك لم يبتعد عنه الإمام السيوطي مع أنّه فصلها إلا أنه حافظ على المصطلحات القرآنية في ألقاب الأطوار حيث يقول: فأول أطباق الإنسان جنين، ثم وليد، ثم رضيع ثم فطيم، ثم يافع، ثم رجل، ثم شاب، ثم كهل، ثم شيخ، ثم ميت، وبعده نشر ثم حشر ثم حساب ثم وزن ثم صراط ثم مقرّ[3].

وسار على ذات الجادة في التصنيف الإمام القرافي حيث يقسم أطوار الإنسان إلى: طفل ورضيع ثم صبي ثم اذا قارب البلوغ يافع ويفعة ومراهق ثم بعد البلوغ شاب إلى ثلاثين سنة ثم كهل إلى ستين سنة ثم شيخ إلى اخر العمر[4]

وممن وقف عند التقسيم القرآني الفخر الرازي في كتابه الفراسة ويسميها الأسنان الأربعة" سن النمو وسن الوقوف، سن الكهولة، سن الشيخوخة. واختلف في فهم قوله سن

---

1 تفسير السراج المنير ص (5132) وتفسير الخازن (241/6)، والشوكاني في فتح القدير (453/7)، البغوي (230/5)، تفسير الثعلبي (161/10)

(2) تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر لابن الجوزي (ص10)

(3) نظم الدرر 379/9، بترقيم الشاملة آليا.

(4) الذخيرة 426/10.

الوقوف![1]، وكذلك الراغب الأصفهاني في كتابه تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين وإن كان يترع في بيانه لبيان قوى الإنسان وكيفية حصولها[2]

الضرب الثاني: وهو المشتمل على المصطلح القرآني في أطوار الإنسان مع إضافة أسماء أخرى لغوية. ومن ذلك:

ما جاء في فقه اللغة لثعلب حيث يقول: مَا دَامَ فِي الرَّحِمِ فَهُوَ جَنِينٌ، فإذا وُلدَ فَهُوَ وَليدٌ، وَمَا دَامَ لَمْ يَسْتَتِمَّ سَبْعَةَ أَيام فهو صَدِيغٌ لأنهُ لا يَشْتَدُّ صُدْغُهُ إلى تَمام السَّبْعَةِ، ثُمَّ مَا دَامَ يَرْضعُ فهو رَضِيع ثُمّ إذا قُطِعَ عَنْهُ اللَّبَنُ فَهُوَ فَطِيم

ثُمَّ إذَا غَلُظَ وَذَهَبَتْ عَنْهُ تَرَارَةُ الرَّضَاعِ فهُوَ جَحْوَشٌ، ثُمَّ هُوَ إذا دَبَ ونَمَا فَهُوَ دَارِج، فَإذا بَلَغَ طُولُهُ خَمْسَةَ أَشْبَارٍ فَهُوَ خُمَاسِي، فإذا سَقَطَتْ رَوَاضِعُهُ فَهُوَ مَثْغور عَنْ أبي زَيْدٍ، فإذا نَبَتَتْ أسْنَانُهُ بَعْدَ السُّقُوطِ فَهُوَ مُثَّغِر بالثّاء والتاء عَنْ أبي عَمْرٍو فإذا كَادَ يُجَاوِزُ العَشْرَ السِّنِينَ أوْ جَاوَزَهَا فَهُوَ مُتَرَعْرِعٌ وَنَاشِئ فإذا كادَ يَبْلُغُ الحُلُمَ أوْ بَلَغَهُ فهو يافِع وَمُرَاهِق فإذا احْتَلَمَ وَاجْتَمَعَتْ قُوَّتُهُ فَهُوَ حَزَوَّر وَحَزْوَرٌ. واسْمُهُ في جَمِيعِ هَذِهِ الأحْوَالِ الّتِي ذَكَرْنَا غُلام فإذا اخضَرَّ شارِبُهُ وَأَخَذَ عِذَارُهُ يَسيلُ قِيلَ: بَقَلَ وَجْهُهُ فإذا صَارَ ذَا فَتَاء فهو فَتًى وَشَارِخ فإذا اجْتَمَعَتْ لِحْيَتُهُ وبلغ غايةَ شَبابِهِ فَهُوَ مُجْتَمِع ثُمّ مَا دَامَ بين الثَلاَثِينَ والأَرْبَعِينَ فَهُوَ شَابٌ.

يُقَالُ للرَّجُلِ أَوَّلَ مَا يَظْهَرُ الشَّيْبُ بِهِ: قَدْ وَخطَهُ الشَّيْبُ فَإِذا زَادَ قِيلَ: قَدْ خَصَّفَهُ وَخَوَّصَهُ

فإذا ابْيَضَّ بَعْضُ رَأْسِهِ قِيلَ: أَخْلَسَ رأسُهُ فهو مُخْلِس فإذا غَلَبَ بَيَاضُهُ سَوَادَهُ فَهُوَ أَغْثَمُ عَنْ أَبي زَيْدٍ فإذا شَمِطَتْ مَوَاضِعُ مِن لِحْيَتِهِ قِيلَ : قَدْ وَخزَهُ القَتِيرُ وَلَهَزَهُ فإذا كَثُرَ فِيهِ

(1) بواسطة الشخصية الإنسانية لنزار العاني ص139

(2) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني ص2

الشَّيبُ وانْتَشرَ قِيلَ: قَدْ تَفَشَّغَ فِيهِ الشَّيْبُ عَنْ أبي عُبَيْدٍ عَنْ أبي عَمْرو يُقَال شَابَ الرَّجُلُ ثُمّ شَمِطَ ثُمّ شَاخَ ثُمَّ كَبرَ ثُمَّ تَوجَهَ ثُمَّ دَلَفَ ثُمَّ دَبَّ ثُمّ مَجَّ ثُمَّ هَدَجَ ثُمَّ ثَلَّبَ

يُقَالُ عَتَا الشَّيْخُ وَعَسَا ثُمَّ تَسعْسَعَ وَتَقَعْوَسَ ثُمّ هَرِمَ وَخرِفَ ثُمَّ أَفْنَدَ وَاهْتِرَ ثُمَّ لَعِقَ إِصْبَعَهُ وَضَحَا ظِلُّهُ إِذَا مَاتَ

إذا شَاخَ الرَّجُلُ وَعَلَتْ سِنُّهُ فَهُوَ قَحْوٌ وَقَحْب فإذا وَلَّى وَسَاءَ عَلَيْهِ أَثَرُ الكِبَرِ فَهُوَ يَفَنٌ وَدِرْدَحٌ فإذا زَادَ ضَعَفُهُ وَنَقَصَ عَقْلُهُ فَهُوَ جِلْحَاب وَمهْتَر [1]

وكذلك ابن القيم في تحفة المودود[2]

ومنها: ما نقل الحافظ ابن حجر عن بعض أهل اللغة قولهم[3].

وأكتفي بهذا ففي دواوين اللغة وكتب المفسرين وشراح الحديث من ذلك شيء كثير.

وبهذا نعلم أن "خزان ممتلكاتنا" في المصطلحات مليء بما يكسبنا الاستغناء عن الاقتراض من الآخر

ثالثًا: القضايا المنهجية والتطبيقية للمصطلح القرآني في أطوار خلق الإنسان

إن تلك المصطلحات التي فصلناها عن أطوار خلق الإنسان حملت طياتها قضايا مهمة منها:

أولا: القضايا المنهجية

وأولها منهج القرآن في عرض أطوار خلق الإنسان:

كرم الله تعالى الإنسان فاعتنى القرآن، بعرض أطوار خلق الإنسان وأطواره ومصيره في أساليب متعددة في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف ونورد هنا أمثلة لها من القرآن الكريم:

---

1 فقه اللغة ص: 313

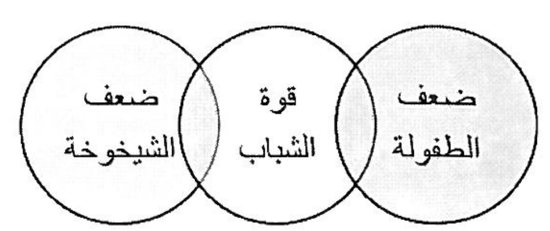
2 تحفة المودود بأحكام المولود ص: 301

3 فتح الباري - ابن حجر 279/5

فمنها: إجمال لبيان القوة والضعف

قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم: 54]

يقول ابن جرير في تفسيرها: (ضَعْفٍ) : من نطفة وماء مهين، فأنشأكم بشرا سويا،(ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) يقول: ثم جعل لكم قوّة على التصرّف، من بعد خلقه إياكم من ضعف، ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة،(ثُم جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) يقول: ثم أحدث لكم الضعف، بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء في شبابكم، وشيبة[1] وبهذا يمكن تصورها في الشكل التالي

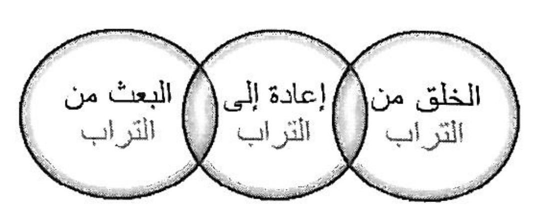


ومنها أسلوب إجمال علاقة خلق الإنسان بالتراب

قال تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } [طه: 55]، وقوله تعالى: {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} [الأعراف: 25] قال ابن كثير يخبر تعالى أنه يجعل الأرض دارًا لبني آدم مدة الحياة الدنيا، فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم، ومنها نشورهم ليوم القيامة، الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين، ويجازي كلا بعمله[2]

(1) تفسير الطبري (118/20).

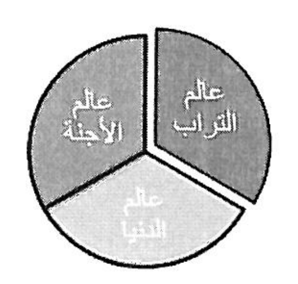
(2) تفسير ابن كثير (399/3).



ومنها أسلوب التفصيل والإجمال في عالم الأجنة والأرحام

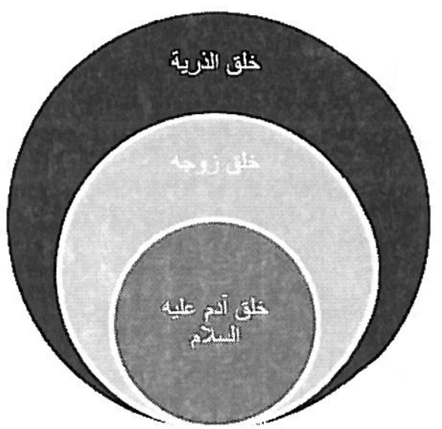
أما التفصيل فقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} [الحج: 5]، ومنه قوله تعالى: {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ} [الزمر: 6]

أما الإجمال فقوله تعالى: {خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا} [الكهف: 37]

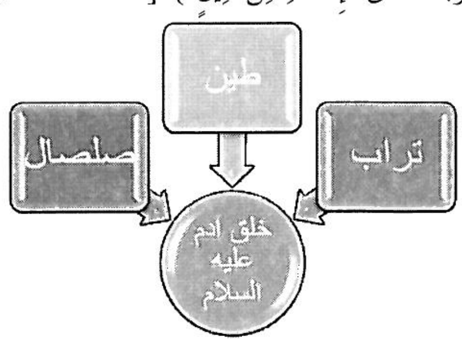


ومنها الإجمال في خلق آدم عليه السلام ثم الذرية

قال تعالى{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: 1].



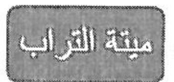
ومنها التفصيل في خلق آدم عليه السلام قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} [الحجر: 26]، وقوله {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر: 28، 29]، وقوله {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن: 14]، وقوله {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: 59]، وقوله {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى} [الأنعام: 2]، وقوله {الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ } [السجدة: 6، 7]



ومنها : عرض الحياتين والميتتين

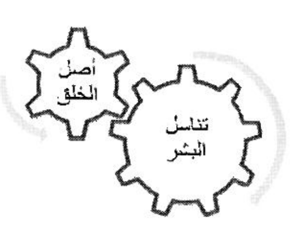
قال تعالى: {أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 28]؛ فنحن بدأت حياتنا من ممات ثم نحيا ولهذا قال أولئك {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} [غافر: 11].

ولبيانه ساق ابن كثير في تفسيرها عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: كنتم ترابًا قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة، ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى. فهذه ميتتان وحياتان[1]



ومنها عرض أصل الخلق ثم تناسل الذرية فحسب

{خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} [الروم: 20]



(1) تفسير ابن كثير (212/1).

ومنها عرض أصل الخلق وبلوغ الشيخوخة والممات

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ} [النحل: 70]



ومنها: عرض أصل الخلق ثم الأجل أو المعاد مباشرة

ومنه قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} [الأنعام: 2]،



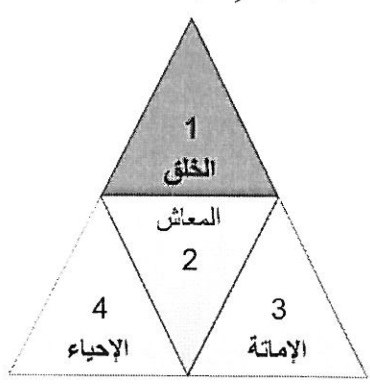
ومنه قوله تعالى {ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لقمان: 28]

بعث
المخلوقين

أصل
الخلق

ومنها: عرض الخلق والمعاش ثم الاماتة ثم الإحياء

{خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} [الروم: 40]



ومنها مواضع ركزت على أصل الخلق من نطفة

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)} [النحل: 4]

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا } [الفرقان: 54]

{وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8)} [السجدة: 7، 8]

{وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} [النجم: 45، 46]

{مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) } [الطارق: 5، 7]

وفي الوحي مواضع وصور وأساليب كثيرة ومتنوعة عن خلق هذا الإنسان الخليفة في الأرض.

وهي أساليب وطرائق توحي بقضايا وتشير إلى قضايا منهجية وتطبيقية في النظر لهذا الإنسان وأطوار خلقه وبنائه النفسي ومآلاته في الدنيا والاخرة وعلاقته بربه سبحانه وتعالى!

ثاني القضايا المنهجية

مقاصد القرآن من ذكر أطوار عمر الإنسان بهذه الأساليب المتعددة

في قراءة عجلى لكلام المفسرين للآيات التي بينت أطوار خلق الإنسان تجد إشارات لمقاصد هذه الآيات وممن وجدت له عناية كبيرة بهذا الطاهر بن عاشور فأكثرت عنه هنا، وما وقفت عليه من غير استقراء هو:

مقصد:

بيان عظمة الله تعالى، قال ابن عاشور: في حال تحققكم أنه خلقكم أطوارا؛ فموجب للاعتراف بعظمته لأنه مكونهم وصانعهم فحق عليهم الاعتراف بجلاله.[1]

مقصد :

بيان زمن التكليف ورعاية حدود الله. قال ابن عاشور "وإذا قد كانت بين الطفل وحال بلوغ الأشد أطوار كثيرة **علم أن بلوغ الأشد هو العلة الكاملة لحكمة إخراج الطفل**[2]**... إنما جعل بلوغ الأشد علة لأنه أقوى أطوار الإنسان وأجلى مظاهر مواهبه في**

1 التحرير والتنوير 186/29

2 التحرير والتنوير 146/17

الجسم والعقل وهو الجانب الأهم كما أومأ إلي ذلك قوله بعد هذا {لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً} فجعل "الأشد" كأنه الغاية المقصودة من تطويره والأشد: سن الفتوة واستجماع القوى[1]

مقصد:

الاستدلال به على قدرته سبحانه على المعاد وإعادة الخلق قال ابن عاشور "أنشأكم أطوارًا تبتدئ من الوهن وتنتهي إليه فكذلك ينشئكم بعد الموت إذ ليس ذلك بأعجب من الإنشاء الأول وما لحقه من الأطوار[2].

مقصد:

بيان كمال الخلق ومتانته على دقته قال ابن عاشور: وهذا التكوين العجيب كما يدل على إمكان الإيجاد بعد الموت يدل على تفرد مكونة تعالى بالإلهية إذ لا يقدر على إيجاد مثل الإنسان غير الله تعالى فإن بواطن أحوال الإنسان وظواهرها عجائب من الانتظام والتناسب، وأعجبها خلق العقل وحركاته واستخراج المعاني، وخلق النطق والإلهام إلى اللغة، وخلق الحواس، وحركة الدورة الدموية وانتساق الأعضاء الرئيسة، وتفاعلها، وتسوية المفاصل، والعضلات، والأعصاب، والشرايين وحالها بين الارتخاء واليبس فإنه إذا غلب عليها التيبس جاء العجز وإذا غلب الارتخاء جاء الموت[3]

مقصد:

بيان تراكمية الخلقة خلقة بعد خلقة الإنسان يخلق مرة بعد مرة في كل طور من أطواره مما يعكس مع المنطقية والدقة والإتقان تراكمية الخلق مرة بعد مرة كما قال {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ} [الزمر: 6]. قال ابن عاشور: كيف

1 التحرير والتنوير 146/17

2 التحرير والتنوير 79/21

3 التحرير والتنوير 20/27

أنشأكم الله من ماء وكيف خلقكم أطوارا، أليس كل طور هو إيجاد خلق لم يكن موجودا قبل. فالموجود في الصبي لم يكن موجودا فيه حين كان جنينا.والموجود في الكهل لم يكن فيه حين كان غلاما. وما هي عند التأمل إلا مخلوقات مستجدة كانت معدومة فكذلك إنماء الخلق بعد الموت[1]

مقصد:

بيان رفق الله تعالى بعباده قال ابن عاشور: الأطوار التي يعلمونها دالة على رفقه بهم في ذلك التطور، فذلك تعريض بكفرهم النعمة، ولأن الأطوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته، فإن تطور الخلق من طور النطفة إلى طور الجنين إلى طور خروجه طفلا إلى طور الصبا إلى طور بلوغ الأشد إلى طور الشيخوخة وطور الموت على الحياة وطور البلى على الأجساد بعد الموت، كل ذلك والذات واحدة، فهو دليل على تمكن الخالق من كيفيات الخلق والتبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدنى التفات الذهن [2]

مقصد:

دعوة البشر للتفكر في خلقهم قال ابن عاشور: {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} [نوح:14] تذكير بالنعمة وإقامة للحجة، فتخلص منه لذكر حجة أخرى فمان قد نبههم على النظر في أنفسهم أولاً لأنها أقرب ما يحسونه ويشعرون به ثم على النظر في العالم وما سوي فيه من العجائب الشاهدة على الخالق العليم القدير.[3]، ويرى محمد الأمين الشنقيطي أن في أطوار الخلق

1 التحرير والتنوير 20/27

2 التحرير والتنوير 186/29

3 التحرير والتنوير 187/29.

عجب لذا كان محل تفكر واعتبار لذا كان " انصراف خلقه عن التفكر في هذا والاعتبار به مما يستوجب التساؤل والعجب) يعني قوله (فأنى تصرفون) [1]

مقصد:

الاستغراق في بيان ضعف الإنسان ليمنعه ذلك من الطغيان

قال صاحب كتاب مفهوم الإنسان: الذي يطرد في القرآن الكريم هو أنّ الآيات التي يرد فيها تذكير الإنسان بأنه مخلوق من نطفة أو ماء مهين، يكون ثمة لفت إلى ضعفه وهوانه.. حتى لا يطغى ولا يستكبر[2] ولم يتكبر على ربه و (عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه، وهو النطفة المذرة الخارجة من... قناة النجاسة) [3]

تقول الدكتورة عائشة بنت الشاطئ: فإن طبيعة النص القرآني من حيث هو كتاب هدى ودين تقتضي توجيه كل لفظ وآية إلى مناط الهداية والاعتبار، ولمثل هذه الغاية يحرص كتاب الإسلام على تذكير الإنسان بهوانه وضعفه، فيلفته إلى خلقه من تراب) [4]

مقصد:

تنبيه الإنسان لعظم الابتلاء الذي ينتظره في مقابل التكريم الذي انتهى إليه خلقه عبر أطواره

جرت سنة الله الكريم سبحانه مع عباده أن يعطيهم الثمن أولاً ثم يطلب منهم المثمن!!

ولذلك شواهد منها، أن الله تعالى أعطى الوالدين إجابة دعائهم على ولدهم، وأعطاهم ربط رضاه سبحانه برضاهم، ثم طلب منهم سبحانه المهمة وهي المثمن بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا

1 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 323/5

2 فهوم الإنسان 266

3 الزمخشري 331/3

4 القرآن وقضايا الإنسان 22

الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} [التحريم: 6].وأعطى الزوج ثمنًا إذ أوجب على زوجته الطاعة بالمعروف ابتداءً، ثم أمره بدفع الثمن بإقامة حدود الله في علاقته بها من خلال القوامة كما في قوله تعالى:{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} [النساء: 34]؛ لكن الأمر هنا أكبر لأنه يتعلق بابتلاء الإنسان في حياته كلها لذا أخبره بعنايته به في كل طور منذ كرّمه في شخص أبينا آدم عليه السلام إلى عنايته وحفظه لنا في أطوار الضعف حتى استوى خلقه بشرا سويًا مكرمًا ذلك الثمن السابق تبعه تكليف ثقيل وهو الأمانة التي تحملها الإنسان {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ} [الأحزاب: 72]

ثانيًا: القضايا التطبيقية

تتجلى القضايا التطبيقية في فيما يلي:

أولاً: المصطلح القرآني يوفر الإجابات النادرة عن هذا الإنسان.

جهدت البشرية على اختلاف رؤاها وفلسفاتها في البحث عن حقيقة هذا الإنسان المعجز ورجعت بعد الجهد بلا جواب يقول كارل جانسبرز: في مؤلفه "علم النفس المرضي: "تظهر الحقائق النفسية كأنها جديدة وبشكل يستعصي على الفهم، إنها تأتي واحدة تلو الأخرى، وليست واحدة متولدة من الأخرى.. فمراحل النمو النفسي للحياة السوية، شأنها في ذلك شأن غير السوية، تعطي هذا التتابع الذي يستعصي على الفهم. ومن ثم، فإن قطاعا طويلاً في الحياة النفسية لا يمكن فهمه حتى على وجه التقريب. إن الحقائق النفسية لا يمكن دراستها من الخارج، كما أن الحقائق الطبيعية لا يمكن دراستها من الداخل"[1]

(1) انظر الإسلام بين الشرق والغرب لعلي عزت بيقوفتش ص69

ولهذا قال (أندري مالرو: إن الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة في تاريخ الإنسان التي تجيب عن سؤال مالإنسان؟ بـــ (لا أدري)!![1]

ومن هنا فإن خالق الإنسان سبحانه وتعالى هو الوحيد القادر على بيان حقيقته وكيف يطوره في أطوار خلقه.

ثانيًا: المصطلح القرآني يغلق بحث الانتخاب الطبيعي في أطوار خلق الإنسان

الإنسان خلق الله تعالى وليس ناتجًا للانتخاب الطبيعي، وهذه حقيقة تنهي في وضوحها ما ملأ به تشارلز دارون كتابه "أصل الأنواع" آذان الباحثين فأثر به على المشتغلين بعلم الأنثروبولوجيا - علم الإنسان-، والمشتغلين بعلم النفس فيما بعد بقضية بدء الإنسان والانتخاب الطبيعي، وحيوانية الإنسان، حتى حمل الغربيين لإعادة تشكيل أطوار عمر الإنسان وفق المنظور التطويري.

ويبدو أن المجتمعات الأوروبية كانت قبل ذلك تقسم الأطوار العمرية وفق ما ورثته من الرومان واليونان[2]

والنقد المتوالي على هذه النظرية كثير حتى "أحصى أحد الباحثين ما في كتاب "أصل الأنواع" من تردد وتخمين، فوجد ثمانمائة عبارة!!! كما يقول الدكتور الطيب بوعزة[3]

---

(1) مفهوم الإنسان في القرآن الكريم للطيب بوغزة ص118

(2) يقول"ول ديورانت Durant" في تحديد مراحل الحياة الأثينية هي: الطفولة والشباب والرجولة والكهولة وذكر عن اليهود أنهم كانوا يقيمون حفلاً للشاب إذا بلغ الثالثة عشرة إيذانًا بدخوله ميدان الرجولة وأوضح في عرضه كيف كان الطفل بمجرد بلوغه يدخل حياة الراشدين، وينتقل من مكانة الطفولة إلى منزلة الكهل على إثر ظهور علامات البلوغ. انظر في ذلك كله قصة الحضارة لول ديورانت دار الفكر 1988، بيروت لبنان (85/7)، وانظر المراهقة بين الفقه والدراسات المعاصرة لخالد العلمان دار الفكر 2006، بيروت لبنان (52)

(3) مفهوم الإنسان الطيب بوعزة مفهوم الإنسان في القرآن قراءة في كتاب مبدأ الإنسان مجلة دعوة الحق العدد ص 122.

ولهذا لا يفاجئ الباحث مقولة الفيلسوف الدنماركي Harold Hoffding حيث يقول عن نظرية دارون: "هي من أقدم **تكهنات** الفكر الإنساني"[1]

بل يكون حينها من غير المستغرب أن يقول الباحثان Kardiner وصديقه Edward Preble : ليس من علماء الأنثرو بولوجيا من وضع دارون في مصاف العظماء[2] وذلك في معرض بيانهما منزلة دارون وكتابه في علم الانثروبولوجيا وأنه لا يمثل أمرًا لافتا عند التحقيق العلمي! مع اعترافهم في مواضع أخرى؛ بأنها الفكرة الأكثر هيمنة في القرن التاسع عشر وأن سائر النظريات الغربية كانت تسير في قالبها[3]

وما تلك الهيمنة إلا مثالاً على التعصب ولك أن تتأمل في ذلك مقولة السير (آرثر كيث): الارتقاء غير ثابت، ولا يمكن إثباته. ونحن نؤمن بهذه النظرية لأنّ البديل الوحيد هو الإيمان بالخلق المباشر، وهو أمر لا يمكن حتى التفكير فيه!!) [4]

إن المصطلح القرآني يجزم بأطوار خلق الإنسان منذ كان ترابًا حتى تناسلت الذرية في أطوارها العمرية، قال تعالى {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا } [نوح: 14] وليس في أطوار خلق الإنسان التي بينها الوحي المبين "معنى ارتقاء الكائن الحيواني وتحوله إلى الكائن الإنساني" بل هو إنسان مكرم من أول خلق أبينا آدم عليه السلام[5]

---

(1) هؤلاء درسو الإنسان دار الفكر ص23

(2) هؤلاء درسوا الانسان ص39

(3) هؤلاء درسوا الانسان ص45 وبالطبع فإن ذلك الانتشار له حيثيات ومبررات غير البحث العلمي ونشدان الحقيقة!!

(4) الدين في مواجهة العلم لوحيد الدين خان ص38

(5) مفهوم الإنسان الطيب بوعزة مفهوم الإنسان في القرآن قراءة في كتاب مبدأ الإنسان مجلة دعوة الحق العدد ص 122.

ثالثًا: المصطلح القرآني يصحح بناء علم النفس الإنساني من الحيوانية إلى الآدمية المكرمة

المصطلح القرآني يجعل العلم بالنفس الإنسانية وأطوارها علمًا إنسانيًا نبويًا لأن البشر سلالة نبي الله آدم عليه السلام وهذا يعيد الدرس النفسي إلى الإنسان لا الحيوان وهذا ينهي التلويث الكبير الذي تركته نظرية التطور الذي وصل للمدرسة التي هيمنت على علم النفس فترة طويلة وهي المدرسة السلوكية والتي يقول رائدها جون واطسون j.b.watson: "إن الحقيقة المجردة، أنك باعتبارك عالمًا نفسيا لو رغبت في أن تكون علمي المنهج، يجب أن لا تصف سلوك الإنسان بتعابير أخرى غير تلك التي تستخدمها لتصف سلوك الثور الذي تذبحه"[1] لأنه يرى (أنه لا يوجد خط فاصل بين الإنسان وبين البهيمة)[2].

رابعًا: وضوح أطوار خلق الإنسان في القرآن ينهي المقاربة التخمينية في تصنيف الأطوار لدى كافة المدارس النفسية بالتجريب او الملاحظة لأنه يخبر عن الغيب -بتفصيل- كما في طرفي حياة الإنسان كما يخبر عن الشهادة في وسطها

نجد في مدرسة التحليل النفسي أنّ "فرويد Freud" تتبع أطوار النمو وفق **انتقال الشهوة والشبق الجنسي** عبر كل طور عمري. من (الفمية إلى الشرجية إلى العضوية...)

في الوقت الذي جاء "بياجيه Piaget" في الاتجاه المعرفي والتفت **للنمو المعرفي للإنسان.**

(1) المصدر السابق ص86.

(2) بيقوفيش، على عزت 1997م، الإسلام بين الشرق والغرب مؤسسة بافاريا، ألمانيا (ص 47)، وذلك نقلاً عن المجلة النفسية Psychological Review on158، وهذه النظرة الدونية للإنسان قائمة على فكرة أن الفرق بين الإنسان والحيوان هو فرق في الدرجة فحسب وليس فرقًا نوعيًا إذ لا يوجد جوهر إنساني متميز. وتبقى النظرة لكل المحاولات المناهضة لذلك قائمة على دافع أنّ الإنسان حيوان يرفض أن يكون كذلك، وذلك كله من بقايا تأثير نظرية دارون على سائر العلوم في العالم الغربي.

وكان "إريكسون Erikson" الذي التفت للبعد الاجتماعي فكان تصنيف النمو لديه باعتبار **النمو الاجتماعي**(1) وكلها ثمرة الملاحظة او التجريب وليست بدرجة المصطلح القرآني في الدقة والثبات الذي يحمل الحصانة في داخله من التعرض لأي نقد أو تطوير فكري من مدرسة هنا أو هناك لأنه تصنيف من خلق –سبحانه وتعالى-!

خامسًا: تأثير المصطلح القرآني في تنزيل الحكم الشرعي على الطور العمري

إذا كان الحكم الشرعي من أهم ما رعى الوحي به "**النفس الإنسانية**" في البعد التطبيقي المعاشي؛ فإنه يعز أن تجد بابًا من أبواب الفقه الإسلامي إلا وتجد لعمر الإنسان أثرًا في تحديد الحكم.

وينضاف لذلك تأثير المصطلح القرآني في مسائل الأهلية والتي يبدأ زمنها مع الجنين إلى الطفل ناقص الأهلية إلى سن الرشد حيث تكتمل الأهلية إلى الشيخوخة حيث تعود الأهلية للتأثر

والأهلية أمر محوري في معيارية السلوك من حيث قبوله ورفضه والمجازاة عليه! وهي ذات صلة واضحة بالمباحث النفسية

سادسًا: المصطلح القرآني ينهي الخلاف الكبير في معيارية سن الرشد والتكليف

الأمر الذي لايزال الاضطراب فيه شأنًا علميًا إلى اليوم حيث كشفت منظمة اليونسيف – مؤخرًا – في تقريرها 2011 بالإعلان عن الفراغ العلمي الذي تجسد **في عدم وجود معيار واحد مطبق دوليًا لسن الرشد والتكليف بالمهام**؛ فسن قيادة السيارة مختلف عن سن شراء

(1) الزق، أحمد يحيى (2006)، علم النفس، دار الأوائل للنشر، عمّان الأردن (ص117-128).

المشروبات الكحولية، ومختلف كذلك عن سن الزواج، وذكر التقرير أمثلة على التباين الحاصل في تلك القضايا في الولايات المتحدة وحدها، وبالتباين حين مقارنة باقي الدول فيما بينها[1]

سابعًا: المصطلح القرآني يغلق البحث المفتوح في قضايا "المراهقة (Adolescence)" وأزماتها

وهي واحدة من المعضلات الكبرى التي ينهيها المصطلح القرآني في جعل البلوغ كناحية فيزيائية مرحلة مستقلة عن مرحلة المراهقة التي يجعلها المصطلح القرآني مرحلة قبل البلوغ ويعتبرها جزءاً من الطفولة. فلا يسمح بالخلط المصطلحي الذي يفسد فهم الفارق بين الأطوار وبالتالي يمهد لسوء الفهم والتطبيق في المباحث النفسية المرتبطة بها!

ثامنًا: المصطلح القرآني يحقق حلاً لمشكلات الاضطراب النفسي والسلوكي في سن الشباب.

ذلك أن المصطلح القرآني يجعل المراهقة مرحلة سابقة للبلوغ ويرتبط بمفهومها أدبيات تهيئ الطفل لدخول مرحلة البلوغ وهو أكثر استقراراً في أبعاده النفسية والخلقية والاجتماعية؛ باعتبار أن المسئولية الدينية يدرب عليها قبل بلوغه وذلك في سن المراهقة من العاشرة وحتى البلوغ في أدبيات القرآن والسنة وهي ترتبط بالدرجة الأولى بالمصطلح القرآني.

تاسعًا: المصطلح القرآني يرتبط به زمرة من الحكم والغايات النفسية وغير النفسية.

وتلك مقاصد وغايات لا يمكن تحصيلها بغير إعمال المصطلح القرآني.

وقد سبقت الإشارة إلى شيء منها.

وأخيرًا:

(1) تقرير اليونسيف، وضع الأطفال في العالم2011 تحت عنوان "المراهقة مرحلة الفرص ص10.

فإن الباحثين في العلوم النفسية في العالم اليوم إذا استعملوا المصطلح القرآني لأطوار خلق الإنسان يجنون بذلك مصالح كثيرة من أهمها:

أنهم يسيرون مع الفطرة والخلقة السوية فالبشرية كلها بحاجة لهذه الأسماء لأنها أكثر انسجامًا مع فطرهم؛ وللبداهة فإن من خَلق أعلم بالأسماء التي تليق ما خَلق، وليس أحد يزعم أنه هو من ينقل الإنسان عبر تلك الأطوار، فهو إذا مدعو بالقوة للتحول إلى هذه الأسماء القرآنية بغض النظر عن كونه مسلمًا أو غير مسلم.

ثم إنهم حينها يجدون المنهج السديد في التعامل مع كل طور ومرحلة عمرية في طيات القرآن الكريم!!

ويمتاز الباحث المسلم عن الجميع إن فعل ذلك أنه يتعبد الله تعالى بهذه الأسماء، أوليست كلمات الله؟!

التوصيات

بعد هذه التطوافة توصي الدراسة أن تهتم دراسات المصطلح القرآني بهذا الأفق؛ لعظم أثره في إعادة بناء **علم النفس** بعمومه لتخرج كنوز الوحي ومراد الله تعالى في حق النفس الإنسانية في كافة أبعادها.

والله أعلم وإسناد العلم له أسلم وأستغفر الله من كل زلل.

المصادر والمراجع:

1. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد ابن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت – لبنان.
2. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة – مصر، 1323هـ.
3. أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1419هـ.
4. الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيقوفيتش، مؤسسة بافاريا، ألمانيا، 1997م.
5. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة، بيروت – لبنان، 1415هـ.
6. الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1410هـ.
7. بحر العلوم، المعروف بتفسير السمرقندي، للإمام أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، 1413هـ.
8. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة الأندلسي، دار حسن عباس زكي، القاهرة – مصر، 1419هـ.
9. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1408هـ.
10. تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإعلام بالكويت، 1409هـ.

11. تحرير ألفاظ التنبيه، لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، دار القلم، دمشق - سوريا، 1408هـ.

12. التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م.

13. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلاء المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

14. تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر ابن القيم، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1408هـ.

15. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمصطفوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2009.

16. تفسير البغوي: معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1420هـ.

17. تفسير الثعلبي "الكشف والبيان عن تفسير القرآن الكريم"، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1422ه.

18. تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415ه.

19. تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 1420هـ.

20. تفسير الفخر الرازي "مفاتيح الغيب"، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1420هـ.

21. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم الرازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، 1417هـ.

22. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير، دار طيبة للنشر، الرياض – السعودية، 1420هـ.

23. تفسير مقاتل، لمقاتل بن سليمان الأزدي البلخي، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، 1423هـ.

24. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، للراغب الأصفهاني، دار النفائس، بيروت – لبنان، 1988م.

25. تقرير اليونسيف، وضع الأطفال في العالم 2011، تحت عنوان: "المراهقة مرحلة الفرص".

26. تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي، دار البشائر الإسلامية، تحقيق: محمد ناصر العجمي، 1424هـ.

27. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جَمَعَه مجد الدين الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1412هـ.

28. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 2001.

29. التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين المناوي، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، 1410ه.

30. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، دار الكتب العلمية، 1389هـ.

31. الجامع لأحكام القرآن الكريم، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، 1384هـ.

32. جمهرة اللغة، لابن دريد، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 1987م.

33. دعه فإنه مراهق، قراءات في تحرير مصطلح المراهقة، لعبد الله الطارقي، دار كنوز المعرفة، 2011م.

34. الدين في مواجهة العلم، لوحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة: عبد الحليم عويس، دار النفائس، بيروت – لبنان، 1407هـ.

35. الذخيرة، للإمام القرافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1994م.

36. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415هـ.

37. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1422هـ.

38. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق الأميرية، 1285هـ.

39. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1405هـ.

40. سنن ابن ماجه، تحقيق: خليل شيحا، لأبي عبد الله بن ماجه القزويني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1418هـ.

41. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1410هـ.

42. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1415هـ.

43. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، 1344هـ.

44. سير أعلام النبلاء، للإمام محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 1417هـ.

45. السيرة الحلبية، المسماة إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن إبراهيم الحلبي، 1427هـ.

46. الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي، لنزار العاني، دراسة مقارنة، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2005م.

47. شرح صحيح مسلم، للإمام يحيى بن شرف الدين النووي، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1392هـ.

48. الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلمين، بيروت – لبنان، 1404هـ.

49. صحيح الأدب المفرد، لمحمد ناصر الدين الألباني، دار الدليل، الجبيل الصناعية – السعودية، 1418هـ.

50. صحيح الإمام البخاري، ترقيم: عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة – مصر، 1400هـ.

51. صحيح الإمام مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار المغني، 1419هـ.

52. صحيح جامع الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض – السعودية، 1420هـ.

53. صحيح سنن ابن ماجه القزويني، لمحمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، السعودية 1417هـ

54. صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1412هـ.

55. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، جمع خالد السبت، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام – السعودية، 1424هـ.

56. علم النفس، لأحمد الزق، دار أوائل النشر، عمان – الأردن، 2006م.

57. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1348هـ.

58. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، دار مكتبة الهلال، القاهرة – مصر، 1417هـ.

59. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الريان، القاهرة – مصر، 1407هـ.

60. فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان القنوجي البخاري، المكتبة العصرية، 1412هـ.

61. فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق – سوريا، 1414هـ.

62. الفراسة، للفخر الرازي، مكتبة الفرقان، القاهرة – مصر، 1407هـ.

63. الفردوس بمأثور الخطاب، للإمام أبي شجاع الديلمي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1406هـ.

64. القاموس الفقهي، لسعدي أبو حبيب، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1408هـ.

65. القاموس المحيط، الرسالة، بيروت – لبنان، 1407هـ.

66. القرآن وقضايا الإنسان، لعائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، 1996م.

67. قصة الحضارة، لول ديورانت، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1988.

68. قول في المصطلح، للشاهد البوشيخي، مقال ضمن مجلة دراسات مصطلحية، تصدر عن معهد الدراسات المصطلحية بجامعة سيدي محمد عبد الله بفاس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد الأول، 1422ه.

69. كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 1381هـ.

70. الكشاف عن حقائق غوامض التتريل، لجار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1407هـ.

71. الكشف والبيان في تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1422هـ.

72. لباب التأويل في معاني التتريل، للإمام أبي الحسين علاء الدين المعروف بالخازن، دار الكتب العلمية، 1415هـ.

73. لسان العرب، لجمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان، 1414هـ.

74. المبسوط، للإمام السرخسي الشيباني، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1414هـ.

75. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة – مصر، 1414هـ.

76. المراهقة بين الفقه والدراسات المعاصرة، لخالد العلمان، دار الفكر، بيروت – لبنان، 2006.

77. المستدرك على الصحيحين، مع تعليقات الإمام الذهبي، لمحمد بن عبد الله الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1411هـ.

78. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 1420هـ.

79. مشارق الأنوار، للقاضي عياض اليحصبي، المكتبة العتيقة، تونس (بدون تاريخ).

80. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد الفيومي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1987م.

81. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت – لبنان، 1408هـ.

82. معجم الألفاظ النفسية والاجتماعية في القرآن الكريم، علي الفتلاوي، نشر دار صفات، دمشق – سوريا، 2016م.

83. معجم علم النفس، لفاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 1979م.

84. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ.

85. المغرب في ترتيب المعرب، المطرزي، ناصر بن عبد الله الخوارزمي، مكتبة أسامة بن زيد، حلب – سوريا، 1399هـ.

86. المغني، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، القاهرة - مصر، 1388هـ.

87. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان الداوودي، دار القلم، بيروت – لبنان، 1412هـ.

88. مفهوم الإنسان، الطيب بوعزة، مفهوم الإنسان في القرآن: قراءة في كتاب مبدأ الإنسان، مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف المغربية، العدد 342، ذو الحجة 1419/ أبريل 1999م.

89. مقال في الإنسان، لعائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، 1996م.

90. المهذب في فقه الإمام الشافعي، لإبراهيم الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1416هـ.

91. نظرية الأهلية: دراسة تحليلية مقارنة بين الفقه وعلم النفس، لهدى محمد حسن هلال، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011م.

92. نظم الدرر في تناسب الآي والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – مصر، 1404هـ.

93. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، دار ابن الجوزي، 1421هـ.

دراسات مصطلحية

بَلاغَةُ المُصْطَلَح القُرْآنيّ
ـ تَحْقِيقاً وتَطْبيقاً ـ

د. نَصْر الدّين وهّابي[*]

• **تقْديمٌ**: نُؤَسِّسُ هَذه الدِّراسَةَ على حُزْمةٍ مِن المَبادِئِ التَّصوُّرِيَّة؛ هِي:

1- إنَّ المُصْطَلَحَ القُرْآنيَّ يَسْتَمِدُّ الوَظيفةَ الاصْطِلاحِيَّةَ مِنْ تَهْيئةِ القُرْآنِ الكَريمِ لَهُ لِأَنْ يَتَّخِذَهُ المُسْلِمونَ مُصْطَلَحًا، وهُوَ، بهَذا الاعْتِبار، تَهْيِئَةٌ مِنَ الخالِقِ لِـما يَتَواضَعُ عَلَيْهِ المَخْلوقونَ.

2- إنَّ المُصْطَلَحَ القُرْآنيَّ يَسْتَجيبُ لِكُلِّ دِراسَةٍ تَقَعُ على المُفْرَدَةِ القُرْآنِيَّةِ لِبيانِ التَّفَرُّدِ البَلاغِيِّ فِيها، والتَّميُّزِ الأُسْلوبِيِّ الذي يَسْمو بِها عَنْ إمْكانِ الاسْتِبْدالِ والاسْتِعاضَة.

3- إنَّ بَلاغَةَ المُصْطَلَحِ القُرْآنِيِّ تَسْتَدْعي الكَلامَ فِيهِ مِنْ ثَلاثَةِ وُجوهٍ:

- **الأَوَّلُ**: إثْباتُ حَقيقَتِهِ الاصْطِلاحِيَّةِ، وبَيانِ مُصْطَلَحِيَّتِهِ عَبْرَ مُلاحَظَةِ اسْتِجابَتِهِ لِـمَنْهَجِ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ النَّصِّيَّة.

- **الثّاني**: إثْباتُ إمْكانِ دِراسَتِهِ بَلاغِيًّا داخِلَ مَنْظومَةِ مَقولاتِ البَلاغَةِ العَرَبِيَّةِ بِأَنْ تُلاحَظَ اسْتِجابَتُهُ لِـمَنْهَجِ دِراسَةِ المُفْرَدَةِ القُرْآنِيَّة.

- **الثّالِثُ**: إثْباتُ الإمْكانِ التَّطْبيقِيِّ بِـمُلاحَظَةِ اسْتِجابَةِ مَسْأَلَةٍ بِعَيْنِها لِلنَّظَرِ مِنَ الوَجْهَيْن؛ الأَوَّلِ والثّاني.

---

[*]- أستاذ بجامعة الشهيد حمه لخضر الوادي الجزائر.

واعْتِقادُنا أنَّ مَــجْموعَ الثّلاثَةِ يَنْتَهي بِصُورَةٍ مُباشِرَةٍ إلى إثْباتِ الخُروجِ بِدِراسَةٍ في: **"بَلاغَةِ المُصْطَلَحِ القُرْآنيّ: تَحْقيقًا وتَطْبيقًا"**.

وعَلى أَساسٍ مِنْ هَذا، يَقومُ الرَّأْيُ عِنْدَنا، في تَصَوُّرِ الوَصْلِ بَيْنَ المُصْطَلَحِ القُرْآنيِّ، وعِلْمِ البَلاغَةِ العَرَبِيَّة، وَصْلًا تَحْقيقِيًّا، وتَطْبيقِيًّا، لا يَقِفُ عِنْدَ حَدِّ التَّفْتيشِ عَنْ حُضورِ المُصْطَلَحِ القُرْآنيِّ في أَطْواءِ المُدَوَّنَةِ البَلاغِيَّةِ العَرَبِيَّة.

- **بَلاغَةُ المُصْطَلَحِ القُرْآنيّ: تَحْقيقًا:**

في تَحْقيقِ بَلاغَةِ المُصْطَلَحِ القُرْآنيِّ قِسْمانِ؛ قِسْمٌ لِعَرْضِ الإطارِ المَنْهَجيِّ في المَوْضوعِ، وهُوَ إطارُ الدِّراسَةِ المُــصْطَلَحِيَّة، وقِسْمٌ لِبَيانِ ضَرورَةِ هَذا اللَّوْنِ مِنَ الدِّراسَة، بِعَرْضِ وَجْهِ الإشْكالِ في بَحْثِ مَسْأَلَةٍ بِعَيْنِها؛ هِيَ مَسْأَلَةُ الفَرْقِ بَيْنَ مُصْطَلَحَيْ "النَّبيّ" و"الرَّسول"، وإبْرازِ مَحَلِّ الخَلَلِ النّاجِمِ عَنْ بَحْثِها بِغَيْرِ مَقُولاتِ الدِّراسَةِ المُــصْطَلَحِيَّة:

– **أَوَّلًا: مَفْهومُ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة:** ونَعْرِضُ لِهَذا المَفْهومِ اعْتِبارًا لِما يَلي:

1- عَدَمُ وَجاهَةِ البَحْثِ في المُــصْطَلَحَيْنِ في المُدَوَّنَةِ اللُّغَوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ السّابِقَةِ لِنُزولِ القُرْآنِ الكَريم، وهُوَ ما يُحَتِّمُ الرُّجوعَ بالمَسْأَلَةِ إلى النَّصِّ القُرْآنيِّ رُجوعًا يَفْرِضُهُ بَحْثُ الأُمورِ في مَصادِرِها، ومَا يُحَتِّمُ، كَذَلِك، الدَّفْعَ في كُلِّ نَظَرٍ غَيْرِ مُؤَسَّسٍ على النَّصِّ القُرْآنيِّ.

2- تَأْسيسُ البَحْثِ على أَنَّ اللَّفْظَيْنِ شَرْعِيّان، وعَلى أَنَّ ذَلِكَ يَتَّجِهُ بِهِما رَأْسًا إلى مَنْطِقِ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ الشَّرْعِيَّة.

3- وُجوبُ التَّعَرُّفِ على الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ في العُلومِ الشَّرْعِيَّة؛ نَظَرِيَّةً، ومَنْهَجًا، وغاياتٍ.

وبَعْدُ؛ فَيقولُ الأُسْتاذُ الدُّكْتورُ الشّاهِدُ البُوشِيخي: **"الدِّراسَةُ المُصْطَلَحِيَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الدَّرْسِ العِلْميّ لِـمُصْطَلَحاتِ مُخْتَلِفِ العُلوم، وِفْقَ مَنْهَجٍ خاصٍّ؛ بِهَدَفِ تَبيُّن، وَبيانِ المَفاهيمِ التي عَبَّرَتْ، أَوْ تُعبِّرُ عَنْها تِلْكَ المُصْطَلَحاتُ في كُلِّ عِلْمٍ، في الواقِعِ والتّاريخِ مَعًا"**[1].

والمُصْطَلَحُ القُرْآنيُّ هُوَ مَحَلُّ عِنايَةِ هَذا اللَّوْنِ مِنَ التّناوُلِ العِلْمِيِّ المَنْهَجيّ، وقَدْ قيلَ في تَعْريفِهِ: **"هُوَ اللَّفْظُ الذي يُسَمّي مَفْهومًا مُعَيَّنًا داخِلَ تَخَصُّصٍ ما"**[2] ، وقيلَ أَيْضًا: **"هُوَ لَفْظٌ مُفْرَدٌ، أَوْ عِبارَةٌ مُرَكَّبَة، لَهُ مَعْنى لُغَويٌّ أَصْلِيٌّ (دَلالَةٌ خاصَّة)، خارِجَ السِّياقِ القُرْآنِيِّ، ومَعْنى اصْطِلاحِيٌّ (دَلالَةٌ مُتَجَدِّدَة)، جَديدٌ داخِلَ السِّياقِ القُرْآنِيِّ، سَواءٌ أَكانَتْ هُناكَ عَلاقَةٌ بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ، أَمْ لَـمْ تَكُنْ"** [3].

والمُصْطَلَحُ القُرْآنيُّ هُوَ المُنْتَمي لِواحِدٍ مِنَ العُلومِ الشَّرْعِيَّة، ويَتَمَيَّزُ بِخَصائِصَ، هِيَ:

1/ أَنَّهُ مُكَوِّنٌ مِنْ مُكَوِّناتِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ الذي يُوَجِّهُ التَّدَيُّنَ، ويَضْبِطُهُ.

2/ أَنَّهُ مَدْخلٌ أَساسِيٌّ لِفَهْمِ الدِّينِ فَهْمًا يَقومُ عَلَيْهِ التَّعَبُّدُ.

3/ أَنَّهُ يَتَبادَلُ التَّفْسيرَ مَعَ النَّصِّ الشَّرْعيِّ فَيُفْهَمُ كُلٌّ واحِدٍ مِنْهُما بالآخَرِ[4].

وصِلَةُ المُصْطَلَحِ القُرْآنِيِّ بالتَّفْسير، هِيَ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِحَيْثُ يَكونُ الانْحِرافُ في دِراسَةِ المُصْطَلَحِ انْحِرافًا في التَّفْسِير؛ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَفْظٌ قُرْآنِيٌّ يَخْضَعُ القَوْلُ فيه لِـما يَخْضَعُ لَهُ

---

(1) نَظَراتٌ في مَنْهَجِ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيّة، ص: 3.

(2) قامُوسُ اللِّسانياتِ مَعَ مُقَدِّمَةٍ في دِراسَةِ المُصْطَلَح، د. عَبْدُ السَّلامِ المَسَدّي، ص:10.

(3) المُصْطَلَحُ اللُّغَوِيُّ والمُصْطَلَحُ القُرْآنِيّ، عَدَوِيَّة حَيّاوي الشِّبْلي، مَجَلَّة: "دِراساتٌ نَجَفِيَّة"، مَرْكَزُ دِراساتِ الكُوفة، ص:318.

(4) المُصْطَلَحُ الشَّرْعيُّ ومَنْهَجيَّةُ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة، أ.د. القُرَشِي عَبْدُ الرَّحيم البَشير، مَجَلَّة جامِعَةُ القُرْآنِ الكَريمِ والعُلومِ الإِسْلامِيّة، العَدَد 13، 1427هـ، ص:104.

القَوْلُ فِي كَلامِ اللهِ تَعالى؛ يَقولُ الدُّكْتورُ فَهْدٌ الرُّوميُّ: **"يَصِحُّ لَنا أَنْ نَجْزِمَ أَنَّهُ لا يَجوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُفسِّرَ القُرْآنَ الكَريمَ وهُوَ غَيْرُ عالِمٍ بِمُصْطَلَحاتِهِ، ومَعانيها ومَدْلولاتِها، وقَدْ يَنْطَوي هَذا تَحْتَ قاعِدَةٍ مُهِمَّةٍ مِنْ قَواعِدِ التَّفْسيرِ، وهِيَ قاعِدَةُ: حَمْلُ مَعاني كَلامِ اللهِ عَلى الغالِبِ مِنْ أُسْلوبِ القُرْآنِ، ومَعْهودِ اسْتِعْمالِهِ أَوْلى مِنَ الخُروجِ بِهِ عَنْ ذَلِك، ويَدْخُلُ تَحْتَ هَذِهِ القاعِدَةِ جُلُّ ما ذَكَرَهُ المُفَسِّرونَ مِنَ الكُلِّيّاتِ"**[1].

وأَبْرَزُ ما يُواجِهُ المُشارِكَ فِي الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ تَداخُلُها مَعَ حُقولٍ بَحْثِيَّةٍ مُجاوِرَةٍ مِنْها "الدِّراسَةُ المُعْجَمِيَّةُ"، و"عِلْمُ المُصْطَلَحِ"[2]، وهُوَ تَداخُلٌ قَدْ عَمِلَتْ عَلى بَيانِهِ الباحِثَةُ المُصْطَلَحِيَّةُ الدُّكْتورَةُ فَريدَةُ زُمُرُّدٍ، وانْتَهَتْ إِلى الدَّعْوَةِ إِلى اسْتِبْدالِ تَسْمِيَةِ "عِلْم اصْطِلاحِ النَّصّ" بالدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة؛ مِنْ أَجْلِ ما ذَكَرْناهُ آنِفًا مِنَ التَّفاعُلِ التَّفْسيرِيِّ، بَيْنَ المُصْطَلَحِ، والنَّصِّ المُتَداوَلِ فِيه[3].

ولَيْسَتِ الغايَةُ، هُنا، الفَصْلَ التّامَّ بَيْنَ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ، وبَيْنَ الحُقولِ المُتَقَدِّمِ ذِكْرُها، إِنَّما المُرادُ بَيانُ حُدودِ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ عَنْ غَيْرِها فَرْزًا مَصْحوبًا بالكَشْفِ عَنْ صِلَتِها بِما يُجاوِرُها مِنَ التَّخَصُّصاتِ الأُخْرى، يَقولُ الدُّكْتورُ القُرَشِيُّ: **"الدِّراسَةُ المُصْطَلَحِيَّةُ، بِهذا المَعْنى، تَدْخُلُ فِيما يُمْكِنُ أَنْ يُسَمَّى بِـــــ "النَّظَرِيَّةُ الخاصَّةُ لِعِلْمِ المُصْطَلَحِ"** [4].

---

(1) تحريفُ المُصْطَلَحاتِ القُرْآنِيَّةِ وأَثَرُهُ في انْحِرافِ التَّفْسيرِ في القَرْنِ الرّابعَ عَشَر، ص:10/09.

(2) مَفْهومُ التَّأْويلِ فِي القُرْآنِ الكَريم، دِراسَةٌ مُصْطَلَحِيَّة، د. فَريدة زُمُرُّد، ص:36.

(3) مَفْهومُ التَّأْويلِ فِي القُرْآنِ الكَريم، دِراسَةٌ مُصْطَلَحِيَّة، د. فَريدَة زُمُرّد، ص: 39.

(4) المُصْطَلَحُ الشَّرْعِيُّ ومَنْهَجِيَّةُ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة، أ.د. القُرَشِي عَبْدُ الرَّحيم البَشير، مَجَلَّة جامِعةُ القُرْآنِ الكَريم والعُلوم الإِسْلامِيَّة، العَدد 13، 1427هـــ، ص:110.

وهَذا الخُصوصُ الذي يُريدُهُ الدُّكْتورُ القُرَشِيُّ مَعْناهُ انْدِراجُ المُصْطَلَحِ ضِمْنَ حَقْلٍ بِعَيْنِه، وتَخَصُّصٍ بذاتِهِ، وهَذا الكَلامُ يَفْرِضُ الإنْتِقالَ إلى عَرْضِ مَبادِئِ هَذِهِ الدِّراسَةِ، وقَواعِدِها:

- **قَواعِدُ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ:**

1- **دِراسَةُ المُصْطَلَحِ داخِلَ النَّصِّ:** ذَلِك لِأنَّ المُصْطَلَحَ عُنْصُرٌ ضِمْنَ نَسَقٍ عامٍّ، يَتَفاعَلُ مَعَ مُكَوِّناتِهِ؛ تَأْثيرًا وتَأَثُّرًا، وذَلِك النَّسَقُ هُوَ النَّصُّ، والنَّصُّ يُحيلُ عَلى السِّياقاتِ المُوَجِّهَةِ لِاسْتِخْدامِهِ، والسِّياقُ كَما، في عِبارَةِ الأُسْتاذِ الدُّكْتورِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بودَرْع، هُوَ: "**إطارٌ عامٌّ تُنْتَظَمُ فِيه عَناصِرُ النَّصِّ، ووَحَداتُهُ اللُّغَوِيَّة، ومِقْياسٌ تَتَّصِلُ بِوساطَتِهِ الجُمَلُ فيما بَيْنَها، وتَترابَطُ، وبَيْئَةٌ لُغَوِيَّةٌ، وتَداوُلِيَّةٌ تَرْعى مَجْموعَ العَناصِرِ المَعْرِفِيَّةِ التي يُقَدِّمُها النَّصُّ لِلْقارِئِ**"[1].

ومِنْ هُنا كانَتْ دَعْوَةُ الباحِثَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ الدُّكْتورَةِ فَريدَةُ زُمُرُّدٍ إلى تَسْمِيَةِ هَذا الحَقْلِ البَحْثِيِّ "عِلْمَ اصْطِلاحِ النَّصِّ"، مِنْ أَجْلِ أَنَّها جَعَلَتِ النَّصِّيَّةَ مُكَوِّنًا مُعْتَبَرًا في الصِّياغَةِ التَّصَوُّرِيَّةِ لِاقْتِراحِها؛ قَالَتْ في تَعْريفِها لِعِلْمِ اصْطِلاحِ النَّصِّ بِأَنَّهُ: "**دِراسَةٌ مَنْهَجِيَّةٌ جامِعَةٌ تَتَبَيَّنُ مَفاهِيمَ المُصْطَلَحاتِ مِنْ نُصوصِها، وتُبَيِّنُ المُقَوِّماتِ الدّلالِيَّةَ الذّاتِيَّةَ لِلْمُصْطَلَحِ، وامْتِداداتِهِ داخِلَ النّسيجِ المَفْهومِيِّ لِلنَّصِّ عَبْرَ ضَمائِمِهِ، واشْتِقاقاتِهِ، والقَضايا المَوْصولَةِ بِهِ**"[2]

2- **التَّوَسُّلُ بالمَنْهَجِ الوَصْفِيِّ:** ذَلك لِأنَّ المُرادَ هُو تَبَيُّنُ الوَضْعِيَّةِ الإسْتِعْمالِيَّةِ للمُصْطَلَحِ ضِمْنَ مَنْطِقِ النَّصِّ الوارِدِ فيه، تَبَيُّنًا بَريئًا مِن افْتِراضِ مِعْيارٍ سابِقٍ، وهُوَ أَمْرٌ تُحَدِّدُهُ، وتُمْلِيهِ عَلى الدّارِسِ طَبيعَةُ غايَتِه، وهِيَ التَّعَرُّفُ، لا التَّقْييمُ، أَوِ التَّقْويمُ، وهَذا التَّعَرُّفُ يَسْتَدْعي أَدَواتٍ مَنْهَجِيَّةً مَعْروفةً؛ هِيَ الإحْصاءُ، والإسْتِقْراءُ التّامُّ، والتَّصْنيفُ، والتَّحْليل.

(1) الخِطابُ القُرْآنِيُّ ومَناهِجُ التَّأْويل، نَحْوَ دِراسَةٍ نَقْدِيَّةٍ لِلتَّأْويلاتِ المُعاصِرَة، ص:181.

(2) مَفْهومُ التَّأْويلِ في القُرْآنِ الكَريم، دِراسَةٌ مُصْطَلَحِيَّة، د. فَريدَة زُمُرّد، ص:40.

3- التَّمْييزُ الإجْرائِيُّ بَيْنَ مَرْحَلَتَيْنِ في إنْجاز الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة؛ هُما:

- مَرْحَلَةُ الإعْدادِ: وعُمْدَتُها الإحْصاء، أَوِ الاسْتِقْراء التّام"[1].

- مَرْحَلَةُ الدِّراسَة: وعُمْدَتُها التَّحْليلُ التَّرْكيبِيُّ، أَوِ النَّصِّيُّ لِمَوارِدِ المُصْطَلَح، وهَذِهِ المَرْحَلَةُ هِيَ عُمْدَةُ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ، كَما يَقولُ الدُّكْتورُ الشّاهِدُ البُوشيخي"[2].

والحَقُّ أَنَّ كُلَّ قاعِدَةٍ مِنْ هَذِه القَواعِدِ هِيَ مِمَّا يَجِبُ في حَقِّهِ كَثيرٌ مِنَ التَّفْصيلِ، والبَيانِ، فآثَرْنا العَرْضَ المُوجَزَ حَتّى لا نُكَرِّرَ ما قَدْ تَقَرَّرَ[3].

- **قِيمَتُها العِلْمِيَّةُ والمَنْهَجِيَّةُ:** والكَلامُ، هُنا، مُتَفَرِّعٌ عَمّا تَقَدَّم؛ إذْ إنَّ مَزِيَّةَ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة، رَغْمَ ما يُقالُ عَنْ تَداخُلِها بِغَيْرِها، يُظْهِرُها خُضوعُ النَّظَرِ فيها لِجُمْلَةٍ مِنَ الضَّوابِطِ، والقَواعِدِ التي تُكْسِبُها صِفَةَ العِلْمِيَّة، ما يَنْتُجُ عَنْهُ انْفِصالٌ مَطْلوبٌ لِنَتائِجِ البَحْثِ عَنْ نَوازِعِ الإرادَةِ الذّاتِيَّة. هَذا مِنْ جِهَة.

ومِنْ جِهَةٍ ثانِيَة، تُحَقِّقُ صِفَةُ العِلْمِيَّةِ، في الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة، حَسْمًا مَطْلوبًا، كَذَلِك، لِغَيْرِ قَليلٍ مِنَ "الفَوْضى" المَنْهَجِيَّةِ في النَّظَرِ في بَعْضِ مَسائِلِ العِلْم؛ فَإنَّ كَثيرًا مِنَ المَباحِثِ لَمْ يَنْتَهِ المُشارِكونَ فيها إلى غَيْرِ تَجْميعِ الأَقْوالِ، والآراءِ التي رُبَّما زادَتِ المَوْضوعَ تَعْقيدًا، وازْوِرارًا عَنِ المَداخِلِ الحَقيقِيَّةِ لِدِراسَتِهِ، ولَقَدْ أَقَمْنا دِراسَتَنا هَذِه لِإصابَةِ هَذِهِ الغايَةِ بالذّات؛ أَيِ السَّعْيُ في وَضْعِ حَدٍّ لِلانْحِرافٍ مَنْهَجِيٍّ كَبيرٍ في بَحْثٍ واحِدَةٍ مِنَ المَسائِلِ ذاتِ الصِّلَةِ المُباشِرَةِ بِفَهْمِ القُرْآنِ الكَريم، وهِيَ مَسْأَلَةُ الفَرْقِ بَيْنَ "النَّبِيِّ" و"الرَّسول" بإعادَةِ صِياغَتِها على النَّحْوِ الذي نُقَدِّرُ أَنَّهُ

---

(1) نَظَراتٌ في المُصْطَلَحِ والمَنْهَج، د. الشّاهد البوشيخي، ص:22.

(2) نَظَراتٌ في المُصْطَلَحِ والمَنْهَج، د. الشّاهد البُوشيخي، ص:24.

(3) يُنْظَرُ مُفَصَّلًا في: نَظَراتٌ في مَنْهَجِ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة، د. الشّاهد البُوشيخي، ص:07، ونَظَراتٌ في المُصْطَلَحِ والمَنْهَج، لِفَضيلَتِهِ أَيْضًا، ص:22. والمُصْطَلَحُ القُرْآنِيّ، مَنْهَجٌ وتَطْبيق، د. عُثْمانُ جُمْعَةٍ ضَميرِيّة، ص:05.

كانَ مِنَ الواجبِ أَنْ تُصاغَ عَلَيْهِ ابْتِداءً، وعَلى النَّهْجِ الذي كانَ مِنَ الواجبِ أَنْ تَسْلُكَهُ أَنْظارُ العُلَماءِ فيها.

– **ثانيًا: مَسْأَلَةُ الفَرْقِ بَيْنَ "النَّبيِّ" و"الرَّسول"**: نُحِبُّ، في البَدْءِ، أَنْ نُصَرِّحَ بأَنَّنا سَنَنْظُرُ في المُصْطَلَحَيْنِ على أَنَّهُما مُصْطَلَحانِ قُرْآنِيّان؛ أيْ أَنَّنا سَنُخْضِعُهُما لِتَصَوُّرٍ مُحَدَّدٍ سَلَفًا؛ وهُوَ أَنَّ المُصْطَلَحَ القُرْآنِيَّ **"هُوَ ما كانَ لَفْظُهُ مُنْتَمِيًا إلى نَصِّ القُرْآنِ الكَريمِ المُحَدَّدِ بالفاتِحَةِ ابْتِداءً، وبِسُورَةِ النّاسِ انْتِهاءً، وما كانَ مَفْهومُهُ مُسْتَمَدًّا مِنَ التَّصَوُّرِ القُرْآنِيِّ، واشْتِراطُ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ يُخْرِجُ مِنْ دائِرَةِ المُصْطَلَحِ القُرْآنِيِّ ما كانَ اللَّفْظُ فيهِ غَيْرَ مَوْجودٍ في القُرْآنِ الكَريمِ، وإِنْ حَمَلَ دَلالَةً قُرْآنِيَّةً، أَوْ ما كانَ اللَّفْظُ فيهِ مَوْجودًا في القُرْآنِ لَكِنَّهُ يَخْلو مِنْ تِلْكَ الدَّلالَةِ الخاصَّةِ المُمَيِّزَةِ؛ كالأَلْفاظِ التي اسْتُعْمِلَتْ في القُرْآنِ الكَريمِ اسْتِعْمالًا لُغَوِيًّا مَحْضًا"**[1]

والمُصْطَلَحُ القُرْآنِيُّ هُوَ صُورَةٌ لِلتَّطَوُّرِ الدَّلاليِّ الذي حَصَلَ في لُغَةِ العَرَبِ بِمَجيءِ القُرْآنِ الكَريمِ، وقَدْ عالَجَ عُلَماءُ القُرْآنِ الكَريمِ، والأُصُولِيُّون، المُصْطَلَحَ القُرْآنِيَّ ضِمْنَ ما أَسْمَوْهُ "المَعْنى الشَّرْعِيّ"، ويُقالُ في تَعْريفِهِ: **"هُوَ كُلُّ لَفْظٍ وُضِعَ لِمَعْنى، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ في الشَّرْعِ لِمَعْنى آخَرَ، مَعَ هِجْرانِ الإسْمِ اللُّغَوِيِّ، عِنْدَ المُسَمَّى بِحَيْثُ لا يَسْبِقُ إلى أَفْهامِ السّامِعينَ الوَضْعُ الأَوَّلُ، فَهُوَ حَقيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ، لا يَقْبَلُ النَّفْيَ أَصْلًا؛ كالصَّلاةِ، فَإِنَّها وُضِعَتْ للدُّعاءِ، ثُمَّ صارَتْ في الشَّرْعِ، عِبارَةً عَنِ الأَرْكانِ المَعْلومَةِ"**[2]

ويَنْدُرُ أَنْ تُقامَ دِراسَةٌ في المُصْطَلَحِ القُرْآنِيِّ ثُمَّ تَخْلو مِنْ أَنْ تَعْرِضَ لِمُصْطَلَحَيْ "النَّبيِّ" و"الرَّسول"؛ إِذْ هُما مِنْ جُمْلَةِ "الأَسْماءِ الإسْلامِيَّةِ"، كَما يُعَبِّرون، أَحْيانًا، وقَدْ جاءَ في دِراسَةٍ تَطَوُّرِيَّةٍ كالتي لِلدُّكْتورِ عُودةَ خَليلٍ أَبي عُودةَ أَنَّ الشِّعْرَ الجاهِلِيَّ لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلى الكَلِمَتَيْنِ إِلّا

(1) مَفْهومُ التَّأْويلِ في القُرْآنِ الكَريمِ، دِراسَةٌ مُصْطَلَحِيَّةٌ، د. فَريدَةُ زُمُرُّد، ص:62.

(2) الكُلِّيّات، لِأَبي البَقاءِ الكَفَوِيِّ، ص: 300.

بِمَعْناهُما البَسيطِ[1]، مَا يَجْعَلُ لَهُما، في القُرْآنِ الكَرِيمِ، مَكانًا خاصًّا، مُرْتَبطًا بِتعالِيمِهِ التي هِيَ شَرْطٌ في مَفْهومِ المُصْطَلَحِ القُرْآنيِّ.

وتَأْسيسًا عَلى ما تَقَدَّمَ، انْتَهَيْنا إلى أَنَّ النَّظَرَ في كُلِّ الأَقْوالِ التي بُذِلَتْ في بَيانِ الفَرْقِ بَيْنَ المُصْطَلَحَيْنِ لَـمْ تَأْخُذْ مِنَ السَّبيلِ البَحْثِيِّ الأَقْوَمِ بالاعْتِبارات التّالِيَة:

1/ أَنَّها لَـمْ تَنْظُرْ لَهُما عَلى أَنَّهُما اسْمانِ قُرْآنيّان، بِدَليلِ أَنَّها لَـمْ تَنْهَجْ سَبيلَ الاِسْتِقْراءِ النَّصِّيِّ التّامّ، فَكَانَتْ إلى الرَّأْيِ أَقْرَبَ مِنْها إلى التَّأْصيلِ.

2/ أَنَّها –بِموجِبِ ما تَقَدَّمَ- لَـمْ تُوَفَّقْ إلى صَوْغِ السُّؤالِ؛ فَراحَتْ تُجيبُ عَنْ قَوْلِ القائِلِ:

- ما الفَرْقُ بَيْنَ "النَّبيِّ" و"الرَّسول"؟

وهِيَ صيغةٌ مُوهِمَةٌ؛ لِأَنَّها مَبْنِيَّةٌ عَلى الاِفْتِراضِ، و التَّسْليمِ الضِّمْنِيِّ بِأَنْ النَّبيَّ يكونُ رَجُلًا، وأَنَّ الرَّسولَ يَكونُ رَجُلًا غَيْرَه، وقَدْ كانَ حَقُّها أَنْ تَقومَ على صِياغةٍ مِنْ نَحْوِ:

- **ما المُوَجِّهاتُ السِّياقِيَّةُ لِاسْتِعْمال مُصْطَلَحَيْ "النَّبيّ" و"الرَّسول" في نَصِّ القُرْآنِ الكَريمِ؟**

وبِهَذا يَتَحَوَّلُ النَّظَرُ مِنَ البَحْثِ في دَليلَيْنِ لُغَوِيَّيْن، بافْتِراضِ كَوْنِهما لِحَقِيقَتَيْنِ مُنْفَصِلَتَيْنِ، إلى البَحْثِ فِيهِما مَع إِمْكانِ أنْ يَكونا حَقِيقَتَيْنِ قابِلَتَيْنِ لِلتَّلَبُّسِ بِذاتٍ واحِدةٍ.

وما دامَتْ تِلْكُمُ الأَنْظارُ، والاِجْتِهاداتُ، عَلى الحالِ التي وَصَفْنا هُنا، فَإِنَّ أَبْرَزَ ما يَعِيبُها هُوَ وَضْعُها المَنْهَجِيُّ القائِمُ على اسْتِشْكالِ غَيْرِ المُشْكِلِ، ولَقَدْ نَجَمَ عَنْ هذا أُمورٌ؛ هِيَ:

– إيهامُ العُقولِ بِأَنَّ البَحْثَ في اللَّفْظَيْنِ هُوَ بَحْثٌ في حَقِيقَتَيْنِ تَأْبَيانِ الاِجْتِماعَ في رَجُلَيْنِ، ما حَمَلَها على تَقْديمِهِ في الذِّهْنِ، وجَعْلِهِ مُنْطَلَقًا غَيْرَ قابِلٍ لِلْمُراجَعَة، ثُمَّ السَّعْيُ في طَلَبِ النُّصوصِ التي تُصَدِّقُه، وهُوَ واحِدٌ مِنْ أَبْرَزِ وُجوهِ الاِنْحِرافِ في التَّفْسيرِ[2].

---

(1) التَّطَوُّرُ الدَّلاليُّ بَيْنَ لُغَةِ الشِّعْرِ ولُغَةِ القُرْآنِ الكَريم، د. عُودة خَليل أبو عُودة، ص: 130.

(2) يَقولُ الدُّكْتورُ محمد حُسَيْن الذَّهَبي، في بَيانِ بَعْضِ أَسْبابِ الاِنْحرافِ في التَّفْسير: "**أَنْ يَعْتَقِدَ المُفَسِّرُ مَعْنًى مِنَ المَعاني، ثُمَّ يُريدُ أَنْ يَحْمِلَ أَلْفاظَ القُرْآنِ عَلى ذَلِك المَعْنى الذي يَعْتَقِدُهُ**"، الاِتِّجاهاتُ المُنْحَرِفَةُ في تَفْسيرِ القُرْآنِ الكَريم، دَوافِعُها ودَفْعُها، ص:20.

– انْقِلابُ الوَضْعِ المَنْهَجيِّ بتَقْديمِ التَّصَوُّرِ السّابقِ لِـمَعْنى المُصْطَلَحِ بَدَلَ تَقْديمِ الاسْتِقْراءِ التّامِّ الذي هُوَ عُمْدَةُ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحيّة المُرادِفَةِ لِعِلْمِ اصْطِلاحِ النَّصِّ؛ إذِ الإسْتِقْراءُ هُوَ المُوَطِّئُ لاسْتِنْباطِ المَنْطِقِ التَّداوُليِّ لِلْمُصْطَلَحَيْنِ[1].

– إيهامُ العُقول بأنَّ طَلَبَ الفَرْقِ هُوَ أَمْرٌ مَتْروكٌ لِلرَّأْيِ ما جَعَلَها تَأْتي بالقَوْلِ الذي لا يَعْتَضِدُ بأَصْلٍ مُسَلَّمٍ لَه، ما زادَها ازْوِرارًا عَنِ المَدْخَلِ الحَقيقيِّ لِلْبَحْث، بِجَعْلِ مَحَلِّهِ عُقولَ العُلَماء، لا نَصَّ القُرْآنِ الكَريم، وبانْقِلابِ المَسْأَلَةِ إلى كَلامِيَّة، لا نَصِّيَّة[2].

– تَضْليلُ العُقول بصِياغَةِ المَسْأَلَةِ صِياغةً تَفْتَرِضُ التَّفْريقَ بَيْنَ رَجُلَيْن، لا بَيْنَ لَفْظَيْن، تَفْريقًا غَيْرَ مُؤَسَّسٍ على مُفادِ النَّصّ، ولَسَوْفَ نَرى أَنَّ الانْحِرافَ بالنُّصوصِ المُسْتَخْدَمَةِ في المَوْضوعِ عَنْ مَدْخَلِها الحقيقيِّ أَدّى إلى عَزْلِها عَنْ ضَمائِمِ تَفْسيرِها، وفَهْمِها، ما جَعَلَها عُرْضَةً لِهَيْمَنَةِ الفَهْمِ المُسْبَق.

– ولا يَحْمُلُ أَنْ يَخفى أنَّ الدِّراسَةَ المُصْطَلَحِيَّةَ القُرْآنيَّةَ هِيَ مِنْ قَبيلِ القَوْلِ في كَلامِ الله تَعالى، ما يَجْعَلُها، بِدونِ اسْتِئْذانٍ، في طائِلَةِ قَواعِدِ التَّفْسير، وأُصولِه[3].

فَمِنْ أَجْلِ هذا، وغَيْرِه، رَأَيْنا أَنَّ مَسْأَلَةَ الفَرْقِ بَيْنَ "النَّبيِّ" و"الرَّسُول" لَـمْ تَنْعَمْ بِمَزايا الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة، ولَـمْ يُتَحْ لها أَنَّ تَأْخُذَ بحَظٍّ مِنْ عِلْمِ اصْطِلاحِ النَّصِّ، فوَقَعَتِ العُقولُ المُشارِكَةُ فِيها في اسْتِشْكالِ غَيْرِ المُشْكِل، وفي انْقِلابِ الوَضْعِيَّةِ المَنْهَجِيَّةِ في البَحْث، وفي الازْوِرارِ عَنِ المَدْخَلِ الحَقيقيِّ لِلْمَسْأَلَة.

---

(1) نَظَراتٌ في المُصْطَلَحِ والمَنْهَج، د. الشّاهد البُوشيخي، ص:24.

(2) تَحْريفُ المُصْطَلَحاتِ القُرْآنيَّةِ وأَثَرُهُ في انْحِرافِ التَّفْسير في القَرْنِ الرّابعَ عَشَر، د. فهد الرومي، ص:12/11.

(3) تَقولُ الدُّكْتورَةُ فَريدةُ زُمُرُّد: "**الدِّراسةُ المُصْطَلَحِيَّةُ تُحقِّقُ الألْفاظَ، فَتَرُدُّ إلى مَعانيها الحقَّة، وتُنَزِّلُ في الأفْهامِ مَنْزِلَها الصِّدْقَ، والعَدْل، وهِيَ المَخْرَجُ مِمّا يُتنازَعُ فِيهِ مِنَ التَّفْسيرِ والتَّأْويل؛ تَنْجَلي بِهِ سُدَفُ التَّحْريف، وظُلَمُ التَّغْييرِ والتَّبْديل، وهِيَ مَعَ ذَلِكَ صِناعَةٌ تَشْرُفُ بشَرَفِ مَوْضوعِها الذي هُوَ "كَلِماتُ الله عَزَّ وجَلّ" كَما تَشْرُفُ بغَرَضِها الذي هُوَ البَيانُ لِـمُرادِ الله، عَزَّ وجَلَّ، مِنْ كَلامِه**"، مَفْهومُ التَّأْويلِ في القُرْآنِ الكَريم، دِراسَةٌ مُصْطَلَحِيَّة، د. فَريدَة زُمُرُّد، ص:83.

وعَلى هَذا اجْتَهَدْنا في إلْزامِ دِراسَتِنا هَذِه أُمورًا مَنْهَجِيَّةً؛ هِيَ:

- إعادةُ صِياغَةِ السُّؤالِ القاعِدِيِّ في المَوْضوع.
- بَيانُ المَدْخَلِ الحَقِيقيِّ لِلنَّظَرِ في المَوْضُوع.
- الإحالَةُ عَلى مَقُولاتِ العِلْمِ القادِرِ على ضَبْطِ القَوْلِ في المَوْضوع.

ولَقَدْ جَعَلْنا هَذا البَحْثَ في قِسْمَيْنِ؛ هُما:

- أمّا الأَوَّلُ، فَعَرَضْنا فيهِ أَقْوالَ العُلَماء، واجْتَهَدْنا في بَيانِ صُدورِها عَنِ اعْوِجاجٍ مَنْهَجِيٍّ فادِحٍ، وعَمِلْنا، مِنْ ثَمَّ، عَلى نَقْضِها قَوْلًا قَوْلًا، انْتِهاءً إلى تَحْقيقِ وَجْهِ الاِعْوِجاجِ فيها، والكَشْفِ عَنِ اسْتِشْكالٍ غَيْرِ المُشْكِلِ في صِياغَتِها الأُولى.
- وأمّا الثّاني، فَجَعَلْناهُ لِإجْراءِ اسْتِقْراءٍ سِياقيٍّ تامٍّ لِـــمَوارِدِ مادَّتَي المُصْطَلَحَيْن، عَمَلًا بِمَبادِئَ أساسيَّةٍ في الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة، وبِأُصول تَفْسيريَّةٍ ضابِطَةٍ لِكُلِّ بحثٍ يَنْظُرُ في أداةٍ لُغَوِيَّةٍ قُرْآنية؛ بما أَنَّ مُصْطَلَحَيِ "النَّبيّ" و"الرَّسول" قُرْآنيّانِ، ولَفْظانِ إسْلاميّانِ بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ، وسَيَأْتي مُفَصَّلًا في مَكانِهِ مِنْ هذا البَحْث. عَلى أَنَّ المُبْتَغى مِنْ وَراءِ ذَلِك كُلِّهِ يُلَخِّصُهُ شَيْئانِ:
  - إظْهارُ الوَضْعِ المَنْهَجِيِّ الصَّحيحِ لِبَحْثِ المَسْأَلَة، وضَبْطِ القَوْلِ فيها ضَبْطًا مُؤَصَّلًا.
  - اتِّخاذُها سَبيلًا لِلدَّعْوَةِ إلى تَصْحيحِ مَناهِجِ البَحْثِ في كُلِّ ما لَهُ صِلَةٌ مُباشِرَةٌ بالقُرْآنِ الكَريم، ولُغَةِ القُرْآنِ الكَريم.

- **القِسْمُ الأَوَّلُ: أَقْوالُ العُلَماء في التَّفْريقِ بَيْنَ مُصْطَلَحَيْ "النَّبيِّ" و"الرَّسُول":**

تَتَوَزَّعُ أَقْوالُهُمْ في المَسْأَلَةِ عَلى ما يَلي:

1- القائلونَ بقاعِدَةِ: "كُلُّ رَسولٍ نَبيٌّ، ولا يَنْعَكِس" [1]؛ وهَؤُلاءِ يَرَوْنَ أَنَّ النُّبُوَّةَ أَعَمُّ مِنَ الرِّسالةِ، وأنَّ النَّبيَّ إِنْسانٌ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ جَديدٍ، أَوْ مُقَرَّرٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِتَبْليغِهِ، فَهُوَ رَسولٌ، وإِنْ لَـمْ يُؤْمَرْ فَهُوَ نَبيٌّ، فالعُمومُ بالوَحْي، والخُصوصُ بالتَّبْليغ. وهُوَ مَذْهَبُ فَريقٍ عَريضٍ مِنَ العُلَماء.

ومَعَ ذَلِك، وَجَدْنا في القائِلينَ بالتَّفْريقِ مَنْ لَـمْ يَرْتَضِ الأَمْرَ بالتَّبْليغِ فارِقًا بَيْنَهُما؛ مِنْ أَجْلِ ما حاجَجَهُمْ به مُخالِفوهُمْ بالنُّصوصِ الوارِدَةِ بِعُمومِ الإِرْسالِ النَّبيَّ والرَّسولَ، مَعًا:

- قالَ تَعالى: "ومَا **أَرْسَلْنا** مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسولٍ ولَا نَبيٍّ" [2]
- وقالَ تَعالى: " وكَمْ **أَرْسَلْنا** مِنْ نَبيٍّ في الأَوَّلِين" [3]
- وقالَ تَعالى: "ومَا **أَرْسَلْنا** في قَرْيَةٍ مِنْ نَبيٍّ" [4].

ومِنْ ثَمَّ، سَعى هَؤُلاءِ في طَلَبِ فارِقٍ آخَرَ يُؤَيِّدُ القَوْلَ بالتَّفْريق، ولَسَوْفَ نُورِدُ ذِكْرًا لِهذِهِ المَعاييرِ في مَوْضِعٍ تالٍ لِهذا.

وأَمّا الذينَ تَمَسَّكوا بفارِقِ التَّبْليغِ في الإِرْسالِ فقالُوا في الآياتِ المُتَقَدِّمَةِ إِنَّها تَصْلُحُ حُجَّةً لَهُم، لا عَلَيْهِم؛ لِإِمْكانِ أَنْ يَكونَ مَفْهومُها أَنَّ اللهَ تَعالى أَرْسَلَ مَنْ كانَ نَبيًّا فَصارَ رَسولًا، وأَمّا آيَةُ الحَجِّ فَتَصْلُحُ، كَذَلِكَ، لِـمَذْهَبِهِم؛ لِأَنَّ العَطْفَ بَيْنَ النَّبيِّ والرَّسولِ فيها يَقْتَضي المُغايَرَةَ بَيْنَهُما، وتَكادُ تكونُ هَذِهِ الآيَةُ أَقْوى ما في يَدِ القائِلينَ بالتَّفْريق.

---

[1] يُنْظَرُ مَثَلًا: الجامِعُ لِأَحْكامِ القُرْآن، لِلقُرْطُبيِّ، 59/12.

[2] سُورَةُ الحَجِّ: 52.

[3] سُورةُ الزُّخْرُف: 06.

[4] سُورةُ الأَعْراف: 94.

ثُمَّ إِنَّهُ لَـمّا كانَتِ النُّصوصُ صالِحَةً، في مَسالِكِ التَّأْويلِ، لِلتَّفْريقِ، والتَّسْوية، مَعًا، اجْتَهَدَ المُتَمَسِّكونَ بالتَّفْريقِ في طَلَبِ ما يُثْبِتُ الفَرْقَ باعْتِمادِ نُصوصٍ حَديثِيَّةٍ يُفيدُ مَنْطوقُها أنَّ "الرَّسولَ" غَيْرُ "النَّبيِّ"، وهِيَ:

• **حَديثُ البَراء بْن عازِب:** فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ، في كِتابِ الذِّكْرِ والدُّعاءِ والتَّوْبَةِ والاِسْتِغْفار، في بابِ ما يَقولُ عِنْدَ النَّوْمِ، وأَخْذِ المَضْجَعِ عَنِ البَراءِ بْنِ عازِبٍ أنَّ رَسولَ الله، صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّم، قالَ: "**إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضوءَكَ لِلصَّلاة، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ إِلَيْك، وَفَوَّضْتُ أَمْرِيَ إِلَيْك، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِيَ إِلَيْك، رَغْبَةً، ورَهْبَةً إِلَيْك، لا مَلْجَأَ، ولَا مَنْجى مِنْك إِلَّا إِلَيْك، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الذِي أَنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ، واجْعَلْهُن مِنْ آخِرِ كَلامِك، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مِتَّ وأَنْتَ عَلى الفِطْرة. قالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ، فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الذي أَرْسَلْتَ، قالَ: قُلْ: "آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ**"[1]

• حَديثُ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّهُ قالَ: "**يا رَسُولَ الله كَمِ الأَنْبِياءُ؟ قالَ: مِائَةُ أَلْفٍ وأَرْبَعَةٌ وعِشْرونَ أَلْفًا، قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، كَمِ الرُّسُلُ مِنْهُمْ؟ قالَ: ثَلاثُمائَةٍ وثَلاثَةَ عَشَرَ؛ جَمٌّ غَفِيرٌ...**"، في حَديثٍ طَويلٍ[2].

(1) صَحيحُ مُسْلِم، الحَديثُ رقم: 2710، ص:875.

(2) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ في المُسْنَد، 178/5، 179، والطَّبَرانيّ، في المُعْجَمِ الكَبير258/7، ورَقْمُه 7871 ، عَنْ أَبي أُمامَةَ، وقالَ الهَيْثَمِيّ في مَجْمَعِ الزَّوائد: "**رَواهُ أَحْمَدُ والطَّبَرانِيُّ في الكَبير، ومَدارُهُ عَلى عَلِيّ بنِ يَزيد، وهُو ضَعِيف 159/1**". كِتابُ العِلْم، بابُ السُّؤال لِلِانْتِفاع، وإِنْ كَثُر، والحديثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبّان في صَحيحِهِ عَنْ أَبي ذَرّ ، يُنْظَرُ: الإِحْسانُ بِتَرْتيب صَحيحِ ابْنِ حِبّان، 287/1، رَقْم الحديث: 362. وذَهَبَ بَعْضُهُمْ إلى أنَّ الأَصَحَّ مِنْهُ ما أَخْرَجَهُ الحاكِمُ في مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ أَبي أُمامَةَ أنَّ رَجُلًا قال: "**يا رَسولَ الله كَمْ كانتِ الرُّسُلُ؟، قالَ: ثلاثُمائَةٍ وخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفيرًا**". وقالَ الحاكِمُ : "**هَذا حَديثٌ صَحيحٌ على شَرْطِ مُسْلِم**"، ووافَقَهُ الذَّهَبي، يُنْظَر: مُسْتَدْرَكُ الحاكِم، وبِذَيْلِهِ التَّلْخيصُ للذَّهَبي، 262/2، و الحديثُ بِروايةِ المُسْتَدْرَكِ لا يُفيدُ شَيْئًا في التَّفْريقِ بَيْنَ النَّبيّ والرّسول.

2- مَعاييرُ أُخْرى:

- **البَعْثُ بالجَديدِ وتَقْريرُ القَديم:** فالرَّسولُ هُوَ المَبْعوثُ بِشَريعةٍ جَديدةٍ، وبِكِتابٍ ناسِخٍ لِشَرْعِ مَنْ تَقَدَّمَه، والنَّبِيُّ هُوَ المَبْعوثُ لِتَقْريرِ شَرْعٍ تَقَدَّمَه، وهُوَ ثاني أَشْهَرِ مَعاييرِ التَّفْريق، عِنْدَ مَنْ قالَ بالتَّفْريق.
- **البَعْثُ لِلإعْجاز:** فالرَّسولُ هُوَ المُؤَيَّدُ بالمُعْجزَة، والنَّبِيُّ هُوَ مَنْ لَمْ تَجْرِ عَلى يَدِهِ مُعْجِزَةٌ ما.
- **البَعْثُ بالكِتاب:** فالرَّسولُ هُوَ المُؤَيَّدُ بِكِتابٍ، والنَّبِيُّ هُوَ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِكِتابٍ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِهِ.
- **طَريقَةُ الوَحْيِ وسَبيلُهُ:** فالرَّسولُ هُوَ مَنْ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِمُباشَرَةِ المَلَكِ لَهُ، والنَّبِيُّ هُوَ مَنْ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ في مَنام، أَوْ بِإِلْهامٍ، أَوْ بِغَيْرِ ذَلِك.
- **حالُ المَبْعوثِ فِيهِمْ:** فَإِنْ يَكونوا مُوافِقِين لَهُ في دَعْوَتِهِ فَهُوَ النَّبِيُّ، وإِنْ يَكونوا مُخالِفِينَ لَهُ فَهُوَ الرَّسُول[1].

ويُرى في كُلِّ هَذِهِ المَعاييرِ قِيامُ الفارِقِ فيها عَلى مُراعاةِ مَزِيَّةٍ في الرَّسول، لَيْسَتْ في النَّبِيِّ، وعَلى فَضْلٍ في الرَّسُولِ لَيْسَ في النَّبِيّ.

وأَيْسَرُ ما يُدْفَعُ بِهِ كُلُّ ذَلِكَ افْتِقارُهُ لِلْأَساسِ الذي يَقومُ عَلَيْه، وإِنَّهُ لَمِنْ مَثاراتِ العَجَبِ حَقًّا!!!؛ فَقَدْ كانَ مِنَ الخَيْرِ لِهَؤُلاءِ أَنْ يَقِفوا عِنْدَ حَدِّ القَوْلِ بالتَّفْريق؛ أَخْذًا بِما فَهِمُوهُ مِنَ النُّصوصِ، وأَنْ لَا يُمْعِنوا في تَكَلُّفِ مِعْيارِ الفَرْقِ دُونَ الاِعْتِضادِ بِأَصْلٍ مُسَلَّمٍ لَهُ.

وأَشَدُّ ما يُؤْخَذُ بِهِ على هَؤُلاءِ ما يَلي:

(1) يُنْظَرُ كُلُّ ذَلِكَ في: تَنْويرُ العُقول في الفَرْقِ بَيْنَ النَّبِيِّ والرَّسول، للشَّيْخ محمد بْنِ عَبْدِ الله الإمام، ص:10.

– أنَّ نَظَرَهُمْ قائِمٌ عَلى التَّفْريقِ بَيْنَ رَجُلَيْن؛ أَحَدُهُما "النَّبيُّ" والآخَرُ "الرَّسولُ"، ولَا مَفْهومَ مُوجبًا لَهُ، إنَّما كانَ حَقُّهُم أَنْ يَبْنوهُ عَلى التَّفْريقِ بَيْنَ لَفْظَيْنِ قابلَيْنِ لِلتَّلَبُّسِ بالرَّجُلِ الواحِدِ؛ هُوَ النَّبيُّ الرَّسولُ، وهُوَ الرَّسولُ النَّبيُّ، في آنٍ، فَهُمْ، مِنْ ثَمَّ، قَدْ انْحَرفوا بالبَحْثِ مِنَ الدَّليلَيْنِ إلى المَدْلولَيْن، وبعِبارةٍ أُخْرى؛ قَدْ كانَ الأَوْلى بهَؤُلاءِ أنْ يَبْحَثوا المَسْأَلَةَ عَلى نَحْوِ ما يَنْظُرونَ في مِثْلِ: (جَلَسَ زَيْدٌ) و (قَعَدَ زَيْدٌ)، فَيُفَرِّقونَ بَيْنَ الجُلوسِ والقُعود، وكِلاهُما مُتَلَبِّسانِ بزَيْدٍ، وقَدْ قَدَّمْنا القَوْلَ بأَنَّ الصِّيغَةَ التي اسْتُشْكِلَ بها المَوْضوعُ هِيَ التي أَوْقَعَتِ العُقولَ في هَذا الوَهْم.

– أنَّ بَحْثَهُمُ المَوْضوعَ قائِمٌ في غَيْرِ المَحَلِّ الواجبِ بَحْثُهُ فِيه؛ وهُوَ نَصُّ القُرْآنِ الكَريم؛ ذَلِكَ أَنَّ القُرْآنَ الكَريمَ هُوَ الذي جاءَ باللَّفْظَيْن، وصَيَّرَهُما، بنَظَرِيَّتِهِ الخاصَّةِ، مُصْطَلَحَيْنِ مِنْ مُصْطَلَحاتِهِ التي جَهَّزَها لِأَنْ يَسْتَعْمِلَهُما النّاسُ. ومِنْ ثَمَّ، فَقَدْ كانَ واجبًا أَنْ يَكونَ البَحْثُ في المُصْطَلَحَيْنِ مُقَيَّدًا بالصِّفَةِ النَّصِّيَّةِ فِيهِما، ثُمَّ يُدَلُّ عَلى هَذا بالصِّيغَةِ المُفْهِمَةِ لَهُ؛ كَأَنْ يُقالَ: **إنّا نَرى القُرْآنَ يَقُولُ "النَّبيَّ"، هُنا، ويَقُولُ "الرَّسولُ" هُناك، ويَجْمَعُ بَيْنَهُما في مَوْضِعٍ ثالِثٍ، فَلِأَيِّ غَرَضٍ يَسوقُ هَذا، ولِأَيِّ غَرَضٍ ذاك؟**

أمّا الأَحادِيثُ المَسُوقَةُ لِلدَّلالَةِ عَلى التَّفْريقِ فَنَقولُ فِيها:

● أمّا حَديثُ البَراءِ بْنِ عازِبٍ فَيَنْبَغي لِفَهْمِهِ أَنْ يُقْرَأَ مِنْ أَوَّلِهِ، وأَنْ لَا يُنْتَزَعَ مِنْهُ العِبارَةُ المُفْهِمُ ظاهِرُها التَّفْريق؛ ذلك أنَّ الحديثَ، مِنْ أَوَّلِهِ مَسوقٌ لِغايَةٍ تَعْليمِيَّةٍ؛ هِيَ تَعْليمُ الصَّحابيِّ سُلوكًا تَعَبُّدِيًّا يُؤَدِّيهِ على صُورةٍ مخصوصَةٍ في القَوْلِ، وفي الفِعْلِ، فالحَديثُ مِنَ الأَذْكارِ، وأَلْفاظُ الأَذْكارِ تَوْقيفِيَّةٌ، وهَذا بَيانٌ لِلتَّوْقيفِ فِيه:

– قَوْلُهُ، صلى الله عليه وسلم، **"إذا أَتَيْتَ مَضْجَعَك فَتَوَضَّأْ وُضوءَكَ لِلصَّلاة"**، مُفْهِمٌ لِأَنَّهُ، صلى الله عليه وسلم، لَا يُريدُ مِنْهُ كُلَّ وُضوء، إنَّما يُريدُ الوُضوءَ الذي لِلصَّلَاةِ خاصّة.

– قَوْلُهُ، صلى الله عليه وسلم، **"ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلى شِقِّكَ الأَيْمَن"** مُفْهِمٌ، كَذلك، لِأَنَّهُ لَا يَضْطَجِعُ عَلى أَيِّ شِقَّيْهِ شَاء.

وفي هَذَيْنِ بَيانٌ لِصورَةٍ مَخْصوصَةٍ مِنَ الفِعْل، وفي ما بَقِيَ مِنَ الحديثِ بَيانٌ لِصورَةٍ مَخْصوصَةٍ مِنَ القَوْل؛ فَلَا يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَتَجاوَزَها إلى غَيْرِها؛ وهِيَ:

– قَوْلُهُ، صلى الله عليه وسلم، مُعَقِّبًا عَلى قَوْلِه: **"وَرَسولِكَ الذي أَرْسَلْتَ"**: **"لَا، وَنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ"**.

وبِهَذا يَثْبُتُ أَنْ لَا دَلَالَةَ، في هَذا الحَدِيثِ، عَلى إِثْباتِ الفَرْقِ بَيْنَ مُصْطَلَحَيْ "النَّبِيِّ" و"الرَّسُول".

- أمّا حَديثُ أَبي ذَرٍّ، فَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ شَيْءٌ بَعْدَ أَنْ قَضى العارِفونَ بالحَدِيثِ بِأَنَّهُ ضَعيف، بَلْ مَوْضوع، جاءَ في فَتاوَى الشَّيْخِ ابْنِ بازٍ قَوْلُهُ: **"وجَميعُ الأَحاديثِ، في هَذا الباب، –أَيْ بابُ عَدَدِ الأَنْبياء– ضَعيفة، بَلْ عَدَّ ابْنُ الجَوْزي حَديثَ أَبي ذَرٍّ مِنَ المَوْضوعاتِ، والمَقْصُودُ أَنَّهُ لَيْسَ في عَدَدِ الأَنْبِياء، والرُّسُلِ خَبَرٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْه"**[1]

- **المَبْحَثُ الثّاني: الاسْتِقْراءُ التّامُّ، والتَّحْليلُ اللُّغَويُّ لِـمَوارِدِ المُصْطَلَحَيْن:**

- **أَوَّلًا: مَوارِدُ مُصْطَلَح "الرَّسُول"**: نَرى مِنَ الخَيْرِ أَنْ نُوجِزَ الكَلَامَ في هَذا فَنَتَّجهُ رَأْسًا إلى المَعْنى المَرْكَزِيِّ لِـمادَّةِ (ر/س/ل)، وهُوَ ما يَسْتَدْعي مَقاييسَ ابْنَ فارِسٍ؛ فَيَقُولُ: **"الرّاءُ، والسِّينُ، واللّامُ أَصْلٌ واحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقاسٌ، يَدُلُّ عَلى الانْبِعاثِ، والامْتِدادِ"**[2].

وهَذا مُفْهِمٌ لِأَنَّ الرَّسولَ هُوَ:

1– مَبْعوثٌ؛ واللهُ باعِثُهُ، وعِبادُ الله هُمُ المَبْعوثُ إِلَيْهِمْ.

---

(1) مَجْموعُ فَتاوَى الشَّيْخِ عَبْدِ العَزيزِ بْنِ باز، 2/66-67.

(2) مُعْجَمُ المَقاييسِ في اللُّغَة، ص: 402.

2- مُمْتَدٌّ فِي بَعْثِهِ؛ ويُرى امْتِدادُهُ في الوَصْلِ بَيْنَ الباعِثِ والمَبْعوثِ إِلَيْهِمْ عَبْرَ الرِّسالَةِ نَفْسِها.

وهُما أَمْرانِ مُحَقَّقانِ فِي الرَّسولِ باعْتِبارَيْنِ؛ اعْتِبارِ حالِهِ بَيْنَ الباعِثِ والمَبْعوثِ إِلَيْهِم، وباعْتِبارِ ما يَحْمِلُهُ إِلَيْهِم.

وزادَ آخَرونَ فِي مَعْنَى الرِّسالَةِ صِفَةَ الرِّفْقِ والتُّؤَدَة، وهُما مِنْ مُلائِماتِ المَبْعوثِ، فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يُوصِلَ الرِّسالَةَ بِرِفْقٍ وتُؤَدة، أَوْ عَلى وَجْهِ الرِّفْقِ والأَناة، قالَ الرّاغِبُ: **"أَصْلُ الرِّسالَةِ الانْبِعاثُ عَلى التُّؤَدَة"**[1]

والجَمْعُ بَيْنَ المَعانِي الثَّلاثَةِ يَحْصُلُ بِالقَوْلِ: **إِنَّ الرَّسولَ يُفيدُ، في كَلامِ العَرَبِ، المَبْعوثَ بِأَمْرٍ يُوصِلُهُ بِرِفْقٍ وتُؤَدَة**. والمُسْتَفادُ مِنْ هَذا المَجْموعِ أَنَّ مادّةَ (ر/س/ل) هِيَ رَمْزٌ لُغَوِيٌّ جامِعٌ لِثلاثَةٍ؛ هُمْ:

- المُوَظَّفُ.
- الوَظِيفَةُ.
- هَيْئَةُ الوَظِيفَة.

وبالانْتِقالِ مِنْ هَذا إِلى التَّعْريفِ الاِصْطِلاحِيِّ الذي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ غالِبُ العُلَماء، وبِخاصَّةٍ مِنْهُمْ القائِلينَ بالفَرْقِ بَيْنَ المُصْطَلَحَيْنِ نَفْهَمُ تَمَسُّكَهُمْ بِوُجودِ ما يَنْتَقِلُ بِهِ المَبْعوثُ إِلى المَبْعوثِ فِيهِم، فَقالوا -غالبًا- بِأَنَّهُ الشَّرْعُ، أو الكِتابُ، أَو المُعْجزة، عَلى أَنَّهُ الفارِقُ بَيْنَهُما.

والذِي نُؤْمِنُ أَنَّهُ واجِبُ الحُضورِ عِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ مِنَ البَحْثِ هُوَ هَذا السُّؤالُ: **هَلْ يُوافِقُ المَعْنى اللُّغَوِيُّ المَعْنى الاِصْطِلاحِيَّ؟**

والمَدْخلُ الواجِبُ اعْتِمادُهُ، أَيْضًا، هُوَ البَحْثُ في اسْتِعْمالاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ لِهَذا المُصْطَلَحِ، والنَّظَرِ في مَنْطِقِ تَداوُلِهِ فِي نُصوصِهِ، والحَقُّ أَنّا حِينَ عَمِلْنا بِمَبْدَأ الاِسْتِقْراءِ الشّامِلِ انْتَهَيْنا إِلى ما يَأْتِي:

[1] مُعْجَمُ مُفْرداتِ أَلْفاظِ القُرْآن، ص: 200.

- يُسْتعْمَلُ مُصْطَلَحُ "الرَّسول"، بِشَتَّى اشْتِقاقاتِهِ، في نَصِّ القُرْآنِ في مَعْنى الوَظِيفة.
- الوَظيفَةُ المُسْتَعْمَلُ لها المُصْطَلَحُ، بِشَتّى اشْتِقاقاتِهِ، هِيَ الدَّعْوَةُ إلى دِينِ اللهِ تَعالى.
- يَقومُ في كُلِّ سِياقٍ لُغَوِيٍّ مُحيطٍ بِهذا المُصْطَلَحِ، بِشَتَّى اشْتِقاقاتِهِ، مُلائِمٌ (=مُصاحِبٌ) مِنْ مُلائِماتِ الدَّعْوَةِ عَلى هَذا النَّحْو:

أ- مُلائِماتُ (=مُصاحِباتُ) أداءِ الدَّعْوة: البَلاغُ، البَيانُ، التَّبْيِينُ، النُّصْحُ، القَصُّ، التِّلاوَةُ، التَّعْلِيمُ، التَّزْكِيةُ، التَّبْشِيرُ، الإنْذارُ، الهِدايَةُ، القَضاءُ، الحُكْمُ، ... .

ب- مُلائِماتُ (=مُصاحِباتُ) المَوْقِفِ مِنَ الدَّعْوَةِ: وذَلِك عَلى وَجْهَيْن:

- التَّصْديقُ: الإيمانُ، التَّأْييدُ، التَّعْزيرُ، التَّوْقيرُ، النَّصْرُ، الاتِّباعُ، الطَّاعةُ، التَّصْديقُ، الجِهادُ، ... .
- التَّكْذيبُ: الكُفْرُ، الأَذى، الجُحودُ، الظُّلْمُ، القَتْلُ، الإعْراضُ... .

- دَلالَةُ مُصْطَلَحِ الرَّسولِ عَلى مَعْنى الوَظِيفةِ المَصْحوبَةِ بِمُلائِماتِها، هِيَ دَلالَةٌ تَطَّرِدُ في اسْتِعْمالاتِ القُرْآنِ الكَريم[1].

---

(1) وذِكْرُنا لِلاطِّرادِ، هُنا، ضَروريٌّ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مَطْلوبٌ لِبَيانِ الحَقيقةِ الاصْطِلاحِيَّةِ مِنْ حَيْثُ هُوَ ثَمَرَةٌ لِلاسْتِقْراءِ التامّ؛ يقولُ الدُّكْتورُ فَهْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحمنِ بْنِ سُلَيْمان الرّومي: "**إنَّ المُصْطَلَحَ القُرْآنِيَّ لَيْسَ رَهينًا دَوْمًا باتِّفاقٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ طَرَفَيْن، بَلْ قَدْ يَكونُ مَوْضوعًا مِنْ طَرَفٍ واحِدٍ، يَجْري عَلَيْهِ التَّعْبيرُ في دَلالَةٍ مُعَيَّنَةٍ عَلى سَبيلِ الاطِّراد، دُونَ اعْتِبارٍ لِـمُوافَقَةِ المُخاطَبين، أَوِ اشْتِراكِهِمْ في وَضْعِه، وَإنَّما يَكونُ دَوْرُهُم تَقَصِّي الاسْتِعْمالاتِ مِنْ قِبَلِ ذَلكَ الطَّرَفِ لِيَقِفُوا عَلى الدَّلالةِ المُطَّرِدَةِ في تَعْبيرِه، ومِنْ هذا الاعْتِبارِ فَلا حَرَجَ في القَوْل: إنّ القُرْآنَ الكَريمَ قَدِ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحاتٍ عِدَّةً عَلى مَعْنى أَنَّهُ حَمَّلَ أَلْفاظًا، وتَراكِيبَ، ودَلالاتٍ مُعَيَّنَةً، مُطَّرِدَةً وخاطَبَ بِها النّاسَ فَأَصْبَحوا يَفْهَمونَها بِمُقْتَضى اطِّرادِها، في دَلالَتِها تِلْك دُونَ أَنْ يَكونَ لَهُمْ مَدْخَلٌ في ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنَ التَّلَقِّي، ولَعَلَّهُ بِهذا المَعْنى اسْتَعْمَلَ كَثيرٌ مِنَ الباحِثِينَ التَّعْبيرَ بالمُصْطَلَحِ القُرْآنِيِّ**"، ينظر: تَحْريفُ المُصْطَلَحاتِ القُرْآنيَّةِ وأَثَرُهُ في انْحِرافِ التَّفْسيرِ في القَرْنِ الرّابِعَ عَشَر، د. فَهْدُ الرّومي، ص:08.

فَحَصَلَ مِنْ هَذا: **أَنَّ مُلائِمات (=مُصاحِباتِ) الرِّسالَةِ مُوَزَّعَةٌ باعْتِبارِ 1/ حامِلِها، 2/ مُتَلَقِّيها، 3/ أَدائِها.**

ثُمَّ هَذا بَيانٌ لِـــمَوارِدِ مُصْطَلَحِ الرِّسالَةِ، بِشَتَّى اشْتِقاقاتِهِ، في كُلِّ القُرْآنِ الكَرِيم، مَصْحوبًا بِمُلائِماتِهِ اللَّفْظِيَّة، وقَدْ جَعَلْنا سَطْرًا أَسْفَلَ المُصْطَلَحِ، وجَعَلْنا **مُلائِمَهُ** بِخَطٍّ غَليظٍ:

- **أَرْسَلَ:**

- هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ **بالهُدى** ودِينِ الحَقِّ [التوبة:33].
- لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا **فَنَتَّبِعَ آياتِك** [طه:134].
- هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسولَهُ **بالهُدى ودِينِ الحَقِّ** [الصف:9].
- كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسولًا مِنْكُمْ **يَتْلو عَلَيْكُمْ آياتِنا** [البقرة:151]
- وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسولٍ إِلَّا **لِيُطاعَ** بِإِذْنِ اللهِ [النساء:64]
- لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَأَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّما جاءَهُمْ رَسولٌ بِما لَا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ **فَرِيقًا كَذَّبوا وفَرِيقًا يَقْتُلون**[المائدة:70]
- ولَقَدْ أَرْسَلْنا إلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بالبَأْساءِ والضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعونَ*فَلَوْلا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعوا ولَكِنْ **قَسَتْ قُلوبُهُمْ وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كَانوا يَعْمَلون**[الأنعام:42/43].
- لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحًا إلى قَوْمِهِ فَقالَ **يا قَوْمِ اعْبُدوا الله** [الأعراف:59].
- ولَقَدْ أَرْسَلْنا نوحًا إلى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ **نَذِيرٌ مُبِين** [هود:25].
- ولَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى **بآياتِنا وسُلْطانٍ مُبِين** [هود:96].
- وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا **نُوحِي إِلَيْهِمْ** مِنْ أَهْلِ القُرى [يوسف:109].

– ولَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِك وجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجًا وذُرِّيَّةً وما كَانَ لِرَسولٍ أَنْ **يَأْتِيَ بِآيةٍ** إِلّا بِإِذْنِ اللهِ[الرعد:38].

– وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسولٍ إِلّا بِلِسانِ قَوْمِهِ **لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** [إبراهيم:4].

– ولَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أَنْ **أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ** [إبراهيم:5].

– ولَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِك في شِيَعِ الأَوَّلِين*وما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسولٍ إِلّا كانوا بِهِ **يَسْتَهْزِؤون** [الحجر:10].

– وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلّا رِجالًا **نُوحِي إِلَيْهِمْ** [النحل:43].

– تاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِك **فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ** [النحل:63].

– وإِنْ كَادوا **لَيَسْتَفِزُّونَك مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْها** وإِذًا لا يَلْبَثونَ خَلْفَكَ إِلّا قَليلًا*سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا [الإسراء:76–77].

– وما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلّا رِجالًا **نُوحِي إِلَيْهِمْ** [الأنبياء:7].

– وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِك مِنْ رَسولٍ إِلّا **نُوحِي إِلَيْه** [الأنبياء:25].

– ولَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ **اعْبُدوا الله** [المؤمنون:23].

– فأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسولًا مِنْهُمْ أَنُ **اعْبُدوا الله** [المؤمنون:32].

– ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرى كُلَّما جاءَ أُمَّةً رَسولُها **كَذَّبوهُ** [المؤمنون:44].

– ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وأَخاهُ هارونَ **بِآياتِنا وسُلْطانٍ مُبِين** [المؤمنون:45].

– فَقَدْ **كَذَّبُوا بما تَقولُونَ** فما يَسْتَطيعونَ صَرْفًا ولَا نَصْرًا ومَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذابًا كَبيرًا*وما أَرْسَلْنا قَبْلَك مِنَ المُرْسَلِين إِلّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلونَ الطَّعامَ [الفرقان:19–20].

– ولَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالحًا أَنُ **اعْبُدوا الله** [النمل:45].

– ولَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ **فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلّا خَمْسِينَ عامًا** [العنكبوت:14].

– ولَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِك رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ **فَجاؤُوهُمْ بالبَيِّناتِ** [الروم:47].

– وما أَرْسَلْنا في قَرْيَةٍ مِنْ **نَذِيرٍ** إِلّا قالَ مُتْرَفُوها [سبأ:34].

- وما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ **نَذِيرٍ** [سبأ:44].
- إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ **فَكَذَّبوهُما** [يس:14].
- ولَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ **مُنْذِرين** [الصافات:72].
- ولَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى **بآياتِنا وسُلْطانٍ مُبين** [غافر:23].
- الذِينَ **كَذَّبوا بالكِتاب** وبما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا فَسَوْفَ يَعْلَمُون [غافر:70].
- ولَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْك ومِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وما كانَ لِرَسولٍ أَنْ **يَأْتِيَ بآيةٍ** إِلّا بِإِذْنِ الله [غافر:78].
- وكَذَلكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ في قَرْيَةٍ مِنْ **نَذيرٍ** إِلّا قالَ مُتْرَفُوها [الزخرف:23].
- واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا **أَجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلهَةً يُعْبَدونَ** [الزخرف:45].
- ولَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى **بآياتِنا** إِلَى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ [الزخرف:46].
- لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا **بالبَيِّناتِ وأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ والمِيزان** [الحديد:25].
- ولَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحًا وإِبْراهِيمَ وجَعَلْنا في ذُرِّيَتِهِما النُّبُوَّةَ **والكِتاب** [الحديد:26].
- إِنّا أَرْسَلْنا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ أَنْ **أَنْذِرْ قَوْمَكَ** [نوح:1].
- إِنّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسولًا شاهِدًا عَلَيْكُمْ كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسولًا***فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُول** [المزمل:15].
- إنا أَرْسَلْناك بالحَقِّ **بَشيرًا ونَذِيرًا** [البقرة:119].
- وأَرْسَلْناكَ **لِلنّاسِ** رَسولًا وكَفى باللهِ شَهيدًا [النساء:79].
- ومَنْ **تَوَلّى** فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفيظًا [النساء:80].
- كَذلِك أَرْسَلْناكَ في **أُمَّةٍ** قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ [الرعد:30].
- وما أَرْسَلْناكَ **عَلَيْهِمْ** وكيلًا [الإسراء:54].

- وما أَرْسَلْناكَ إلّا **مُبَشِّرًا ونَذيرًا** [الإسراء:105].
- وما أَرْسَلْناكَ إلّا رَحْمةً **لِلْعالَمين** [الأنبياء: 107].
- وما أَرْسَلْناك إلّا **مُبَشِّرًا ونَذيرًا** [الفرقان:56].
- إنا أَرْسَلْناك **شاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذيرًا** [الأحزاب:54].
- وما أَرْسَلْناك إلّا كافّةً **لِلنّاس بَشيرًا ونَذيرًا** [سبأ:28].
- إنّا أَرْسَلْناك بالحَقِّ **بَشيرًا ونَذيرًا** [فاطر:24]277.
- فَإنْ **أَعْرَضوا** فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفيظًا [الشورى:48].
- إنّا أَرْسَلْناك **شاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذيرًا** [الفتح:8].
- وأَرْسَلْناهُ إلى **مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزيدُون** [الصافات:147].
- وفي مُوسى إِذْ أَرْسَلْناهُ إلى فِرْعَوْنَ **بِسُلْطانٍ مُبينٍ** [الذاريات:38].

- **أُرْسِلَ:**

- فَلَنَسْأَلَنَّ **الذِينَ** أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ولَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِينَ [الأعراف:6]
- قالُوا إِنّا بما أُرْسِلَ بِهِ **مُؤْمِنون** [الأعراف:75].
- وإنْ كَانَتْ طائِفَةٌ مِنْكُمْ **آمَنوا** بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ [الأعراف:87].
- فَإنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ **أَبْلَغْتُكُمْ** ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ [هود:57]
- فَلْيَأْتِنا **بآيةٍ** كَما أُرْسِلَ الأَوَّلونَ [الأنبياء:5].
- **قالَ إنَّ رَسولَكُمُ الذي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنونٌ** [الشعراء:27].
- قالَ إِنّما العِلْمُ عِنْدَ الله **وأُبَلِّغُكُمْ** ما أُرْسِلْتُ به [الأحقاف:23].
- وقالُوا إنّا **كَفَرْنا** بما أُرْسِلْتُمْ به [إبراهيم:9].
- قالَ مُتْرفوها إنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ **كافِرون** [سبأ:34].
- فإنّا بما أُرْسِلْتُم بِهِ **كافِرون** [فصلت:14].
- قالوا إنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ **كافِرون** [الزخرف:24].

- **الرِّسالَة/الرِّسالَات:**

– **أُبَلِّغُكُمْ** رِسالاتِ رَبِّي **وأَنْصَحُ لَكُم** [الأعراف:62].

– **أُبَلِّغُكُمْ** رِسالاتِ رَبِّي وأَنا لَكُمْ **ناصِحٌ أَمِين** [الأعراف:68].

– لَقَدْ **أَبْلَغْتُكُمْ** رِسالاتِ رَبِّي **ونَصَحْتُ لَكُمْ** [الأعراف:93],

– الذينَ **يُبَلِّغونَ** رِسالاتِ اللهِ **ويَخْشَوْنَه** [الأحزاب:33].

– لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ **أَبْلَغوا** رِسالاتِ رَبِّهِمْ [الجن:28].

– إلّا **بَلاغًا** مِنَ اللهِ ورِسالاتِهِ [الجن:23].

– قالَ يا مُوسى إنِّي اصْطَفَيْتُك عَلى النّاسِ بِرِسالاتِي **وبِكَلَامي** [الأعراف:144].

– وإنْ لَـمْ تَفْعَلْ فَما **بَلَّغْتَ** رِسالَتَه [المائدة:67].

– اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ سَيُصيبُ الذِينَ **أَجْرَموا** صَغارٌ [الأنعام:124].

– وقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ **أَبْلَغْتُكُمْ** رِسالةَ رَبّي [الأعراف:79].

- **الرُّسُلُ:**

– يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقولُ ماذا **أُجِبْتُمْ** [المائدة:109].

– **نُجِبْ دَعْوَتَك ونَتَّبِعِ** الرُّسُل [إبراهيم:44].

– وقَوْمَ نوحٍ لَـمّا **كَذَّبوا** الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُم [الفرقان:37].

– إنْ كُلٌّ إلّا **كَذَّبَ** الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقاب [ص:14].

– وأَصْحابُ الأَيْكَةِ وقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ **كَذَّبَ** الرُّسُلَ [ق:14].

– تِلْك الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ورَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرجاتٍ وآتَيْنا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ **البَيِّناتِ وأَيَّدْناهُ بروحِ القُدُسِ** ولَوْ شاءَ اللهُ ما اقْتَتَلَ الذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما **جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ** ولَكِنِ اخْتَلَفوا فَمِنْهُمْ مَنْ **آمنَ** ومِنْهُمْ مَنْ **كَفَرَ** [البقرة:253].

- وما محمدٌ إلّا رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ **انْقَلَبْتُمْ على أَعْقابِكُم** [آل عمران:144].
- وإذا **جاءَتْهُمْ آيَةٌ** قالوا لَنْ **نُؤْمِنَ** حتّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتيَ رُسُلُ اللهِ [الأنعام:124].
- لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا **بالحقّ** [الأعراف:43].
- قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا **بالحقّ** [الأعراف:53].
- حتّى إذا استَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أَنَّهُمْ **كُذِّبوا** [يوسف:110],
- يا أَيُّها الرُّسُلُ كُلوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلوا صالحًا إنّي بما تَعْمَلونَ عَليم*وأنَّ هذِهِ **أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ واحِدةٌ** وأَنا رَبُّكُمْ فاتَّقون [المؤمنون:50-51].
- إذْ جاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْديهِمْ ومِنْ خَلْفِهِمْ **أَلّا تَعْبُدوا إلّا الله** [فصلت:14].
- وإذا الرُّسُلُ **أُقِّتَت***لِأَيِّ يَوْمٍ **أُجِّلَتْ*لِيَوْمِ الفَصْل** [المرسلات:11-12-13].
- قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلي **بالبَيِّناتِ** وبالذي قُلْتُمْ [آل عمران:184].
- فإِنْ كَذَّبوكَ فقَدْ **كُذِّبَ** رُسُلٌ مِنْ قَبْلِك [آل عمران:34].
- ولَقَدْ **كُذِّبَتْ** رُسُلٌ مِنْ قَبْلِك فَصَبَروا [الأنعام:34].
- يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ ألَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ **يَقُصُّون عَلَيْكُمُ** آياتِي **ويُنْذِرونَكُم لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا** [الأنعام:130].
- يا بَني آدَمَ إمّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ **يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ** آياتِي **فَمَنِ اتَّقى وأَصْلَحَ** [الأعراف:35].
- وإنْ **يُكَذِّبوكَ** فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِك [فاطر:4].
- ألَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ **يَتْلونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُم** [الزمر:71].
- وقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بالرُّسُلِ وآتَيْنا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّناتِ وأَيَّدْناهُ بروحِ القُدُسِ أَفَكُلَّما **جاءَكُمْ رَسولٌ بِما لَا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَريقًا كَذَّبْتُمْ وفَريقًا تَقْتُلون** [البقرة:87].
- لِئَلَّا يَكونَ **لِلنّاسِ** عَلى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُل [النساء:165].

– قَدْ جاءَكُمْ رَسولٌ **يُبيِّنُ** لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ [المائدة: 19].

– ما المَسيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلّا رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ كانا يأْكُلانِ الطَّعامَ انْظُرْ كَيْفَ **نُبَيِّنُ لَهُمُ الآياتِ** ثُمَّ انْظُرْ أَنّى **يُؤْفَكون** [المائدة:75].

– وكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ به فُؤادَك **وجاءَكَ في هَذِهِ الحقُّ ومَوْعِظَةٌ وذِكْرى لِلْمُؤْمِنين** [هود:120].

– فَهَلْ عَلى الرُّسُلِ إِلّا **البَلاغُ المُبين** [النحل:35].

– ما يُقالُ لَكَ إِلّا ما قَدْ قِيل لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِك **إِنَّ رَبَّكَ لَذو مَغْفِرةٍ وذو عِقابٍ أَليمٍ** [فصلت:43].

– قُلْ ما كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وما أَدْري ما يُفْعَلُ بي ولَا بِكُمْ **إِنْ أَتَّبِعُ إِلّا ما يُوحَى إِلَيَّ وما أَنا إِلّا نَذيرٌ مُبينٌ** [الأحقاف:9].

– **فاصْبِرْ كَما صَبَرَ** أُولوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ [الأحقاف:35].

– ولَقَدْ **اسْتُهْزِئَ** بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلك [الأنعام:10].

– ولَقَدْ **اسْتُهْزِئَ** بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِك [الرعد:22].

– ولَقَدْ **اسْتُهْزِئَ** بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِك [الأنبياء:41].

– ورُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْك مِنْ قَبْلُ ورُسُلًا لَـمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْك وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْليمًا*رُسُلًا **مُبَشِّرينَ ومُنْذِرين** [النساء:164-165].

– لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَني إِسْرائيلَ وأَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّما جاءَهُمْ رَسولٌ بِما لَا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ **فَريقًا كَذَّبوا وفَريقًا يَقْتُلون** [المائدة:70].

– ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ **فَجاؤُوهُمْ بِالبَيِّناتِ فَما كَانوا لِيُؤْمِنوا بِما كَذَّبوا بِهِ** [يونس:74].

– ولَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِك وجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجًا وذُرِّيَّةً وما كانَ لِرَسولٍ أَنْ **يَأْتِيَ بآيَةٍ** إِلَّا بِإِذْنِ الله [الرعد:38].

– اللهُ يَصْطَفي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلًا ومِنَ النّاسِ إنَّ الله سَميعٌ بَصيرٌ*يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ وإلى الله تُرْجَعُ الأُمورُ* **يا أَيُّها الذينَ آمَنوا ارْكَعوا واسْجُدوا واعْبُدوا رَبَّكُمْ وافْعَلوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحون** [الحج:75-76-77].

– ولَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِك رُسُلًا إلى **قَوْمِهِمْ فَجاؤُوهُمْ بِالبَيِّناتِ** [الروم:47].

– ولَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْك ومِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْك وما كانَ لِرَسولٍ أَنْ **يَأْتِيَ بآيَةٍ** إِلَّا بِإِذْنِ الله [غافر:78].

– رَبَّنا إِنّنا **سَمِعْنا مُنادِيًا يُنادي لِلْإيمانِ أَنْ آمِنوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنّا** رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنوبَنا وكَفِّرْ عَنّا سَيِّئاتِنا وتَوَفَّنا مَعَ الأَبْرار * رَبّنا آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِك [آل عمران: 193-194].

– قالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتيكُمْ رُسُلُكُمْ **بالبَيِّنات** [غافر:50].

– ثُمّ نُنَجِّي رُسُلَنا والذينَ **آمَنوا** [يونس:103].

– ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسولُها **كَذَّبوه** [المؤمنون:44].

– إنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والذينَ **آمَنوا** [غافر:51].

– الذينَ **كَذَّبوا بالكِتاب** وبِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا [غافر:70].

– لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا **بالبَيِّناتِ** وأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتاب [الحديد:25].

– ولَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا **بالبَيِّنات** [المائدة:32].

– وإنْ كادوا **لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْها** وإذًا لا يَلْبَثونَ خَلْفَك إِلّا قَليلًا* سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا [الإسراء:76-77].

– واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلكَ مِنْ رُسُلِنا **أَجَعَلْنا مِنْ دونِ الرَّحْمنِ آلهةً يُعْبَدون** [الزخرف:45].

– ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ برُسُلِنا وقَفَّيْنا بِعيسى ابْنِ مَرْيَمَ وآتَيْناهُ الإِنْجيلَ وجَعَلْنا في قُلوبِ **الذينَ اتَّبَعوهُ** رَأْفَةً ورَحْمة [الحديد:27].

– وتِلْكَ عَادٌ **جَحدوا بآياتِ رَبِّهِمْ وعَصَوْا** رُسُلَه [هود:59].

– فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِه رُسُلَهُ إنَّ اللهَ عَزيزٌ ذو انْتِقام*يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّمواتُ وبَرَزوا لِلهِ الواحِدِ القَهّارِ***وتَرى المُجْرِمينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنينَ في الأَصْفاد** [إبراهيم:47-48-49].

– ولِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ **يَنْصُرُهُ** ورُسُلَهُ بالغَيْب [الحديد:25].

– مَنْ كانَ **عَدُوًّا** لله ومَلائِكَتِهِ ورُسُلِه [البقرة:98].

– كُلٌّ **آمَنَ** باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ [البقرة:285].

– لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وقالوا **سَمِعْنا وأَطَعْنا** [البقرة:285].

– ولَكِنَّ اللهَ يَجْتَبي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ **فَآمِنوا باللهِ ورُسُلِهِ وإنْ تُؤْمِنوا وتَتَّقوا** فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظيم [آل عمران:179].

– ومَنْ **يَكْفُرْ** باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِه [النساء:136].

– إنّ الذينَ **يَكْفُرونَ** باللهِ ورُسُلِه [النساء:150].

– والذينَ **آمَنوا** باللهِ ورُسُلِهِ ولَـــمْ يُفرِّقوا [النساء:152].

– **فآمِنوا** باللهِ ورُسُلِهِ ولَا تقولوا ثَلَاثَةٌ [النساء:171].

– والذينَ **آمَنوا** باللهِ ورُسُلِهِ أُولَئِك هُمُ الصِّدِّيقون [الحديد:19].

– أُعِدَّتْ لِلذينَ **آمَنوا** باللهِ ورُسُلِهِ [الحديد:21].

– وكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ **عَتَتْ عَنْ أَمْرِ** رَبِّها ورُسُلِه [الطلاق:8].

– ولَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ **بالبَيِّناتِ** [الأعراف:101].

– وأَصْحابُ مَدْيَنَ والمُؤْتَفِكاتُ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ **بالبَيِّنات** [التوبة:70].

- وجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ **بالبَيِّنات** [يونس:13].
- جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ **بالبَيِّنات** [إبراهيم:9].
- قالتْ رُسُلُهُمْ **أفي الله شَكٌّ** [إبراهيم:10].
- قالتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إنْ نَحنُ إلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ولَكِنَّ الله يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وما كانَ لَنا أنْ **نَأْتِيَكُمْ بسُلْطانٍ** إلّا بإذْنِ الله وعَلى الله فَلْيَتَوَكَّلِ **المُؤْمِنون** [إبراهيم:11].
- وجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ **بالبَيِّنات** [الروم:9].
- جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ **بالبَيِّنات** [فاطر:25].
- كانَتْ تَأْتيهِمْ رُسُلُهُمْ **بالبَيِّنات** [غافر:22].
- فلما جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ **بالبَيِّنات** [غافر:83].
- كانتْ تَأْتيهِمْ رُسُلُهُمْ **بالبَيِّنات** [التغابن:6].
- وقالَ الذينَ **كَفَروا** لِرُسُلِهِمْ [إبراهيم:13].
- **وآمَنْتُمْ** برُسُلي [المائدة:12].
- واتَّخَذوا آياتِي ورُسُلي **هُزُوًا** [الكهف:106].
- **فكَذَّبوا** رُسُلي [سبأ:45].
- كَتَبَ اللهُ **لَأَغْلِبَنَّ** أنا ورُسُلي [المجادلة:21].

- **الرَّسولُ:**

- إلّا لِنَعْلَمَ مَنْ **يَتَّبِعُ** الرَّسولَ مِمَّنْ **يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْه** [البقرة:143].
- قُلْ **أَطِيعوا** اللهَ والرَّسولَ [آل عمران:32].
- رَبَّنا **آمَنّا بما أَنْزَلْتَ واتَّبَعْنا** الرَّسول [آل عمران:53].
- **وشَهِدوا** أنَّ الرَّسولَ حَقٌّ [آل عمران:86].
- **وأَطِيعوا** اللهَ والرَّسولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمون [آل عمران:132].
- يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الذينَ **كَفَروا وعَصَوُا** الرَّسول [النساء:42].

- **أَطِيعوا اللهَ وأَطِيعوا** الرّسولَ وأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء:59].
- ومَنْ **يُطِعِ** اللهَ والرّسولَ فَأُولئِكَ مَعَ الذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم [النساء:69].
- مَنْ **يُطِعِ** الرَّسولَ فَقَدْ أطاعَ الله [النساء:80].
- ومَنْ **يُشاقِقِ** الرَّسولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الهُدى [النساء:115].
- و**أَطِيعوا اللهَ وأَطِيعوا** الرَّسولَ واحْذَروا [المائدة:92].
- وقَوْلُهُمْ إنّا **قَتَلْنا المَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ** رَسولَ الله [النساء:157].
- يَا أَيُّها الذينَ **آمَنوا** لَا تَخُونوا اللهَ والرَّسُول [الأنفال:27].
- والذينَ **يُؤْذونَ** رَسولَ الله لَهُمْ عذابٌ أَلِيم [التوبة:61].
- قُلْ **أَطِيعوا اللهَ وأَطِيعوا** الرَّسُول [النور:54].
- و**أَطِيعوا** الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمون [النور:56].
- وما كانَ لَكُمْ أَنْ **تُؤْذوا** رَسولَ الله [الأحزاب:53].
- و**شاقُّوا** الرّسولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدى [محمد:32].
- **أَطِيعوا اللهَ وأَطِيعوا** الرَّسولَ [محمد:33].
- واعْلَموا أنَّ فِيكُمْ رَسولَ الله لَوْ يُطيعُكُمْ في كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّم **ولَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ وزَيَّنَهُ في قُلوبِكُم وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ** [الحجرات:7].
- يا أَيُّها الذِينَ آمَنوا إذا ناجَيْتُمُ الرّسولَ فقدِّموا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلِك خَيْرٌ لَكُمْ وأَطْهَرُ فَإِنْ لَــمْ تَجدوا فإنَّ الله غَفورٌ رَحيم*أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّموا بَيْنَ يَدَيْ نَجواكُمْ صَدَقاتٍ فَإِنْ لَــمْ تَفْعَلوا وتابَ الله عَلَيْكُمْ **فأَقِيموا الصَّلاةَ وآتُوا الزّكاةَ وأَطِيعوا اللهَ ورَسولَهُ** واللهُ خَبيرٌ بِما تَعْمَلون [المجادلة:12-13].
- **يُخْرِجونَ** الرّسول [الممتحنة:1].
- و**أَطِيعوا اللهَ وأَطِيعوا** الرّسول [التغابن:12].

- **فعَصَوْا** رَسولَ رَبِّهِمْ [الحاقة:10].
- **فعَصى فِرْعَوْنُ** الرَّسولَ [المزمل:16].
- ويكونَ الرَّسولُ عَلَيْكُمْ **شَهيدًا** [البقرة:143].
- حتّى يَقولَ الرَّسولُ والذينَ **آمَنوا** مَعَه [البقرة:214].
- آمَنَ الرَّسولُ بما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ **والمُؤْمِنونَ كُلٌّ آمَن** [البقرة:285].
- والرّسولُ **يَدْعوكُمْ في** أُخْراكم [آل عمران:153].
- **فاسْتَغْفَرَ لَهُمُ** الرَّسولَ [النساء:64].
- قَدْ جاءَكُمُ الرَّسولُ **بالحَقِّ** مِنْ رَبِّكُم [النساء:170].
- إِنَّما المَسيحُ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ رَسولُ اللهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ **فآمِنُوا باللهِ ورُسُلِه** [النساء:171].
- يا أَيُّها الرّسولُ لَا يُحْزِنْك الذينَ يُسارِعونَ في **الكُفْر** [المائدة:41].
- يا أَيُّها الرّسولُ **بَلِّغْ** ما أُنْزِلَ إِلَيْك [المائدة:67].
- **قُلْ يا أَيُّها النّاسُ** إِنّي رَسولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جميعًا [الأعراف:158].
- لَكِنِ الرّسولُ والذينَ **آمَنوا** مَعَه [التوبة:88].
- وفي هَذا لِيَكونَ الرّسولُ **شَهيدًا** عَلَيْكُم [الحج:78].
- وقالَ الرّسولُ يا رَبِّ **إِنَّ قَوْمِيَ اتَّخَذوا هَذا القُرْآنَ مَهْجورًا** [الفرقان:30].
- **فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقولَا** إِنّا رَسولُ رَبِّ العالَمِين [الشعراء:16].
- **فقالَ** إِنّي رَسولُ رَبِّ العالَمِين [الزخرف:46].
- بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرّسولُ **والمُؤْمِنون** [الفتح:12].
- محمد رَسولُ اللهِ والذينَ مَعَهُ **أَشِدّاءُ عَلى الكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ** [الفتح:29].
- والرَّسولُ **يَدْعوكُمْ لِتُؤْمِنوا بِرَبِّكُمْ** [الحديد:8].
- وما آتاكُمُ الرَّسولُ **فَخُذوه** [الحشر:7].

- وهَمُّوا **بِإِخْراجِ** الرّسول [التوبة:13].
- فَرِحَ **المُخَلَّفون** بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسول الله [التوبة:81].
- **وصَلَواتِ** الرّسول [التوبة:99].
- أَنْ **يَتَخَلَّفوا** عَنْ رَسول الله [التوبة:120].
- ويَقولونَ **آمَنّا** بالله وبالرّسول [النور:47].
- وما عَلى الرَّسول إِلّا **البَلاغُ المُبين** [النور:54].
- لا تَجْعَلوا دُعاءَ الرّسول بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الذينَ يَتَسَلَّلونَ مِنكُمْ لِواذًا فَلْيَحْذَرِ الذينَ **يُخالِفونَ عَنْ أَمْرِه** [النور:63].
- وقالوا ما لِهَذا الرَّسولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ ويَمْشي في الأَسْواقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكونَ مَعَهُ **نَذيرًا** [الفرقان:7].
- ويَوْمَ يَعَضُّ **الظّالِمُ** عَلى يَدَيْهِ يَقولُ يا لَيْتَني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسول سَبيلًا [الفرقان:27].
- وما عَلى الرَّسُول إِلّا **البَلاغُ المُبين** [العنكبوت:18].
- لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُول الله **أُسْوَةٌ حَسَنَة** [الأحزاب:21].
- إِنَّ الذينَ **يَغُضّونَ أَصْواتَهُمْ** عِنْدَ رَسول الله [الحجرات:3].
- **ومَعْصِيَةِ** الرّسول [المجادلة:8].
- **ومَعْصِيَةِ** الرّسول [المجادلة:9].
- ما أَفاءَ اللهُ عَلى رَسولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرى فَلِلّهِ ولِلرَّسول ولِذي القُرْبى واليَتامى والمَساكِينِ وابْنِ السَّبيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنياءِ مِنْكُمْ **وما آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذوهُ وما نَهاكُمْ فَانْتَهوا** [الحشر:7].
- **لا تُنْفِقوا** عَلى مَنْ عِنْدَ رَسول الله [المنافقون:7].
- إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنا أَلّا **نُؤْمِنَ** لِرَسول [آل عمران:183].

- وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسولٍ إِلّا **لِيُطاعَ** بِإِذْنِ الله [النساء:64].
- وما كانَ لِرَسولٍ أَنْ **يَأْتِيَ بآيَةٍ** [الرعد:38].
- وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسولٍ إِلّا بِلِسانِ قَوْمِهِ **لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** [إبراهيم:4].
- وما يَأْتيهِمْ مِنْ رَسولٍ إِلّا كانوا بِهِ **يَسْتَهْزِؤون** [الحجر:11].
- وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسولٍ إِلّا **نُوحي إِلَيْه** [الأنبياء:25].
- ما يَأْتيهِمْ مِنْ رَسولٍ إِلّا كانوا بِهِ **يَسْتَهْزِؤون** [يس:30].
- وما كانَ لِرسولٍ أَنْ **يَأْتِيَ بآيَةٍ** إِلّا بِإِذْنِ الله [غافر:78].
- كذلِكَ ما أَتى الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رسولٍ إِلّا قالوا **ساحِرٌ أَوْ مَجْنونٌ** [الذاريات:52].
- إِنَّهُ **لَقَوْلُ** رَسولٍ كَريمٍ [الحاقة:40].
- إِلّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ رَصدًا*لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ **أَبْلَغوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ** [الجن:27–28].
- إِنَّهُ **لَقَوْلُ** رَسولٍ كَريمٍ [التكوير:19].
- يا لَيْتَنا **أَطَعْنا** اللهَ وأَطَعْنا الرَّسولا [الأحزاب:66].
- **فَأْتِياهُ فقولَا** إِنّا رَسولَا رَبِّك [طه:47].
- رَبَّنا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسولًا مِنْهُمْ **يَتْلو عَلَيْهِمْ آياتِك** [البقرة:129].
- كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسولًا مِنْكُمْ **يَتْلو عَلَيْكُمْ آياتِنا** [البقرة:151].
- ورَسولًا إِلى بَني إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ **جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ** [آل عمران:49].
- لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلى المُؤْمِنينَ إِذْ أَرْسَلَ فِيهِمْ رَسولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ **يَتْلو عَلَيْهِمْ آياتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُم الكِتابَ والحِكْمة** [آل عمران:164].
- وأَرْسَلْناكَ للنّاسِ رَسولًا وكَفى بِالله شَهيدًا*مَنْ **يُطِعِ** الرّسولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ ومَنْ **تولّى** فما أَرْسَلْناك عَلَيْهِمْ حفيظًا [النساء:79–80].
- ولَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولًا أَنْ **اعْبُدوا الله** [النحل:36].

– وما كُنّا **مُعَذّبينَ** حتّى نَبْعَثَ رَسولًا [الإسراء:15].

– هَلْ كُنْتُ إلّا بَشَرًا رَسولًا*وما مَنَعَ النّاسَ أنْ **يُؤْمِنوا** إلّا أنْ قالوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسولًا [الإسراء:93-94].

– لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسولًا **فَنَتَّبِعَ آياتِك** [طه:134].

– فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسولًا مِنْهُمْ أَنْ **اعْبُدُوا الله** [المؤمنون:32].

– وإذا رَأَوْك إنْ **يَتَّخِذوك إلّا هُزُءًا** أَهَذا الذي بَعَثَ اللهُ رَسولًا [الفرقان:41].

– رَبَّنا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسولًا **فَنَتَّبِعَ آياتِك** [القصص:47].

– وما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرى حتّى يَبْعَثَ في أُمِّها رَسولًا **يَتْلو عَلَيْهِمْ آياتِنا** [القصص:59].

– ولَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ **بِالبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ في شَكٍّ مِمّا جاءَكُمْ بِهِ** حتّى إذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسولًا [غافر:34].

– أَوْ يُرْسِلَ رَسولًا **فَيُوحِي بِإِذْنِهِ ما يَشاء** [الشورى:51],

– هُوَ الذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسولًا مِنْهُمْ **يَتْلو عَلَيْهِمْ آياتِهِ** [الجمعة:2].

– رَسولًا **يَتْلو عَلَيْكُمْ آياتِ اللهِ مُبَيِّناتٍ** [الطلاق:11].

– إِنّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسولًا **شاهِدًا عَلَيْكُم*** كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسولًا***فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسول** [المزمل:15-16].

– أَمْ تُريدونَ أَنْ **تَسْأَلوا** رَسولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْل [البقرة:108].

– قالَ إنّ رَسولَكُمْ الذي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ **لَـمَجْنون** [الشعراء:27].

– قَدْ جاءَكُمْ رَسولُنا **يُبَيِّنُ لَكُمْ** [المائدة:15].

– قد جاءَكُمْ رَسولُنا **يُبَيِّنُ لَكُمْ** [المائدة:19].

– فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعْلَموا أَنّما عَلى رَسولِنا **البَلاغُ المُبين** [المائدة:92].

- فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فإنّما عَلى رَسولِنا **البَلاغُ المُبِين** [التغابن:12].
- ومَنْ **يُطِعِ** الله ورَسولَهُ يُدْخِلْهُ جنّاتٍ [النساء:13].
- ومَنْ **يَعْصِ** الله ورَسولَهُ ويَتَعَدَّ حُدودَهُ [النساء:14].
- الذينَ **يُحارِبونَ** الله ورَسُولَه [المائدة:33].
- ومَنْ **يَتوَلَّ الله** ورَسولَهُ والذينَ آمَنوا [المائدة:56].
- **وأَطِيعوا** اللهَ ورَسولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنين [الأنفال:1].
- ذلِكَ بِأَنَّهُمْ **شاقُّوا الله** ورَسولَهُ [الأنفال:13].
- ومَنْ **يُشاقِقِ الله** ورَسُولَه [الأنفال:13].
- يا أَيُّها الذينَ آمَنوا **أَطِيعوا** الله ورَسولَهُ [الأنفال:20].
- **وأَطِيعوا** الله ورَسولَهُ [الأنفال:46].
- هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسولَهُ **بالهُدى ودِينِ الحقِّ** [التوبة:33].
- مَنْ **يُحادِدِ الله** ورَسولَهُ [التوبة:63].
- **ويُطيعونَ** الله ورَسولَهُ [التوبة:71].
- وقَعَدَ الذينَ **كَذَبوا** اللهَ ورَسولَهُ [التوبة:90].
- وإرْصادًا لِـــمَنْ **حارَبَ** الله ورَسولَهُ [التوبة:107].
- ومَنْ **يُطِعِ** الله ورَسولَهُ **ويَخْشَ الله ويَتَّقِهِ** [النور:52].
- وإنْ كُنْتُنَّ **تُرِدْنَ الله** ورَسولَهُ [الأحزاب:29].
- **وأَطِعْنَ** الله ورَسولَهُ [الأحزاب:33].
- ومَنْ **يَعْصِ** الله ورَسولَهُ [الأحزاب:36].
- إنَّ الذينَ **يُؤْذونَ** الله ورَسولَهُ [الأحزاب:57].
- ومَنْ **يُطِعِ** اللهَ ورَسولَهُ [الأحزاب:71].
- ومَنْ **يُطِعِ** الله ورَسُولَهُ [الفتح:17].

– لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرامَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءوسَكُمْ ومُقَصِّرِين لَا تَخافونَ فَعَلِمَ ما لَـمْ تَعْلَموا فَجَعَلَ مِنْ دونِ ذلكَ فَتْحًا قَرِيبًا*هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسولَهُ **بِالْهُدى ودِينِ الحَقِّ** [الفتح:27-28].

– وإنْ **تُطيعوا** اللهَ ورَسولَهُ [الحجرات:14].

– إنَّ الذين **يُحادّون** اللهَ ورَسولَهُ [المجادلة:20].

– يُوادُّونَ مَنْ **حادَّ** اللهَ ورَسولَهُ [المجادلة:22].

– ذَلكَ بِأَنَّهُمْ **شاقُّوا** اللهَ ورَسولَهُ [الحشر:4].

– **ويَنْصُرونَ** اللهَ ورَسولَهُ [الحشر:8].

– هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسولَهُ **بِالْهُدى ودِينِ الحَقّ** [الصف:9].

– ومَنْ **يَعْصِ** اللهَ ورَسولَهُ [الجن:23].

– وأَنْتُمْ **تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ الله** وفِيكُمْ رَسولُهُ [آل عمران:101].

– إنَّما **وَلِيُّكُمُ** اللهُ ورَسولُهُ [المائدة:55].

– أنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ **المُشْرِكِينَ** ورَسولِهِ [التوبة:3].

– ولا يُحَرِّمونَ ما **حَرَّمَ** اللهُ ورَسولُهُ [التوبة:29].

– ولَوْ أَنَّهُمْ **رَضوا** ما آتاهُمُ اللهُ ورَسولُهُ [التوبة:59].

– واللهُ ورَسولُهُ أَحَقُّ أَنْ **يُرْضوهُ** [التوبة:62].

– **وما نَقَموا إلّا أَنْ أَغْناهُمُ** اللهُ ورَسولُهُ [التوبة:74].

– **وسَيَرى** اللهُ عَمَلَكُمْ ورَسولُهُ [التوبة:94].

– وقُلْ اعْمَلوا **فَسَيَرى** اللهُ عَمَلَكُمْ ورَسولُهُ [105].

– **أَمْ يَخافونَ** أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ ورَسولُهُ [النور:50].

– ما **وَعَدَنا** اللهُ ورَسولُهُ إلّا غُرورًا [الأحزاب:12].

- هذا ما **وَعَدَنا** الله ورَسولُهُ [الأحزاب:22].
- **وصَدَقَ** الله ورَسولُهُ [الأحزاب:22].
- وما كانَ **لِـمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنةٍ** إذا قَضى الله ورَسولُهُ أمْرًا [الأحزاب:36].
- إذا جاءَكَ **المُنافِقونَ** قالوا نَشْهَدُ إنّك لَرَسولُ الله واللهُ يَعْلَمُ إنّك لَرَسولُهُ [المنافقون:1].
- فأْذَنوا **بِحَرْبٍ** مِنَ الله ورَسولِهِ [البقرة:279].
- ومَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ **مُهاجِرًا** إلى الله ورَسولِهِ [النساء:100] .
- **آمِنوا** بالله ورَسولِهِ [النساء:136].
- **والكِتابِ الذي نَزَّلَ** عَلى رَسولِهِ [النساء:136].
- **فآمِنوا** بالله ورَسولِهِ النَّبيِّ الأُمِّيِّ [الأعراف:158].
- **بَراءةٌ** مِنَ الله ورَسولِهِ [التوبة:1].
- **وأذانٌ** مِنَ الله ورَسولِهِ [التوبة:3].
- كَيْفَ يَكونُ **لِلْمُشْركينَ** عَهْدٌ عِنْدَ الله وعِنْدَ رَسولِهِ [التوبة:7].
- ولَـمْ يَتَّخِذوا مِنْ دونِ الله ولَا رَسولِهِ ولَا **المُؤْمِنينَ** وَليجةً [التوبة:16].
- **أَحَبَّ إلَيْكُمْ** مِنَ الله ورَسولِهِ [التوبة:24].
- ثُمَّ أنْزَلَ سَكينَتَهُ عَلى رَسولِهِ وعَلى **المُؤْمِنين**[التوبة:26].
- إلّا أنَّهُمْ **كَفَروا** بالله وبرَسولِهِ [التوبة:54].
- قُلْ أَبالله وآياتِهِ ورَسولِهِ كُنْتُمْ **تَسْتَهْزِئُون** [التوبة:65].
- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ **كَفروا** بالله ورَسولِهِ [التوبة:80].
- إنَّهُمْ **كَفَروا** بالله ورَسولِهِ [التوبة:84].
- **وجاهِدوا** مَعَ رَسولِهِ [التوبة:86].
- إذا **نَصَحوا** لِلهِ ورَسولِهِ [التوبة:91].
- وأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَموا حُدودَ ما **أَنْزَلَ الله** عَلى رَسولِهِ [التوبة:97].

- وإذا دُعوا إلى اللهِ ورَسولِهِ **لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ** إذا فَريقٌ مِنْهُمْ **مُعْرِضون** [النور:48].
- إنَّما كانَ قَوْلَ **المُؤْمِنينَ** إذا دُعوا إلى اللهِ ورَسولِهِ [النور:51].
- إنَّما **المُؤْمِنون** الذينَ آمَنوا باللهِ ورَسولِهِ [النور:62].
- أُولَئِكَ الذينَ **يُؤْمِنونَ** باللهِ ورَسولِهِ [النور:62].
- ومَنْ **يَقْنُتْ** مِنْكُنَّ للهِ ورَسولِهِ [الأحزاب:31].
- **لِتُؤْمِنوا** باللهِ ورَسولِهِ [الفتح:9].
- ومَنْ لَـمْ **يُؤْمِنْ** باللهِ ورَسولِهِ [الفتح:13].
- فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسولِهِ وعَلى **المُؤْمِنين** [الفتح:26].
- لَا **تُقَدِّموا** بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ورَسولِهِ [الحجرات:1].
- الذينَ **آمَنوا** باللهِ ورَسولِهِ ثُمَّ لَـمْ يَرْتابوا [الحجرات:15].
- **آمِنوا** باللهِ ورَسولِهِ وأَنْفِقوا [الحديد:7].
- اتَّقوا اللهَ و**آمِنوا** برَسولِهِ [الحديد:28].
- ذَلِكَ **لِتُؤْمِنوا** باللهِ ورَسولِهِ [المجادلة:4].
- **تُؤْمِنونَ** باللهِ ورَسولِهِ وتُجاهِدون [الصف:11].
- وللهِ العِزَّةُ ولِرَسولِهِ **ولِلْمُؤْمِنين** [المنافقون:8].
- **فآمِنوا** باللهِ ورَسولِهِ [التغابن:8].
- كُلَّما جاءَ أُمَّةً رَسولُها **كَذَّبُوهُ** [المؤمنون:44].
- أَمْ لَـمْ يَعْرِفوا رَسولَهُمْ فَهُمْ له **مُنْكِرون** [المؤمنون:69].
- فإذا جاءَ رَسولُهُمْ **قُضِيَ بَيْنَهُمْ بالقِسْط** [يونس:47].
- وهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ برَسولِهِمْ **لِيَأْخُذوهُ** [غافر:5].
- **آمِنوا** بي وبرَسُولي [المائدة:111].

والخُلاصَةُ: أنَّ الرَّسولَ هُوَ: "**مُصْطَلَحٌ قُرْآنِيٌّ مُسْتَعْمَلٌ لِبَيانِ وَظيفَةِ رَجُلٍ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وأَمَرَهُ بِتَبْليغِهِ**".

***

- **ثانيًا: مَوارِدُ مُصْطَلَح النَّبيّ**: جاءَ في مَقاييسِ اللُّغَةِ، في مادَّةِ "ن/ب/و": "النّونُ، والباءُ، والحرفُ المُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلى ارْتِفاعٍ في الشَّيْءِ عَنْ غَيْرِهِ، ... ، ويُقالُ إنَّ النَّبيَّ، صلى الله عليه وسلم، اسْمُهُ مِنَ النَّبْوَةِ، وهُوَ الارْتِفاعُ، كَأَنَّهُ مُفَضَّلٌ على سائِرِ النّاسِ بِرَفْعِ مَنْزِلَتِهِ"[1].

والرَّأْيُ، عِنْدَنا، أنَّ النَّبيَّ مَأْخوذٌ مِنْ هَذا المَعْنى؛ مِنْ أَجْلِ أَنّا عَثَرْنا، باعْتِمادِ الاِسْتِقْراءِ التّامّ، عَلى أَنَّ المحيطَ السِّياقِيَّ لاِسْتِخْدامِ اللَّفْظِ يُساعِدُ عَلى وَصْلِهِ بِالمَقامِ، والمَنْزِلَةِ الرَّفيعة، وذَلِكَ بِذِكْرِ مُلائِمٍ مِنْ مُلائِماتِ المَقامِ، والمَنْزِلة. وهَذِهِ المُلائِماتُ؛ هِيَ:

1- **الهِبَةُ، والإِنْعامُ، وإِيتاءُ الفَضْلِ**: فالنُّبُوَّةُ فَضْلٌ يُؤْتاهُ مَنْ اصْطَفاهُ اللهُ بِها؛ لِأَنّها مَقامٌ رَفيع، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالى مَثَلًا:

- ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ **يُؤْتِيَهُ** اللهُ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ [آل عمران:79].
- أُولَئِك الذينَ **آتَيْناهُمُ** الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّة [الأنعام:89].
- **ووَهَبْنا** له إِسْحقَ ويَعْقوبَ **وجَعَلْنا** في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتاب [العنكبوت:27].
- ولَقَدْ **آتَيْنا** بَني إِسْرائيلَ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّة [الجاثية:16].

2- **الخِطابُ بالمَقام لِقَصْدِ مَنْ دُونَه**: ذَلكَ لِأَنَّ الخِطابَ إذا وَرَدَ لِـمَنْ هُوَ نَبِيٌّ، فوُرودُهُ لِـمَنْ دُونَهُ أَوْلى، ومِنْ هَذا:

- يا أَيُّها النَّبيُّ **حَسْبُكَ اللهُ** ومَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنين [الأنفال:64].
- يا أَيُّها النَّبيُّ **حَرِّضِ** المُؤْمِنينَ عَلى القِتال [الأنفال:65].

[1] مُعْجَمُ المَقاييسِ في اللُّغَة، ص:1009.

- يَا أَيُّها النَّبيُّ **قُلْ لِـمَنْ في أَيْديكُمْ** مِنَ الأَسْرى [الأنفال:70].
- يا أَيُّها النَّبيُّ **جاهِدِ الكُفّارَ والمُنافِقين واغْلُظْ عَلَيْهِمْ** [التوبة:73].
- يا أَيُّها النَّبيُّ **اتَّقِ اللهَ ولَا تُطِعِ الكافِرينَ والمُنافِقين** [الأحزاب:1].
- يا أَيُّها النَّبيُّ **قُلْ لِأَزْواجِك** [الأحزاب:28].
- يا أَيُّها النَّبيُّ **قُلْ لِأَزْواجِكَ وبَناتِكَ ونساءِ المُؤْمنين** [59].
- يا أَيُّها النَّبيُّ **إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ** [الطلاق:1].
- يا أَيُّها النَّبيُّ **لِـمَ تُحَرِّمْ ما أَحَلَّ اللهُ لَك** [التحريم:1]

وفي هَذا يَقولُ محمد عتْريس، في أَوَّلِ سُورةِ الطَّلاق-مَثَلًا-: "**الخِطابُ بِأَحْكامِ الطَّلاقِ عامٌّ لِلنَّبيِّ ولِأُمَّتِهِ، ولَكِنَّ النّداءَ خاصٌّ بِهِ، صلى الله عليه وسلم، تَكْريمًا لَه، كَما يُقالُ لِرئيسِ القَوْم: يا فُلان، افْعَلوا كِيتَ وكِيت، وذَلِكَ اعْتِبارًا لِترَأُّسِهِ عَلَيْهِمْ، وأَنَّهُ هُوَ الذي يَصْدُرونَ عَنْ رَأْيِهِ**" [1].

وسَيَأْتِي بَيانُ هَذا، بِقَدْرٍ مِنَ التَّفْصِيل، في مَكَانِهِ المُخَصَّصِ لِبلاغَةِ اسْتِخْدامِ هذا المُصْطَلَح؛ ثُمَّ هَذا عَرْضٌ، كالذي تَقَدَّمَ مَعَ لَفْظِ الرَّسول، لِـمَوارِدِ مُصْطَلَحِ النُّبُوَّة، في كُلِّ القُرْآنِ الكَريم، مَصْحوبًا بِمُلائِماتِه اللَّفْظِيَّة، وقَدْ جَعَلْنا سَطْرًا أَسْفَلَ المُصْطَلَح، وجَعَلْنا **مُلائِمَهُ** بِخَطٍّ غَليظٍ:

- **النُّبُوَّةُ:**

- ما كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ **يُؤْتِيَهُ** اللهُ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّة [آل عمران:79].
- أُولئِكَ الذينَ **آتَيْناهُمُ** الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّة [الأنعام:89].
- **ووَهَبْنا لَهُ** إِسْحقَ ويَعْقوبَ **وجَعَلْنا** في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتابَ [العنكبوت:27].

(1) المُعْجَمُ الوافي لِكَلِماتِ القُرْآنِ الكَريم، ص:842.

- ولَقَدْ آتَيْنا بَني إسْرائيلَ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّة [الجاثية:16].

- **النَّبيُّ/النَّبيُّون:**

- ومِنْهُمْ الذينَ **يُؤْذونَ** النَّبيَّ[1] ويَقولونَ هُوَ **أُذُنٌ** [التوبة:61].
- **ويَسْتَأْذِنُ** فَريقٌ مِنْهُمُ النَّبيَّ [الأحزاب:13].
- إنَّ ذَلِكُمْ كانَ **يُؤْذي** النَّبيَّ [الأحزاب:53].
- يَوْمَ **لَا يُخْزي** اللهُ النَّبيَّ والذينَ آمَنوا مَعَه [التحريم:8].
- إنَّ **أَوْلَى النّاسِ بِإبْراهِيمَ** لَلَّذينَ اتَّبَعوهُ وهَذا النَّبيُّ [آل عمران:68].
- يا أيُّها النَّبيُّ **حَسْبُكَ الله** ومَنِ اتَّبَعَك مِنَ المُؤْمِنين [الأنفال:64].
- يا أيُّها النَّبيُّ **حَرِّضِ المُؤْمِنينَ عَلى القِتال** [الأنفال:65].
- يا أيُّها النَّبيُّ **قُلْ لِـمَنْ في أَيْديكُمْ مِنَ الأَسْرى** [الأنفال:70].
- يا أيُّها النَّبيُّ **جاهِدِ** الكُفّارَ والمُنافِقِين واغْلُظْ عَلَيْهِم [التوبة:73].
- يا أيُّها النَّبيُّ **اتَّقِ الله** ولَا تُطِعِ الكَافِرين والمُنافِقِين [الأحزاب:1].
- النَّبيُّ **أَوْلى بالمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِم** [الأحزاب:6].
- يا أيُّها النَّبيُّ **قُلْ لِأَزْواجِك** [الأحزاب:28].
- يا أيُّها النَّبيُّ **إنّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَك** [الأحزاب:50].
- يا أيُّها النَّبيُّ **قُلْ لِأَزْواجِك وبَناتِكَ ونِساءِ المُؤْمِنين** [59].
- يا أيُّها النَّبيُّ إذا جاءَكَ المُؤْمِناتُ **يُبايِعْنَك** [الممتحنة:12].
- يا أيُّها النَّبيُّ **إذا طَلَّقْتُمُ النِّساء** [الطلاق:1].
- يا أيُّها النَّبيُّ **لِـمْ تُحَرِّمْ ما أَحَلَّ الله لَك** [التحريم:1]297.

---

(1) لَا يَنْتَقِضُ تَفْريقُنا هَذا بوُرودِ المُلائِمِ اللَّفْظِيِّ مُسْتَعْمَلًا مَعَ المُصْطَلَحَيْن؛ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ تَعالى : (إنَّ ذَلِكُمْ كانَ **يُؤْذي النَّبيَّ**)، وقَوْلِهِ تَعالى: (وما كانَ لَكُمْ أَنْ **تُؤْذوا رَسولَ الله**)؛ ذَلكَ لِاقْتِضاءِ كُلِّ سِياقٍ مِنْهُما الغَرَضَ المُلائِم، فأَذى النُّبُوَّةِ هُو عَدَمُ اعْتِبارٍ لِلْمَقام، وأَذى الرِّسالَةِ هُوَ عَدَمُ أَخْذٍ بِدَعْواها، واللهُ أَعْلَم.

- وإذْ أَسَرَّ النَّبيُّ إلى بَعْضِ **أَزْواجِهِ** حَديثًا [التحريم:3].
- يا أَيُّها النَّبيُّ **جاهِدِ** الكُفّارَ والمُنافِقِينَ واغْلُظْ عَلَيْهِم [التحريم:9].
- ولَوْ كانوا يُؤْمِنون باللهِ والنَّبيّ [المائدة:81].
- ما كانَ لِلنَّبيِّ والذينَ آمَنوا أَنْ يَسْتَغْفِروا لِلْمُشْرِكين [التوبة:113].
- لَقَدْ تابَ اللهُ عَلى النَّبيِّ والمُهاجرينَ والأَنْصار [التوبة:117].
- يا نِساءَ النَّبيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ [الأحزاب:30].
- يا نِساءَ النَّبيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساء [الأحزاب:32].
- ما كانَ عَلى النَّبيِّ مِنْ حَرَجٍ فيما فَرَضَ اللهُ له [الأحزاب:38].
- وامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبيّ [الأحزاب:50].
- لَا تَدْخُلوا بُيوتَ النَّبيِّ إلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُم [الأحزاب:53].
- إنَّ اللهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبيّ [الأحزاب:56].
- لا تَرْفَعوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبيِّ [الحجرات:2],
- إذْ قالوا لِنَبيٍّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنا مَلِكًا [البقرة:246].
- وكَأَيِّنْ مِنْ نَبيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثيرٌ [آل عمران:146].
- وما كانَ لِنَبيٍّ أَنْ يُغَلَّ [آل عمران:161].
- وكذلِك جَعَلْنا لِكُلِّ نَبيٍّ عَدُوًّا [الأنعام:112].
- ما كانَ لِنَبيٍّ أَنْ يَكونَ لَه أَسْرى [الأنفال:67].
- وكذلكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبيٍّ عَدُوًّا مِنَ المُجْرمين [الفرقان:31].
- وما يَأْتيهِمْ مِنْ نَبيٍّ إلّا كانوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون [الزخرف:7].
- وسَيِّدًا وحَصورًا ونَبيًّا [آل عمران:39].
- قال إنّي عَبْدُ اللهِ آتانيَ الكِتابَ وجَعَلَني نَبيًّا [مريم:30].

- إنّه كانَ صِدِّيقًا نَبيًّا [مريم:41].
- ووَهَبْنا لَهُ إسْحاقَ ويَعْقوبَ وكُلًّا جَعَلْنا نَبيًّا [مريم:49].
- وكانَ رسولًا نَبيًّا [مريم:51].
- ووَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أخاهُ هارونَ نَبيًّا [مريم:53].
- وكانَ رَسولًا نَبيًّا [مريم:54].
- كانَ صِدِّيقًا نَبيًّا [مريم:56].
- وبَشَّرْناهُ بإسْحاقَ نَبيًّا مِنَ الصّالِحين [الصافات:112].
- وقالَ لَهُمْ نَبيُّهُمْ إنَّ الله قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالوتَ مَلِكًا [البقرة:247].
- وقالَ لَهُمْ نَبيُّهُمْ إنَّ آيَةَ مُلْكِهِ [البقرة:248].
- وما أُوتيَ النَّبيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ [البقرة:136].
- وما أُوتِيَ مُوسى وعِيسى والنَّبيُّون مِنْ رَبِّهِم [آل عمران:84].
- يَحْكُمُ بها النَّبيُّونَ الذينَ أَسْلَموا [المائدة:44].
- ويَقْتُلونَ النَّبيِّينَ بغَيْرِ الحَقِّ [البقرة:61].
- ولَكِنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ بالله واليَوْمِ الآخِرِ والمَلائِكَةِ والكِتابِ والنَّبيِّين [البقرة:177].
- فَبَعَثَ الله النَّبيِّينَ مُبَشِّرين ومُنْذِرين [البقرة:213].
- ويَقْتُلونَ النَّبيِّينَ بغَيْرِ حَقٍّ [آل عمران:21].
- ولَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذوا المَلائِكَةَ والنَّبيِّينَ أَرْبابًا [آل عمران:80].
- وإذْ أَخَذَ الله ميثاقَ النَّبيِّينَ لَـما آتَيْناكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكْمة [آل عمران:81].
- الذينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ [النساء:69].
- إنّا أَوْحَيْنا إلَيْك كَما أَوْحَيْنا إلى نوحٍ والنَّبيِّينَ مِنْ بَعْدِه [النساء:163].
- ولَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبيِّينَ عَلى بَعْضٍ [الإسراء:55].
- أُولَئِك الذينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَم [مريم:58].

- وإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ [الأحزاب:7].
- ولَكِنْ رسولَ الله وخاتَمَ النَّبِيِّينَ [الأحزاب:40].
- ووُضِعَ الكِتابُ وجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ والشُّهَداء [الزمر:69].

والخُلاصَةُ: أنَّ النَّبِيَّ هُوَ: " **مُصْطَلَحٌ قُرْآنِيٌّ مُسْتَعْمَلٌ لِبيانِ مَقام رَجُلٍ أُوحِيَ إلَيْهِ بشَرْعٍ وأُمِرَ بتَبْليغِه**"[1].

ومَعَ ذَلِك، لَا يَجْمُلُ عَدَمُ التَّنْبيهِ إلى أنّا نُقيمُ التَّفْسيرَ هُنا اعْتِبارًا لِأَنَّ لَفْظَ النَّبِيِّ مُشْتَقٌّ مِنَ الجِذْرِ (ن/ب/و)؛ مِنَ النَّباوَة، والارْتِفاع، لَا مِنَ الجِذْرِ (ن/ب/أ) مِنَ الإِنْباءِ والإِخْبار، ونَحْنُ نُرَجِّحُ ما أَخَذْنا بِهِ بِدَليلٍ واحِدٍ هُوَ: **اطِّرادُ اقْتِرانِ التَّعْبيرِ بالنُّبُوَّةِ بسياق بَيانِ المَقام، والمَكانِ العَلِيّ**، فالإِنْباءُ هُو مَعْنى إمّا أَنْ نَأْخُذَ بِهِ في كُلِّ مَوْرِدٍ مِنْ مَوارِدِ المُصْطَلَح، وإمّا أَنْ نَتْرُكَهُ في كُلِّ مَوْضِعٍ؛ لِأَنَّ النَّباوةَ والإِنْباءَ مَعْنَيانِ مُتَبايِنان؛ فالمَقامُ والمَنْزِلَةُ غَيْرُ الإِنْباءِ والإِخْبار.

***

- **بَلاغَةُ المُصْطَلَحِ القُرْآنِيِّ: تَطْبيقًا:**

وإِذَنْ: فإِنّا نُقيمُ هَذِهِ الكَلِمةَ اعْتِبارًا لِأَنَّ اللَّفْظَيْنِ مُسْتَخْدَمانِ في القُرْآنِ اسْتِخْدامًا خاصًّا بِهِ؛ فَهُما، مِنْ ثَمَّ، مُصْطَلَحانِ قُرْآنِيّان، وفي هَذا يَقولُ الدُّكْتورُ عُودة مِنْ بَعْدِ بَحْثٍ في المُصْطَلَحَيْنِ بِالمُقارَنَةِ بَيْنَ الشِّعْرِ الجاهِلِيّ، والقُرْآنِ الكَريم: "**لَـمْ يَعْرِفِ الشِّعْرُ الجاهِلِيُّ كَلِمَةَ الرَّسولِ كَما هُوَ في القُرْآنِ الكَريمِ؛ أَيْ: الإِنْسانُ الذي يَخْتارُهُ الله، عَزَّ وجَلَّ، لِيَنْشُرَ في النّاسِ رِسالَتَهُ، ويُبَلِّغَ النّاسَ دِينَ رَبِّه، ...، ولِذلكَ يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ القُرْآنَ الكَريمَ قَدْ**

(1) وعَلى هَذا قَدْ يُفَسَّرُ قَوْلُهُ، صلى الله عليه وسلم، "**لَا نَبِيَّ بَعْدي**"، بِأَنَّهُ نَفْيٌ لِأَنْ يَكونَ بَعْدَهُ مَنْ في مَقامِهِ عِنْدَ رَبِّه؛ لِأَجْلِ ما لِلْأَنْبياءِ مِنْ مَرْتَبَةٍ خاصّة، فَلَمْ يَقُلْ: "لَا رَسولَ بَعْدي"؛ لِاتِّصالِ الرِّسالَة، مِنْ حَيْثُ هِيَ دَعْوَةٌ، في العُلَماء، وأَمّا قَوْلُهُ: "**العُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنْبِياء**"، لَا وَرَثَةُ الرُّسُل؛ فَإِظْهارٌ لِـمَقامِهِم، والله تَعالى أَعْلَم.

خصَّصَ مَعْنى كَلِمَةِ الرّسول، وجعَلَهُ مُرْتَبِطًا بِرَسولِ الله الذي يُبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ أَحْكامَهُ، ودِينَهُ، وشَرائِعَه"[1].

وقالَ أَيْضًا: "لَـمْ أَعْثُرْ عَلى كَلِمةِ النَّبيِّ فِيما قَرَأْتُ مِنَ الشِّعْرِ الجاهِلِيِّ، بَلْ وَرَدَتْ بَعْضُ الصُّوَرِ الاِشْتِقاقِيَّةِ مِنْ مادَّتِها اللُّغَوِيَّةِ، أَحْيانًا، وفي هَذِهِ المَرّاتِ القَليلَةِ لَـمْ يَكُنْ مَفْهومًا قَريبًا مِنَ المَعْنى الاِصْطِلاحيِّ الذي صَنَعَهُ القُرْآنُ الكَريم، وأَكْثَرُ ما وَرَدَ في هَذِهِ المادّة -عَلى قِلَّتِه- يَتناولُ مَعانِيَ مُسْتَمَدَّةً مِنَ الحياةِ الجاهِلِيَّة، تَتَّصِلُ بِمَعْنى الكَلِمَةِ اللُّغَويّ، وذلكَ يَدُلُّ عَلى أَنّ النَّبِيَّ، بِمَفْهومِهِ الإِسْلاميِّ مُصْطَلَحٌ قُرْآنِيٌّ جَديد، خَصَّصَهُ القُرْآنُ لِهَذا المَعْنى كَما خَصَّصَ مَفْهومَ كَلِمةِ الرَّسولِ، فَصارَ الرَّسول، والنَّبِيّ، كِلاهُما مِنَ المَعاني القُرْآنِيَّةِ الجَديدة"[2].

كَما: أَنّنا نَبْني القَوْلَ، هُنا، عَلى أَمْرٍ مَقْطوعٍ بِهِ لَدى العارِفينَ بلُغةِ القُرْآنِ الكَريم، وبَلاغَةِ القُرْآنِ الكَريم، وهُوَ أنَّ كُلَّ ما اخْتِيرَ لِلتَّعْبير فيه هُوَ مَقْصودٌ لِذاتِه، أَقَلُّهُ وأَكْثَرُه، وهُوَ، بِذاك، واقِعٌ لِلتَّحَدّي، فَلا يُمْكِنُ أَنْ يَحُلَّ غَيْرُهُ مَحَلَّه، وهَذا المُصْطَلَحُ القُرْآنِيُّ واحِدٌ مِنْ أَدَواتِ التَّعْبير القُرْآنِيّ، فَتَقَرَّرَ، بِذَلِكَ وُقوعُهُ بِالمَحَلِّ الذي لِلْمُفْرَدَةِ القُرْآنِيَّةِ مِنْ حَيْثُ بَلاغَتُها، وقِيمَتُها الأُسْلوبيّة، فَمِنْ هُنا اجْتِماعُ ما بَيْنَ المُصْطَلَحِ القُرْآنِيّ، والبَحْثِ البَلاغيّ؛ فَحديثُنا عَنْ بَلاغَةِ المُصْطَلَحِ القُرْآنِيِّ فَرْعٌ عَنِ البَحْثِ في بَلاغَةِ المُفْرَدَةِ القُرْآنيّة؛ **مِنْ وَجْهٍ أَوّل**، وبَلاغةُ المُفْرَدةِ القُرْآنيّةِ تَتَّجِهُ رَأْسًا إِلى ما يُفَسِّرُ اخْتِيارَها دُونَ سِواها، وفي "الاِخْتِيار" اتِّصالٌ مُباشِرٌ بالأُسْلوب، والأُسْلوبُ هُوَ المُتَكَفِّلُ بِتَحْقيقِ الغَرَضِ مِنَ الخِطاب، وفي هَذا اتِّصالٌ مُباشِرٌ، **مِنْ وَجْهٍ ثانٍ**، بالتَّحْليلِ الحِجاجيِّ عَبْرَ واحِدَةٍ مِنْ مَقولاتِهِ، وهِيَ ما يُعْرَفُ بِـــ "قانونِ الأَنْفَع"، وهُنا اجْتِماعُ الأَنْفَعِيَّةِ بالاِصْطِلاحيّة، في مُسْتَوى الاِشْتِراكِ اللُّغَويِّ بَيْنَ اللَّفْظَيْن؛ "الأَنْفَعُ" و"الأَصْلَحُ"، وكَذا في

---

(1) التَّطَوُّرُ الدَّلاليُّ بَيْنَ لُغَةِ الشِّعْرِ ولُغَةِ القُرْآن، ص:131.

(2) التَّطَوُّرُ الدَّلاليُّ بَيْنَ لُغَةِ الشِّعْرِ ولُغَةِ القُرْآن، ص:132.

مُسْتَوى النّجاعَةِ التَّأْثيريّة، مِنْ جهةِ المَوْقِفِ الخَطابيّ، وفي هَذا اتِّصالٌ مُباشِرٌ، **مِنْ وَجْهٍ ثالِثٍ**، بانْسِجامِ الخِطابِ مِنْ حَيْثُ اسْتِدْعاءُ السِّياقِ الخَطابيِّ لِلْأَداةِ التَّعْبيريَّةِ المُلائِمَةِ لَه؛ وإِذَنْ:

1- نَقْرأُ في الوَصْلِ ما بَيْنَ المُصْطَلَحِ القُرْآنيّ، مِنْ حَيْثُ هُوَ كَلِمَةٌ قُرْآنيّة، وبَيْنَ بَلاغَةِ المُفْرَدةِ القُرْآنيّة ما يَلي: " **الكَلِمةُ تَتْرُكُ مِساحَةَ دَلالَتِها اللُّغَويَّةِ عِنْدَما تكونُ في الأَدَب، وإذا كُنّا نَحْنُ إزاءَ دِراسَتِها في القُرْآن، فَهَلْ يُطَبَّقُ هَذا الرَّأْيُ عَلَيْها؟ هُنا تَتَجلّى مِيزةُ القُرْآن، فَهُوَ كِتابُ هِدايَةٍ وعِلْمٍ، ولَيْسَ يَقْصِدُ الفنَّ الأَدَبيَّ وَحْدَهُ فيه، فَهُوَ مَوْجودٌ لِيُتَمِّمَ الفِكْرةَ الدِّينيَّة، ويُوصِلَها في أَجْملِ، وأَبْهى صُورة، وهُوَ كِتابُ عِلْمٍ، وعَقيدةٍ، وتَشْريعٍ سَماويٍّ، ومَواعِظَ، وأَخْبارٍ، وعَلى الرَّغْمِ مِنْ هَذا لَـمْ تُؤَثِّرْ فيه عِلْمِيَّتُهُ في أَنْ يَبْقى مَنْهلًا بَلاغِيًّا، ونَصًّا أَدَبيًّا راقِيًا**"[1].

2- ونَقْرأُ في الوَصْلِ بَيْنَ المُصْطَلَحِ القُرْآنيّ، وبَيْنَ المَقولَةِ الحِجاجيَّة، "قانونُ الأَنْفَع" - والحِجاجُ هُوَ بَلاغةُ هَذا الزّمان- ما يَلي: " **إنَّ انْتِقاءَ اللَّفْظِ لَذو قِيمةٍ حِجاجيَّةٍ ثابتة، بحَيْثُ يَبْدو أَنَّ القَوْلَ بالتَّرادُفِ، في اللُّغَةِ قولٌ لا يَخْلو مِنْ شَطَطٍ. صَحيحٌ أَنَّ بَعْضَ الدّارسينَ، وبَعْضَ الاتِّجاهاتِ، في دِراسةِ الشِّعْر، تَرى أَنَّ اخْتِيارَ لَفْظَةٍ دونَ مُرادِفِها قَدْ يَكونُ عَلى أَساسٍ شَكْليٍّ؛ فَهُو لِغايَةِ إحْداثِ التَّنْغيم، أَوْ الإيقاع، بحَيْثُ تَبْدو قِيمةُ اللَّفْظِ قِيمةً شَكْلِيَّةً مَحْضَة، لَكِنَّ الخِطابَ الحِجاجيَّ، لَـمّا كانَ مُرْتَبِطًا، دائِمًا، بالمَقامِ الذي يُقالُ فِيه، إنَّما يَعْمَدُ إلى اسْتِخْدامِ هَذِهِ الكَلِمَة، دونَ مُرادِفِها في اللُّغَة، لِكَوْنِها أَنْسَبَ في ذَلِكَ المَقام**"[2].

3- ونَقْرَأُ في الوَصْلِ بَيْنَ المُصْطَلَحِ القُرْآنيّ، وبَيْنَ ما يَنْسَجِمُ بِهِ الخِطابُ، ما يَلي: "**قَدْ يَكونُ مِنَ الغُلُوِّ الزَّعْمُ بِأَنَّ جَدْوى الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ لا تَظْهَرُ حَقًّا إلّا بِإعْمالِها في مجال**

(1) جَمَاليّاتُ المُفْرَدَةِ القُرْآنيَّة، د. أَحْمَدُ ياسُوف، ص:27.

(2) في نَظَريَّةِ الحِجاج، دِراساتٌ وتَطْبيقاتٌ، د. عَبْدُ الله صَوْلَة، ص:36.

النّصِّ القُرْآنيّ، ولَكِنَّها حَقيقةٌ يُؤَكِّدُها هَذا النَّصُّ الكَريمُ الذي تَميَّزَ -مِنْ بَيْنِ ما تَميَّزَ بِهِ- "بنَسَقيَّةِ" مُصْطَلَحاتِه، و"سِياقِيَّة" نُصوصِهِ، واشْتِمالِهِ عَلى "نظامٍ مَفْهومِيٍّ" مُتناسِقِ الأَطْرافِ، مُترابطِ العُرى، مُتَكامِلِ الفُصول، ولَيْسَ يُبينُ عَنْ عُرى هَذا النِّظامِ سِوى الدَّرْسِ المُصْطَلَحِيِّ الذي يَكْشِفُ ما يَكْتَنِفُ كُلَّ مُصْطَلَحٍ، ولَفْظٍ، ومَفْهومٍ، مِنْ دَلالة، وما يَعْتَريهِ مِنْ مُمَيِّزاتٍ، وصِفاتٍ، وما يَرْبطُهُ بغَيْرِهِ مِنْ عَلاقاتٍ، وما يَنْشَأُ عَنْهُ مِنْ ضَمائِمَ، وتَرْكيباتٍ، وما يَتعَلَّقُ بِهِ مِنْ قَضايا، ومُسْتفاداتٍ"[1].

وفي هَذا المَبْحَثِ ثَلاثَةُ أَقْسامٍ؛ قِسْمٌ لِتَطْبيقاتٍ في بَلاغَةِ اسْتِخْدامِ مُصْطَلَحِ الرَّسول، وثانٍ في بَلاغَةِ مُصْطَلَحِ النَّبيّ، وثالِثٌ لِبلاغَةِ اقْتِرانِهما في المَوْضِعِ الواحِدِ:

- **مِنْ بَلاغَةِ اسْتِخْدامِ مُصْطَلَحِ الرَّسول:**

قالَ الله تَعالى: **"آمَنَ الرَّسولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والمُؤْمِنونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ"**[2]

جاءَ التَّعْبيرُ بالرَّسولِ في الآيَةِ؛ لأَنَّ مُفْتَتَحَها مُلائِمٌ مِنْ مُلائِماتِ الرِّسالة؛ وهُوَ الإيمان، والإيمانُ التَّصْديقُ بما جاءَ بِهِ صاحِبُ الدَّعْوة، قالَ الزَّجّاج: **"لَـمّا ذَكَرَ الله فَرْضَ الصَّلاةِ، والزَّكاةِ، والطَّلاقِ، والحَيْضِ، والإيلاءِ، والجِهادِ، وأَقاصيصِ الأَنْبياءِ، والدَّيْنِ، والرِّبا، خَتَمَ السُّورَةَ بِذِكْرِ تَعْظيمِهِ، وذِكْرِ تَصْديقِ نَبِيِّه، والمُؤْمِنينَ بجَميعِ ذَلِك"** [3]، فَذاكَ قَوْلُهُ "والمُؤْمِنون"، وقَوْلُهُ: "كُلٌّ آمَنَ"، ويَكادُ كُلُّ ما في نَصِّ الآيَةِ يَكونُ مِنْ مُلائِماتِ الرِّسالة؛ تَآلُفًا، واتِّساقًا؛ فَالإِنْزالُ مُرادٌ به الوَحْي، وهُو خِطابٌ بِاتِّباعِ تَعاليمِهِ، والرُّبوبيَّةُ مِنْ مَعْنى البُلوغِ بِالشَّيْءِ كَمالَه، وذلكَ هُوَ مُرادُ الشّارِعِ بِالرّسالة، والمَلائِكَةُ مِنَ المَأْلُكَةِ، وتِلْكَ هِيَ الرِّسالةُ بِعَيْنِها؛ قالَ

(1) مَفْهومُ التَّأْويلِ في القُرْآنِ الكَريمِ، دِراسَةٌ مُصْطَلَحِيَّة، د. فَريدَة زُمُرّد، ص: 84

(2) سُورةُ البَقَرة: 285.

(3) مَعاني القُرْآنِ وإِعْرابُه، 313/1.

الرّاغبُ: "**المَلائِكَةُ والمَلَكُ أَصْلُهُ مَأْلُك، أَوْ هِيَ مَقْلوبٌ عَنْ مَأْلَك، والمَأْلُكَةُ، والأَلُوكُ الرّسالةُ؛ ومِنْهُ أَلِكْني؛ أَيْ: أَبْلِغْهُ رِسالَتي**"[1]، وكَذا الكُتُبُ، والرُّسُلُ، والسَّمْعُ، والطّاعة، فَكُلُّ ما في الآيَةِ هُوَ مِنْ وادي الرِّسالَة، وما يَتَفَرَّعُ عَنْهُ مِنْ مَعانٍ، ومُلائِمات سِياقِيَّة، وتِلْكَ هِيَ بَلاغَةُ التَّأْليفِ بَيْنَ عَناصِرِ الخِطاب، فَيَكونُ في كُلِّ عُنْصُرٍ مُعِينٌ عَلى تَفْسيرِ الآخَرِ، وفَهْمِه، وهُنا التَّخْصيصُ الذي تَفَطَّنَ له الدُّكْتورُ عُودة بقَوْلِهِ: "**لَـمْ يَعْرِفِ الشِّعْرُ الجاهِلِيُّ كَلِمةَ الرّسولِ كَما هُوَ في القُرْآنِ الكَريم؛ أَيْ: الإِنْسانُ الذي يَخْتارُهُ الله، عَزَّ وجَلّ، لِيَنْشُرَ في النّاسِ رِسالَتَه، ويُبَلِّغَ النّاسَ دِينَ رَبِّه، ...، ولِذلكَ يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ القُرْآنَ الكَريمَ قَدْ خَصَّصَ مَعْنى كَلِمَةِ الرَّسول، وجَعَلَهُ مُرْتَبِطًا بِرَسولِ الله الذي يُبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ أَحْكامَهُ، ودِينَه، وشَرائِعَه**"[2].

***

- **مِنْ بَلاغَةِ اسْتِخْدامِ مُصْطَلَحِ "النَّبيّ":**

– قالَ الله تَعالى، في قِصَّةِ مَوْلِدِ المَسيحِ، عَلَيْهِ السَّلام: "قالَ إِنَّما أَنا رَسولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ **غُلامًا زَكِيًّا**"[3]؛ فَفي قَوْلِهِ "زَكِيًّا" نَعْتٌ مُوَطِّئٌ لِإِظْهارِ مَقامِ النُّبُوَّة، وهُوَ لَفْظٌ مَأْخوذٌ في اللُّغَةِ مِنَ الزِّيادةِ والنُّمُوّ، والبَرَكَة، ومِنْهُ الزّكاة[4]، وهُوَ ما سَيَكونُ في هَذا الغُلامِ مِنْ زِيادةٍ عَلى غَيْرِهِ بالمَقامِ الرَّفيع، ولِذَلِك قالَ بَعْدَها: "ولِنَجْعَلَهُ **آيةً لِلنّاس**"[5]؛ والآيَةُ في اللُّغَةِ العَلامة[6]، والعَلامَةُ مُرْتَفِعَةٌ عَمّا حَوْلَها، بارِزَةٌ عَلَيْهِ، ثُمَّ زادَ بَعْدَها بِأَنْ قالَ المَسيحُ عَنْ نَفْسِهِ: "قَدْ جَعَلَ

---

(1) مُعْجَمُ مُفْرَداتِ أَلْفاظِ القُرْآن، ص: 17.

(2) التَّطَوُّرُ الدّلاليُّ بَيْنَ لُغَةِ الشِّعْرِ ولُغَةِ القُرْآن، ص: 131.

(3) سُورةُ مَرْيَم: 19.

(4) يُنْظَرُ مُفَصَّلًا في: المُعْجَمُ الوافي لِكَلِماتِ القُرْآنِ الكَريم، محمد عتْريس، ص: 475.

(5) سُورةُ مَرْيَم: 21.

(6) مُعْجَمُ مُفْرداتِ أَلْفاظِ القُرْآن، لِلرّاغِبِ الأَصْفَهانِيّ، ص:28.

رَبُّكِ تَحْتَكِ **سَرِيًّا**"[1]، والسَّرِيُّ: السَّيِّدُ المُقَدَّمُ في قَوْمِهِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ السَّرْو، والسَّرْوُ الرِّفْعة[2]، ولِذا انْتَهى الكَلامُ، في الآيَةِ، إلى قَوْلِ المَسيحِ: "إِنّي عَبْدُ الله آتانيَ الكِتابَ **وجَعَلَني نَبِيًّا**"[3]. ويَنْبَغي مُلاحَظَةُ أَنَّ الوَصْفَ بالنُّبُوَّةِ وارِدٌ في سِياقِ ذِكْرِ الإِنْعامِ والإِفْضال، وذَلِكَ قَوْلُهُ "آتاني" ومَحْمولٌ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعالى: "ولَقَدْ آتَيْنا بَني إِسْرائيلَ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّة" وما هُوَ مِثْلُه، فالنُّبُوَّةُ، في آيَةِ مَرْيَمَ، هِيَ نهايَةٌ لِلتَّرَقّي مِنَ الغُلامِ الزَّكِيِّ، إلى الآيَة، إلى السَّرِيِّ، إلى النَّبي.

ومِنَ التَّرَقّي في إِظْهارِ الفَضْل:

- قَوْلُهُ تعالى في آلِ عِمْرانَ: "فَنادَتْهُ المَلائِكَةُ وهُوَ قائِمٌ يُصَلّي في المِحْرابِ أَنَّ الله يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَ مُصَدِّقًا بكَلِمةٍ مِنَ الله وسَيِّدًا وحَصُورًا ونَبِيًّا مِنَ الصّالِحين"[4]
- ومِنْهُ قَوْلُهُ في مَرْيَمَ: " إِنَّهُ كانَ مُخْلِصًا وكانَ رَسولًا نَبِيًّا"[5].
- وقَوْلُهُ: "إِنَّهُ كانَ صادِقَ الوَعْدِ وكانَ رَسولًا نَبِيًّا*وكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاةِ والزَّكاةِ وكانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا"[6].

- وقَوْلُهُ: "واذْكُرْ في الكِتابِ إِدْريسَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا* ورَفَعْناهُ مَكانًا عَلِيًّا"[7].

كَما أَنَّ مِمّا يَرْتَبِطُ بالتَّعْبيرِ بالنُّبُوَّة؛ سِياقُ التَّشْريع، وسَنِّ الأَحْكام؛ لِأَنَّ الإِظْهارَ فَوْقِيَّةُ التَّشْريع، فالحُكْمُ إِذا كانَ خِطابًا لِلْأَعْلى، كانَ لِزامًا خِطابًا لِلْأَدْنى، ومِنْهُ:

---

(1) سُورةُ مَرْيَم:24.

(2) مُعْجَمُ مُفْرَداتِ أَلْفاظِ القُرْآن، لِلرّاغِبِ الأَصْفَهانيّ، ص:237.

(3) سُورةُ مَرْيَم: 30.

(4) سُورةُ آلِ عِمْران:39.

(5) سُورةُ مَرْيَم:51.

(6) سُورةُ مَرْيَم: 55/54.

(7) سُورةُ مَرْيَم:57/56.

- قَوْلُهُ تَعالى: "يا أَيُّها النَّبيُّ لِـمَ تُحَرِّمُ"[1]
- قَوْلُهُ تَعالى: "يا أَيُّها النَّبيُّ إذا طَلَّقْتُم"[2]
- قَوْلُهُ تَعالى: يا أَيُّها النَّبيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ"[3]

ومِنَ الإفْضالِ بالمَقامِ العَلِيِّ قَوْلُهُ:

- "فَلَمّا اعْتَزَلَهُمْ وما يَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنا لَهُ إسْحقَ ويَعْقوبَ وكُلًّا جَعَلْنا نَبِيًّا".
- وقَوْلُهُ: " ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ".
- وقَوْلُهُ: "أُولَئِكَ الذينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ".
- وقَوْلُهُ: "وَوَهَبْنا لَهُ إسْحقَ ويَعْقوبَ وجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتابَ".
- وقَوْلُهُ: "ولَقَدْ آتَيْنا بَني إسْرائيلَ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ".

- **مِنْ بَلاغَةِ اسْتِخْدامِ الاقْتِرانِ بَيْنَ المُصْطَلَحَيْنِ:**

ونَسْتَهِلُّهُ بِأَكْثَرِ الآياتِ اسْتِخْدامًا في المَوْضوعِ؛ وهِيَ آيةُ الحجّ: "وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ **مِنْ رَسولٍ ولا نَبِيٍّ** إلّا إذا تَمَنّى أَلْقى الشَّيْطانُ في أُمْنِيَتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آياتِهِ واللهُ عَليمٌ حَكيم"[4].

ونُحِبُّ أَنْ نَبْحَثَ الآيَةَ، هُنا، مِنْ وَجْهَيْنِ؛ أَوَّلُهُما أَنَّ المَفْهومَ مِن اسْتِدْلالِ الفَريقَيْنِ بها لِلتَّسْوِيَةِ بِعُمومِ الرِّسالةِ الرّسولِ والنَّبِيِّ مَعًا، مِنْ جِهة، ولِلتَّفْريقِ بَيْنَهُما بِمُقْتَضى العَطْفِ بَيْنَ المُتَغايِرَيْنِ، مِنْ جِهَةٍ ثانِيَة، أَقولُ: إنَّ المَفْهومَ مِنْ هَذا هُوَ اسْتِحالَةُ أَنْ تَدُلَّ الآيَةُ عَلى المَعْنى وضِدِّهِ في آنٍ، وأَنَّهُ دَليلٌ عَلى أَنَّ تَفْسيرَ الاقْتِرانِ فيها واقِعٌ في غَيْرِ مَذْهَبِ الفَريقَيْنِ جَميعًا، وهُوَ ما

---

(1) سُورةُ التَّحْرِيم:01.
(2) سُورَةُ الطَّلاق:01.
(3) سُورةُ الأَحْزاب:28.
(4) سُورةُ الحَجِّ: 52.

يُوَطِّئُ لِأَنْ نَعْرِضَ تَفْسيرًا لَنا لِلْآيةِ في ضَوْءِ القَوْلِ بِأَنَّ الرِّسالَةَ عَمَلٌ، وأنَّ النُّبُوَّةَ مَقام، وعَلى هَذا فَنَظَرُنا في الآيةِ انْتَهى بنا إلى ما يَأْتي:

– إنَّ عُمومَ الرِّسالةِ المُسْتَفادَ مِنْ قَوْلِهِ "أَرْسَلْنا" مَحْمولٌ إمّا عَلى أَنَّ الرَّسولَ مُرْسَلٌ، وأَنَّ النَّبيَّ مُرْسَل، وأنَّ العَطْفَ بَيْنَهُما هُوَ مِنْ باب عَطْفِ الصِّفات، لا عَطْفِ الذّوات، ولا نَقْضَ في هَذا لِـــما نَحْنُ بصَدَدِهِ، بَلْ هُوَ تَأْكِيدٌ لَهُ.

– إنَّ إمْكانَ تَضْمينِ "أَرْسَلْنا" مَعْنى "جَعَلْنا"، مُخْرِجٌ لِلتَّعْبيرِ عَنْ إفْهامِ العُموم، ويَبْقى العَطْفُ للجَمْعِ بَيْنَ صِفَتَيْن، فَعادَ الكَلامُ إلى ما تَقَدَّم، ويَشْهَدُ لِـــمَعْنى الجَعْلِ قَوْلُهُ تَعالى: "وجَعَلَني نَبيًّا"[1] وقَوْلُهُ: "وجاعِلوهُ مِنَ المُرْسَلِين"[2].

– إنَّ مِنَ المُمْكِنِ الخُروجُ بالعَطْفِ إلى باب قَوْلِهِ تَعالى: "ولَحْمِ طَيْرٍ مِمّا يَشْتَهونَ*وحُورٍ عِينٍ"[3]، في قِراءةِ مَنْ جَرَّ الحُور[4]، والحورُ لَا يُطافُ بِهِنّ.

وقَوْلُ الشّاعِرِ:

عَلَفْتُها تِبْنًا وماءً بارِدا*حَتّى شَتَتْ هَمّالةً عَيْناها** [5]

والماءُ لَا يُعْلَفُ.

وقَوْلُهُ:

أَلا لَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدا * مُتَقَلِّدًا سَيْفًا ورُمْحًا** [6]

---

(1) سُورةُ مَرْيَم: 30.

(2) سُورةُ القصَص: 07.

(3) سُورَةُ الواقِعة: 22/21.

(4) مُعْجَمُ القِراءات، د. عَبْدُ اللَّطيفِ الخَطيب، 296/9.

(5) البَيْتانِ لِذي الرِّمَّةِ في مُلْحَقِ دِيوانِهِ، ص:664، وبلَا نِسْبَةٍ في ابْنِ عَقيل، 44/2، والخَصائِص، 431/2، ومَعاني القُرْآن، لِلفَرّاء، 14/1، و124/3، وشَرْحِ شُذورِ الذَّهَب، ص: 240، والأَشْموني، 140/2، والإِنْصاف، ص: 322، والمَرْزوقي، ص:1147، وأَمالي المُرْتَضى، ص:259/2، وهَمْعِ الهَوامِع، 130/2.

(6) الشّاهِدُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزِّبَعْرى في الكامِل، 169/1، وهُوَ بِلا نِسْبَةٍ في المُقْتَضَب، 51/2، والخَصائِص، 431/2، وأَمالي ابْنِ الشَّجَرِيّ، 321/2، وأَمالي المُرْتَضى، 54/1، والإِنْصاف، ص:322، ومَعاني القُرْآن، 121/1.

والرُّمْحُ لَا يُتَقَلَّدُ.

وقَوْلُهُ:

إذا ما الغانياتُ بَرَزْنَ يَوْمًا ***وزَجَّجْنَ الحَواجبَ والعُيونا [1]

أَيْ: وكَحَّلْنَ العُيونا.

فعَلى ذَلِك حَمْلُ عَطْفِ النَّبيِّ عَلى الرَّسول؛ فكَما أَنَّ الحُورَ لَا يُطافُ بِهِنّ، وأَنَّ الماءَ لَا يُعْلَف، وأَنَّ الرُّمْحَ لا يُتَقَلَّدُ، فالنَّبيُّ غَيْرُ مَقْصودٍ إلى إرْسالِهِ فِي الآيَة، فخَلُصَ العَطْفُ إلى المُغايَرَة ، وصَحَّ أَنّها مُغايَرَةٌ بَيْنَ مَعْنَيَيْن، لَا بَيْنَ رَجُلَيْن. فَما بَلاغةُ ذَلِك؟

نَرى أنّه عَطْفٌ لِلتَّرَقِّي فِي إثْباتِ ما وَقَعَ لِلنَّبِيِّ مَعَ المُشْرِكين، لِـمَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الأَنْبياء؛ كَأَنَّهُ يَقولُ: إنَّهُ لَـمْ يَنْجُ مَنْ تَقَدَّمَك، عَلى حالِ رِسالَتِه، بَلْ عَلى مَقامِ نُبُوَّتِهِ، مِنْ أَنْ يَلْقى مِثْلَ ما لَقيتَ مِنَ الأَمْر. واللهُ تَعالى أَعْلَم.

ولَقَدْ حَصَرْنا وُجوهَ بَلاغَةِ الاقْتِرانِ فيما يَأْتي:

1- القَصْدُ إلى التَّرَقِّي في إظْهار المَقام: وذَلِك في حالِ وَصْفِ الواحِدِ بِهِما:

- كَقَوْلِهِ تَعالى: "إِنَّهُ كانَ مُخْلِصًا وكانَ رَسولًا نَبِيًّا"[2].

- وقَوْلِهِ تَعالى: "إِنَّهُ كانَ صادِقَ الوَعْدِ وكانَ رَسولًا نَبِيًّا*وكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاةِ والزَّكاةِ وكانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا"[3].

- وقَوْلِهِ: "فآمِنوا بِاللهِ ورَسولِهِ النَّبيِّ الأُمِّيِّ"[4].

---

[1] الشّاهِدُ للرّاعي النُّمَيْرِيّ في دِيوانه، ص:156، وبِلَا نِسْبَةٍ في ابْنِ عَقيل، 295/2، والصِّناعَتَيْن، ص:188، والخَصائص، 432/2 ومَعاني القُرْآن، 123/2، والإِنْصاف، ص:322، والأَشْمونيّ، 140/2.

[2] سُورةُ مَرْيَم: 51.

[3] سُورةُ مَرْيَم: 55/54.

[4] سُورةُ الأَعْراف: 158.

2- **القَصْدُ إلى إظْهار الفَضْل في الهِدايَةِ بالأَهْدى:**

- قَوْلُهُ تَعالى: "يا أَيُّها النَّبيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذيرًا".
- وقَوْلُهُ تَعالى: "وما أَرْسَلْنا في قَرْيَةٍ مِنْ نَبيٍّ".
- ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالى: "وكَمْ أَرْسَلْنا مِنْ نَبيٍّ في الأَوَّلين".

3- **القَصْدُ إلى إظْهار الكَمال باجْتِماعِهما:** وذَلِكَ مِثْل:

- "ما كانَ محمد أبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ ولَكِنْ **رَسولَ الله وخاتَمَ النَّبيِّين**"[1].
- "يا أَيُّها الذينَ آمَنوا لَا تَدْخُلوا بُيوتَ النَّبيِّ إِلّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرينَ إناهُ ولَكِنْ إذا دُعِيتُمْ فادْخُلوا فَإذا طَعِمْتُمْ فانْتَشِروا ولَا مُسْتَأْنِسينَ لِحديثٍ إنَّ ذَلِكُمْ كانَ **يُؤْذي النَّبيَّ** فَيَسْتَحْيي مِنْكُمْ والله لَا يَسْتَحي مِنَ الحقِّ وإذا سَأَلْتُموهُنَّ مَتاعًا فاسْأَلوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلوبِكُمْ وقُلوبِهِنَّ وما كانَ لَكُمْ **أَنْ تُؤْذوا رَسولَ الله** ولَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كانَ عِنْدَ الله عَظيمًا"[2]؛ ويَجبُ التَّفَطُّنُ إلى أَنَّهُ قَرَنَ أَذى النُّبُوَّةِ بسياقِ بَيانِ أَدَبٍ مِنَ الآدابِ اللّائِقَةِ في حَقِّ مَقامِ النَّبيِّ، صلى الله عليه وسلم، وهُوَ أَدَبُ الطَّعامِ والجُلوس[3]، وظاهِرٌ أَنَّ الأَدبَ مِنْ مُلائِماتِ رَعْيِ المَقام، بَيْنَما قَرَنَ أَذى الرِّسالةِ بسياقِ بَيانِ حُكْمِ الزَّواجِ مِنْ نسائِهِ مِنْ بَعْدِهِ؛ مِنْ حَيْثُ مَفْهومُ الحِكْمَةِ مِنْه؛ وهُوَ أَنَّ زَواجَ الرَّجُلِ مِمَّنْ هِيَ أُمٌّ لِلْمُؤْمِنين يَأْخُذونَ عَنْها دِينَهُمْ، بما تَعَلَّمَتْهُ مِنْ رَسولِ الله، صلى الله عليه وسلم، مانِعٌ لِأَنْ يُؤْخَذَ عَنْها، وقاطِعٌ لِلسَّبيلِ دُونَ مَهامِّها الدَّعَوِيَّةِ، و التَّعْليمِيَّةِ، والتَّرْبَوِيَّة[4]، فَهَذا هُوَ وَجْهُ أَذى الرِّسالَةِ. والله أَعْلَمُ، لِذا رَدّ القُرْآنُ الكَريمُ عَلى هَذا فَجَعَلَ كُلَّ وَصْفٍ مِنْهُما مُسْتَقِلًّا فَقالَ بَعْدَه:

---

(1) سُورةُ الأَحْزاب: 40.

(2) سُورَةُ الأَحْزاب:53.

(3) يُنْظَرُ: الجامِعُ لِأَحْكامِ القُرْآن، لِلْقُرْطُبي، 155/14.

(4) يُنْظَرُ مُوَسَّعًا في: نِساءٌ حَوْلَ الرَّسول، محمد إِبْراهيم سَليم، ص:169.

- إنَّ اللهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى **النَّبِيِّ** يا أَيُّها الذينَ آمَنوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّموا تَسْليمًا"[1] إِظْهارًا لِـمَكانَهِ مِنْ رَبِّهِ ومَلائِكَتِهِ والمُؤْمِنين. وقالَ:

- إنَّ الذينَ يُؤْذونَ **رَسولَ الله** لَعَنَهُمُ اللهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ وأَعَدَّ لَهُمْ عَذابًا مُهينًا"[2].

● **خاتِمَةٌ ونَتائِج: وبَعْدُ،** فَهَذِهِ وَرَقَةٌ عِلْمِيَّةٌ قَدْ أَقَمْنا الرَّأْيَ فِيها عَلى أَنَّ مَسْأَلَةَ التَّفْريقِ بَيْنَ "النَّبي" و"الرَّسول"، لَـمْ تَنْعَمْ بِحَسَناتِ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ التي تَحْفَظُ لَها صِفَةَ النَّصِّيَّة، فَتَحفَظُ لها البُعْدَ الاسْتِعْماليَّ السِّياقِيَّ الكاشِفَ عَنْ أَنَّهُما مُصْطَلَحانِ قُرْآنِيّانِ خَصَّ القُرْآنُ الكَريمُ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما باسْتِخْدامٍ بَلاغِيٍّ خاصٍّ. وهُوَ ما نَجَمَ عَنْهُ تَرْكُ المَسْأَلةِ للنَّظَرِ العَقْلِيِّ؛ فَتَعَدَّدَتِ الآراءُ، وتَضارَبَتِ الأَقْوال، بِلا مَنْهَجٍ قائِمٍ، ولا ضابِطٍ حاكِمٍ. وعَلى هَذا تُوصِي الوَرَقةُ بما يَلي:

1- تَصْحيحُ مَنْهَجِ البَحْثِ في المُصْطَلَحِ القُرْآنِيِّ، بِعَرْضِ المُنْجَزِ التَّطْبيقِيِّ مِنْهُ عَلى مَقولاتِ الدِّراسةِ المُصْطَلَحِيَّةِ التي تَسْتَصْحِبُ النَّصِّيَّةَ في بَحْثِ المُصْطَلَحِ القُرْآنِيِّ عِصْمَةً لَهُ مِنَ النَّظَرِ الكَلامِيِّ القائِمِ عَلى الرَّأْي.

2- تَيْسيرُ السَّبيلِ لِتَبَيُّنِ القِيَمِ البَلاغِيَّةِ المُرْتَبِطةِ باسْتِعْمالِ المُصْطَلَحَيْنِ وإزالَةِ خَفائِها النّاجِمِ عَنْ عَزْلِهِما عَنْ مُلائِماتِهِما السِّياقِيَّةِ بِسَبَبِ الاعْوِجاجِ المَنْهَجِيِّ في بَحْثِهِما.

3- السَّعْيُ في المُشارَكَةِ في إِنْجازِ المُعْجَمِ المَفْهومِيِّ لِلْقُرْآنِ الكَريمِ الذي يُؤَسِّسُ لِفَهْمِهِ فَهْمًا مَوْكولًا في تَحْصيلِهِ إِلى مَنْهَجٍ قائِمٍ، ونِظامٍ بَحْثِيٍّ حاكِمٍ.

---

(1) سُورَةُ الأَحْزاب:56.

(2) سُورَةُ الأَحْزاب:57.

قائمةُ المَراجع المُعْتَمَدَة:

1- الاتّجاهاتُ المُنْحَرفةُ في تَفْسير القُرْآن، دَوافِعُها ودَفْعُها، د/ محمد حُسَين **الذّهبي**، مَكْتبةُ وَهْبة، مِصْر، الطّبْعة الثّالِثة، 1406ه، 1986.

2- تَحْريفُ المُصْطَلَحاتِ القُرْآنيَّةِ وأَثَرُهُ في انْحِرافِ التَّفْسيرِ في القَرْنِ الرّابعَ عَشَر، د/ فَهْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمن بْنِ سُلَيْمانِ الرّومي، الرّياض، سِلْسِلةُ "دِراساتٌ قُرْآنيّة"، الحَلْقة 9، الطَّبْعةُ الأُولى، 1424ه، 2003.

3- التَّطَوُّرُ الدَّلاليُّ بَيْنَ لُغَةِ الشِّعْرِ ولُغَةِ القُرْآن، الدُّكْتورُ عُودة خَليل أَبو عُودَة، مَكْتَبَةُ المَنار، الزَّرْقاء، الأُرْدُن، الطَّبْعَةُ الأُولى، 1405ه، 1985.

4- تَنْويرُ العُقولِ في الفَرْقِ بَيْنَ النَّبيِّ والرَّسول، لِلشَّيْخِ محمد بْنِ عَبْدِ الله الإمام، دارُ الإِمامِ أَحْمَدَ لِلنَّشْرِ والتَّوْزيعِ والصَّوْتِيات، القاهِرة، الطَّبْعَةُ الأُولى، 1428ه، 2007.

5- الجامِعُ لأَحْكامِ القُرْآن، لِلْقُرْطُبي، تقْديم هاني الحاج، حَقَّقَهُ وخرّج أحاديثَه عِماد زكيّ البارُودي، وخَيْري سَعيد، المَكْتَبة التَّوْفيقيّة، القاهِرة، مِصْر، الطَّبْعةُ العاشِرة، 2012.

6- جَمالِياتُ المُفْرَدَةِ القُرْآنيّة، د/ أَحْمَدُ ياسوف، إِشْرافُ وتَقْديمِ الدُّكْتورِ نُور الدِّين عِتْر، دارُ المَكْتَبيّ، دِمَشْق، سُوريّة، الطَّبْعة الثّالثة، 1430ه،2009.

7- الحِجاجُ في القُرْآنِ مِنْ خِلالِ أَهَمِّ خَصائِصِهِ الأُسْلوبيَّة، د/عَبْدُ الله **صَوْلة**، دَارُ الفَارابيّ، لُبْنان، الطَّبْعةُ الثّانية، 2007.

8- الخَصائِص، لِأَبي الفَتْح عُثْمانُ بْنُ **جِنّي**، تحقيقُ محمد عَلِيّ النجّار، المَكْتَبة العِلْمِيّة، الطّبْعة الثّانية، 1952.

9- الخِطابُ القُرْآنيُّ ومَناهِجُ التّأْويل، نَحوَ دِراسةٍ نَقْديةٍ لِلتّأْويلاتِ المُعاصِرة، د/عَبْدُ الرّحمن بُودَرْع، الرّابطةُ المُحمَّديَةُ لِلْعُلماء، ومَرْكزُ الدِّراساتِ القُرْآنية، المَغْرب، الطَّبْعة الأُولى، 1434ه، 2013.

10- دِيوانُ ذي الرِّمّة، حَقّقَهُ د/ عَبْدُ القُدّوسِ أبو صالح، مُؤَسَّسَةُ الرِّسالة، بَيْروت، لُبْنان، الطَّبْعَةُ الثّالثة، 1414ه-1993.

11- شَرْحُ ابْنِ عَقيلٍ عَلى الأَلْفِيَّة، المَكْتَبَةُ العَصْرِيّة، بَيْروت، لُبْنان، 1427ه، 2006.

12- قاموسُ اللِّسانيّاتِ مَعَ مُقَدِّمةٍ في دِراسَةِ المُصْطَلَح، د/ عَبْدُ السّلامِ المَسَدّي، الدّارُ العَرَبيّة لِلْكِتاب، القاهرة، (د-ت).

13- الكُلِّياتُ، مُعْجَمٌ في المُصْطَلَحاتِ والفُروقِ اللُّغَويّة، لِأَبي البَقاءِ الكَفَوِيّ، تحقيقُ د/عَدْنانُ دَرْويشٍ ومحمد المِصْرِيّ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسالة، دِمَشْق، سُوريا، الطَّبْعَةُ الثّانية، 1432ه، 2011.

14- مَعاني القُرْآن، لأَبي زكَريّا يَحْيَ بْنُ زِيادٍ **الفَرّاء**، تحقيقُ محمد عَلي النّجّار، وأَحْمَدَ يُوسُفٍ نَجاتي، عالَمُ الكُتُب، 1403ه، 1983.

15- مَعاني القُرْآنِ وإعْرابُه، لِأَبي إِسْحق **الزَّجّاج**، شَرْح وتحقيق عَبْدُ الجليلِ عَبْدُه شَلَبي، خَرَّجَ أَحادِيثَه الأُسْتاذُ عَليّ جَمال الدِّين محمد، دارُ الحَديث، القاهِرة، 1424ه، 2004.

16- المُصْطَلَحُ الشَّرْعِيُّ ومَنْهَجِيَّةُ الدّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّة، أ.د/ القُرَشِيّ عَبْدُ الرّحيم البَشير، مَجَلّة "جامِعةُ القُرْآنِ الكَريم والعُلومُ الإسْلامِيّة"، العَدد 13، 1427هـ.

17- المُصْطَلَحُ القُرْآنيُّ، مَنْهَجٌ وتَطْبيق، د/ عُثْمانُ جُمْعَة ضَميريّة، بَحْثٌ مُقَدَّمٌ لِـمُؤْتَمَرِ التَّفْسيرِ المَوْضوعِيّ لِلْقُرْآنِ الكَريم: واقِعٌ وآفاق، كُلِّيَّةُ الشّريعَةِ والدِّراساتِ الإسْلامِيّة، الشّارِقة، في 11-1431/05/12ه-الموافق 25-2010/04/26.

18- المُصْطَلَحُ اللُّغَوِيُّ والمُصْطَلَحُ القُرْآنِيّ، عَدَوِيّة حَيّاوي الشِّبْلي، مَجَلّةُ "دِراساتٌ نَجَفِيّة"، مَرْكَزُ "دِراساتُ الكوفَة"، دِراسَةٌ مُقارنةٌ في المَفْهومِ والأُسُس، جامِعةُ الكوفة، قِسْمُ اللُّغةِ العَرَبِيّة، كُلِّيّة التَّرْبية، 2005.

19- مُعْجَمُ القِراءات، د/ عَبْدُ اللَّطِيفِ **الخَطِيب**، دارُ سَعْدِ الدِّين للطِّباعَةِ والنّشْر والتَّوْزيع، دِمَشْق، الطَّبْعةُ الأُولى، 1422ه، 2002.

20- مُعْجَمُ مُفْرَداتِ أَلْفاظِ القُرْآن، لِلرّاغِبِ الأَصْفَهاني، تَحْقيقُ نَديم مَرْعَشْلي، دارُ الكاتِبِ العَرَبيّ، مَطْبَعَةُ التَّقَدُّمِ العَرَبي، 1392ه، 1972.

21- مُعْجَمُ المَقاييسِ في اللُّغَة، لِأَحْمَدَ بْنِ فارسٍ، حَقَّقَهُ شِهابُ أَبو عَمْرو، دارُ الفِكْرِ لِلطِّباعَةِ والنَّشْرِ والتَّوْزيع، بَيْروت، لُبْنان، الطَّبْعةُ الأُولى، 1432ه، 2011.

22- المُعْجَمُ الوافي لِكَلِماتِ القُرْآنِ الكَريم، تَأْليفُ محمد عَتْريس، مَكْتَبَةُ الآداب، القاهِرَة، الطَّبْعةُ الأُولى، 1427ه، 2006.

23- مَفْهومُ التَّأْويلِ في القُرْآنِ الكَريم، دِراسَةٌ مُصْطَلَحِيَّةٌ، د/ فَريدَةُ زُمُرّد، مَرْكَزُ الدِّراساتِ القُرْآنيّة، الرّابِطةُ المُحَمّديّة لِلْعُلَماء، المَمْلَكَةُ المَغْرِبيّة، الطَّبْعةُ الأُولى، 1434ه، 2013.

24- نَظَراتٌ في المُصْطَلَحِ والمَنْهَجِ، د/ الشّاهِدُ البوشِيخي، طَبْعَةُ آنْفو بْرانت، 12، شارِعُ القادِسِيّة، اللّيدو- فاس، الطّبعة الثّالثة، يونْيو، 2004.

25- نَظَراتٌ في مَنْهَجِ الدِّراسَةِ المُصْطَلَحِيَّةِ ومَدى اهْتِمامِ إمامِ الحَرَمَيْنِ بِهِ في "الكافِية"، د/الشّاهِدُ البوشيخي، بَحْثٌ مَرْقون، نَدْوةُ الذِّكْرى الأَلْفِيَّةِ لِإمامِ الحَرَمَيْنِ الجُوَيْني، قَطَر، 1999

من مصطلحات التميز في معارف الوحي القرآني
قراءة في معارض الورود ومستويات الدلالة

دة. جميلة زيان[*]

توطئة: بيان المقصود بالبحث وأهدافه

أقصد بهذا البحث الموسوم ب"**من مصطلحات التميز في معارف الوحي القرآني، قراءة في معارض الورود ومستويات الدلالة**" الوقوف مع بعض ألفاظ التميز في القرآن الكريم، من خلال رصد حضورها ووصف مواردها واستنطاق سياقاتها، ثم تحليل تجليات مفهوماتها، الممتدة في مجالات المعرفة القرآنية الشمولية، بما يبرز أصالة ثقافة التميز الإسلامية وشموليتها، ويكشف تميزها عن نظيرتها في المنظومة الغربية.

وانطلاقا من هذا التحديد، يرمي البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

* إيضاح معالم المنظومة المصطلحية والمفهومية لثقافة التميز في القرآن الكريم، وما تكشف عنه من رؤية نسقية متكاملة للخالق والكون والحياة والإنسان.

* التأكيد على ضرورة العودة إلى قيم ومقومات التميز المودعة في معارف القرآن الكريم؛ من أجل تربية الأجيال المسلمة على الاعتزاز بتلك القيم، وتمثلها في فكرها وسلوكها وتواصلها؛ لتحصين الذات وصد التحديات ومواجهة باطل التصورات والتصرفات، في زمن التمييع الحضاري والغزو الثقافي والأخلاقي وملوثات العولمة والإعلام الرقمي.

* بعث عناصر التميز واللموع في ضمير الأمة وسلوكها، مما يثبت الإيمان في نفوسها ويقوي عزيمتها على التمسك بشخصيتها الإسلامية، وفرض ذاتها للتأثير وتمكين قدراتها للتغيير؛ من أجل تحقيق التنمية المنشودة لمجتمعاتها واستعادة منصبها المتميز في الشهود الحضاري.

---

[*]- أستاذة بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب سايس — فاس.

* تقديم نموذج في منهج التعامل مع الوافدات الغربية ومع مفاهيمها ومصطلحاتها، يستند في قراءتها واستيعاب الأفكار والفهوم الصالحة فيها؛ إلى قراءة معرفية وفق منهجية منضبطة، تبحث عن الحكمة، التي جعلها القرآن قرينة لتلاوته...

أولا: مفهوم التميز وعلاقته بخصائص الوحي القرآني ومعارفه

1- مفهوم التميز

*** في اللغة**

التميز مصدر من "تميز"[1] "مطاوع ماز"[2]، وأصله في المعاجم **عزل الشيء وفرزه وفصل بعضه من بعض**[3]؛ ويكون بين المتشابهات[4]، ومن ذلك قيل: **تميز** القوم وامتازوا **وتميز** بعضهم من بعض: إذا تنحى عصابة منهم ناحية[5] فانفصل بعضهم من بعض؛ وقيل: "**ماز** الرجل إذا انتقل من مكان إلى مكان"[6]، ولعل هذا المعنى الحسي هو المأخذ الذي تطور عنه اللفظ أثناء عبوره من اللغة إلى الاصطلاح؛ لما فيه من معاني الظهور والبروز والتفرد والارتقاء[7].

1- القاموس المحيط : 306/2.

2- المفردات في غريب القرآن / 498.

3- لسان العرب: 231/13، والقاموس المحيط : 306/2، والمفردات /498، ومقاييس اللغة : 289/5.

4- المفردات /498.

5- ينظر : لسان العرب: 231/13، ومقاييس اللغة: 289/5.

6- اللسان : 231/13.

7- وهذه الدلالات العربية الأصيلة تقارب -إلى حد ما- ما جاء في المعاجم الغربية، حيث عرف المعجميون التميز والمتميز في معنى الشخص أو الشيء من أكبر رتبة أو جودة(ينظر: www. Etymoligie. Com/ superiority ; www. Dictionary. com /superior)، وفي معنى الاختلاف عن المنافسين (differentiate) أو القدرة على اكتساب ميزة تنافسية competitive advantage (- www. Audio English.net/ differentiate) تجعل الشخص أو الشيء مقدما على آخر(www. Etymologie .com /differentiate).

***في الاصطلاح**

يمكن تحديد الاستعمال الاصطلاحي للتميز من خلال رؤيتين متمايزتين:

- **الرؤية الغربية**

التميز مصطلح تنموي إداري وافد[1]، يحمل كوامن فلسفة العولمة والليبرالية العالمية وثقافة اقتصاد الفكر والعلم، الشائعة في منظمات الإدارة والأعمال، وقطاعات الخدمات، ومن ثم يراد به من منظور هذه الفلسفة الغربية: **الجهد والأداء الفعال الذي يجعل الشخص يتفوق على الآخرين في عمله ويحقق ميزة تنافسية ويكون الأفضل من المنافسين في واحد أو أكثر من الأداء الاستراتيجي (التكلفة، الجودة، الاعتمادية، المرونة، الابتكار)**[2] ولتحقيق الأفضلية، حدد خبراء التطوير الإداري مجموعة من المميزات النفسية والعقلية والاجتماعية التي ينبغي أن تتوفر في الإداري القائد؛ مثل: **"المصداقية، والالتزام، والاهتمام بالآخرين، والفراسة والذكاء، والمرونة، ومهارات تواصل جيدة"**[3] **وقدرات إدارية**[4]

- **في الرؤية الإسلامية**

منذ مطلع القرن الماضي انبرى عدد كبير من المختصين العرب المسلمين في التطوير الإداري والتنمية البشرية والمفكرين في تنمية الطاقة البشرية المبدعة ونهضة الأمة الإسلامية؛ إلى نقل هذا المفهوم إلى المرجعية الإسلامية وتأصيله انطلاقا من نصوص الوحي والتراث الإسلامي،

1- يرد خبراء الإدارة ظهور المصطلح إلى الأفكار الإدارية الحديثة التي غزت مجال التسويق وخدمة العملاء، والنابعة من أبرز المفكرين الإداريين في الثمانينات؛ مثل:توم بيترز، الذي صدر له مع المفكر روبرت ووترمان أشهر كتاب حول: "البحث عن التميز" عام 1982م : ينظر:" متى ظهرت خدمة العملاء" على الرابط الإلكتروني التالي: adsegypt .org/traning/2509/hesham.pps

2- يراجع ضمن بحث" توظيف التسويق الإلكتروني كأداة للتميز بمنظمات الأعمال، د مجدي محمد محمود، على الرابط الإلكتروني: www.kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/279657

3- الإدارة والقيادة والتميز، فان هورن وبراسكى /11، **ترجمة هند رشدي، كنوز، القاهرة، ط2/ 2009.**

4- الطريق إلى التميز، محمد فتحي /29، **دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2000.**

ووصله بلغة وثقافة اقتصاد الفكر والعلم والتنمية... فالتميز- عند كثير منهم- لايتوقف فقط على مؤهلات فطرية ومكتسبة؛ كالذكاء الفذ والتفكير الإبداعي والتمكن العلمي والمهارات الحركية والتواصلية، والقدرة على القيادة والتخطيط وتحديد الأهداف، وغيرها من المفاهيم الوافدة، ولايهدف فقط إلى التفوق على المنافسين في أداء الواجبات المهنية والوظيفية، وتحقيق الجودة في الخدمات وإنشاء الثروات...

إن التميز في البناء المفاهيمي القرآني- كما سيتبين- والنسق الفكري الإسلامي إيمان بالله سبحانه واستقامة على دينه أولا وتأتي الأمور النافعة الأخرى تبعا، وفي جميع مجالات الحياة، وإلى هذا المعنى التنموي الشمولي المتميز، ألمع أحد المهتمين بصناعة التميز بقوله: " التميز هو التفوق في العقيدة والعبادة والعلم والعمل، وهو الذي تصاغ به الشخصية الإسلامية التي تمثل هذا النهج الرباني؛ لتعيد لهذا الدين مكانته في العالمين،" والمتميز حقا هو المتميز في الدين أولا ثم في المجالات النافعة للأمة فقط[1].

وإذا كان التميز في مفهومه المتكامل يشير إلى إتقان العمل وإجادته، وفي تنسيق تام بين الاستعدادات الجسدية والعقلية والروحية في الإنسان، وبينها وبين هدفه في الحياة وعمله الدؤوب في كل مجال من مجالاتها؛ فإنه يجسد بذلك منتهى الكمال في الإتقان والإحسان؛ بل إن التميز لا يمكن تصوره خارج الإتقان والإحسان، ولا يمكن أن يحقق للإنسان السعادة والمتعة والمنفعة، بدون سعي دائم إلى الارتقاء بتصوراته وتصرفاته إلى ذرى الإحسان، وفي جميع مجالات الحياة، وإنما غاية الإنسان من تطوير ذاته ومهاراته إلى الأفضل، أن يكون متميزا في علاقته بالله وبنفسه وبالناس وبالكون. ولعل ذلك ما ستكشف عنه دلالات المصطلح لفظا ومفهوما في سياقاته القرآنية.

---

[1]- يراجع هذا التعريف للشيخ محمد صالح المنجد على موقعه الشخصي: almunajjid.com/lecture/3008

* **في القرآن الكريم**

لعل أهم ما يميز مصطلح التميز في القرآن الكريم وروده القليل، وبصيغتي "**التفعيل**" و"**الافتعال**"، وكلتاهما تدل على المبالغة والتكثير والتصيير، حيث يسجل الرصد المصطلحي أنه جاء أربع مرات، في الصورة الفعلية، منها صيغة الفعل المضارع المسند إلى الله جل جلاله" يميز" مرتين[1]، وإلى النار " تميز" مطاوع ماز[2]، ومنها صيغة الأمر المزيد "امتازوا" الموجه إلى المجرمين[3] ولعل سر وروده البياني في الصورة الفعلية يكشف عنه ارتباط التمييز في سياقاته بأحداث وقعت زمن البعثة المحمدية أو ستقع في المستقبل البعيد والأبدي للبشرية، ومن ثم يفصح هذا الارتباط عن وجود فعل محقق لعملية التمييز وما تقتضيه من فرز و فصل وتمحيص وتصفية، كما دل عليه الأصل اللغوي المتقدم. ولعل تدبر معارض ورود آيات التمييز والامتياز أن يؤكد هذه الإشارات الدلالية الإحصائية، ويبرز أحسن ما يكون التبريز مفهوم التميز المطاوع للتمييز.

وهكذا يذكر الله تعالى تفرده بتمييز المنافق(الخبيث) من المؤمن الخالص الصادق الإيمان في سياق بيان حكمة الابتلاء بهزيمة يوم أحد، وذلك قوله سبحانه في آية آل عمران: 179﴿**ما كان الله ليذر المومنين على ما أنتم عليه حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا وما كان الله ليطلعكم على الغيبِ وَ لكن اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تومِنُوا وتتَقُوا فَلَكُم أَجرٌ عَظِيمٌ**﴾ ومعنى الآية – بإجمال- أن الله تعالى نفى نفيا مؤكدا أن يطلع المؤمنين على ضمائر قلوب عباده، فيعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر، ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء، كما ميز بينهم بالبأساء يوم أحد، وجهاد عدوه، وما أشبه ذلك، حتى يعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم، غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء، فيصطفيه، فيطلعه

---

[1]- في آيتي: آل عمران/197 والأنفال/37.

[2]- في آية الملك: 3.

[3]- في آية يس:59.

على بعض ما في ضمائر بعضهم، بوحيه ذلك إليه[1] والمراد ب (**من**) في قوله: (**يميز الخبيث من الطيب**) " فصل أحد الضدين من الآخر"[2] ولأن الضدين لا يجتمعان فإن الفصل بينهما يقتضي الفرز والتمحيص، بدلالة القراءتين[3] واختلف المفسرون في (الخبيث) فقال بعضهم الكافر[4] والكافر مجاهر بالكفر، واختار بعضهم المنافق، والمنافق أقرب للكفر منه للإيمان، وعليه من الآيات التي قبلها أقوى شاهد، وهو قوله تعالى: الآية167 ﴿**وَمَا أَصابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُومِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لاتبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُم لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**﴾ فبين الله هنا أنه لم يرد دوام اللبس في حال المؤمنين والمنافقين واختلاطهم، وكان المنافقون يكتمون نفاقهم لما رأوا أمر المؤمنين في إقبال، ورأوا انتصارهم يوم بدر، فأراد الله أن يصاب المؤمنون بقرح الهزيمة ليظهر لهم نفاق أعدائهم ويطلعهم على ما في ضمائرهم... وكذلك هي الأحداث المؤلمة التي يجريها الله وفق سننه الحكيمة في الابتلاء؛ جاءت للفرز والتمحيص والتطهير، دل على ذلك ورود لفظي التمحيص والتزكية [5]

---

[1]- يراجع تفسير الطبري: 188/4/3 بتصرف يسير.

[2]- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: 179/4/3.

[3]- قرئ (**حتى يُميِّز**) بالتشديد من ميز: إذا **محص الفرز**، وهي قراءة حمزة والكسائي ويعقوب وخلف، والباقون: (يميز)، من ماز **يميز**؛ إذا **فرز**، وإذا أسند الفعل إلى الله استوت القراءتان: (يراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تفسير آية آل عمران: 197، 279/4، وتفسير التحرير والتنوير، تفسير آية الأنفال:37، 5/ 9/ 342).

[4]- رواه الطبري بإسناده عن قتادة والسدي، ولعل مستندهما في هذا التأويل قوله في الآية التي قبلها: (**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم الآية 187**): (تفسير الطبري:188/4/3).

[5]- ورد لفظ التمحيص في سياق بيان علة القتل يوم أحد، في قوله تعالى:(**وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم الآية154 من آل عمران**) وورد لفظ التزكية في قوله تعالى للمؤمنين في مقام الامتنان، قبل بيان مصيبتهم من الهزيمة : (**لقد من الله على المومنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم الآية 164 من آل عمران**).

قبيل آية التمييز، والمراد بهما التطهير وإزالة ما يشوب القلوب من الخبائث والأدران والذنوب[1]، وبفضل ذلك يتخرج المتميزون والقادة لإقامة دين الله، ويرتقون بازدياد الحسنات وارتفاع الدرجات، وتنمية الأنفس وتقوية العزائم بالدعوة والجهاد والإنفاق في سبيل الله[2]، أما الكفار والمنافقون المتميزون بخبثهم ونكوصهم عن الجهاد والإنفاق[3]، فيتخلص الصف الإسلامي منهم؛ لأنهم ليسوا أهلا للنصر والثواب والارتقاء، بل إنهم يزدادون إثما وتزداد نفوسهم خسة وانتكاسا، وتمتلئ قلوبهم هموما وحسرات، فيكون مآلهم الخسران المبين في الآخرة.

وبما أن التذكير بالآخرة أساس مكين أدار عليه القرآن الكريم معارفه الكونية وبياناته الغيبية وتعاليمه الشرعية، فإن التمييز النهائي والحقيقي للمؤمن من الكافر يتحقق بالتمييز الأخروي، وهو يجسد الحصاد المنتظر من التمييز الدنيوي، لذا فإن معظم ما ورد من التمييز الذي يقود إلى تفرد الطيب وبروزه وتفوقه على الخبيث جاء في سياق الآخرة؛ حيث أسند فعل التمييز إلى الله تعالى، في آية الأنفال/37- على نحو ما مر في آل عمران-: ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ**

1- يؤيد ذلك قول الراغب في تفسير التمحيص من آية آل عمران: " فالتمحيص ههنا كالتزكية والتطهير ونحو ذلك" وقوله في مأخذه الحسي: " يقال: محصت الذهب ومحّصته إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث": (المفردات/محص)

2- وهو الذي نطقت به سورة آل عمران في جملة من الآيات، حيث أشارت إلى قيادة هذه الأمة للعالم، بتقلدها لمنصب خير أمة (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) كما أشارت إلى أن من أعظم الميزات التي استحقت بها الخيرية الدعوة إلى الله:(**تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**) وبينت بعد ذلك أن هذه الدعوة تقتضي بذل المهج والأرواح في سبيل نشرها حتى يعم خيرها العالمين: (**وإذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال الآية121**) ولأن الإنفاق صنو القتال- كما دل عليه نظم القرآن كله- عرجت الآيات، قبل الحديث عن مأساة أحد؛ إلى وصف السباقين إلى الخير بأنهم متميزون بالإنفاق: (**الذين ينفقون في السراء والضراء الآية134**) ثم أشارت إلى أن القرح الذي أصاب المؤمنين في أحد بعد النصر الأبلج في بدر إنما هو تطهير لهم وتزكية لنفوسهم إعدادا لهم لإمساك زمام قيادة المتقين.

3- دل على ذلك قوله عقب آية التمييز:(**ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية 180**) وقبلها بمناسبة الهزيمة: (**قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم الآية 167**).

الْخَاسِرُونَ﴾ فهذه الآية وردت في سياق بيان حكمة الحشر، بدليل قوله في التي قبلها: **﴿والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾** 36 وفي المحشر يميز الله تعالى أهل السعادة من أهل الشقاء[1] والتمييز هنا فصل وتفريق، ونظيره قوله تعالى: **﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾**{الروم: 13}، فرق الله تعالى بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته، وأنزل أهل الكفر ناره ، بما أنفقوا من أموالهم للصد عن سبيل الله[2]، واشتروا بها عذاب الآخرة، وجعل الخبيث بعضه على بعض علة أخرى لحشرهم إلى جهنم، والمقصود زيادة تمييزه عن الطيب ولتشهير من كانوا يسرون الكفر ويظهرون الإيمان[3] ونظير هذه الآية قوله: **﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾** {يس/58} حيث وجه الأمر في مقام التوبيخ إلى الكافرين بصيغة الأمر بأن يمتازوا، والمراد:امتيازهم بالابتعاد عن الجنة، وفي هذا الأمر مبالغة في الإسراع بحصول الميز عن أهل الجنة، ونبه إلى علته بأنهم مجرمون[4]كما نبه بصيغة القصر في الأنفال: **﴿أولئك هم الخاسرون﴾** إلى تأكد تفردهم بالخسران من بين الناس[5]

وفي سياق وصف أحوال أهل النار، الذين كفروا بربهم، من أتباع الشياطين، في قوله تعالى: **﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ﴾** الملك/ 6-7. يأتي التمييز مسندا إلى جهنم، صفة مميزة لها، حيث تظهر جهنم مخلوقة حية تكاد تتفرق على اجتماعها وتتقطع وينفصل بعضها عن بعض[6] من شدة غيضها على الكفار وحنقها بهم.

1- تفسير ابن كثير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: 294/2.

2- تفسير الطبري: 246/9/6 بتصرف.

3- تفسير الطاهر ابن عاشور: 343/9/5.

4- المرجع نفسه، 45/23/11.بتصرف

5- نفسه، 343/9/5. بتصرف

6- ينظر: تفسير القرطبي: 212/18 وتفسير الطبري: 5/29/14.

وهكذا يتضح أن مفهوم التمييز في كل موارده القرآنية يأتي مستصحبا لكل الدلالات اللغوية لمادته الأصيلة، ومتكاملا مع دلالاته الاصطلاحية الإسلامية، ومتجاوزا لدلالاته الإدارية التنموية، المنحسرة في تنافس الدنيا، وهذا التجاوز يمثل هيمنة القرآن الكريم على سائر الأفكار والمفاهيم والثقافات السائدة، ويؤكد حقيقة شمول وتكامل رؤيته للحياة الدنيا والحياة الأخرى، المؤسستين على حكمتين متمايزتين متكاملتين، هما حكمة الابتلاء وحكمة الجزاء،كما نطقت بهما سياقات الورود المتقدمة، وكلتا الحكمتين تترابطان بإرادة الله تمييز الطيب كي لا يختلط بالخبيث في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فبإجراء الأحداث ما يسبب تمحيص الطيبين وإظهار حقيقة إيمانهم وأعمالهم الصالحة، وتضحياتهم في سبيل إعلاء كلمة الله، وكذا فرز الخبيثين وإظهار خسة ضمائرهم التي تصدر عنها مفاسد أعمالهم وأعظمها الصد عن سبيل الله..

وأما في الآخرة ، فيتم التفريق بين الخبيثين والطيبين بناء على ما قدموا من أعمال فاسدة أو صالحة، ولاشك أن هذا التمييز الدنيوي والأخروي يقود إلى التميز المحمود، وهو شارة المؤمن الطيب، وإلى التميز المذموم، وهو أمارة الكافر الخبيث، وعلى هذا، فإن معيار التمييز بين المتميزين والعاديين والفاشلين هو الكفر والإيمان، بدرجاتهما المختلفة، ارتقاء وضعفا وارتدادا، ظلما واقتصادا وإحسانا، وليس-قطعا- ثروات ضخمة تكدس، ومنتوجات بالغة الجودة تسوَّق، وخدمات متميزة تقدم، وامتيازا يُحقق في دنيا الأعمال، في ظل بيئة تنافسية شديدة التعقيد ومجردة في الغالب من العدل والإنسانية، ومن هنا آثرنا في هذه الورقات الاقتصار على دراسة مفهومية لمصطلحات التميز المحمود، الذي يستند إلى النسق المفاهيمي المؤطر للمعرفة القرآنية المتميزة، ويتأسس على الاعتقاد في ذات أعلى والعمل لهدف أسمى. وقبل البداية في هذه الدراسة، نعرج على تعرف العلاقة بين التميز وأوصاف القرآن الكريم وآفاق معارفه الراقية، لنرسم ملامح خصوصيتها الفارقية والتجاوزية...

2- علاقة "التميز" بخصائص القرآن الكريم ومعارفه.

للتعرف على طبيعة العلاقة بين هذا المفهوم في ثوبه الإسلامي القشيب والوحي القرآني ومعارفه، لا بد من بيان المقصود بخصائص الوحي القرآني ومعارفه.

فالقصد من **خصائص** القرآن الكريم ما دل على فضله وخصائصه ومميزاته عن الكتب الأخرى؛ مما ذكر من أسماء وأوصاف استعملها القرآن نفسه للتعريف بنفسه، وأما **معارفه**، فهي مفرد معرفة، من فعل(عرف)، والمعرفة إدراك الشيء أو الشخص بأي مرتبة من مراتب الإدراك؛ أي لا يشترط فيها الجزم، كما هو الشأن في لفظ العلم، وهي تكاد تختص بالمعارف التي يتقنها البشر[1] ولكن حين تطلق المعرفة على معارف القرآن الكريم؛ فإنما يقصد بها في هذا البحث: مجموعة التصورات والمعلومات والحقائق اليقينية المودعة في القرآن الكريم، والمستوعبة للنظام المعرفي الإسلامي، في عقيدته وشريعته، والمؤدية إلى غايات وأهداف خاصة.

ولعل هذا التحديد الذي قدمت يتلاءم مع كون القرآن الكريم يقدم أفضل التعاريف به، تعريف منزله ومبدعه تعالى شأنه، متجاوزا به تعاريف المتكلمين والأصوليين[2]، ومن ثم يقدم أفضل طرق معرفة تميز القرآن عن سائر الكلام، كما يتلاءم هذا التحديد مع كون القرآن الكريم مصدرا هاما من مصادر المعرفة اليقينية، يتميز بقدرته على الاستمرار في العطاء والإحاطة التامة والمعرفة المستغرقة، التي تقدم التصور السليم عن الله والكون والإنسان والحياة، وهو أساس النظام المعرفي القرآني.

[1]- نحو منهجية معرفية قرآنية، محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة، طه جابر العلواني، سلسلة كتاب فلسفة الدين والكلام الجديد، دار الهادي، بيروت- لبنان، ص: 302- بتصرف-

[2]- وكان القصد من تعريفاتهم تقريب معنى القرآن الكريم وتمييزه عن بعض ما سواه، بيد أنها ظلت مصطبغة بالخلافات التاريخية والجدالات الكلامية- منذ القرن2ه- ومقتصرة على إعمال الطريقة الأصولية التقليدية في صياغة التعريف، والتي روعي فيها وجود القرآن الظاهري اللفظي دون اعتبار مضمونه وخواصه وأهدافه في الغالب.

وإن المصاحب للقرآن المجيد، والمنقب عن خواصه الفاصلة والمميزة، يجد كلمات مفتاحية تعرف باسمه وبمصدره وبأوصافه ومميزاته التي يتقدم بها على سائر الكلام والكتاب، ولعل أهمها من منظور هذا البحث ألفاظ" **الفرقان**" و" **التتريل**" و" **العلو**" "**والهيمنة**"؛ ففي "**الفرقان**" قال سبحانه في مقدمة سورة الفرقان، موجها إلى السير وفق إرشاداته وإنذاراته: ﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**﴾ {الفرقان/1} فالقرآن الكريم سمي فرقانا[1]، وفي التعريف بهذا الاسم دلالة على الفصل والتفريق، المضمن في المعنى اللغوي للتمييز؛ لأن القرآن "فرق بين الحق والباطل"[2] في الاعتقاد والصدق والكذب في القول والصالح والطالح في الأعمال[3] وعليه، فالقرآن مميِّز، ومتميز بهذا التمييز الذي بلغ الذروة العليا من التفرقة بعد نزول آياته البينات.

وفي "**التتريل**"، وهو اسم يعرف بمصدر القرآن، يؤكد رب العزة على أن القرآن أنزله رب العالمين: ﴿ **وإنه لتتريل رب العالمين**﴾ {الشعراء/192}، وفي معنى مادة "**التتريل**" وصيغته دلالة على علو القرآن وتميزه وتفرده؛ إذ يقصد بمعنى التزول لغة الانحطاط من علو[4] وبصيغته في الآية نزول القرآن مفرقا ومرة بعد أخرى[5] بخلاف الكتب السماوية من قبله نزلت جملة[6] وقبل هذا التزول المفرق، خص الله تعالى هذا القرآن، تمييزا له وتشريفا، بتزول أول إلى اللوح المحفوظ، كما دلت عليه آية البروج[7]، وبتزول ثان جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، كما

---

[1]- وكذا التوراة والإنجيل: المفردات/(ف ر ق).

[2]- بتوجيه مجاهد: ينظر الإتقان: 52/1.

[3]- المفردات/(ف ر ق)

[4]- المفردات/(ن ز ل).

[5]- كما بينه الراغب في سياق تحديد الفرق بين التتريل والإنزال: (المفردات/ ن ز ل).

[6]- كما اشتهر ذلك بين جمهور العلماء، حتى يكاد يكون إجماعا: (مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، ط3 : 53/1).

[7]- في قوله تعالى: (**بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ**): {البروج:21-22}.

أيدته آيات القرآن والأحاديث الصحاح[1]، وكل هذه التنزلات تدل على علو مصدر القرآن الكريم ورفعة أماكن نزوله، ومع هذا العلو والمنزلة الرفيعة، يتفرد القرآن بين الكتب بصلاحية تنزله تنزيلا في الزمان والمكان وفق حاجات الناس ووقائع الأحداث.

ولعل هذا العلو المتميز يعبر عنه كذلك وصف الله تعالى لقرآنه ب"**العلو**" و"**الحكمة**"، في مقام الامتنان بنعمة إنزاله والرد على المكذبين به، حيث قال:﴿**وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم**﴾ {سورة الزخرف:3}. وأصل العلي المرتفع، وهو هنا مستعار لشرف الصفة[2] وعلوه تمتد جذوره في الكتاب المكنون، المستقى من العلم الإلهي، وعبر عنه بأم الكتاب، " بمعنى المكتوب؛ أي المحقق الموثق، الذي لا يقبل التغيير"[3] وناسب هذا المعنى وصفه بالحكيم؛ لأن آياته أحكمت بحسن النظم وإحكام الترتيب وجوامع المعاني، وأحكمت عن تطرق التبديل والتحريف والاختلاف والتباين[4] وفي شهادة منزل القرآن بعلو القرآن وحكمته دلالة واضحة على تميز مكانته في علم الله وتقديره، وتميزه عما سواه من الكلام والكتاب، وهو في علوه وحكمته يشرف على البشرية ويهديها ، ويهيمن على الكتب السابقة في صورها الصحيحة والمحرفة، وكذا على كل الأفكار السائدة والمفاهيم المستقرة في عالم البشر، ومن هنا وصفه مبدعه سبحانه ب"**المهيمن**" في قوله بعد ذكر إنزال التوراة والإنجيل: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**﴾ {المائدة:48} وفسر "**المهيمن**" في الآية بالعالي والرقيب

1- تراجع فيما نقله السيوطي من آثار السلف، ومن ذلك- مما يتصل بالمعنى اللغوي للتميز- ما أخرجه الحاكم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: " **فصل القرآن من الذكر** فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم": الإتقان في علوم القرآن: 41/1.

2- التحرير والتنوير: 162/25/12.

3- المرجع نفسه.

4- يراجع هذا المعنى في دلائل النظام، الفراهي:33، والإتقان: 52/1-53.

والشاهد على جميع الكتب والأمم السالفة[1] وذكر إزاء "المصدق"، ومعناه أنه محقق[2] لما صح من هذه الكتب بإقرار الصالح من أحكامها وأعرافها، وتغيير الطالح منها وكشف مفاسده[3] ويبدو أن خصيصة التصديق، بدليل الآية السابقة[4] ميزة تشترك فيها جميع الكتب المترلة، وتستلزمها سنة التكامل بين شرائع الأنبياء، أما خصيصة الهيمنة فقد تفرد بها القرآن الكريم، وفي اقترانها بالتصديق، بالمعنى المتقدم، إشارة إلى أنها متضمنة لدلالات العلو والارتفاع والتجاوز، وذلك من خلال فسح القرآن الكريم وتوسعته لآفاق المفاهيم والأحكام السابقة[5]، بشكل شمولي ومستغرق لكل زمان ومكان، وبهذا المعنى تؤكد خصيصة الهيمنة خاصية الاكتمال في الوحي القرآني الخاتم، والاكتمال دليل الأفضلية والتميز، وتؤيد آيات القرآن هذه الميزة بصيغة التفضيل " **أحسن**" في مثل قوله تعالى: ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني**﴾: {الزمر:23} فبين الله تعالى أنه يأتي بأمر واحد مرة بعد مرة، يشبه بعضه بعضا، والعقل ينتقل من الشبيه إلى الشبيه حتى يحصل لديه الفهم على الوجه الأتم الأكمل[6] وأيضا في قوله تعالى : ﴿**واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**﴾ {الزمر:55} وفيه إيذان بارتقاء الوحي الإلهي المترل إلى درجة الامتياز بحيث أصبح الوحي الأحسن والأكمل والأمثل، وفي قوله تعالى، في

1- يراجع في التحرير والتنوير: 6221/4 والإتقان: 53/1.

2- وإلى هذا المعنى الإشارة في قول الراغب:" ويستعمل التصديق في كل ما فيه تحقيق": المفردات/ (ص د ق).

3- ينظر: بحث التصديق والهيمنة مكونا من مكونات المنهج النقدي في القرآن الكريم، د. أحمد عبادي/69، بتصرف: (ندوة قضايا المصطلح في العلوم الشرعية، منشورات جامعة القرويين، ط2011/1م)

4- الآية 47 من سورة المائدة.

5- ينظر مثلا توسعة المفهوم القرآني لكلمة " الرب" للمفاهيم السابقة (يراجع الدراسة المصطلحية للكلمة عند الإمام أبي الأعلى المودودي ضمن مؤلفه: المصطلحات الأربعة في القرآن، تعريب محمد كاظم سباق, دار العروبة للدعوة الإسلامية, لاهور, 1955،ص: 32- 92) وكذا توسعة وإكمال عبادة الصلاة بإضافة الركوع إلى حركة الوقوف(اليهودية) وحركة السجود(المسيحية): (يراجع بحث: التصديق والهيمنة مكونا من مكونات المنهج النقدي في القرآن الكريم، د. أحمد عبادي/70)

6- ينظر: دلائل النظام، الفراهي/52،31. بتصرف.

مقام تمييز عباده المؤمنين الكمل: ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب**﴾ {الزمر: 18} فالقول هو "جنس القول" وأحسنه وأكمله على الإطلاق كلام الله، كما قال في الآية المتقدمة، "ودل تعريف الألباب على معنى الكمال، وبأنهم أهل بصيرة يميزون بين الهدى والضلال والحسن والقبيح، كما دل إعادة اسم الإشارة (**أولئك**) إلى تمييزهم بصفة اتباع أحسن القول الذي بلغهم من بين نظرائهم وأهل عصرهم"[1]. ولعل هذا الحسن المتميز الذي بلغ درجة عالية من العلو والكمال في الوحي القرآني، يتجلى بوضوح في نظام مبانيه ولطائف بلاغته وأسرار معانيه وكلية مقاصده وسمو مطالبه...؛ فمن مميزاته البنائية أنه نظام من المفاهيم، المكتنزة لأسس المعرفة القرآنية، والمتعالقة فيما بينها لتشكل شبكة بالغة التعقيد والتركيب من الأنساق المفهومية، التي تفتح أبوابا من التأويل الأحسن والفهم الكلي المنظم[2] وبهذا النظام المتسق المحكم الروابط، الذي فاق حسنه كل ما عرفه العرب من فنون التركيب والنظم، بلغ القرآن الكريم كمال البلاغة وحسن البيان، فكان من مميزاته البيانية أنه اختار من الكلمات أحسنها ملاءمة لمراد الله من خطابه، فجعلها مفاتيح لمفهوماته، لاتقبل التغيير والتحويل في المواقع والنسب والروابط، كما اختار أسلوبا "يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، فليس هو من قبيل الشعر ولا من باب السجع وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه" ولا خلاف عند فرسان الإعجاز في تقدم القرآن على سائر الكلام، وسبقه في البلاغة والفصاحة والتصرف البديع[3]وهذا التميز النسقي واللغوي هو الذي نشأ عنه التميز الباهر في تصورات الوحي القرآني ومعارفه؛ حيث نقل القرآن الكريم من خلال

1- يراجع تفسير التحرير والتنوير: 11/24/365-367 بتصرف.

2- يراجع في ذلك دلائل النظام: 53،52، والله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، توشيهيكو إيزوتسو، ترجمة وتقديم: د هلال محمد جهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1/2007م، ص: 43-45.

3- ينظر: إعجاز القرآن، الباقلاني: 1/55-56، بتصرف.

استعماله السياقي للكلمات والمفاهيم تصورات العربي للمعرفة والقيم والوجود الإنساني من الدلالات العامة العادية، المرتبطة بأفكاره المحدودة وحاجاته التكاثرية إلى دلالات خاصة تختزل الرؤية القرآنية الخاصة لخالق الكون سبحانه وللإنسان والوجود برمته، والتي تسري في كل معارف هذا الوحي القدسي وحقائقه، وتصبغها بصبغة الله القدسية، ومن أحسن من الله صبغة، ومن هنا صارت معارف القرآن الكريم تجل كلي للجمال المتميز والتميز الفائق الجمال، وتميزها نابع من:

* **القوة والهيمنة**، وهي خصيصة اكتسبتها من قوة القادر سبحانه، الذي لايرد له أمر، ولا يغالب له قهر، ولا يدافع له عذاب واقع

* **الامتداد والاستيعاب:** بسبب ما تضمنته من امتداد لأبعاد الوجود والإنسان، واستيعاب لإجراءات الربوبية في كل شيء، وجامعية خارقة للألفاظ والدلالات...

* **الوحدة:** وهي مظهر ساطع لعظمة الألوهية ووحدتها، وتُلمس في منطق التكامل الحاصل بين عقائد القرآن وشرائعه وأخلاقه ومواعظه وزواجره وقصصه وإخباراته، مما يجعل عيون معارفه تتساوق على صعيد واحد وفي انسجام باهر، من أول القرآن إلى آخره.

وهكذا يتبين أن التميز خصيصة عليا ترتبط بالقرآن ومعارفه ارتباط الصفة بالموصوف، فتزيد حقيقته وخصوصيته وضوحا وبروزا وقوة؛ ولا غرو فهو كلام الله الذي تميز عن غيره من الكلام، فاختار له سبحانه من الأسماء والأوصاف أدقها وأجمعها وأبلغها، وقدر له من النسب والروابط أحكمها، وضمنه من المعارف والحقائق أجلاها وأجودها وأكملها، وركبها في جذور أعماق النفس البشرية وفي أصول منطقها الفطري، الذي يفرق بين الحسن والقبيح والمتميز والعادي في كل شيء، ولعل فيما سيأتي بعد مزيد إيضاح لهذا التميز في المعارف النورانية...

ثانيا: عرض مصطلحي لمفاهيم التميز في معارف الوحي القرآني:

إن المطالع المتدبر لمفردات القرآن الكريم يلحظ أن الله تعالى انتقى أدق الألفاظ وأمسها رحما بمعاني السبق والتفوق والتفرد والبروز والارتقاء، المستعملة في الدلالة على التميز لغة واصطلاحا. ولعل الوقوف مع بعض فصوص العقد المصطلحي للمفهوم في موارده وصوره واستعمالاته المختلفة أن يبرز لنا أصالته وموقعه المتميز في النسق المفهومي والمعرفي القرآني.

1- مصطلح التفضيل

ينتسب هذا اللفظ إلى مادة (ف.ض.ل) ومدارها على الزيادة في شيء، ومنه الفَضل: الزيادة والخير[1] وبملحظ من هذا المعنى اللغوي، استعمل القرآن الكريم مصطلح "**التفضيل**" في نحو ستة عشر موضعا، أغلبها في السور المكية، واطرد إسناده في الصورة الفعلية إلى الله تعالى، دلالة على أن التميز اجتباء وإنعام رباني، وذلك في موقف الامتنان على الإنسان بما تفرد به نوعه دون سائر الكائنات من الاستعدادات الفطرية، وبما خص به من النعم والإمكانات المادية، بصريح قوله تعالى في آية الإسراء:70﴿ **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾، وورد أيضا في معرض إظهار التمييز بين الرسل في المعجزات والكرامات بنص آية البقرة:251 ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله**﴾ وبين المجاهدين والقاعدين، في الصبر وقوة الاحتمال والعطاء، وفي الثواب، بتصريح آية النساء: 94 ﴿**فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما**﴾ وبين الرجال والنساء في القدرات والإمكانات والمهام؛ بآية النساء: 34 ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**﴾ ومرد هذه الدلالات السياقية وغيرها إلى معنى **الزيادة المحمودة**، التي ميز الله بها بني البشر عن سائر

[1] - ينظر مفردات القرآن، ومقاييس اللغة/ (ف ض ل).

المخلوقات بصفة عامة وميز بها بعضهم عن بعض، وميز بها خواصهم بصفة خاصة، وتتعلق في مجملها بالقدرات الروحية والعقلية والجسدية والإمكانات المادية، والتي لها آثار محمودة في العاجل والآجل، إذا أحسن الإنسان استخدامها في طاعة الله تعالى ذي الفضل العظيم.

2- مصطلح " الحسن" و" الأحسن"

الحسن "مصدر حسُن يحسن حسنا"[1]، ويدل على " **كل مبهج مرغوب فيه**"[2] حسا ومعنى، ويبدو أنه أخذ من معنى **الزينة الحسية عالية الجودة**، الذي دل عليه استعمال العرب لبعض اشتقاقات المادة؛ حيث يقال: **حسنت** الشيء تحسينا : **زينته**، وسمي القمر "**الحاسِن**" لنوره وجماله، والشجر الأملس الشاهق ليس به صدع ب"**الحَسَنة**"؛ لاستوائه وارتفاعه[3] ولعل الأهم والأغلب في استعمال القرآن الكريم لمصطلح "**الحُسن**" **الزينة المعنوية**، ولها علاقة بحكمة الله في خلقه وأمره وبواجب عبودية الإنسان اتجاه خالقه في الدنيا وبثمار سعيه في الآخرة، ومن ثم ورد هذا المصطلح في نحو مائة وعشرين موضعا، صفة لخلق الله وللقرآن والأعمال والأقوال والدين والحكم والجزاء، ومعظم وروده في الصيغة الاسمية، الدالة على الثبوت؛ ومنها اسم الفاعل، مفردا وجمعا "**محسن**" و" **محسنون**"[4] ووردت نعتا للمتميزين من عباد الله تعالى المتقين؛ يؤيد ذلك دلالة صيغة اسم الفاعل على كون الصفة مقصودة لهم، وملتصقة بهم ومميزة لهم بين الناس، بصريح مثل قوله تعالى: ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾ {النحل/128} ومن أشكال هذه الصيغة أيضا لفظ " **الحسنة**"[5] المقابل **للسيئة**، وجاء نعتا للأقوال والأعمال وثوابها في الدنيا والآخرة؛ في مثل قوله تعالى عن عباده المؤمنين الذين امتازوا

1- ينظر لسان العرب/ (ح س ن)

2- ينظر مفردات القرآن/(ح س ن)

3- ينظر لسان العرب/(ح س ن)

4- وو روده نحو 37 مرة.

5- وجاء مع جمعه"**حسنات**" نحو31 مرة

بالتقرب إلى ربهم بالصبر والصلاة والعطاء والخلق الحسن: ﴿ **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار**﴾ { الرعد: 24}

ولعل من أهم صيغه حضورا في القرآن الكريم صيغة التفضيل(**أحسن**) [1]، **وفيها دلالة** على ثبوت هذا الحسن لمتعلقاته[2] وأنه نوع متميز من الحسن، قد بلغ المنتهى في الجمال والجودة والعلو والكمال المعنوي، ومن ذلك قوله تعالى في نعت خلقه للإنسان بأنه الأجود والأصلح والأرقى : ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ {المومنون: 14} ونعت سبحانه كتابه بأنه الأرقى نظاما والأحكم تقديرا وتناسقا ووحدة:﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني الآية**﴾ {سورة الزمر/ 22}، وقوله مبينا أن المحسن هو من يتبع أحسن الأديان، دين الإسلام، **فيتميز** بإسلام الوجه لله واستشعار رقابته وخشيته في أعماله كلها: ﴿ **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن الآية**﴾ {النساء/ 124} وقوله سبحانه يعد المتقين بجزاء أخروي يليق بكرمه ويفوق ما قدموا من أعمال في الدنيا:﴿ **ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ { سورة النحل/97} [3] وقد بين الله هذا الأجر الأخروي، فنعت أصحاب الجنة بأنهم خير مترلا وأحسن قرارا من أهل النار في الدنيا والآخرة: ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**﴾{ الفرقان/24} وفيه دلالة واضحة على تميز أصحاب الجنة وعلو

---

[1]- وجاءت في 34 موضعا.

[2]- دل على ذلك دلالة بناء" أفعل" في اللغة على الثبوت.

[3]- ويحكي الطبري –بإسناده- عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل ملل شتى تفاخروا، فقال أهل كل ملة منها: نحن أفضل، فبين الله لهم أفضل أهل الملل، وهي رواية- إن صحت- توجه الآية إلى تأكيد التميز والفضل لهذه الأمة:(تفسير الطبري: (173/14/8).

درجاتهم وأفضليتهم على المشركين الذين كانوا يفتخرون بأموالهم وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا[1]

3- مصطلح الإتقان

ينطوي تحت مادة (ت.ق.ن) أصلان دلاليان، أحدهما: **إحكام الشيء**، والثاني: **الطين والحمأة**[2]ومنه "**تِقن**" اسم رجل كان **جيد** الرمي، ويقال: **تقِنوا** أرضهم، إذا أصلحوها ب**التِّقن**- بكسر التاء-؛ أي : أرسلوا فيها الماء الخاثر **لتجود**[3]، وعلى هذا، فمدار "**الإتقان**" على معنى **الجودة الخالصة** التي بها صلاح الأمور كلها، وفيه إشارة إلى التفوق والرقي في الأداء، وهذا المعنى تجده ثاويا في استعمال القرآن الكريم للمصطلح، في سياق بيان جودة الصنعة الإلهية المقدرة بإحكام، وفق العلم والخبرة والحكمة، بصريح قوله تعالى: ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ إنه خبير بما يفعلون**﴾ {النمل/88} وقد دل على هذا الصنع المتقن، المتره عن العيب والقصور والخطأ والاختلال قوله تعالى ﴿**الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير**﴾ {الرحمن/3}.

ومما يؤكد معنى الجودة والإحسان المضمن في مصطلح الإتقان اقترانه ب" **الصنع**" ومداره في اللغة على "**عمل الشيء بإجادة وإحسان**"[4] وجاء مذيلا في آية النمل بتقرير الخبرة الإلهية بأعمال العباد[5]، مما يعني أن إجادة العمل تستلزم خبرة خاصة، وإجادة الإنسان لعمله-

---

1- ينظر ما يؤكد ذلك في تفسير الطبري للآية: (5/19/11).

2- ينظر مقاييس اللغة/ (ت ق ن)

3- ينظر لسان العرب ومقاييس اللغة/ (ت ق ن)

4- ينظر هذا المعنى بألفاظ متقاربة في : مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، ولسان العرب، ومفردات القرآن، والقاموس المحيط/ص.ن.ع

5- وذلك يتكامل مع ما جاء في القرآن مكررا من دلالة الخلق على المعاد والحساب.

ولله المثل الأعلى- تستوجب مراقبة دائمة لله سبحانه، الخبير بما يصنع العباد، ومن هذا الوجه يرادف الإتقان الإحسان في القرآن[1]، إلا أن الإحسان أعمق وأشمل من الإتقان؛ لأنه بالدرجة الأولى قوى داخلية تتربى في ضمير الإنسان وكيانه الداخلي وتشعره بأن الله يراه[2]، ومن ثم فهو يعم كل أعمال العبادة الكلية وثوابها، وخاصة الروحية والسلوكية والاجتماعية[3]؛ بينما الإتقان يكاد يتمحض للدلالة على معنى تحري الجودة في الأعمال المحسوسة، ومنها خلق الله، وما يقتضيه من تقدير وتدبير ورعاية وإصلاح، وكذا سائر الصناعات والمهارات التي يحذقها الإنسان في عالم الإنسان[4] والتي تكون ثمرة للإحسان، وذلك ينطبق على كل عباداته ومعاملاته[5].

4- مصطلح الخير

يندرج في مادة (خ.ي.ر) ومن دلالاتها: الميل والرغبة إلى الشيء النافع[6]،ومن ذلك الفضل: "**يقال**: رجل **خَيِّر** وامرأة **خيِّرة**: **فاضلة**" و" وهذا **خير** الرجال... **والخير**: **الفاضل**

1- دل على ذلك التناظر بين آية النمل- مورد المصطلح- وآية السجدة: 6 (**الذي أحسن كل شئ خلقه**)

2- وهو الذي بينه حديث رسول الله في تعريف الإحسان، حيث قال: (**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**): جزء من حديث جبريل، المروي عن أبي هريرة: البخاري في التفسير(4777)

3- يراجع دراسة الباحثة لمفهوم الإحسان ومراتبه في القرآن الكريم ضمن كتاب: مفهوم الأمر في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، دار ابن حزم، بيروت، ط1/ 2010، 2/ 584- 588.

4- ومثل ذلك ما أتقنه داود عليه السلام من صناعة الدروع، بتعليم الله إياه، وذلك قوله تعالى: (**وعلمناه صنعة لبوس لكم الآية**): الأنبياء/ من الآية 79.

5- بدليل ما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإتقان، حيث قال عليه السلام: (**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**): (رواه الألباني في السلسلة الصحيحة، عن عائشة رضي الله عنها، رقم: 1113، مكتبة المعارف، ط/1) وفي إطلاق لفظ العمل إيماء إلى أن الإتقان يجب أن يكون سلوكا للمؤمن في كل أعماله، وفي اقترانه بمحبة الله إشارة إلى أن العمل سيعرض عليه، لذا يجب أن يكون على الصورة التي نحب أن يراها ربنا ورسوله.

6- مقاييس اللغة والمفردات/ (خ ي ر).

المختص بالخير"[1] وفيه إشارة إلى معنى **السبق والتقدم على الغير في الصلاح والفضل**[2]، وهذا المفهوم اللغوي ليس ببعيد عن استعمال الخير في القرآن الكريم، حيث أسفر البحث عن أكثر موارده في القرآن الكريم[3] أنه جاء صفة دالة في الغالب على معنى الأفضلية المتضمنة للمصلحة والنفع في الدنيا والآخرة، وتتعلق بأفعال الله الحكيمة وتكاليف شريعته العظيمة ، لذا اقترنت هذه الصفة بذات الله ونعوت كماله وجلاله وكمال ربوبيته؛ كالذي في قوله تعالى في مقام تسلية رسوله الكريم: ﴿**واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين**﴾{يونس: 109} وقوله: ﴿**ورزق ربك خير وأبقى**﴾{طه: 130}، كما اقترنت بأحكام شريعته العظام؛ كالأمر بالصيام في قوله تعالى مرغبا في الصوم: ﴿ **وأن تصوموا خير لكم**﴾ {البقرة/183} والأمر بالصبر والتقوى والصدق، في قوله تعالى: ﴿**وأن تصبروا خير لكم**﴾ {النساء/25} وقوله: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾{الأعراف/26} وقوله: ﴿ **فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم**﴾{محمد/21} وجاءت هذه الصفة المميزة مرتبطة بلفظ "**أحسن**" تذييلا لطائفة من الأوامر والنواهي الخاصة؛ الموجهة للأفراد والجماعات من الأمة الإسلامية، والهادفة إلى تنظيم حياتهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ وذلك تنبيها على رفعة شأنها في ميزان الله باعتبار عاقبتها الحسنة ونفعها العميم في الدنيا والآخرة؛ وأهمها الأمر بعبادة الله، و الإحسان إلى الوالدين والأقربين والمساكين، والوفاء بالعهد وتوفية الكيل، وطاعة أولي الأمر، والنهي عن المن بالصدقة، والإسراف، و الزنا، والقتل...، وذلك في آيات الإسراء من قوله تعالى: ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**﴾ إلى قوله: ﴿ **وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾{الإسراء/23-35} وقوله تعالى في آية النساء: ﴿**ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**

---

[1] - المفردات/ (خ ي ر).

[2] - يؤكد ذلك ما في المفردات، ص: 164.

[3] - وعدد وروده 139 مرة.

وأولي الامر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا﴾ {النساء/58 } وفي سياق آخر يقرر القرآن الكريم أن تزكية المؤمنين لأنفسهم بهذه التكاليف وغيرها يوجب عليهم أن يدعوا البشرية إلى ما فيها من الحق والخير، من خلال قيامهم بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الذي يجعل منهم-بحق- أمة متميزة بالخير، مقدمة على كل أمة أو ملة أخرى، وذلك قوله تعالى في مقام التنويه بمنصب هذه الأمة الرفيع "خير أمة": **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** {آل عمران/110}.

5- مصطلح السبق

" السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على **التقديم**"[1]، ومنه **السَّبق: القُدمة في الجري وفي كل شيء**[2] وهذا المعنى المداري، بما يكتنز من التنافس على كسب المواقع المتقدمة تجده ماثلا في كثير من اشتقاقات المادة؛ ومن ذلك قول العرب للذي **يسبق** من الخيل "**سابق**" و"**سبوق**"، و"**السَّبَق**" – بالتحريك- الذي يوضع في النضال والرهان في الخيل"[3] ثم استعمل السبق في **إحراز الفضل والتبريز**[4] وهو يتضمن معنى التميز، ومعظم ما ورد من صيغ المصطلح[5] في القرآن الكريم دل على **التقدم والأولية في الأعمال والأقوال**[6]، وهو يتكامل مع

1- المقاييس/ (س ب ق)

2- لسان العرب/(س ب ق)

3- لسان العرب/(س ب ق)

4- المفردات/(س ب ق)

5- ورد مصطلح السبق نحو 36مرة.

6- كالذي جاء في وصف كلمات الله الأزلية في مثل قوله تعالى:(**ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم**): فصلت/45. وقوله في وصف المهاجرين والأنصار الأول: (**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**): التوبة/ من الآية 101.

هذا المعنى ، ومواضع استعماله يسيرة وأغلبها مكية، انتظمت في صيغة فعل الأمر: ﴿**سابقوا**﴾[1] ﴿**استبقوا**﴾[2] وفي صيغة اسم الفاعل: ﴿ **والسابقون السابقون اولئك المقربون**﴾ {الواقعة/12-13} دلالة على كون صفة السبق متلبسة بأهل الفضل والقرب ومميزة لهم بين الناس، وهو يومئ إلى ثباتهم وإصرارهم على تحقيق التميز والسبق والتفوق على الآخرين في سباق الفوز بثواب الله وجنته بإذنه سبحانه، لذا اطرد وروده وصفا للمؤمنين المتميزين، في مقام التحفيز على المسارعة إلى الخيرات والاستباق فيها[3]، وهو مقام المحسنين[4]، وفي مقابل وصف الكافرين والمستكبرين في الأرض بأنهم ما كانوا سابقين، وإن ظنوا أنهم سابقون، كما قال سبحانه:﴿ **ولايحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لايعجزون**﴾ {الأنفال/ 60} وقوله: ﴿**فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين**﴾ {العنكبوت39 }

6- مصطلح الاجتباء

الاجتباء افتعال من " **جبَبَت الشيء إذا خلَّصته لنفسك**" ومداره على **الجمع والتحصيل**، ومنه **جبَبت** الماء في الحوض: **جمعته وحصلته**[5] و"**الجابي**: الذي **يجمع** الماء للإبل"[6] ثم استعمل الاجتباء معنويا في الجمع على سبيل الاصطفاء والاستخلاص والاختيار[7]، ودلالته

---

[1]- في آية الحديد: 20(**سابقوا إلى مغفرة من ربكم...**).

[2]- في مثل آية البقرة: 147(**ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات**).

[3]- في قوله تعالى: (**أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**): المومنون: 62.

[4]- وهو المفهوم من مجيء " **سابق بالخيرات**" بعد "**الظالم لنفسه** "و"**المقتصد**" ، فالمحسن يتفوق على الظالم لنفسه، أي المسيء، وعلى المقتصد، وهو المتوسط بين المسيء والمحسن، بتعبير الآية الكريمة: (**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**): فاطر/32.

[5]- لسان العرب وكذلك المفردات/ (ج ب ب).

[6]- لسان العرب / (ج ب ب).

[7]- وهو الذي صرح به الراغب الأصفهاني بقوله: " الاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء" وفي بيانه لمعنى الاصطفاء كما سيأتي: (المفردات/ جبي، وصفو)

واضحة على التميز والاختصاص بأشكال من النعم غير العادية، وهو المفهوم من استعمال المصطلح في القرآن الكريم؛ حيث ورد في تسعة مواضع، موزعة بين ثماني سور مكية[1]، وسورتين مدنيتين[2] ودل إسناده في الصورة الفعلية إلى الله سبحانه، واختصاصه بالأنبياء عليهم السلام خاصة ومن يقاربهم من الصالحين عامة، واقترانه بلفظي الهدى والنعمة؛ متصلين تارة ومنفصلين تارة أخرى؛ على أن الله هو مصدر الاجتباء، وأنه الفاعل والمفعل له، واجتباؤه تشريف لخواص عباده وتمييز لهم بفيوضات إلهية يتحصل لهم منها أنواع من النعم والآلاء التامة، وأعظمها النبوة والكرامات والتمكين المعنوي والمادي في الأرض، وذلك في مثل قوله سبحانه في آدم- أب الأنبياء-: ﴿ **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**﴾ وقوله في تمييز رسل الله عامة ورسوله خاصة بالأسرار الغيبية، ومنها الاطلاع على ما في بعض قلوب العباد من الإيمان والكفر:﴿**وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**﴾{آل عمران:197}، وقوله سبحانه عن اختياره يوسف عليه السلام للنبوة وتخصيصه بميزة العلم بتأويل الرؤى: ﴿ **وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب**﴾ {يوسف:6} وقوله عن اختياره سبحانه لنفسه من يشاء من خلقه للإيمان به وطاعته:﴿ **الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب**﴾ {الشورى: 11} وبين تعالى في مواضع أخر أن منهم المؤمنون من هذه الأمة، كما في قوله ﴿**هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾ {الحج /77-78}.

---

[1]- وهي: يوسف والقلم والأعراف والأنعام وطه والنحل والشورى ومريم.

[2]- وهما سورتا آل عمران والحج.

7- مصطلح الاصطفاء

مشتق من مادة(ص.ف.و) وتدل في اللغة على " **خلوص الشيء من الشوب**"[1] ومنه **الصفا** للحجارة الصافية و" **الصَّفِي**: الخالص من كل شيء"[2] **والاصطفاء**: "تناول صفو الشيء كما أن الاختيار تناول خيره والاجتباء تناول جبايته"[3] وهي دلالات تؤكد معنى الاختيار بين الأخيار واستخلاص الصفوة من الناس، وفيه إشارة إلى معنى الإتقان والجودة وخالص المودة .

واستمدادا من هذه المعاني المتقاربة، ورد الاصطفاء في القرآن الكريم ، كسابقه، مسندا إلى الله جل جلاله، ومقترنا بالدين والرسالة، وحسن العبادة، والعلم، والمظهر القوي؛ كالذي في قوله تعالى مخبرا عن وصية يعقوب لبنيه: ﴿ **إن الله اصطفى لكم الدين**﴾ {البقرة:131}. وقوله سبحانه مخبرا اليهود عن صفة طالوت : ﴿**إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم الآية**﴾{البقرة:247.} وقوله منوها بإبراهيم صفي الرحمن وخليله:

﴿**ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة من المقربين**﴾ {البقرة129} ومذكرا نبيه بآل إبراهيم أصحاب التميز بالعبادة والطاعة، الذين خصصهم الله سبحانه واختارهم من بين خلقه بالعمل للآخرة والتذكير بها:

﴿**واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الايدي والابصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار**﴾ {القصص :26} وقوله في أفضلية موسى عليه السلام: ﴿**إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي**﴾ {الأعراف:14} وفي هذه الآيات دليل آخر على أن الله فاعل مختار، ينتقي عباده المخلصين من أحسن المعادن والخامات؛ لحمل أمانة وحيه ودينه وتبليغ رسالته، لذا أورثهم الله إمامة المتقين وقيادتهم في طريق

---

[1]- المفردات/ (ص ف و).

[2]- لسان العرب/(ص ف و).

[3]- المفردات/(ص ف و).

التميز بدلالة الآية الكريمة: ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا موقنين**﴾ {سورة السجدة: من الآية24} والإمامة تميز ورفعة وعلو.

استنتاجات ومستفادات

إن معارض الورود المصطلحي اللافت لمفاهيم التميز يوحي بأمرين:

* أن ورود جل مصطلحات التميز في السور المكية يدل دلالة واضحة على أن التميز من أعظم دلائل وتجليات ربوبيته تعالى للكون والخلق، بما تعني من صنع متقن، و تربية وتعهد وإصلاح ورعاية متميزة وإنعام تام، ومن هنا يصير التميز طريقا مستقيما يفضي إلى معرفة الله تعالى واستجلاء كمال نعمه ومن ثم محبته والقيام بأعباء رسالته، واليقين بلقائه.

* أن المتميزين في الرؤية القرآنية فضلوا على غيرهم بالإيمان وقوة العبادة والعلم النافع والعمل الصالح والبصيرة النافذة، والمظهر القوي، وبذلك استحقوا أن يرتقوا إلى مقام القرب من إله الناس، وينالوا ثواب تقربهم وطاعتهم في الدنيا ويفوزوا بالجنة وبنعيمها الدائم في الآخرة.

ومن هذين الأمرين، **يستفاد:**

* أن إبراز التميز في الموهوبين يحتاج إلى اعتناء وإشراف ومتابعة وتعليم وتحفيز، دل على ذلك الارتباط المباشر لمفاهيم التمييز والتميز بالفاعل الحقيقي والمركزي الله جل جلاله؛ إذ هو الذي هدى عباده إلى إحسان القول والعمل، ورغبهم في التسابق إلى الخيرات، والدعوة إليها، وحفزهم على تزكية أنفسهم بالعبادة والجود والجهاد في سبيله، وهو الذي صنع المختارين من عباده على عينه، وعلمهم من علمه الواسع، ورباهم بالمحن والشدائد حتى أخلصهم لذاته...

وكما أن حصول التميز لابد له من **فاعلية**، فإنه لابد له أيضا من **قابلية** واستعداد وتضحية؛ فهو يحتاج إلى تنمية ذاتية لما خلقه الله سويا في الإنسان من طاقات وقدرات وكفاءات ومهارات، وكذا إلى اجتهاد متواصل وصبر جميل للارتقاء بالفكر والسلوك والأهداف في كل

مجالات الحياة، ذلك بأن الله سبحانه لم يجعل أنبياءه وعباده الصالحين من المصطفين الأخيار ، ولم يمكنهم من زمام القيادة الفعالة، ولم يمكن قدراتهم ومواهبهم لتغيير مجتمعاتهم إلى الأفضل؛ إلى توحيد الله وعبادته، إلا بعد أن أتقنوا عبوديته واستقاموا على دينه، مع ما يقتضيه ذلك من بذل الجهد التام في الاستقامة والأداء الفعال لمهام العبودية والرسالة، وذلك هو جوهر التميز والتنمية البشرية في رؤية القرآن المتميزة.

*أن فقه معارف الوحي القرآني هو أساس مكين في بناء صناعة التميز و غرس مصادرها ومعاييرها في الأمة، على المستوى الفردي والجماعي؛ لأنها المعارف المثلى المتصلة بعلم الله ووحيه، والمرشحة أكثر من غيرها لصياغة شخصية المسلم من جديد، وجعله الأفضل في حب ربه وإدارة ذاته والتواصل مع غيره، إعدادا لأمته الإسلامية كي تستعيد منزلتها الوسط بين الأمم والحضارات، التي تتنافس اليوم لكسب رهان التقدم الحضاري.

ثالثا: من دلالات التميز وتجلياته في معارف الوحي القرآني.

.يملحظ من الدراسة المفهومية المتقدمة، تتجلى مفاهيم التميز في معارف القرآن الكريم بكل بريقها وحسنها وجودتها من خلال ثلاث مستويات في النظام المعرفي القرآني:

1- مستوى الاعتقاد

يقدم القرآن الكريم معارفه التصورية في ترتيب منطقي واضح، يوحي بالمقامات والمراتب والنسب والروابط الموجودة في منظومة التميز القرآنية، والدالة على النسقية في نظم القرآن لأمور الدين، وفي النسقية جمالية وتميز وتمييز...

فالتعريف بالله أساس هذه المعارف التصورية، ويليه في الموقع- على الترتيب- التعريف بالكون والإنسان والحياة، وكلها معارف ساقها القرآن الكريم وعليها طلاوة السبق والتفرد وحلاوة البروز والتفوق؛ فمعرفة الله هي المقدمة في أولى قطرات النور التي أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بتعبير الآية المعجز: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ {سورة

العلق:الآية1}، وهذا يعني أن أول درجة في سلم التميز هي البدء أساسا من القراءة؛ أي من التصورات والمعلومات الأساسية، وأول ما ينبغي أن يعرف العلم بالله، وأول العلم بالله العلم بالربوبية: ﴿**باسم ربك**﴾ وانطلاقا من معرفة الرب تترتب المعارف الأخرى، ومنها الأسماء الحسنى التي تمسك بالكون كله، بما فيه من أفعال وأحوال وتصرفات؛ إذ الرب متصف بكل صفات الجمال ونعوت الحسن والكمال، ومن أعظمها صفة الخلق: ﴿**الذي خلق**﴾ لأن الخلق إبداع واختراع وإنعام مطلق، وهو الذي يتضمنه وصف: ﴿**الأكرم**﴾ ومدار الكرم على كل شيء حسن؛ والعلم بهذه الصفة يكسب العلم بالمخلوقات في صلتها بالله، فيقع الحب في قلب العبد ويحسن في عبوديته لخالقه تمام الإحسان، بما ذاق من تمام الإنعام[1]، كيف؟ والخلق صنعة متقنة على غير مثال سبق، تميز بها الله: ﴿**أحسن الخالقين**﴾ {سورة المومنون: من الآية14}، إشارة إلى نوع متميز من الجمال والتميز في الخلق، لأنه خلق مطلق مقدر، كما دل عليه عموم آية العلق: ﴿ **الذي خلق**﴾ وقوله أيضا: ﴿ **الله خالق كل شيء**﴾ {سورة الزمر:الآية62} وقوله: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**﴾ {سورة الفرقان:الآية2}، والقرآن مدده فياض بآيات الخلق والربوبية المتميزة بالتناسق والإحكام والتقدير في الصنعة الإلهية، وهو سبيل إلى ابتهاج النفس وتأمل الفكر وإيمان القلب بدرجة اليقين بقدرة الخالق المبدعة، ووحدانيته المطلقة، وفي هذا سمو بالنفس وارتقاء بالفكر لفهم المعاني الجليلة الكامنة وراء مظاهر الزينة الآسرة والصنع المتقن.

بعد هذا المعنى الكبير العام، يأتي التخصيص بذكر المفعول وإظهاره، وهو دليل تمييز:﴿**خلق الإنسان من علق**﴾ {سورة العلق:الآية2}، وهذا يعني أن المعلومة الثانية ذات

---

[1]- صرح بهذا المعنى اللطيف الإمام الفراهي، حيث قال:" إن معرفة الرب تعالى بصفة الرحمة والإنعام هي أول المعارف، فأول ما ينشأ هو الشكر ومعه محبة الرب تعالى والتوجه الخالص له": دلائل النظام/هامش ص35.

الأهمية في معارف الوحي القرآني هي الإنسان[1]؛ لأن الخطاب إليه، وهو أشرف من على الأرض، وهو الذي جعله الله خليفة، وإلى هذه المميزات الإشارة في قوله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾ {سورة الإسراء:الآية70} والمفعولية المطلقة تؤكد على أن للإنسان الموقع الخاص والتميز الكامل من سائر المخلوقات، لذا فهو مورد حقيقي للتميز بالجمال الظاهري والباطني؛ حيث خلقه الله تعالى خلقا جميلا مميزا، كما قال: ﴿**لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم**﴾ {سورةالتين:الآية4} وصيغة " **أحسن**" تفيد التفضيل على وجه الثبوت[2]، والتقويم يعني الاعتدال والتوازن والتقدير في خلقته، وهو من أهم مظاهر التميز في تسويته، حيث جمع له في عناصر تكوينه بين الروح والطين؛ فتميز الإنسان عن الملك بأنه من طين، وعن الحيوان بالروح العاقلة واللسان الناطق والبيان البليغ، والأفضلية تفيد كذلك أن الله أودع فيه، من خلال نفخ الروح في الطين، مواهب واستعدادات قابلة للتطوير والتحسين؛ كي يتسلم وظيفته التي خلق لأجلها وهي العبادة، والتي ابتلي بها ليرى- عند التطبيق- هل هو ﴿ **أحسن عملا**﴾ {سورة الملك:الآية2}؛ أي: هل هو المتفوق على الآخرين في إحسان العمل، بما يعني أن الجمال الحقيقي إنما هو جمال الروح والأخلاق، والتميز الحقيقي إنما هو التميز بالمعاملة الحسنة وطيب المعشر، والله تعالى لا يتقبل من عباده إلا ﴿**أحسن ما عملوا**﴾ {سورة الأحقاف:الآية16}، ومن ثم كان الرسل، وهم ثلة ممتازة من البشر أعدهم الله إعدادا مميزا، فصنعهم على عينه ووحيه؛ كانوا سباقين إلى الإيمان، مسارعين إلى الخيرات، سائقين الناس إلى الإيمان والتقوى والصلاح، مذكرين

---

[1]- وتمييز خلق الإنسان بذكر العلق للدلالة على أن هذه المرحلة هي بداية الانطلاق الحقيقي لهذا الكائن البشري المتميز، والتنبيه أيضا على أن من مميزات خلقه أنه خلق من شيء بسيط ثم حدث له تطور، بما يعني أنه مؤهل جسميا ومعنويا للتطور والارتقاء إلى مقام الامتياز.

[2]- ووصف " أفعل" في العربية يختص بالصفات ويدل على الثبوت وعلى إرادة الوصف الظاهر.

إياهم بالمصير، ومن ثم كان الإيمان بهم ومعرفة معجزاتهم وصفاتهم ومزاياهم وكمالاتهم من أوجب الواجبات على المسلم؛ ليقتدي بهم في سلوكهم لطريق التميز الديني.

إن هذه المعارف التصورية القرآنية التي لها الريادة والسبق في صياغة الإنسان المعنوية واستقامته على دين الله، لا يكتمل عقدها إلا بمعرفة غاية التدبير المتقن وجمال الصنع المميز، ونتيجة الإيمان وصالح الأعمال، لذا يعرفنا القرآن الكريم بحتمية الرجوع إلى الله تعالى، بعد التعريف به: ﴿ **إن إلى ربك الرجعى**﴾ {سورة العلق:الآية8} دلالة على نهاية الحياة بعد بدايتها، وأن الذي بدأ الخلق قادر على إعادته وإرجاعه إليه للمؤاخذة؛ حيث تحصل في النهاية ثمار الأعمال وحصائد الإنجاز، ويتميز المتميزون بالدين والمتسابقون فيه بالدرجات، كما قال سبحانه: ﴿**وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**﴾ {سورة الإسراء:21}. وهؤلاء الناجحون الذين فضلوا بثواب الآخرة العظيم، بما كانوا يذكرون بالله وبالآخرة، تميزوا عن العادين والفاشلين؛ حيث يقال لهؤلاء يوم الدين: ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾ {سورة يس/الآية58} ومن المؤكد أن الإنسان إذا فقه وذاق المعارف التصورية عن تميز خالقه، وتميز الكون في صنعته، وتميز موقعه بين الكائنات، وتميز وظيفة عبوديته، وتميز من اصطفاهم لحمل شريعته، وتميز مصيره بعد توفية حسابه؛ إذا فقه كل ذلك ترشح لأن يكون الأقوى اعتقادا في ربه والأكثر ثقة في نفسه، واستقلالية في فكره [1]، واعتزازا بشخصيته، والأمهر في إدارة ذاته ومهاراته واستعداداته، فيصير مؤهلا لأن يكون الأخلص عبادة، والأحسن معاملة، والأتقى بين المؤمنين.

[1]- ولعل هذا التميز النفسي والفكري ينأى بالمسلم عن التعصب المقيت والتقليد الأعمى، والاستيلاب المستسلم للتصورات الخاطئة والموروثات الفاسدة، والثقافات الملوثة التي تقدمها الأديان المحرفة والحضارات الزائفة...

2- مستوى العبادة وأداء الشعائر

إذا كانت للمعرفة العقدية الريادة والسبق في صياغة الإنسان المعنوية وفق وظيفة العبودية لله وحده دون سواه؛ فإن من تمام تحقيق هذه العبودية المعرفة بما يرقى بالإنسان إلى مقام القرب من الله سبحانه، واستحضار عظمته والتزود بزاد تقواه ومراقبته...

إن هذه المعرفة، بلغة التنمية والإدارة، تنمية ذاتية وبرمجة عالية للطاقة البشرية؛ لتصعد إلى ما هو أعلى وتترفع عن كل ما هو أدنى، وترتبط بذات عليا هي الله عز وجل، فتتقوى الإرادة، وتشعر النفس بالأمن والسلام الداخلي، وتعدل من سلوكياتها وفق خطة هداية الله، فتصير من الأخيار المميزين بأخلاقهم، المحققين لأهدافهم...

فالصلاة مثلا؛ لها السبق والصدارة في تقوية الجانب الروحي لدى المسلم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾ {سورة الأنعام/الآية162} فصارت الصلاة عنوانا للإخلاص؛ لما حل فيها من معنى الإخلاص الذي في شعيرة النحر، وهو في حقيقته إتقان وجهد صادق؛ لذا فإن حديث القرآن عن حقيقة الصلاة انصرف أساسا إلى الصلاة الروح لا الصلاة الشكل، اهتماما بالجانب الروحي في أدائها، ومن ثم اعتاد في تناوله لنسقها المعرفي أن يقرن بينها وبين لفظ "**الإقامة**"، وهو، بما يعنيه من أداء لها باستمرار وكفاءة وإتقان وحضور قلب؛ يترشح أن يكون من مفاهيم التميز، بوصفه كذلك الجهد والأداء الفعال الذي يبذله الإنسان ليسمو بنفسه ويرتقي بذاته، والمتأمل أيضا في ختام سورة العلق: ﴿**فاسجد واقترب**﴾{سورة العلق/الآية20} يلحظ أن الإنسان كلما اقترب من الله خضع لجلاله وانفعل قلبه بعظمته واستسلم له وحده دون سواه، **وانفصل** من كل ما ينهك قواه من هموم ومشاكل ومعاصي، فتأهل بذلك لتلقي تجليات الله عليه بالنور والهداية والحكمة، وعليه فالاقتراب ارتقاء إلى مقام القرب من الله، وهو تميز ؛ لأن من يرتقي إلى هذا المقام العلي قليلون؛ إنهم من يدربون أنفسهم يوميا ليعطيهم ربهم من رحمته، ويفيض عليهم من نعمته، لذا أخبر سبحانه عن نجاح

هؤلاء: ﴿والسابقون السابقون اولئك المقربون﴾ {سورة الواقعة/الآيتان:12-13}. [1]، فالسبق والتسابق إلى الخيرات، وفي مقدمتها أداء الصلاة[2] بكفاءة وحق وصدق، وسيلة فعالة لتحقيق التميز في الدنيا والآخرة، كما وعد الله عز وجل:﴿ **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم**﴾ {سورة الواقعة/92}.

كذلك في الصيام، تبرز جمالية التميز في حقيقته وهدفه الأسمى: " **التقوى**"، وذلك قوله سبحانه: ﴿**كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ {سورة البقرة/182}؛ حيث يدرب الصائم موسميا على تربية إرادته وتقوية عزيمته، بما يؤهله أن يكون أفضل من غيره في إدارة ذاته وتنمية مهاراته وقدراته، والأحسن تواصلا مع غيره؛ فيدرب – مثلا– على مهارة ضبط النفس إزاء مثيرات الشهوة والغضب والانتقام، ويتدرب على مهارة الالتزام بالمواعيد وإدارة الوقت، وعلى مهارة التفكير والتأمل ومراجعة النفس من خلال الاستغفار... ومهارة القدرة على حل المشكلات من خلال وصل ما انقطع من الأرحام... وهكذا ، فإذا هو أتقن تدريب الصيام عن الحلال، استطاع، بما تولد لديه من قوة وطاقة وعزيمة، أن يكون أقدر على الصيام عن الحرام، وتخليص نفسه من التردي في شرك الشهوات والمعاصي، والارتقاء بروحه إلى أفق التقوى الوضيء، وهو منتهى الرفعة والعلو والتميز، كما قال تعالى: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾ {الأعراف: 25}والخيرية، كما تقدم، دليل التميز في الفضل والصلاح.

1- ويرشح معنى التسابق إلى إقامة الصلاة ما أورده الطبري في معنى الآية بإسناده عن ابن سيرين: " **(والسابقون السابقون)** الذين صلوا إلى القبلتين، وعن عثمان بن أبي سودة: " أولهم رواحا إلى المساجد...": ينظر: جامع البيان، الطبري، دار الفكر، ط1984، ج 27/ص181.

2- يدل لذلك قوله تعالى في وصف أنبيائه: (وأوحينا إليهم فعل الخيرات **وإقام الصلاة**): الأنبياء/72.

ولعمري إن هذه الذات المتميزة بتدريب الصيام لتصبح أكثر قدرة على التأثير والفعالية والإنجاز؛ لأنها ملكت زمامها وأغلقت مجاري الشيطان ومسالكه إليها.

والحج مثلا؛ عبادة هدفها الأسمى تجديد الارتباط بذات الله، وبمصدر الجلال والجمال؛ لأنها تجسد عقيدة الإخلاص والتجرد التام لله والبراءة من عبادة سواه، كما قال تعالى : ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ {البقرة: 195} ونبه سبحانه على المقصد الأعظم من الأذان في الناس بالحج: ﴿ **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام**﴾ {سورة الحج:26}؛ فالحج رحلة جميلة متميزة لتجديد معنى الإخلاص لله، وتطوير الذات وتحسين الأداء، وتنمية المهارات والخبرات، واستخلاص مكامن القوة وشحذ القدرات للتغيير المستمر نحو الأفضل؛ هي عبادة تميزت بقدسية المكان وبأفضلية الزمان، وتميزت باجتماع أمهات العبادة، من ذكر ودعاء وصيام وصدقة وطواف واعتكاف، ومناسكه متميزة على مستوى الأهداف والشعائر والمشاعر؛ فالتلبية مثلا، إعلان لتميز المسلم بفكره وتصوره عن غيره من أرباب الأديان والأفكار والثقافات المحرفة والملوثة، وحركة الطواف حركة فيها تميز وتفرد؛ لأنها واحدة، تسير في اتجاه واحد، وتنسجم من خلالها عبادة الأكوان وعبادة الإنسان، وكذا السعي، وهو حافز للسعي نحو التفوق والتميز في الطاعة والالتزام، وترتقي هذه العبادة المتميزة بالوقوف بعرفات، وهي ترمز إلى الارتفاع والمعرفة، وتعد الإنسان ليكون إنسانا أرقى من كل ما هو أدنى ، وتنتهي المناسك بذبح الهدي ورمي الجمار، وأفضل الهدي الأعظم جسما والأغلى ثمنا، وهو تمييز، وفي ذبحه إقرار بتميز اسم الله على سائر الأسماء، وتنمية أكبريته في نفس الإنسان، وفي رمي الجمار إشعار بتمييز الإنسان من الشيطان، وتجديد للعهد بمخالفة وساوسه، والمخالفة تجاوز وتميز، وسيلته الالتزام بمسؤولية الإيمان والأمانة، وتقوية الإرادة لتجاوز مكامن الضعف واستخلاص مكامن القوة في الذات، وشحذ القدرات للتغيير المستمر والمثمر نحو الأفضل.

3- مستوى السلوك

إذا كانت عبودية المسلم لا تتحقق على الوجه الأكمل إلا بالعلم بحقائق الشعائر وأحكامها وأهدافها، فإن من أهم هذه الأهداف المضمنة في معارف القرآن الكريم الارتقاء إلى معارج الخلق الراقي، وهو التميز الحقيقي الذي يطلبه هذا الدين بوصفه ثمرة للتميز الفكري والشعائري؛ إنه التميز بطيب الروح، والتسامح، والصبر ، والمرونة مع المخالف، وحسن القول وحسن المعاملة، ، وهذا هو الميدان الخصب لجمالية التميز في معارف القرآن العظيم؛ إذ نقرأ مثلا قوله تعالى: ﴿ **فاصفح الصفح الجميل**﴾ {سورة الحجر:85} وهو صفح يحتاج إلى صبر ومجاهدة نفس، ومن هنا خيريته وتميزه، بدليل قوله: ﴿ **وأن تصبروا خير لكم**﴾، ونقرأ في الصدق قوله سبحانه: ﴿ **فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم**﴾ {سورة محمد:من الآية21}، وفي التسامح والمرونة مع المخالف والتفاوض الإيجابي نقرأ: ﴿ **وأن تعفو أقرب إلى التقوى**﴾ {سورة البقرة:237}. بصيغة التفضيل، دلالة على التميز، ونستشف جمال التسامح في قوله: ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ {سورة النحل:125}. وفيه إيحاء بالحسن والجمال في الحوار مع المخالف، ونجد جمالية التميز المعنوي أيضا في القول الحسن، فالمتميزون حقا هم المستمعون لأحسن الأقوال، بصريح قوله تعالى: ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾ {سورة الزمر:18}.ومن أحسن الأقوال وأجملها الدعوة إلى الله تعالى والنطق بالشهادة: ﴿ **ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله** ﴾ {سورة فصلت:32}. فدل أن الجمال موجود في القول المتميز الذي يقوله الناس، بالنظر إلى ما يحمله من معاني سامية، تدل على الله، وتعرف به وتخط خط الاهتداء بهديه...

هذه هي الشخصية المتميزة التي يصوغها الله سبحانه محللة بجلال الله وجمال عقيدته وشريعته وسلوكه المميز، وإن هذه الشخصية التي يربيها الدين على التميز وحب الجمال الظاهري والمعنوي؛ لهي الشخصية التي تترشح لجمال القيادة الفعالة، كما قال تعالى موجها إلى

طلب التميز: ﴿ **واجعلنا للمتقين إماما**﴾ {سورة الفرقان:من الآية74}؛ إنها الشخصية المجتباة، قال سبحانه: ﴿ **هو اجتباكم**﴾ {سورةالحج:من الآية78} والاجتباء دليل التميز، وعلى هذا فإن الملتزم بدين الله مجتبى من الأخيار، ومن العارفين بأسرار الجلال والجمال، والمرتقين بذواقم وأرواحهم وأذواقهم، ثم هي الشخصية التي تمتلك القيم الجمالية، قيم الخير والحق والعدل والفضيلة، وهي تضع الموازين القسط للناس؛ لأنها حظيت بجمالية الانتماء إلى خير الأمم، أمة الشهادة والوسطية والاعتدال، والتوسط خير من التطرف والتقصير، وذلك مظهر للتميز: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾ {سورة آل عمران: من الآية110} فمعنى "**أخرجت**" صنعت على عين الله ووحيه ووفق تعاليم دينه الراقية، فلم تخرج وحدها بل الله أخرجها، وفي ذلك دليل ساطع على أن التميز إخراج وإعداد وتأهيل في مصنع الوحي الإلهي، كما تقدم، ومن هنا أمرنا الإسلام أن نخالف المخالف في قوله وفعله وفي مظهره؛ فنهى عن التخنث، وأمر بإعفاء اللحية، وتوفيرها وقص الشارب، وحرم الإسبال في الثياب ونحوها، وأمر المسلم أن يكون جميلا، وأن يكون شامة في الناس، ولاسيما في مواطن العبادة والدعوة إلى الله تعالى[1] والقصد من كل ذلك إبراز جمال الشخصية المسلمة وملامح تميزها ومقومات تفوقها على سائر الأقوام والأمم والحضارات...

واليوم، ونحن في عصر التمييع الحضاري والغزو الثقافي والأخلاقي والعولمة الشرسة، التي تسعى إلى تنميط الفكر والسلوك لدى الشعوب؛ ينبغي إحياء قيم التميز في الشخصية الإسلامية المعاصرة انطلاقا من معارف الوحي قرآنا وسنة؛ لأن بهما لا بسواهما كان وسيكون الفضل والسبق لهذا الدين في صناعة التميز الفردي والجماعي في الأمة.

---

[1] - كالذي ورد في الحديث الشريف: (**إنكم قادمون على إخوانكم فأحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة من الناس**): رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، عن أبي الدرداء، 258/5، تحقيق عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، دار المعرفة- بيروت، ط1427/2.

خاتمة

في ختام هذه القراءة المتواضعة لمصطلحات التميز ومفهوماتها في معارف الوحي القرآني، أخلص إلى النتائج والمقترحات الآتية:

* أن مقارنة مفهوم التميز في المنظور الغربي بالنظام المفهومي لمصطلحاته في المنظور القرآني، تقود إلى الكشف عن رؤيتين مفهوميتين مختلفتين؛ رؤية دنيوية تستند إلى المعايير الدنيوية وتعتمد آليات التنافس والتكاثر لتسنم قمة الامتياز في تحصيل الرفاهية وعرض الحياة الدنيا، ورؤية أخرى أكثر شمولية ، رؤية دنيوية أخروية ، ترتبط فيها الدنيا بالآخرة ارتباطا مباشرا، وبموجب هذا الارتباط يؤثر التميز الدنيوي في التمايز والتميز الأخروي؛ حيث يصبح الأول غرسا متناميا مؤسسا على مفهوم الاستخلاف ومنضبطا بمفاهيم الثواب والعقاب والتقوى، ويصبح الثاني حصادا محصلا لثمار ذلك الغرس، مؤسسا على مفاهيم الساعة والبعث والحشر والحساب والجزاء...، ومتميزا بعطائه غير المسبوق وغير المقطوع. وبهذا يكون التميز في الرؤية القرآنية بداية متميزة لنهاية أكثر تميزا وإسعادا.

* بما أن التجديد واجب شرعي ومطلب حضاري وكوني في الراهن، فإن التجديد لمعارف الوحي ومفاهيمه يستلزم التأصيل للمعارف الوافدة واستيعابها بعد إعادة تقويمها وتنقيتها بشكل منهجي منضبط، وبما يتلاءم مع عالمية الخطاب القرآني وخصوصية نسقه البنائي والمعرفي، وذلك يقتضي ألا نقع في شرك التقليد والاستيلاب والانتقاء، وعدم إدراك الفوارق الحضارية والثقافية بين الفكر الوافد والنظام المعرفي الإسلامي.

* إن إبلاغ معارف الوحي القرآني للناس يحتاج إلى أهل تميز في الإدراك والذوق والسلوك؛ فالأمر لا يتوقف على إبلاغ حقائق ومعلومات ومعارف نظرية فحسب، وإنما إلى إدراك المنهجية المعرفية القرآنية بكل وضوح، وتنزيل تصوراتها ثانيا في نفوس الناس وواقعهم بعلم

وبصيرة، من قبل أناس ورعين، يتميزون بقلب خاشع صادق، وجسد عابد قانت، وصبر في ذات الله جميل...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- الإتقان في علوم القرآن, السيوطي, مصر, 1368ه.
- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، مصر، 1368ه.
- الإدارة والقيادة والتميز ، فان هورن وبراسكى /11، ترجمة هند رشدي، كنوز ، القاهرة، ط2/ 2009.
- التحرير والتنوير, الطاهر بن عاشور, الدار التونسية, 1984, ودار سحنون, (د, ت)
- تفسير القرآن العظيم, ابن كثير, دار الجيل, بيروت, ط: 1988/1.
- دلائل النظام, عبد الحميد الفراهي الهندي, المطبعة الحميدية, ط: 1388/1
- صحيح البخاري, المكتبة العصرية, بيروت, ط: 3/ 1999.
- الطريق إلى التميز، محمد فتحي /29، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2000.
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، دار المعرفة- بيروت، ط1427/2.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن, الطبري, دار الفكر, 1984.
- الجامع لأحكام القرآن, القرطبي, دار الكتاب العربي, مصر,1967.
- لسان العرب, ابن منظور الإفريقي, دار صادر, د.ت.
- المفردات في غريب القرآن, الراغب الأصفهاني, تحقيق: محمد سيد كيلاني, دار المعرفة,
- القاموس المحيط, الفيروزآبادي, دار الفكر, بيروت, 1983.

- مقاييس اللغة, أحمد بن فارس, تحقيق: عبد السلام هارون, دار الفكر, 1979.

- مناهل العرفان في علوم القرآن, محمد عبد العظيم الزرقاني, دار الفكر, د.ت.

- نحو منهجية معرفية قرآنية، محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة، طه جابر العلواني، سلسلة كتاب فلسفة الدين والكلام الجديد، دار الهادي، بيروت- لبنان

مفهوم القصص في القرآن الكريم

دة. سعيدة الرجاني(*)

عادة ما تحاول الدراسات التي اهتمت بالقصص القرآني تعريفه سواء بهذه الصياغة اللغوية أو في صورة أخرى وهي "القصة القرآنية". ولكنها غالبا ما تنظر إليه من وجهة واحدة أو وجهتين. فنجدها تنطلق عادة من التحديد اللغوي ثم تركز على الغاية والهدف من القصص في القرآن. وبعض هذه التعريفات تدرك اختلاف القصص القرآني عن القصة الأدبية. لكنها تظل قاصرة عن تقديم تعريف[1] جامع مانع، يتناسب مع أهمية حضور القصص في القرآن الكريم ويمنع من اختلاط هذا المفهوم بغيره. وهذه الدراسات قد تذكر بعض خصائص المصطلح ومزاياه، ولكنها لا تستقصي خصوصياته الاصطلاحية التي تميزه عن غيره. وهذه الغاية هي ما تتكفل به الدراسة المصطلحية التي تلم أطراف المصطلح الممتدة عبر آيات القرآن الكريم وسوره، وذلك عن طريق إحصائه إحصاء علميا ودراسة نسبة حضوره وصيغ وروده واستخلاص مدلولاته انطلاقا من النصوص القرآنية، مع مراعاة الدلالات اللغوية والاصطلاحية وصيغه التركيبية، للخروج في نهاية المطاف بتعريف لا يدع مجالا للخلط والغموض والاستعمال في غير ما يقصد به في القرآن الكريم.

---

* - أستاذة التعليم الثانوي التأهيلي ـــ تطوان.

1 - نستثني من هذا الحكم تعريفين اثنين سنتناولهما بالتحليل في موضع آخر من هذه الدراسة وهما:" القصص القرآني في منطوقه ومفهومه" لعبد الكريم الخطيب و" التصوير الفني في القرآن" لسيد قطب.

التعريف المعجمي لمصطلح القصص

يرجع الأصل في معنى القصص إلى تتبع الأثر كما ذهبت إلى ذلك معاجم اللغة. وقد فصل الأزهري في معناه على النحو الآتي:" يقال خرج فلان قصصا في إثر فلان، وذلك إذا اقتص أثره، وقيل للقاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا."[1].
وأضاف الجوهري:" قص أثره أي تتبعه. والقصة الأمر والحدث. وقد اقتصصت الحديث رويته على وجهه. وقد قص عليه الخبر قصصا. والاسم أيضا القَصص بالفتح وُضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقِصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب"[2].

يستفاد من المعاجم السابقة أن المقصود بالقصص هو الأمر والحدث والخبر، وقد لاحظ الجوهري الالتباس الذي وقع في هذا اللفظ بين الاسم والمصدر، ذلك أن القَصص يطلق على الاسم والمصدر على حد سواء، غير أن وضعه موضع المصدر في المعاجم اللغوية، جعل الاعتقاد يسود بأن القصص يختص بالمصدر من فعل قص دون الاسم. وبالنظر إلى المعاجم اللغوية عموما، وكلام الجوهري خصوصا يمكننا ملاحظة وجود فرق بين المعنى المصدري والمعنى الاسمي فإذا كان المصدر يدل على الحدث فإن المعنى المصدري للقصص يدل على تتبع الشيء بناء على معنى فعل "قَص" وهو تتبع الأثر. وأما المعنى الاسمي أو المعنى الذي لا يدل على الحدث للفظ القصص فقد زادت في توضيحه معاجم أخرى[3] ومنها لسان العرب لابن منظور حيث يقول:" والقصة الخبر وهو القَصص. وقَصَّ عليَّ خبره يقُصه قصّاً وقَصصا أورده. والقَصص الخبر المقصوص

[1]- تهذيب اللغة، الأزهري، باب القاف والصاد.

[2]- تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، باب الصاد فصل القاف.

[3]- تتبعنا هذه المادة في المعاجم اللغوية ابتداء من معجم العين للخليل ومقاييس اللغة لابن فارس والمفردات للراغب الأصفهاني والقاموس للفيروزآبادي وتاج العروس للزبيدي فآثرنا عدم عرضها نظرا للتشابه القائم بينها.

بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه... والقِصَّة الأمر والحديث. واقتصصت الحديث رويته على وجهه.. والقص البيان "[1].

فالقصص وفق هذا المعنى هو الخبر المقصوص، وهو ما يرجح المعنى الاسمي للقَصص باعتبار الاسم دالا على معنى قائم بذاته [2].

نستخلص مما سبق أن لفظ القصص في المعاجم اللغوية يدور حول المعاني الآتية:

- تتبع الأثر.
- الأمر والحدث والخبر.
- الحديث والبيان.

أما المعاجم الاصطلاحية فقد اكتفت بتكرار هذه المعاني المذكورة في المعاجم اللغوية و لم تضف جديدا إليها [3].

القصص في اصطلاح القرآن الكريم

وردت مادة "ق ص ص" في القرآن الكريم 30 مرة، في أربع منها وردت باشتقاق "القِصاص" وهو ليس محل اهتمام هذه الدراسة التي ستقتصر على لفظ "القَصَص" ومشتقاته، ومجموعها 14 صيغة موزعة على 26 موضعا من القرآن الكريم، منها عشر سور مكية وسورتان مدنيتان. وهي تنحصر في الآيات والسور الآتية:

1 - سورة آل عمران في موضع واحد بصيغة الاسم المعرف بأل: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ **الْقَصَصُ** الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آل عمران 63.

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، باب الصاد فصل القاف.

[2]- التعريفات، الجرجاني، باب الألف.

[2]- وهذه المعاجم الاصطلاحية هي التعريفات للجرجاني والتعاريف للمناوي والكليات للكفوي والحدود الأنيقة للأنصاري وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.

2 -سورة النساء في موضع واحد بصيغة الفعل: {وَرُسُلاً قَدْ **قَصَصْنَاهُمْ** عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ **نَقْصُصْهُمْ** عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} النساء 164

3-سورة الأنعام في موضعين بصيغة الفعل:

-{ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ **يَقُصُّ** الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ } الأنعام 57.

-{ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ **يَقُصُّونَ** عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ } الأنعام 130.

4-سورة الأعراف في خمسة مواضع، أربع منها بصيغة الفعل والخامسة بصيغة الاسم وهي:

- {**فَلَنَقُصَّنَّ** عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ} الأعراف 7.

- { يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ **يَقُصُّونَ** عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون } الأعراف 35.

- { تِلْكَ الْقُرَى **نَقُصُّ** عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} الأعراف 101.

- {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ** لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} الأعراف 176.

5- سورة هود في موضعين بصيغة الفعل:

- { ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى **نَقُصُّهُ** عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ} هود 100.

- { وَكُلاًّ **نَّقُصُّ** عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} هود 120.

6- سورة يوسف في أربعة مواضع نفصلها على النحو الآتي:

- في الآية الأولى بصيغة المصدر[1] المعرف بأل، وبصيغة الفعل وذلك في قوله تعالى: {نَحْنُ **نَقُصُّ** عَلَيْكَ أَحْسَنَ **الْقَصَصِ** بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِين} يوسف 3.

- في الآية الثانية بصيغة الفعل: { قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ **تَقْصُصْ** رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } يوسف 5.

- في الآية الثالثة بصيغة الاسم معرفا بالإضافة: {لَقَدْ كَانَ فِي **قَصَصِهِمْ** عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يوسف 111.

7- سورة النحل في موضع واحد بصيغة الفعل: { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا **قَصَصْنَا** عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} النحل 118.

8- سورة الكهف في موضعين، أحدهما بصيغة الفعل والثاني بصيغة المصدر:

- { نَحْنُ **نَقُصُّ** عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} الكهف 13.

- { قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا **قَصَصًا**} الكهف 64.

9- سورة طه في موضع واحد بصيغة الفعل: { كَذَلِكَ **نَقُصُّ** عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا} طه 99.

[1] - تم إحصاء المصطلح في هذا الموضع باعتباره مصدرا وذلك بالاستئناس بأقوال اللغويين والمفسرين بخصوص هذه الآية حيث يرجح أغلبهم المعنى المصدري على المعنى الاسمي والله أعلم.

10- سورة النمل في موضع واحد وهو بصيغة الفعل: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ **يَقُصُّ** عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} النمل 76.

11- سورة القصص في ثلاثة مواضع اثنان منهما بصيغة الفعل والثالث بصيغة الاسم معرفا بأل:

- {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ **قُصِّيهِ** فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} القصص 11.
- {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ **وَقَصَّ** عَلَيْهِ **الْقَصَصَ** قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} القصص 25.

12- سورة غافر في موضعين بصيغة الفعل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن **قَصَصْنَا** عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ **نَقْصُصْ** عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} غافر 78.

ويبين الجدول الآتي نسبة ورود المصطلح في السور المكية والمدنية :

نسبة ورود المصطلح في السور المكية	19 °/°
نسبة ورود المصطلح في السور المدنية	1.63 °/°
نسبة ورود المصطلح في مجموع سور القرآن الكريم	10.52°/°

تحليل معطيات حجم الورود:

يتبين من خلال معطيات الإحصاء أن مصطلح القصص يمثل نسبة لا يستهان بها بالنظر إلى مجموع سور القرآن الكريم. وإذا كان هذا المصطلح قليل الحضور في القرآن المدني فإن نسبة حضوره في السور المكية تجعله يحظى فيها بأهمية خاصة. وهذا يدل على أن مفهوم القصص مرتبط بموضوع العقيدة والغيبيات التي تدور حولها معاني السور المكي، بالإضافة إلى أخبار الأمم السابقة التي تشكل حضورا قويا في هذه السور. وتوجد أعلى نسبة ورود المصطلح في سورة

يوسف. وهي السورة التي تتضمن أطول سرد قصصي في القرآن الكريم، تليها سورة القصص التي يدور موضوعها حول نبأ موسى وفرعون وقارون. ثم سورة الأعراف التي تحفل بأنباء المرسلين: آدم ونوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى، كما تتحدث عن آيات الكون والخلق والآخرة. وهذه إشارة قوية إلى ما يتضمنه مفهوم القصص من أنباء الأمم السالفة وإلى علاقته بالأمور الغيبية بصفة عامة. وعلى الرغم من اختلاف السور المدنية عن المكية في مضامينها، يلاحظ أن مصطلح القصص المذكور في السور المدني ورد في السياق نفسه، أي محاورة أهل الكتاب وإثبات العقيدة والدعوة إلى توحيد الخالق ووحدة الرسالات السماوية.

وإلى جانب الأهمية التي يحظى بها القصص في السور المكية، فإن هذه النسبة تزداد بالنظر إلى تسمية إحدى سور القرآن الكريم بهذا اللفظ وهي سورة القصص. فالتسمية تكتسي أهميتها من قيمتها الاختزالية لمعاني النص الذي تعنونه، وبالتالي فهي تستجمع هويته وصفاته. والعناوين أشبه ما تكون بأسماء الأجناس، فهي تقوم بمهمة التصنيف لظواهر لغوية مماثلة ومتعددة، لذلك فإن قيمتها التعيينية تفوق تسمية الأشياء المفردة. وإذا نظرنا في هذه السورة سنجد أن لفظ القصص فيها له دلالة مركبة، فهو يدل من جهة على قصص موسى أي الأحداث التي مر بها عليه السلام. وهو يدل من جهة أخرى على روايته للقصص الذي حكاه لشعيب مخبرا إياه بما مر معه من أحداث قبل خروجه من مصر. فهذه السورة الوحيدة التي ذكر فيها اسم القصص مرويا، أي كحكاية داخل إطار القصص الأصلي الذي يخبر فيه سبحانه بظروف ولادة موسى عليه السلام.

تحليل معطيات شكل ورود مصطلح القصص

إن أول ما يلفت الانتباه من خلال إحصاء مصطلح القصص في القرآن الكريم أنه ورد في أغلب المواضع بصيغة الفعل قياسا إلى وروده بصيغتي الاسم والمصدر. وتمثل الصيغتان الأخيرتان نسبة 23% من مجموع موارد المصطلح في القرآن، وهي ستة: ورد الاسم في أربعة

مواضع منها، وورد المصدر في سورة الكهف{قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا **قَصَصًا**} الآية 64. وأما المورد السادس في الآية 3 من سورة يوسف {نَحْنُ **نَقُصُّ** عَلَيْكَ أَحْسَنَ **الْقَصَصِ** بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} فهو يحتمل المعنيين معا: المعنى الاسمي والمعنى المصدري[1]. غير أن أغلب اللغويين والمفسرين رجحوا المعنى المصدري. وعلى الرغم من قلة حضور المصطلح في الصيغتين الاسمية والمصدرية إلا أنه يستمد منهما صفات الاسم ودلالاته المعبرة عن السكون والثبات، وفي ذلك إشارة إلى ما يتضمنه القصص القرآني من حقائق ثابتة ووقائع ملموسة.

وتشتمل صيغة الاسم " قَصَص " المبنية على وزن فَعَل بفتح الفاء على معنيي الاسم والصفة في الآن ذاته. ومعناه أنها تجمع بين دلالتي القصص باعتبار ما يُقص أي الخبر المقصوص، وبين صفة القص وهي التتابع. كما أن القصص ورد في جل مواضعه معرفا بأل أو بالإضافة إلى الضمير. ولم يرد نكرة إلا مرة واحدة في سورة الكهف، وسنتبين دور هذا التعريف والتنكير في عرض معنى القصص في اصطلاح القرآن الكريم.

أما صيغة الفعل التي ورد بها المصطلح فهي تمثل نسبة أكثر من 76 %. وفي ورود مصطلح القصص بصيغة الفعل بهذه النسبة العالية إشارة قوية إلى دلالته على الحدث والخبر والواقعة، ويتميز بما يتميز به الفعل من المرونة والحركة، كما أنه يوحي بالتغير والتبدل بخلاف صيغة الاسم التي تعبر عن الأمور الثابتة. وبإمكاننا أن نتلمس هذه الملامح على مستويين، مستوى الضمائر ومستوى الأزمنة:

– فعلى مستوى الضمائر نلاحظ أن فعل " قَصّ" ورد متصرفا في عدة ضمائر: المفرد الغائب: (قَصَّ) المفرد المخاطب: (اقْصُصْ – تقْصُصْ- قُصِّيه) الجمع الغائب: (يقصون)، الجمع المتكلم: (قصصنا – قصصناهم – نقص – نقصص – نقصصهم –فلنقصن –نقصه).

[1]- وسيأتي شرحه لاحقا.

من الواضح أن مصطلح القصص ورد متصرفا في الضمائر بجميع أنواعها: المتكلم والمخاطب والغائب. والإضمار في اللغة يدل على الحضور أو الغياب، كما أنه يقوم بوظيفة الربط بين عناصر الخطاب، وتبعا لذلك فإن اقتران مصطلح القصص بهذا الكم من الضمائر يلمح إلى أنه يقوم بدور وظيفي داخل المنظومة الاصطلاحية القرآنية أي أنه يعد من المصطلحات الإجرائية التي تسهم في تبليغ رسالة القرآن الكريم. وبالإضافة إلى الدور الوظيفي الذي تقوم به الضمائر بالنسبة للخطاب، فإنها تقوم بدور وظيفي آخر بالنظر إلى المخاطَب؛ فتصريف الفعل في الضمائر بأنواعها يكشف القوة التواصلية لهذا المصطلح، وهذا التواصل حاضر بجميع أشكاله: تواصل بين الأفراد يجسده ضمير المفرد: (يقص _ اقصص _ قص)، وتواصل بين الجماعات يمثله ضمير الجماعة: (يقصون). كما أن الضمائر التي اقترنت بفعل القص والمضافة إلى حرف الجر نحو: (نقص **عليك** – قصصناهم **عليك** _يقصون **عليكم** – فلنقصن **عليهم** _ قص **عليه**...) كل هذه الضمائر تدل على أن مصطلح القصص يقوم بوظيفة إخبارية.

وإذا عدنا إلى معطيات الإحصاء لاحظنا أن ضمير الجمع المتكلم (قصصنا) _ قصصناهم _نقص _نقصص....) هو الأكثر ورودا من بين الضمائر الأخرى وذلك بنسبة تعادل 60%. ويحيل ضمير المتكلم في مجموع الآيات قيد الدرس على الذات الإلهية، وذلك معناه أن القصص في القرآن الكريم نابع من مصدر إلهي متضمن لحقائق ثابتة وبأنه وحي إلهي يتصف بما يتصف به الوحي الإلهي من خصائص وميزات.

وكما تتسع مساحة الضمائر التي صيغ فيها فعل القص واقترن بها، فإن المساحة الزمنية التي تم تصريفه فيها تتسع لتشمل جميع الأزمنة. فقد ورد متصرفا في الماضي (قَصَّ- قصصنا – قصصناهم) والمضارع (تَقْصُص – نَقُصُّ – نَقْصص –نقصه – نقصُصهم – فلَنَقُصَّنَّ – يقص – يقصون) والأمر (اقصص – قَصِّيه).

يتبين لنا من خلال هذا التوزيع أن مصطلح القصص حاضر في كل أزمنة الفعل بما فيها صيغة الماضي التي تدل على المعاني الثابتة ذات الحدوث القطعي والمنتهي. وصيغة المضارع التي

وردت بأعلى نسبة وهي تمثل 70°/°، ومعلوم أن الفعل المضارع هو أكثر الأزمنة تعبيرا عن معنى الاستمرار وقابلية التجدد. أما فعل الأمر فلا يدل على وقوع الحدث كما هو الشأن بالنسبة للزمنين السابقين. وإنما يدل على طلب حدوثه، وبذلك فهو يزكي دلالة مفهوم القصص في القرآن الكريم على الحدث.

تلك إذن هي صيغ ورود مصطلح القصص في القرآن الكريم، وستعزز هذه الدلالات المستوحاة من دراسة حجم المصطلح وأشكال وروده من خلال دراسة دلالاته في نصوص القرآن كما سيتبين في الفقرة الآتية.

دلالة القصص في القرآن الكريم

من خلال استقرائنا للنصوص القرآنية تبين أن لفظ القصص يقصد به المعاني الآتية:

1- الدلالة الاسمية:

- القصص هو النبأ والخبر الذي أخبر به سبحانه بشأن أنبيائه ورسله والأمم السابقة أفرادا أو جماعات والتي انقضى أجلها وعميت أخبارها، فذكرها الله تعالى توضيحا لحقيقتها وتذكيرا بمآل أصحابها للعبرة والموعظة. ومثل هذا المعنى يستفاد من قوله تعالى: {إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آل عمران 63. ففي هذه الآية الكريمة ذكر سبحانه لفظ القصص للإخبار بحقيقة خلق عيسى بعدما اختلف فيها، فنزلت هذه الآية لإثبات آدميته وأنه عبد من عباد الله ونفي الألوهية عنه [1].

[1]- وإلى هذا المعنى ذهب المفسرون في شرح لفظ القصص: جامع البيان، الطبري ج5 ص 467. والكشاف، الزمخشري ج 1 ص 566. والمحرر الوجيز، ابن عطية ج 1ص 448. ومفاتيح الغيب، الرازي ج 8 ص 93. و تفسير الخازن ج 1 ص 255. والبحر المحيط، أبو حيان ج 2 ص 505. واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ج 5 ص 292. ونظم الدرر، البقاعي ج 4 ص 444. وإرشاد العقل السليم، أبو السعود ج 1 ص 498 .

وبهذا المعنى كذلك جاءت الآية السادسة والسبعون بعد المائة من سورة الأعراف: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} الأعراف 176. والمقصود بالقصص هنا: ما حدث لأحد علماء بني إسرائيل[1] الذي أتته آيات الله وتجلت له دعوة التوحيد، لكنه آثر اتباع الهوى وضل عن الحق.

كما أن هذا المعنى أي الخبر، ورد في الآية الخامسة والعشرين من سورة القصص: {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} القصص 25. فالمقصود بالقصص[2] هنا الخبر الذي قصه موسى عليه السلام على شعيب لِيُعْلِمَه بما حدث له في أرض فرعون من قتله للرجل القبطي وخروجه من مصر خائفا يترقب.

ونجد المعنى نفسه في الآية الحادية عشرة بعد المائة من سورة يوسف، حيث ورد لفظ القصص مقترنا بضمير الجمع " قصصهم" إشارة إلى أن المقصود بالقصص هنا خبر يوسف وإخوته، وما حدث له منذ إخبار أبيه بالرؤيا التي رآها في منامه إلى حين التمكين له في الأرض، واللقاء بينه وبين أهله وذويه.

---

[1]- اختلف المفسرون في الشخص المقصود بهذه الآية، فقالوا – بناء على رواية عبد الله ابن مسعود وهو الأغلب – إنه أحد علماء بني إسرائيل وكان يدعى بلعم بن أبَر الذي أتته دعوة موسى فتركها، وقيل إنه أمية بن أبي الصلت الذي كان لديه علم من الكتب السماوية، وكان يعلم أن نبيا سيبعث، فطمع أن يكون هو ذلك النبي. فلما بعث الرسول (ص) استكبر وأعرض عن الإسلام. وقد ذكر بن كثير بأن من ذهب إلى هذا الرأي الأخير " إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه " انظر تفسير القرآن العظيم ج3 ص 507.

[2]- ذهب أغلب المفسرين إلى أن القصص في هذه الآية مصدر وليس اسما، ولعل ما رجح هذا الرأي كون القصص ورد مقرونا بالفعل قص. غير أن المعنى الظاهر للقصص هنا يدور حول الدلالة الاسمية، والتي يراد بها معنى الخبر والنبأ المقصوص.

الدلالات المصدرية:

والمقصود دلالة لفظ القصص على الحدث أي فعل القص أو كما سماه اللغويون الاقتصاص، وذلك حين يرد القصص في صورة الفعل متصرفا أو في صورة المصدر. فإذا تأملنا هاتين الصيغتين نجدهما تتضمنان الدلالات الآتية:

دلالة المعنى المصدري على الخبر:

وكما يدل القصص في صورته الاسمية على الخبر، فإن المعنى المصدري كذلك يتضافر معه للدلالة على الخبر والنبأ. ففي أغلب المواضع التي ورد فيها المصطلح بصيغة الفعل "قص" على اختلاف أزمنته وضمائره، يقصد به أخبر وأنبأ كما هو الشأن في الآية الكريمة[1]: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} غافر 78. وفي الآية إشارة إلى أن أخبار الرسل منزلة من عند الله وما ذكر في القرآن الكريم هو تَقَصٌّ لأخبار بعض هؤلاء الرسل الذين بعثوا قبل زمن خاتم الأنبياء عليهم السلام.

دلالة القصص على الإخبار والبيان:

إن الدلالة تنصب على طريقة القص وأسلوبه. وقد جاء هذا المعنى في عدد من الآيات، منها الآية الثالثة من سورة يوسف {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِين} يوسف 3. ومن المؤكد أن هذه الآية بالذات تحتمل المعنيين معا: المعنى الاسمي – كما سبق توضيحه والذي يدل على الخبر والنبأ – إلى جانب المعنى المصدري الذي يقصد كيفية القص وطريقته. وتجدر الإشارة إلى أن المعاجم اللغوية ذكرت هذه

[1]- جامع البيان ج 20 ص367. الجامع لأحكام القرآن ج 15 ص334. تفسير ابن كثير ج 7 ص 158. فتح القدير ص1307. وغيرهم. كما فسر بهذا المعنى لفظ القصص في الآيات: 164 من سورة النساء، والآيتين 7 و 101 من سورة الأعراف والآية 13 من سورة الكهف، والآية 99 من سورة طه.

الآية في معرض الاستدلال على معاني القصص مُوضحة أن المعنى المقصود هنا هو البيان. والبيان هو " إظهار المقصود بأبلغ لفظ... وأصله الكشف والظهور "[1].

وبناء على ذلك فإن دلالة لفظ القصص – وفق هذا المعنى – هي الإخبار وليس الخبر، أي أن المقصود هو طريقة عرض الخبر. وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة التي جاء فيها مصطلح القصص بصيغة الفعل، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} النمل 76. فالمقصود بالفعل "يقص" في الآية أي يُبَيِّن[2] حقيقة الأمور التي اختلف فيها اليهود والنصارى كمسألة عيسى عليه السلام فمنهم من قال هو الله، ومنهم من قال هو ابن الله، ومنهم من قال ثالث ثلاثة... إلى غير ذلك من الأقوال. كما اختلفوا في حرمة أكل لحم الخنزير أو حله، فنزل القرآن الكريم يبين لهم حقيقة الأمر في ذلك كله[3].

دلالة القصص على عرض الآيات:

ومن المعاني المصدرية كذلك: القراءة [4]، والتلاوة[5]، والعرض[6]،والسرد[7] للآيات والشرائع التي جاءت بها الكتب المنزلة، كما تدل عليه الآيتان الكريمتان:

---

[1]- تاج العروس باب النون فصل الباء.

[1]- الكشاف، الزمخشري ج 4 ص471. مفاتيح الغيب، الرازي ج 24 ص216. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج 13 ص 231.فتح القدير، الشوكاني ص 1087. التحرير والتنوير ابن عاشور ج 20 ص 30.

[3]- روح المعاني، الألوسي ج 20 ص18.

[4] – مدارك التنزيل، النسفي ج 1 ص 538. لباب التأويل، الخازن ج 2 ص 197.

[5] – جامع البيان، الطبري ج 10 ص 165. مفاتيح الغيب، الرازي ج 13 ص206. التحرير والتنوير، ابن عاشور ج 8 ص108.

[6]- روح المعاني، الألوسي ج 8 ص114.

[6]- المحرر الوجيز، ابن عطية ج 2 ص 396. كما فسره أبو حيان بهذا اللفظ في شرح الآية السابعة من سورة الأعراف: انظر البحر المحيط ج4 ص 270.

-{ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ } الأنعام 130.

- { يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون} الأعراف 35.

تتألف الدلالة في الآيتين الكريمتين من الفعل يقصون الذي يعني يقرؤون ويتلون والآيات الموجهة إلى كل من الجن والإنس (بني آدم). والآية في اللغة العلامة [1] الظاهرة [2]. وسميت الآية من القرآن آية لأنها جماعة من حروف القرآن. والآية " كأنها العلامة التي يفضي منها إلى غيرها، كأعلام الطريق المنصوبة للهداية " [3]. والآية الرسالة، وتستعمل بمعنى الدليل والمعجزة [4]. وقد فسرت المعاجم الاصطلاحية مدلول الآية بمعنى الرسالة. أي "بعث الله تعالى إنسانا إلى الخلق بشريعة سواء أمر بتبليغها أو لا ".[5]

وذهب المفسرون في تفصيل معنى " قص الآيات" إلى معان متعددة:

-معنى دال على تبليغ الرسالة [6].

- معنى دال على قراءة الكتب السماوية[7].

---

[1]- مقاييس اللغة، كتاب الهمزة.

[2]- المفردات، كتاب الألف.

[3]- لسان العرب وتاج العروس، باب الواو والياء فصل الهمزة.

[4]- تاج العروس، باب الواو والياء فصل الهمزة.

[5]- كشاف اصطلاحات الفنون، حرف الراء.

[6]- تفسير ابن كثير، ج 5 ص341.

[7]- اللباب، ابن عادل ج 8 ص 435.

-الوحي بالآيات الدالة على توحيد الله وتصديق الرسل [1].

- تلاوة الآيات المبينة لأصول الإيمان ومكارم الأخلاق وحسان الأعمال[2].

- عرض لأحكام التشريع وتفصيلها[3].

دلالة القصص على تتبع الأثر:

ومن المعاني المصدرية لمصطلح القصص الواردة في القرآن الكريم معنى تتبع الأثر كما يستفاد من آيتين كريمتين: - {قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} الكهف 64.

- {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} القصص 11.

والمقصود في الآية الأولى أن موسى عليه السلام وفتاه رجعا يتتبعان أثر سيرهما لمعرفة الطريق الذي قدِما منه.وفي الآية الثانية أمرت أم موسى ابنتها أن تذهب متتبعة أثر أخيها لتعرف أين ينتهي به المقام. وأول ما تجدر ملاحظته، هو أن هاتين الآيتين الكريمتين تشتركان – بخلاف باقي الآيات التي ورد فيها لفظ القصص – في استعمال هذا المصطلح بدلالته اللغوية الدالة على تتبع الأثر. وإذا تأملنا لفظ القصص في الآية الأولى لاحظنا أنه ورد مصدرا نكرة للمرة الوحيدة في القرآن الكريم. وهذا معناه أنه لفظ معمم لايختص بشيء معين، ولكنه يحدد هيئة القص وطريقته ألا وهي التتبع.

فإذا نظرنا إلى مفهوم القصص الوارد في هاتين الآيتين بالقياس إلى الآيات السابقة رأينا أن المعنى الأخير يختلف عن المعاني الأخرى في كونه يعبر عن الدلالة الحسية لمفهوم القصص، بخلاف المعاني التي تحيل على الدلالات المعنوية. لكن العلاقة وثيقة بين المعنيين، ذلك أن الأصل في القصص – كما ذكرت المعاجم اللغوية – هو تتبع الأثر، وإذا تأملنا الدلالات المعنوية نجدها

---

[1] - لباب التأويل، الخازن ج 2 ص158.

[2] - تفسير المنار، رشيد رضا ج 8 ص107.

[3] - تفسير المراغي ج 8 ص33.

أيضا تتضمن معنى التتبع لأن الإتيان بالخبر يتطلب تتبعه حدثا بعد حدث. ثم إن لفظ الأثر بدوره يشمل من بين معانيه الدلالة على رسم الشيء الباقي[1]. والأثر هو "حصول ما يدل على وجود شيء" [2]. وهذا معناه ان الأثر هو بقية للشيء الذي كان موجودا حقيقة وفعلا. فإذا قمنا بالربط بين المعنيين الحسي والمعنوي: لاحظنا أن الخبر الذي يشكل جوهر مصطلح القصص يتعلق بالأمور التي سبق لها وجود حقيقي وفعلي.

وبناء على ما استفدناه من دلالات للمصطلح في النصوص القرآنية يمكننا صياغة تعريف للقصص في القرآن الكريم على النحو الآتي:

القصص في الاصطلاح القرآني هو الخبر الصادر عن الذات الإلهية أو على لسان أحد المرسلين وهو يتضمن أحد أمرين:

- **تتبع حقائق الأحداث والوقائع التي مرت بها الأمم السالفة**
- **تتبع حقائق الدين وشرائعه وعرضها وبيانها**

وذلك قصد تحقيق الغاية الكبرى التي جاءت من أجلها عقيدة التوحيد.

يتضمن هذا التعريف دلالة مصطلح القصص على الخبر. والخبر هو ما ينقل عن الغير [3]. وهو ما له نسبة في الخارج تطابقه، أي أن الخبر له مرجع في الواقع العياني الملموس. وهذا يعني أن مصطلح القصص في القرآن يحيل على أحداث حقيقية ووقائع تاريخية. غير أن بعدها الزمني عرضها لاحقا للنسيان والاندثار، لذا فإن معرفتها تستوجب تتبع آثارها الهادية إليها.ثم إن

[1]- مقاييس اللغة باب الهمزة والثاء وما يثلثهما.

[2]- عمدة الحفاظ باب الهمزة فصل الألف والثاء.

[3]- تاج العروس باب الراء فصل الغين.

القصص صادر عن الذات الإلهية، وذلك إما بصيغة الجمع المتكلم الذي يحيل عليهامباشرة، أو على لسان أحد الأنبياء والمرسلين. وبناء على ذلك يكون القصص القرآني وحيا إلهيا يمتاز بما يتمتع به الوحي من خصائص ومميزات إعجازية.والقصص القرآني يتضمن أحد أمرين:

- الإخبار عن الوقائع التي حدثت للرسل والأنبياء ومن عاشرهم من أقوام بغرض أخذ العبرة مما آلت إليه تلك الأحداث.

- عرض الآيات التي أمر الوحي الإلهي بتبليغها، وذلك عن طريق تتبعها خطوة خطوةمن أجل بيانها للناس.

وأما الغاية من القصص فيمكن إجمالها في خدمة عقيدة التوحيد. وهي لا تنحصر في هدف واحد، بل تتعداه إلى أهداف متعددة كما تنص على ذلك الآيات المتضمنة لمصطلح القصص وهي:

- التفكر { فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} الأعراف 176، والتفكر من أهم شعائر الدين وهو فريضة عظمى يقوم على أساسها الاعتقاد الصحيح بحقيقة الخالق والكون والحياة وتسخر لأجلها ملكة العقل التي يخاطبها القرآن الكريم. وقد جعل سبحانه وتعالى القصص أحد القنوات لأداء فريضة التفكر والتمعن في قدرته وإعمال العقل في أنباء السابقين ومآلاتهم.

- ومن أهداف القصص تثبيت الفؤاد: { وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } هود 120.ويتوجه الخطاب في هذه الآية الكريمة إلى ملكة أخرى من ملكات الإنسان وهي القلب: مكمن المشاعر والأحاسيس — وإن كان ظاهر الآية يفيد بأنه خطاب مختص بالرسول (ص) — وإذا كان فؤاد النبي (ص) يحتاج إلى تثبيت، فإن أفئدة المؤمنين من عامة الناس أحوج إلى مثله للثبات بما جاءت به الرسالة. والحاجة إلى التثبيت تتضمن الإشارة إلى ما قد يستشعره النبي (ص) والمؤمنون من قلق وخوف بسبب الصراع مع الكفار والمشركين وإبطاء النصر وتسرب القلق والاضطراب إلى نفوسهم

بسبب ذلك. فيكون القصص وسيلة إلى التخلص من الوساوس وهواجس النفس، واستعادة الإحساس باليقين في نصر الله وتأييده ومنته بالسلم والرخاء.

– ومن أهم أهداف القصص العبرة والموعظة؛ فالقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد. وأهم ما يعين على بلوغ هذه الغاية أمثال السابقين من الأمم. والعبرة هي العجب والتدبر. والمعتبِر هو المستدِل بالشيء على الشيء[1] أي قياس الأحوال الحاضرة على مثيلاتها الماضية، وهو ما يستلهمه متلقي القصص القرآني نظرا لما يخضع له من تأثير قوي في نفسه.

– ومن أهداف القصص القرآني كذلك إثبات الوحي الإلهي كما تنص على ذلك الآية الكريمة: { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِين } يوسف 3. وقوله: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } يوسف 111. فالقصص وسيلة لإثبات الوحي بما تضمنه من أخبار وغيوب يخبر بها نبي أمي لم يعلمه بشر. وغاية تصديق الوحي كما تنص على ذلك الآية الكريمة، لا يحققها إلا هذا القصص بالمعنى الذي سبق تحديده، وهو الخبر المرسل من الله تعالى القائم على حقائق ثابتة وليس حديثا يفترى أو حكايات مختلقة.

يتضح من خلال تعريف مفهوم القصص في القرآن الكريم أن هذا المفهوم له مميزاته الخاصة التي تميزه عن سائر أنواع القصص، ويزداد هذا المفهوم تميزا بتعرف صفاته وخصائصه وعلاقاته مما لا يدع مجالا للخلط بينه وبين غيره من أشكال القصة الأدبية. ولذلك فإن دراسة القصص القرآني ينبغي أن تسلك أساليب ومناهج تراعي هذا التميز وتنأى به عن خلاصات النظريات النقدية الأدبية.

---

[1]– لسان العرب حرف الراء فصل العين.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا: كتب التفسير

- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة، القاهرة 1391هـ - 1971 م.

- البحر المحيط، أبو حيان، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413 ه – 1993 م.

- التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس 1984.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الرياض 1418ه – 1997 م.

- تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى 1365 ه – 1946م.

- تفسير المنار، رشيد رضا، دار المنار، الطبعة الثانية، القاهرة 1366ه -1947 م.

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، 1423ه – 2003 م.

- جامع البيان، محمد بن جرير الطبري تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1422ه – 1-2001م.

- الدر المنثور، السيوطي في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة 1424ه – 2003م.

- روح المعاني، شهاب الدين الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، مراجعة يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة 1428ه- 2007م.

- الكشاف، جار الله الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1418 ه- 1998 م.

- لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق عبد السلام علي محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1425 ه – 2004م.

- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1419ه – 1998م.

- المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1422ه – 2001م.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن محمود النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419ه – 1998م.

- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت 1401ه – 1981م.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة 1404ه- 1984م.

ثانيا: كتب اللغة والمعاجم الاصطلاحية.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق جماعة من الباحثين بإشراف وزارة الإعلام، مطبعة التراث العربي، الكويت، الطبعة الثانية، 1407ه – 1987م.

- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة 2004.

- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1384هـ- 1964م.

- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، القاهرة 1410ه – 1990م.

- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون المعروف بدستور العلماء، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، تهذيب وتصحيح قطب الدين الحيدرآبادي، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد، دكن، الهند، الطبعة الأولى، د.ت.

- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكرياء بن محمد الأنصاري، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت 1411ه – 1991م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، بيروت 1399ه – 1979م.

- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف عبد الدايم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1417ه – 1996م

- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت 1988.

- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم للثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998.

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت 1996.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحسيني الكفوي تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1419ه – 1998م.

- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت د.ت.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة 1422ه – 2001م.

- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت د.ت.

- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، مصر 1399ه- 1979م.

المصطلحات الطبية المعرَّفة
في "القانون في الطب" لابن سينا (ت 428هـ)

د. محمد بوحمدي[*]

هذا العرض مساهمة متواضعة في الكشف عن منظومة مصطلحية طبية تراثية، مأخوذة من مصدر طبي تراثي معروف، وأعني به: القانون في الطب[1] للشيخ الرئيس ابن سينا رحمه الله.

والقانون في الطب خزان ضخم للمصطلح الطبي التراثي عموما، والمصطلح المعرف منه خصوصاً، المصوغ بلغة علمية بسيطة أنيقة. فكثير من مصطلحاته الطبية شارحة نفسها. وهنا مكمن قوتها الاصطلاحية، والبساطة نبوغ وتميز وعبقرية، لا تتأتى إلا لمن اجتمعت له المعرفة العلمية الدقيقة بالشيء المراد تسميته: علة أو معلولاً، داءً أو دواءً. والملكة اللغوية التي تسعف في إيجاد المصطلح المناسب ببساطة ووضوح، ودون تقعر أو تكلف.

ولم أشغل نفسي بالحديث عن حياة المؤلف، أو ثقافته أو شيوخه، أو مصادره العلمية، أو إنتاجاته الغزيرة التي تقدر بحوالي 276 بين رسالة وكتاب، وفي اللغتين العربية والفارسية[2].

---

[*]- أستاذ بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب ظهر المهراز فاس.

[1]- الكتاب في ثلاثة أجزاء، عدد صفحاته 1540 صفحة طبعة دار صادر. بيروت.

[2]- موسوعة مصطلحات ابن سينا .د. جيرار جهامي. مكتبة لبنان ناشرون. ص:

بل اقتصرت، فقط، على رصد المصطلح الطبي المعرف، وجَرْده، واستخراجه. فعملي في هذا العرض عمل تقني، انتقائي. تجميعي للمصطلحات الطبية المعرفة، لتُعرف، ويُعلم بوجودها، وتكون رهن إشارة أهل الصنعة وذوي الاختصاص، ويستفاد منها تأليفا وترجمة. ولا يمكن أن تتحقق الإستفادة منها إلا بشروط:([1])

1-شرط العلم بوجودها.

2-شرط الفهم لمرادها.

3- شرط إعمالها لا إهمالها.

والمقصود بالمصطلحات الطبية المعَرَّفة تلك الألفاظ أو العبارات التي شرح ابن سينا دلالتها الاصطلاحية، وعرفها تعريفا مَّا، بالأسباب، أو بالعوارض والخصائص، أو بالمكونات، أو بالوظائف، أو بالضد، وما شاكل ذلك.

فالمصطلح الطبي المعرف إذن، هو اللفظ، أو العبارة، أو الرمز الذي يعين مفهوما مجرداً، أو محسوسا داخل مجال العلوم الصحية([2])

[1]- نظرات في تعريف العلوم الصحية وأهمية المصطلح الصحي في التراث دراسات مصطلحية (9). الدكتور البوشيخي. ص:22.

[2]- علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية, بإشراف الدكتور محمد هيثم الخياط الإشراف العام والمراجعة الدكتور الشاهد البوشيخي. ص: 62.

وقد وجد ابن سينا في الاشتقاق عونا كبيرا مكنه من إيجاد المصطلح المناسب، فهو يولّد مصطلحاته الطبية بشكل سلس ومستساغ، ينضبط فيه لقواعد اللغة العربية، ونادراً ما يلجأ إلى استعمال المعرَّب أو الدخيل، فمن مجموع 170 مصطلحا طبيا معرّفا، تقريبا، لم أجد سوى ستة مصطلحات طبية معرّفة معرّبة أو دخيلة. وهذه ظاهرة تلفت الانتباه، ولها دلالتها؛ فندرة المصطلح المعرّب أو الدخيل عند ابن سينا دليل على أن اللغة العربية استطاعت الوفاء بحاجات الطبيب العلمية الطبية في القرنين الرابع والخامس الهجريين، فيما يتعلق بإيجاد المصطلح الصحي المناسب.

واستخدام ابن سينا للمصطلح الطبي المعرّب أو الدخيل في المرات الست تعبير عن اقتناعه بأن هذه المصطلحات الطبية لا يمكن التعبير عنها بدقة باللغة العربية، وهي: المالنخوليا،([1]) والمانيا،([2]) وإيلاوس،([3]) وديانيطس.([4]) ومصطلحان عربيان آخران، وضع إزاءهما المقابل الأعجمي رفعاً للبس الدلالي وهما: السلاق (ويسمى انيوسيما باليونانية).([5]) والجوع المسمى بوليموس،([6]) ويعرف أيضا بالجوع البقري.

ولقد وجد ابن سينا في الاشتقاق، كما سلف القول، آلية مهمة لتوليد المصطلح الطبي العربي الأصيل. وتتكرر عنده، على نحو خاص، الصيغتان الصرفيتان اللتان أجمع اللغويون العرب على استعمالهما للعلل والادواء، هما: فَعَلٌ، وفُعال.

ومن أمثلة فَعَلٌ:([7]) خَدَر، سَبَل، حَوَل، غَرب، رَمَد...

---

[1]- القانون في الطب 65/2

[2]- نفسه 63/2

[3]- نفسه 471/2

[4]- نفسه 526/2

[5]- نفسه 132/2.

[6]- نفسه 319/2.

[7]- ينظر مسرد المصطلحات الطبية المعرفة في القانون.

ومن أمثلة فُعال:([1]) قُلاع، سُلاق، عُطاس، دُوار، فُواق، خُناق، جُناب...

واستعمل صيغة صرفية أخرى، بشكل أقل،هي: فَاعول،

مثل: كابوس، خانوق (خُناق)، جاثوم..

ونص اللغويون على أنها تستعمل اسماً كما تستعمل صفةً كذلك، مثلما نجد عند ابن سينا.

ويولد اسم الفاعل([2]) من الثلاثي، ومن الرباعي لتسمية الأدوية، فنجد عنده الجاذب، والجالي، واللاذع، والكاوي، والقاشر، والقابض. ونجد: المخدر، والمغلظ، والمجفف، والمرطب، والمدّر، والمسهل، والمعرّف...

والملاحظ أن المصطلحات الطبية المعرفة التي وضعت للأدوية قريبة جداً من دلالتها اللغوية العادية، فالمفتت([3]) "هو الدواء الذي إذا صادف خِلْطا متحجّراً صغّر أجزاءه، ورَضَّه، مثل مفتت الحصاة من حجر اليهودي وغيره.

والكاوي([4]) هو الدواء الذي يأكل اللحم، ويحرق الجلد إحراقاً مجففاً، ويصلّبه. ويستعمل في حبس الدم من الشرايين ونحوها مثل الزاج.

والمحمر([5]) هو الدواء الذي من شأنه أن يسخن العضو الذي يلاقيه تسخينا قويا، حتى يجذب قُوى الدم إليه جذبا قويا يبلغ ظاهره فيحمرّ...

وهكذا الشأن في كل المصطلحات الطبية المعرّفة التي وضعها للأدوية، فهو لا يرهق نفسه، ولا يجهد فكره في البحث عن المصطلح، إذ يستمده من تأثير الدواء ووظيفته.

[1]- ينظر المسرد.

[2]- ينظر المسرد.

[3]- القانون في الطب 234/1.

[4]- نفسه 234/1.

[5]- نفسه 233/1.

ويطبق هذه الآلية أو هذه التقنية فيما يخص المصطلحات الطبية للمرضى، فهو يستعمل صيغة اسم المفعول من الثلاثي: فالمريض بالبواسير([1]) مبسور،([2]) والمصاب بالفَتْق([3]) مفتوق، والمريض بالسكتة([4]) مسكوت، والمصاب بذات الجنب([5]) مجنوب ومعلول المعدة مَمْعود... وسار على هذا النحو في كثير من الأدواء والعلل.

والجميل في المصطلحات الطبية المعرّفة التي ينحتها ابن سينا بآلية الاشتقاق، أنها تتكون من لفظة واحدة فقط لا غير، هذا هو النمط الغالب. غير أنه يلجأ، أيضا، إلى أسلوب آخر، إلى جانب الاشتقاق، في توليد المصطلحات هو التركيب الإضافي (مضاف+ مضاف إليه)، فنجد عنده مصطلحات طبية معرّفة تعتمد على علاقة التضايف، مثل ذات الجنْب،([6]) ذات الرئة،([7]) داء الكَلَب،([8]) داء الفيل([9])...

وقلما يستعمل المركب الوصفي مثل:

الجوع المغَشّي،([10]) النَّفَس الصغير([11]) أو الضيق، النَّفس العظيم.([12])

---

[1]- القانون في الطب 479/2.

[2]- نفسه 484/2.

[3]- نفسه 609/2.

[4]- نفسه 86/2.

[5]- نفسه 238/2.

[6]- نفسه 238/2.

[7]- نفسه.

[8]- نفسه 63/2.

[9]- نفسه 611/2.

[10]- نفسه 319/2.

[11]- نفسه 214/1.

[12]- نفسه 214/1.

ولابن سينا، في تعريف المصطلح الطبي، أدوات منهجية أخرى تتمثل في الاعتماد كثيراً على الأسباب، والعوارض، واللوازم الذاتية، كما يشير إلى ذلك في سياق تعريفه لعلم الطب: "الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان... لما كان الطب ينظر في بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة، والعلم بكل شيء إنما يحصل ويتم إذا كان له أسباب، فيجب أن يعرف في الطب أسباب الصحة والمرض. والصحة والمرض قد يكونان ظاهرين، وقد يكونان خفيين، لا ينالان بالحس، بل بالاستدلال من العوارض...".([1])

ويقول أيضا: "العلم بالشيء إنما يحصل من جهة العلم بأسبابه ومباديه إن كانت، وإن لم تكن، فإنما يتم من جهة العلم بعوارضه، ولوازمه الذاتية."([2])

فعينه عند التعريف، في الأغلب الأعم، على هذه العوامل الثلاثة: الأسباب، والعوارض،([3]) واللوازم الذاتية.([4])

ومن أمثلة التعريف بالأسباب، تعريفه للرعشة، وتعريفه للقُمور:

1-الرعشة:([5]) علة آلية تحدث لعجز القوة المحركة عن تحريك العضل على الاتصال.. فتختلط حركات إرادية بحركات غير إرادية، وهي آفة في القوة المحركة. كما أن الخدر آفة في الحسّاسة.

2- القمور:([6]) قد يحدث من الضوء الغالب، والبياض الغالب، كما يغلب إذا أديم النظر في الثلج، فلا يرى الأشياء، أو يراها من قريب، ولا يراها من بعيد.

---

[1]- القانون في الطب.

[2]- نفسه.

[3]- لعله يقصد الأعراض باللغة الحديثة.

[4]- لعله يقصد الخصائص باللغة الحديثة.

[5]- القانون في الطب 105/2.

[6]- القانون في الطب 148/2.

ومن أمثلة التعريف بالعوارض تعريفه للّقْوة، وتعريفه للمانيا:

1- اللقوة:([1]) علة آلية في الوجه، ينجذب لها شق من الوجه إلى جهة غير طبيعية، فتتغير هيئته الطبيعية، وتزول جودة التقاء الشفتين والجفنين من شق.. والجانب المريض هو الذي يرى سليما.

2- المانيا:([2]) هو الجنون السبعي، كله اضطراب، وتوثب، وعيث وسبعية، ونظر لا يشبه نظر الناس، بل أشبه شيء به نظر السباع.

ويعمد، أحيانا إلى تعريف المعرّف باللوازم الذاتية، أو الخصائص(3)، بأن يذكر الشكل، أو اللون أو الحجم، أو ما شابه ذلك.

ومن أمثلة هذا الصنف تعريفه للطّرفة، وتعريفه لِلْبَرَدة:

الطّرفة:(4) نقطة من دم طري أحمر، أو عتيق مائت، أكْهَب أسود، قد سال عن بعض العروف المتضجرة في العين بضربة مثلا، أو لسبب آخر مفجر للعروف.

البَرَدة(5): رطوبة تغْلُظ، وتتحجر في الجفن، وتكون إلى البياض، تشبه البَرَد.

كما يعرف بالمكونات، بأن يصف المفهوم من خلال التركيز على تعداد أهم مكوناته.(6)

ومن أمثلته: تعريفه لقصبة الرئة، وتعريفه للكبد:

[1]- نفسه 103/2.

[2]- نفسه 63/2.

[3]- علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية: 232.

[4]- القانون في الطب: 128/2.

[5]- نفسه 133/2.

[6]- علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية: 232.

قصبة الرئة:(1) عضو مؤلف من غضاريف كثيرة، دوائر وأجزاء دوائر، فضّد بعضها على بعض.

الكبد:(2) هو العضو الذي يتمم تكوين الدم، لحم أحمر، كأنه دم، ولكنه جامد، وهي حالته عن ليف العصب منبثة فيها العروق التي هي أصول لما ينبثّ منه متفرقة فيه كاللّيف.

ويعرف أحيانا بالقسمة،(3) و لم يعرف بالضد الاّمرة واحدة، في معرض تعريفه للصحة والمرض؛ فعندما يعرض الصحة "بأنها هيئة يكون فيها بدن الإنسان في مزاجه وتركيبه، بحيث يصدر عنه الأفعال كلها صحيحة سليمة."،(4) يعرج على المرض معرفا، ويقول:

"المرض هيئة في بدن الإنسان مضادة لهذه الحالة".(5)

تلك بعض السمات أو الخصائص العامة التي يتميز بها المصطلح الطبي عند ابن سينا صياغةً وتعريفا.

وقد أرفقت هذا العرض بمسرد للمصطلحات الطبية المعرفة التي عرفها الشيخ الرئيس في كتابه القانون في الطب، و لم أهمل إلا التعريفات الطويلة جداً التي يستغرق بعضها ما يقارب صفحة الكتاب، كتعريفه للسان، على سبيل المثال. ولكنها على كل حال قليلة جداً ولا تقلل من قيمة هذا المسرد وأهميته.

[1]- القانون في الطب.

[2]- نفسه 349/2.

[3]- علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية: 232 ومن نماذج التعريف بالقسمة عند ابن سينا تعريفه للبواسير, القانون في الطب: 479/2.

[4]- القانون في الطب 75/1.

[5]- نفسه 75/1.

وأملي أن أكون قد ساهمت في تنشيط الذاكرة الطبية التراثية، واستحضار جزء صغير جداً من إنجاز شخصية عظيمة في تاريخ الطب العربي الإسلامي، و لم يكن ابن سينا عظيما في الطب البدني فقط، بل وفي الطب النفسي كذلك.

–أ–

–الأبنة: علة تحدث لمن اعتاد أن تطأه الرجال، وبه شهوة كثيرة وهمية، ومني كثير غير متحرك، وقلبه ضعيف، وانتشاره ضعيف في الأصل.

–الاختلاج: حركة عضلانية، وقد يتحرك معها ما يلتصق بها من الجلد.

–الانتفاخ: ورم بارد مع حكة.

–الاختناق([1]): امتناع نفوذ النفس إلى الرئة والقلب.

–اختناق الرحم: علة شبيهة بالصرع والغشْي([2])، ويكون مبدؤها من الرحم، وتتأدى إلى مشاركة قوية من القلب والدماغ بتوسط الحجاب والشبكة والعروق الضاربة([3]) والساكنة([4]).

–اختلاط الذهن: آفة في الأفعال الفكرية، والسبب المحدث لها يقع في البطن الأوسط من الدماغ.

–الأكال: هو الدواء الذي يبلغ من تحليله وتقريحه أن ينقص من جوهر اللحم مثل الزنجار.

---

[1]–ويسمى أيضا: الخُناق وهو داء يَعْسُر معه نفُوذُ النَّفَس إلى الرئة

[2]–الغَشْيُ: غُشِيَ عليه غَشْياً وغَشَيَاناً: أَلَمَّ به وما غشَّى فهمه وأفقده الحس والحركة.

[3]–العروق الضاربة أو الضوارب عند ابن سينا هي الشرايين.

[4]–العروق الساكنة عند ابن سينا هي الأوردة.

-الأمراض المركبة: هي الأمراض التي إذا اجتمعت حدث من جملتها شيء هو مرض واحد، وهذا مثل الورم والبثور([1]) من جنس الورم، فإن البثور أورام صغار، كما أن الأورام بثور كبار.

-انتصاب النفس: هو التنفس الذي لا يتأتى لصاحبه إلا أن ينتصب ويستوي، ويمد رقبته مداً إلى فوق فينفتح بسببه المجرى، ولا يستطيع أن يُحني العنق، لأنه يضيق عليه النفس.

الإنثيان([2]): عضوان رئيسيان يتولد فيهما المني من الرطوبة المتحلبة إليهما في العروق، كأنها فضل من الغذاء الرابع في البدن كله، وهو أنضج الدم وألطفه.

-إيلاوس: مثل القولنج إذا عرض في المعي الدقاق.

-الانتشار: أن تصير الثُّقبة العِنَبِيَّة([3]) أوسع مما هي بالطبع.

- ب -

-البثور المعروفة بالبُطْم([4]): هذه بثور قد تظهر في الساق سوداوية كأنها ثمرة الطرفاء، والحبة الخضراء الكبيرة.

-البَرَدة: رطوبة تغلظ وتتحجر في الجفن، وتكون إلى البياض تشبه البرد.

البرص الأسود: جنس مخالف في المعنى للبرص الأبيض، لأن البرص الأسود هو المسمى القُوباء([5]) المتقشر، وهو تخزف يعرض للجلد مع خشونة شديدة وتفليس([6])، كما يكون للسمك مع حكة.

---

[1]-مفردها بَثْرٌ, وهو كل ما يخرج بالبدن كالدُّمَّل, ويسمى أيضاً خُراجاً ووَرَماً.

[2]-الإنثيان هي المبيضان. في التراث الطبي العربي, سليمان قطاية, ص178

[3]-الثُّقبة العِنَبِيَّة: إنسان العين, وهو سوادُها أو ما يرى في سوادها.

[4]-البُطم في اللغة نوع من الشجر.

[5]-سيأتي تعريفه, وهو داء في الجسد يتقشر منه الجلد.

[6]-تفليس: تقشير, فُلُوس السمك ما عليه من قشور.

-البهق([1])، والوَضَح([2])، والبرَص الأبيض والأسود: الفرق بين البهقين والبرص الأبيض الحقيقي أن البهقين في الجلد، وإن كان غَوَّر([3])فقليل جداً، والبرص نافذ في الجلد واللحم إلى العظم.

-البهق الأسود: فلا يشكل أمره، وأما المشكل فهو الفرق بين الوضح الذي هو البهق الأبيض. وبين البرص الرديء، ومن الفرق بينهما أن الشعر ينبت على الوضح بلون الشعر أسود أو أشقر. وينبت على البرص أبيض لا غير.

-بنات الليل: حَكَّة وخشونة وبَثْرٌ صغار تعرض للجلد في البرْد، وفي الليل لضيق المسام.

-الباذزهر: كل دواء من شأنه أن يحفظ على الروح لونه وصحته، ليدفع بها ضرر السم عن نفسه. واسم الباذزهر بالمفردات الواقعة عن الطبيعة أولى. ويشبه أن تكون المعدنيات أحق باسم الباذزهر.

-الباذشنام والحمرة المفرطة: الباذشنام حمرة منكرة تشبه حمرة من يبتدئ به الجذام، يظهر على الوجه، وعلى الأطراف خصوصا في الشتاء والبرد. وربما كان معها قروح.

-البواسير([4]): تنقسم بضرب من القسمة المشهورة إلى:

-ثُؤْلولية، وهي أردؤها، تشبه التآليل الصغار.

-عِنَبيَّة، وهي مستعرضة مدوّرة أرجوانية اللون.

-توتِيَّة، وهي رخوة دموية.

---

[1]-البَهَق: بياض دون البرص.

[2]-الوَضَح: بياض البرص.

[3]-غَوَّر في الجلد: دخل فيه.

[4]-يسمى المريض بالبواسير المبسور.

وقد تكون منقسمة إلى ناتئة، وإلى غائرة، وهي أردؤها وخصوصا التي تلي ناحية القضيب، فربما حَبَست البول.

-بواسير الأنف: لحوم زائدة تنبت، فربما كانت لحوما رخوة بيضاء، ولا وجع منها، وهذه أسهل علاجاً. وربما كانت حمراء، وكمدة([1]) شديدة الوجع، وهذه أصعب علاجاً.

-ت-

-الترقوة: عظم موضوع على كل واحد من جانبي أعلى القفص.

التِّرياق: كل دواء من شأنه أن يحفظ على الروح لونه وصحته ليدفع بها ضرر السم عن نفسه، وكأن اسم الترياق بالمصنوعات أولى. ويشبه أن تكون النباتيات من المصنوعات أحق باسم الترياق.

-التشنج: علّة عصبية تتحرك لها العضل إلى مباديها فتعصى في الانبساط. فمنها ما تبقى على حالها فلا تنبسط، ومنها ما يسهل عوده إلى البساط كالتثاؤب والفواق([2]).

-التمدد: مرض آلي يمنع القوة المحركة عن قبض الأعضاء التي من شأنها أن تنقبض لآفة في العضل والعصب.

-التوتة: لحم رخو يحدث في باطن الجفن، فلا يزال يسيل منه دم أحمر وأسود وأخضر.

-ج-

- الجحوظ: شدة انتفاخ المقلة لِثِقلٍ بها وامتلائها، أو شدة انضغاطها إلى الخارج.

---

[1]- الكُمْدة: تغيّر اللون وذهاب صفائه

[2]- سيأتي رسمه أو تعريفه.

-الجُذام: علة رديئة يحدث من انتشار الـــمِرَّة السوداء([1])في البدن كله، فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها، وشكلها، وربما فسد في آخره اتصالها، حتى تتآكل كل الأعضاء، وتسقط سقوطا عن تقرح، وهو كسرطان عام للبدن كله.

-الجراحة اللحمية: شق بسيط مستقيم، أو مدور، أو ذو أضلاع. أو شق مع نقصان شيء من اللحم وقد يكون غائراً نافذاً، وقد يكون مكشوفا. ولكل واحد تدبير. ويشترك الجميع في حبس الدم السائل.

-جَسَا الأجفان([2]): هو أن يعرض للأجفان عسر حركة إلى التغميض عن انفتاحه، وإلى الانفتاح عن تغميضه، مع وجع وحمرة بلا رطوبة في الأكثر.

-الجاذب: هو الدواء الذي من شأنه أن يحرك الرطوبات إلى الموضع الذي يلاقيه، وذلك للطافته وحرارته. والدواء الشديد الجذب هو الذي يجذب من العمق نافع جداً لِعرْقِ النَّسا([3]) وأوجاع المفاصل الغائرة ضماداً.

-الجالي: هو الدواء الذي من شأنه أن يَحْرِف([4]) الرطوبات اللزجة والجامدة من فوهات المسام في سطح العضو حتى يبعدها عنه مثل ماء العسل، وكل دواءٍ جالٍ فإنه بجلائه يلين الطبيعة.

---

[1] - المِرَّة السوداء: خِلْطٌ من أخلاط البدن, وهو الصفراء أو السوداء. وسيأتي تعريف الخلط, وجمعه أخلاط ويعرف الجذام كذلك بداء الأسد, لأن الجذام إذا أصاب الوجه يجعله شبيها بوجه الأسد.

[2] - من جَسَأَ يَجْسَأُ إذا صلب ويَبِسَ.

[3] - عرق النَّسَا: عِرق من الورك إلى الكعب.

[4] - أن يَحْرِف: أن يزيل.

-الجوع المسمى بوليموس، ويعرف أيضا بالجوع البقري، وهو في الأكثر، يتقدمه جوع كلي، وتبطل الشهوة بعده وقد لا يكون بعده. بل تبطل الشهوة أصلا ابتداءً. وهو جوع الأعضاء مع شبع المعدة، فتكون الأعضاء جائعة جداً. مفتقرة إلى الغذاء، والمعدة عائقة له كارهة.

-الجوع المغشي: وهو أن يكون صاحب هذا الجوع لا يملك نفسه إذا جاع. وإذا تأخر عنه الطعام غُشِيَ عليه، وسقطت قوته

-ح-

-الحدبة: زوال الفقرات، إما إلى داخل الظهر، أو إلى قدام. وهو حَدَبة المقدم. وقوم يسمونه التقصيع([1]). وإذا وقع بشركة مع عظام القص([2]) سمي القَعَس([3]) والتقصع، وإما إلى خارج الظهر، وإلى خلْف، وهو حدبَة المؤخر، وإما إلى جانب، ويقال له الالتواء.

-الحمّى: حرارة غريبة تشتعل في القلب، وتنبث منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق في جميع البدن، فتشتعل فيه اشتعالا لا يضر بالأفعال الطبيعية.

-الحنجرة: عضو غضروفي خلق آلة للصوت.

-الحَوَل: استرخاء بعض العضل المحركة للمقلة، فتميل عن تلك الجهة إلى الجهة المضادة لها.

-خ-

الخدَر: علة آلية تحدث للحس اللمسي آفة، إما بطلانا، وإما نقصانا مع رعشة إن كان ضعيفا، واسترخاء إن استحكم.

-الخفقان: حركة اختلاجية تعرض القلب.

[1] - التقصيع من: قَصَّع الزرع من الأرض إذا خرج.

[2] - القَص: الصدر أو عظمه.

[3] - القَعَس: مَيَلان الرأس, والعنق, والظهر. من: قَعِسَ: خرج صدره, ودخل ظهره خِلْقة. وهو ضد الحَدَب

-الخِلْط([1]): جسم رطب سيال يستحيل إليه الغذاء أولاً، فمنه خلط محمود، وخلط رديء.

-الخَلْع: خروج العظم عن موضعه ووضعه الذي له بالطبع عندما يجاوره خروجا تاما، فإن لم يخرج تاماً سمي زوال المفصل إلى جهة غائصة أو بارزة يعرف بالجس، ويكون زوالا غير تام، وقوم يسمونه الوَثْيَ([2])، وإذا كان أذى لم يحرك العظم لكنه رَضَّ ما يحيط به فهو الوَهَن، وليس من الوَثي.

-الخنثى: من لا عضو الرجال له، ولا عضو النساء. ومنهم من له كلاهما. لكن أحدهما أخفى وأضعف.

-الخاتم: هو الدواء المجفّف الذي يجفف سطح الجراحة حتى يصير خشكريشة.

-الخيالات: ألوان تحس أمام البصر كأنها مبثوثة في الجو. والسبب فيها وقوف شيء غير شفاف ما بين الجليدية وبين المبصرَات.

– د–

-الدمعة([3]): علة تكون معها العين دائما رطبة برطوبة مائية.

-داء الفيل: هو زيادة في القدم وسائر الرجل على نحو ما يعرض في عروض الدوالي. فيغلظ القدم ويكثفه.

-داء الكَلَب: نوع من الجنون السبعي. يكون مع غضب مختلط بلعب وعبث وإيذاء مختلط باستعطاف كما هو من طبع الكلاب.

---

[1]- الخِلط وجمعه أخلاط. وأخلاط الجسد في عُرف الأقدمين: الدم, والبلغم, والسوداء, والصفراء.

[2]- سيأتي تعريفه في الواو.

[3]-والذي تكثر به الدمعة يسمى: المرطوب.

-الداحس: هو ورم حار يعرض عند الأظفار مع شدة ألم، وضربات. وربما يبلغ ألمه الإبط، وربما اشتدت معه الحمى. فإذا عرض في أصل الظفر عرض منه انقلاع الظفر، وأكثر ما يعرض في اليدين. وكثيراً ما يتقرح، وربما تأدى التقرح إلى التآكل، وإفساد الأصبع، وذلك عندما يسيل منه مادة منتنة.

-الدُّوار: أن يتخيل لصاحبه أن الأشياء تدور عليه، وأن دماغه وبدنه يدور، فلا يملك أن يثبت بل يسقط. وكثيرا ما يكره الأصوات، ويعرض له من تلقاء نفسه مثل ما يعرض لمن دار على نفسه كثيراً بالسرعة، فلم يملك أن يثبت قائما أو قاعداً، وأن يفتح بصره.

-الدّوالي: هو اتساع من عروق الساقين والقدم لكثرة ما يترل إليهما من الدم، وأكثره الدم السوداوي.

-ديانيطس([1]): هو أن يخرج الماء كما يشرب في زمن قصير. ونسبة هذا المرض إلى المشروب وإلى أعضائه نسبة زَلْق المعدة والأمعاء إلى المطعومات.

- ذ -

-ذات الجنب([2]): ورم حار في نواحي الصدر، فقد يعرض في الحجب والصفاقات والعضل التي في الصدر ونواحيها والأضلاع أورام دموية موجعة جداً تسمى شَوْصَة، وبرساما، وذات الجنب.

[1]- يسمى بالعربية الدوارة, والدولاب, وزلْق الكُلية... صاحبه يعطش ولا يروى.

[2]- ويسمى أيضا: الجُناب, والمريض مجنوب. وذات الجنب بتعبير مبسط التهاب غلاف الرئة يحدث معه سعال وحمى ونَخْس في الجنب يزداد عند التنفس.

-ذات الرئة: ورم حار في الرئة، وقد يقع ابتداء، وقد يتبع حدوث نوازل نزلت إلى الرئة، أو خوانيق انحلت إلى الرئة، أو ذات جنب استحال ذات الرئة.

– ر–

– الربو: علة رئية لا يجد الوادع معها بداً من تنفس متواتر، مثل النفس الذي يحاوله المخنوق أو المكدود. وهذه العلة إذا عرضت للمشايخ لا تكاد تبرأ، وكيف وهي في الشباب عسيرة البرء أيضا.

– الرّضفة([1]): هي فلْكة ([2]) الركبة.

– الرعشة: علة آلية تحدث لعجز القوة المحركة عن تحريك العضل على الاتصال. فتختلط حركات إرادية بحركات غير إرادية. وهي آفة في القوة المحركة، كما أن الخدر آفة في الحسّاسة.

– الرّعاف: قد يكون قطرات، وقد يكون هائجاً لحقن شديد وسبب غلبة من الدم العالي بقوة. وربما كان الانفجار عن شبكة عروق الدماغ وشرايينه، وهو غير قابل، في الأكثر، للعلاج.

– الرعونة والحمق: آفة من آفات العقل بحسب النقصان، أو البطلان.

-الرمد: ورم حار يعرض للطبقة الملتحمة، وقد يكون سببه حر الشمس والغبار والدخان، وقد يكون من أسباب أخرى.

-الرادع: هو مضاد الجاذب، وهو الدواء الذي من شأنه لبرده أن يحدث في العضو برداً، فيكثفه، ويضيق مسامه، ويكسر حرارته الجاذبة. ويجمد السائل إليه أو يخثره، فيمنعه من السيلان إلى العضو، مثل عنب الثعلب في الأورام.

[1]- الرَّضْفة: العظم المدور في رأس الركبة, والمتحرك.

[2]- الفَلْكة: كل ما ارتفع ونتأ واستدار مثل فلكة الركبة.

-الزكام والنّزلة: هاتان العلتان تشتركان في أن كل واحد منهما سيلان المادة من الدماغ، لكن من الناس من يخص باسم النزلة ما نزل وحده إلى الحلق، وباسم الزكام ما نزل عن طريق الأنف، ومن الناس من يسمي جميع ذلك نَزْلة. ويسمي الزكام ما كان نازلا من طريق الأنف رقيقا ملحّا متواتراً، مانعاً من الشم، منصبا إلى العينين، وجلدة الوجه، والنزلة قد تنتفض إلى الحلق، والرئة وإلى المريء والمعدة، فربّما قرحتها.

– س–

السّبَل([1]): غشاوة تعرض للعين من انتفاخ عروقها الظاهرة في سطح الملتحمة والقرنية، وانبساج شيء فيما بينها كالدخان.

-السُّبات: النوم المفرط الثقيل في المدة والكيفية، مدته أطول، وهيئته أقوى، فيصعب الانتباه منه وهو عرض مرض في بعض الأعضاء.

-السُّدَّة([2]) في الخيشوم: هي الشيء المحتبس في داخله حتى يمنع الشيء النافذ من الحلق إلى الأنف. أو من الأنف إلى الحلق. وقد يكون خلطا لزجاً. وقد يكون لحماً ناتئاً، وقد يكون خشكريشة.

-السُّدية: هي لحيمة بثْريّة تزيد في المقلة.

السّرسام([3]): كلمة فارسية مكونة من السر، وهو الرأس، والسام وهو الورم، والمرض من علاماته: حمى لازمة، وهذيان واختلاط عقل، وعبث الأطراف، واختلاج الأعضاء، ووجع من خلف الرأس عند القفا، وصياح، وتخيل أشباح لا وجود لها، واضطراب النوم، وبعض الشعاع.

---

[1]- السَّبَل: pannus.

[2]- السُّدة: وتسمى أيضا السُّداد, داء في الأنف يمنع تنسم الريح.

[3]-السِّرسام الحار عند ابن سينا هي ما يعرف الآن بالالتهاب السحائي أو الحمى الشوكية.

السّعْفة([1]): من جملة البثور القرحية، تبتدئ بثوراً خفيفة متفرقة في عدة مواضع، ثم تتقرح قروحا خشكريشية، وتكون إلى حمرة، وربما بَسَلت([2]) صديدا. وتسمى شيربنجا، وسعفة رطبة.

-السّعال: من الحركات التي تدفع بها الطبيعة أذًى عن عضو ما، وهذا العضو في السعال هو الرئة، والأعضاء التي تتصل بها الرئة أو فيما يشاركها. والسعال للصدر كالعُطاس([3]) للدماغ.

-السّكتة([4]): تعطل الأعضاء عن الحس والحركة، لانسدادٍ واقع في بطون الدماغ، وفي مجاري الروح الحساس والمتحرك.

السُّلاق: (انيوسيما باليونانية): غِلَظٌ في الأجفان، عن مادة غليظة رديئة أكّالة بورقيَّة تحمرُّ لها الأجفان، وينتثر الهدب، ويؤدي إلى تقرح أشفار الجفن، ويتبعه فساد العين.

-السُّم: هو الذي يفسد المزاج بخاصية فيه كالبيش.

السِّمَن: السِّمن المفرط قيد للبدن عن الحركة والنهوض والتصرف، ضاغط للعروق ضغطاً مضيقا لها، فينسدُّ على الروح مجاله.

-ش-

-الشباب والشيب: مادام الدم دسما ثخينا لزجاً، فإن الشعر يكون أسود، فإذا أخذ إلى المائية مال الشعر إلى الشيب.

---

[1]- السَّعْفة أو السُّعاف قروح تخرج في الرأس أو الوجه, أو حول الظّفر.

[2]- بَسَلت صديداً: فَسَدت وأخرجت صديداً. (ويمكن: سيَّلَتْ)

[3]-سيأتي تعريفه أو رسمه بتعبير ابن سينا.

[4]- ويسمى المصاب بالسكتة: المسكوت, وهي داء معروف تتعطل به الأعضاء عن الحس والحركة إلا التنفس.

-الشُّترة([1]): هي انقلاب الجفن، قد يكون من أثر قرحة، وقد يكون من أثر زيادة اللحم.

-الشُّرناق([2]): زيادة من مادة شحمية تحدث في الجفن الأعلى، فتثقل الجفن عن الانفتاح، وتجعله كالمسترخي.. وأكثر ما يعرض للصبيان والمرطوبين، والذين تكثر بهم الدمعة والرّمد.

-شطر الغِبّ([3]): حمى مركبة من حمّيَيْن: إحداهما غِبٌّ، والأخرى بلغمية، فيكون في يوم واحد للغِبّ والبلغمية معا، إمّا على سبيل المشابكة والتّوافي، وإما على سبيل المبادلة والجوار، وإما على سبيل المداخلة والطُّرُوِّ.

-الشَّعيرة: ورم مستطيل يظهر على حَرْف الجفن، يشبه الشعير في شكله، ومادته في الأكثر، دم غالب.

-ص-

-الصحة: هيئة يكون فيها بدن الإنسان في مزاجه وتركيبه، بحيث يصدر عنه الأفعال كلها صحيحة سليمة.

-الصَّرْع: علة تمنع الأعضاء التنفسية عن أفعال الحس والحركة والانتصاب منعا غير تام لسدّة تقع، وأكثره لتشنج كلّي([4]) يعرض من آفة تصيب البطن المقدم من الدماغ، فتحدث سدّة غير كاملة، فيمنع نفوذ قوة الحس والحركة فيه.

[1]- في القانون 133/2: الترة, وهو تصحيف والصواب ما أُثبت.

[2]- ضَمُّ الشين في المصطلح: الشُّرناق, اجتهاد شخصي, قياسا على أن الصيغة الصرفية فعال, مختصة بالدلالة على الأدواء والأمراض, علما مني أن وِزان شرناق الصرفي يزيد على فُعال حرفا واحداً.

[3]- وتسمى أيضا حُمَّى الغِبِّ, وهي التي تنوب يوما بعد يوم كما تسمى كذلك: حُمَّى غِبٌّ على النعت.

[4]- في القانون: كلبي, وهو تصحيف.

-الصُّنان([1]): زعم قوم أن الصُّنَان من بقايا آثار المني المتخلف عنه الإنسان، وقد وقعت إلى نواحي الإبط، ونفذت في مسامّ الجلد، وهذا ليس مما يجب أن يعتمد.

– ض–

ضعف المعدة: اسم لحال المعدة إذا كانت لا تهضم هضماً جيداً، ويكون الطعام يُكَرِّبُها إكراباً شديداً من غير سبب في الطعام.

-الضِّفْدع: شبه غدة صلبة تحت اللسان شبيهة اللون المؤتلف من لون سطح اللسان والعروق التي فيه بالضفدع.

-الضيق: أن تكون الثُّقبة العِنَبيَّة أضيق من المعتاد، فإن كان ذلك طبيعيا فهو محمود، وإن كان مرضيا فهو رديء أردأ من الانتشار، وربما أدى إلى الانسداد.

-ضيق النفس: هو أن لا يجد الهواء المتصرف فيه بالنفس منفذاً إلى جهة حركته إلا ضيقا لا يتسرب فيه إلا قليلا قليلا.

–ط–

الطّرفة: نقطة من دم طري أحمر أو عتيق مائت([2]) أكهب([3]) أسود، قد سال عن بعض العروق المتفجرة في العين بضربة مثلاً أو لسبب آخر مفجّر للعروق، من امتلاء، وورم.

–ظ–

الظّفْرة: زيادة من الملتحمة أو من الحجاب المعين بالعين، يبتدئ في أكثر الأمر من المُوق([4]). ويجري دائما على الملتحمة.

---

[1] – الصُّنان: ذَفَر الإبط أي نَتَنُه.

[2] – المائت: من قارب أن يموت.

[3] – أَكْهَب: تغير لونه إلى غُبْرة (لون الغبار) مشربة سواداً.

[4] – المُوق: مجرى الدمع من العين.

-ع-

-العروق الضوارب، وهي الشرايين.

-العشق: مرض وسواسي شبيه بالمالنخوليا ([1]) يجلبه الإنسان لنفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل التي له، ثم أعانته على ذلك شهوته أو لم تُعِن.

-العَشَاء: أن يتعطل البصر ليلا، ويبصر نهاراً، أو يضعف في آخره.

-العُطاس: حركة حامية من الدماغ لدفع خلط أو مؤذٍ آخر باستعانة من الهواء المستنشق دفعا من طريق الأنف والفم.

-العاصر: هو الدواء الذي يبلغ من تقبيضه وجمعه الأجزاء إلى أن تضطر الرطوبات الرقيقة المقيمة في خللها إلى الانضغاط والانفصال.

الغَسَّال: هو كل دواء من شأنه أن يَحْلُوَ لا بقوة فاعلة فيه، بل بقوة منفعلة تعينها الحركة، أعني بالقوة المنفعلة الرطوبة، وأعني بالحركة السيلان، فإن السائل اللطيف إذا جرى على فوهات العروق ألان برطوبته الفضول فأزالها بسيلانه مثل ماء الشعير، والماء القَراح([2])، وغير ذلك.

-الفتق([3]): انحلال الغشاء عن فردتيه، ووقوع شق فيه ينفذه جسم غريب كان محصوراً فيه قبل الشق، أو لاتساع ضيق في مجاريه، أو انحلال.

-الفسخ: انفصال ظاهر يعرض للعضل في أوساطها.

-الفَصْد: استفراغ كلي يستفرغ الكثرة، والكثرة هي تزايد الأخلاط على تساويها في العروق.

[1]- سيأتي تعريفها.

[2]- الماء القَرَاح: الخالص.

[3]- ويسمى المصاب بداء الفتق المفتوق.

-الفقرة: عظم في وسطه ثقب ينفذ منه النخاع.

-الفُواق: حركة مختلفة مركبة كتشنج انقباضي مع تمدد انبساطي كان في فم المعدة، أو في جميع جرمها، أو المريء.

-ق-

-القروح: تتولد عن الجراحات، وعن الخُرَّاجات المتفجرة، وعن البثور. فإن تفرق الاتصال في اللحم إذا امتد وفاح يسمى قرحة تتقيح.

-قصبة الرئة: عضو مؤلف من غضاريف كثيرة، دوائر وأجزاء دوائر، نضّد بعضها على بعض.

-القُطرب: نوع من المالنخوليا أكثر ما يعرض في شهر شباط، ويجعل الإنسان فرَّاراً من الناس الأحياء، محبا لمجاورة الموتى والمقابر، مع سوء قد لمن يغافصُه([1])، ويكون بروز صاحبه ليلا، وتواريه نهارا. كل ذلك حبا للخلوة، وبعداً عن الناس لا يسكن في موضع واحد أكثر من ساعة.

-القُلاع: قرحة تكون في جلدة الفم واللسان مع انتشار واتساع.

-القُمُور([2]): قد يحدث من الضوء الغالب، والبياض الغالب كما يغلب، إذا أديم النظر في الثلج، فلا يرى الأشياء، أو يراها من قريب، ولا يراها من بعيد.

-القابض: هو الدواء الذي يحدث في العضو فرط حركة أجزاء إلى الاجتماع لتتكاثف في موضعها، وتنسد المجاري.

-القاشر: هو الدواء الذي من شأنه لفرط جلائه أن يجلو أجزاء الجلد الفاسدة مثل القُسط([3]) والرواند وكل ما ينفع البَهَق والكَلَف ونحوهما.

[1]-في القانون: يغافضه، ولا معنى له. يغافصه بالصاد: يفاجئه، ويأخذه على حين غرة.

[2]- من قَمِر الرجل يَقْمَر إذا تحير بصره من الثلج و لم يبصر فيه ومنه أيضا: قَمِرَ يَقْمَر إذا اشتد بياضه.

[3]- القُسط: عُود يتداوى به.

-القُوباء([1]): هي السَّعْفة اليابسة أخبث وأردأ وآكل، وأبعد غوراً.

-القولنج([2]): مرض معوي مؤلم يتعسر معه خروج ما يخرج بالطبع. والقولنج، بالحقيقة، هو اسم لما كان السبب فيه في الأمعاء الغلاظ قولون فما يليها، فإن كان في الأمعاء الدقاق فالاسم المخصوص به بحسب التعارف الصحيح هو إيلاوس.

ولكن ربما سمي إيلاوس في بعض المواضع قولنجاً لشدة مشابهته له.

-القيح: القيح في كلام الأطباء يأتي على معنيين، أحدهما: ما يستعمل في كل موضع وهو جمع الورم لمدة. والثاني: ما يستعمل خاصة في أمراض الصدر والرئة من قيح انفجر إليه إما في الجانبين معا، وإما في جانب واحد.

-ك-

-الكبد: هو العضو الذي يتمم تكوين الدم، لحم أحمر كأنه دم، ولكنه جامد وهي حالته عن ليف العصب منبثة فيها العروق التي هي أصول لما ينبث منه متفرقة فيه كالليف.

-الكُزَاز (أو الكُزّاز): يستعمل لمعان مختلفة:

أ-ما كان مبتدئا من عضلات للترقوة فيمددها إلى قدام، وإلى خلف، وإمّا في الجهتين جميعاً.

ب- كل تمدد.

ج- التشنج نفسه.

---

[1]- داء في الجسد يتقشر منه الجلد.

[2]- القولنج عند ابن سينا ثلاثة أنواع: القولنج البلغمي, والقولنج الريحي, ويشبهان من حيث الأعراض التي وصفها ابن سينا في مواطن عدة من القانون, ما يعرف الآن باسم تقلص القولون, أو القولون العصبي, أو المغص:colic.

أما النوع الثالث فهو القولنج الورمي, ويشبه من حيث الأعراض ما يعرف الآن بالتهاب الزائدة الدودية. ومن علاماته وجع متمدد ثابت في موضع واحد, مع التهاب وحمى حادة, وعطش شديد وحمرة في اللون, واحتباس من البول...

ك- تشنج العنق خاصة.

ه- التمدد هو في الحقيقة، ضد التشنج.

-الكسر: هو تفرق الاتصال الخاص بالعظم. وقد يقع منه متفرقا، ويسمى إذا صغرت أجزاؤه جدا رضّاً.

-الكُلْية: عضوٌ آلة لتنقية الدم من المائية.

-الكابوس: ويسمى الخانق، وقد يسمى بالعربية الجاثوم، والتيدلان:

مرض يحس فيه الإنسان عند دخوله في النوم خيالا ثقيلا يقع عليه ويعصره ويضيق نفسه فينقطع صوته وحركته، ويكاد يختنق لانسداد المسام. وإذا انقضى عنه انتبه دفعة.

-كاسر الرياح: هو الدواء الذي من شأنه أن يجعل قوام الريح رقيقا هوائيا بحرارته وتجفيفه مثل بِزْر الذاب.

-الكاوي: هو الدواء الذي يأكل اللحم ويحرق الجلد إحراقا مجففا ويصلّبه. ويستعمل في حبس الدم من الشرايين ونحوها. مثل الزاج([1]).

-الكي: علاج نافع لمنع انتشار الفساد، ولتقوية العضو الذي يراد مزاجه([2])، ولتحليل المواد الفاسدة المتشبثة بالعضو، ولحبس الترف. وأفضل ما يكوى به الذهب.

[1] - الزاج الأزرق كبريتات النحاس.

الزاج الأخضر كبريتات الحديد.

الزاج الأبيض كبريتات الخارصين.

زيت الزاج حامض الكبريتك.

[2] - يراد مزاجه: إقداره وتمكينه من أداء وظيفته على الوجه الصحيح.

- ل -

-اللقوة([1]): علة آلية في الوجه ينجذب إليها شق من الوجه إلى جهة غير طبيعية، فتتغير هيئته الطبيعية، وتزول جودة التقاء الشفتين والجفنين من شق. وسببها إما استرخاء، وإما تشنج لعضل الأجفان. والجانب المريض هو الذي يرى سليما.

-اللاذع: هو الدواء الذي له كيفية نفاذة جداً لطيفة تحدث في الاتصال تفرقا كثير العدد، مثل ضماد الخردل بالخل، أو الخل نفسه.

- م -

-المبرد: معروف.

-المبسور: المريض بالبواسير.

-المجفف: هو الدواء الذي يفني الرطوبات بتحليله ولطفه.

-المحكك: هو الدواء الذي من شأنه بجذبه وتسخينه أن يخدب إلى المسام أخلاطاً لذّاعة حاكّة.

-المحمر: هو الدواء الذي من شأنه أن يسخن العضو الذي يلاقيه تسخينا قوياً حتى يجذب قوى الدم إليه جذباً قويا يبلغ ظاهره فيحمر. وهذا الدواء مثل الخردل والتين والأدوية المحمرة تفعل فعلا مقاربا للكي.

-المخدر: هو الدواء البارد الذي يبلغ من تبريده للعضو إلى أن يحيل جوهر الروح الحاملة إليه قوة الحركة والحس بارداً في مزاجه([2])، غليظا في جوهره، مثل الأفيون والبنج.

[1] - اللّقوة: شلل الوجه.

[2] - يتردد مصطلح المزاج كثيراً في القانون, ويقصد به قدرة العضو على أداء وظيفته, وسوء مزاج العضو إذا كان لا يؤدي وظيفته على الوجه الصحيح.

-الـــمُخَشِّنُ: هو الدواء الذي يجعل سطح العضو مختلف الأجزاء في الارتفاع والانخفاض، إما لشدة تقبيضه مع كثافة جوهره، وإما لشدة حرافته مع لطافة جوهره.

-المدمِّل: هو الدواء الذي يجفّف ويكيف الرطوبة الواقعة بين سطحي الجراحة المتجاورين حتى يصيرا إلى التغرية واللزوجة، فيلصق أحدهما بالآخر مثل دم الأخوين والصبر.

-المرْخِي: هو الدواء الذي من شأنه أن يجعل قوام الأعضاء الكثيفة المسامّ ألين بحرارته ورطوبته، فيعرض من ذلك أن تصير المسامّ أوسع، واندفاع ما فيها من الفضول أسهل مثل بِزْر الكتان.

-المرض: هيئة في بدن الإنسان مضادة لهذه الحالة (نقيض الصحة)

-المرطب: معروف.

-المرارة: كيس معلق من الكبد إلى ناحية المعدة، من طبقة واحدة عصبانية. ولها فم إلى الكبد ومجرى فيه يجذب الخلط الرقيق الموافق لها.

-المسدّد: هو الدواء اليابس الذي يحتبس لكثافته ويبوسته أو لتغريته([1]) في المنافذ فيحدث فيها السدد([2]).

-المسهّل والمدّر والمعرّق، فهي معروفة، وكل دواء يجتمع فيه الإسهال مع القبض كما في السُّورَنْجان([3]) فإنه نافع في أوجاع المفاصل.

- المغلِّظ: هو مضاد الملطف، وهو الدواء الذي من شأنه أن يصير قوام الرطوبة أغلظ إما بإجماده، أو بإختثاره.

---

[1] - تغرية الشيء إلصاقه بالغِراء.

[2] - السَّدَد نقيض الفتح.

[3] - السُّورَنْجان نبات عشبي يتداوى به.

-المفتّت: هو الدواء الذي إذا صادف خلطا متحجراً صغّر أجزاءه ورَضّه([1])، مثل مفتت الحصاة من حجر اليهودي وغيره.

-المفتّح: هو الدواء الذي من شأنه أن يحرك المادة الواقعة في داخل تجويف المنافذ إلى خارج لتبقى المجاري مفتوحة، وهذا أقوى من الجالي.

-المقرِّح: هو الدواء الذي من شأنه أن يفنـــيَ ويحلل الرطوبات الواصلة بين أجزاء الجلد. ويجذب المادة الرديئة إليه حتى يصير قرحة مثل البَلاَذُر([2]).

-المقطّع: هو الدواء الذي من شأنه أن ينفذ بلطافته فيما بين سطح العضو والخِلط اللزج الذي التزق به فيَبْريه عنه مثل الخردل والسكنجبين([3]).

-المقوّي: هو الدواء الذي من شأنه أن يعدل قوام العضو ومزاجه حتى يمتنع من قبول الفضول المنصبة إليه.

-المكبود: هو الذي في أفعاله ضعف من غير أمر ظاهر من ورم أو دُبَيْلَةٍ([4]).

- الملطف: هو الدواء الذي من شأنه أن يجعل قوام الخِلط أرق بحرارة معتدلة مثل البابونج.

- المملّس: هو الدواء اللزج الذي من شأنه أن ينبسط على سطح عضو خشن انبساطاً أملس السطح فيصير ظاهر ذلك الجسم به أملس مستور الخشونة.

-المنبت للحم: هو الدواء الذي من شأنه أن يحيل الدم الوارد على الجراحة لحماً لتعديله مزاجه وعقده إياه بالتجفيف.

---

[1]- رَضّه إذا بالغ في كسره.

[2]- البَلاَذُر: نوع من الشجر.

[3]- يوصف لمرضى التوحش السوداوي والصّرع.

[4]- الدُّبَيْلة: داء في الجوف, أو خُراج ودُمَّل يظهر فيه.

-المنضج: هو الدواء الذي من شأنه أن يفيد الخِلط نضجاً لأنه مسخن باعتدال، وفيه قوة قابضة تحبس الخِلط إلى أن ينضج ولا يتحلل بعنف، فيفترق رطبه من يابسه وهو الاحتراق.

-المنيّ: هو فضلة الهضم الرابع الذي يكون عند توزع الغذاء في الأعضاء راشحة عن العروق وقد استوفت الهضم الثالث.

-المالَنْخُوليا([1]): تغير الظنون والفِكَر عن المجرى الطبيعي إلى الفساد وإلى الخوف مع سكون ولا يكون فيه اضطراب شديد كالمَانِيَا.

-المانيا: هو الجنون السبعي، كله اضطراب وتوثب وعبث وسبعية، ونظر لا يشبه نظر الناس، بل أشبه شيء به نظر السباع.

-الموسّخ للقروح: هو الدواء الرطب الذي يخالط رطوبات القروح فيصيرها أكثر، ويمنع التجفيف والإدمال.

– ن–

-النبض: حركة من أوعية الروح مؤلفة من انبساط وانقباض لتبريد الروح بالنسيم.

-نزول الماء: مرض سدّي، وهو رطوبة غريبة تقف في الثقبة العنبية بين الرطوبة البيضية والصفاق القرني، فتمنع نفوذ الاشباح إلى البصر.

-نفث الدم: الدم قد يخرج ثَفْلاً فيكون من أجزاء الفم، وقد يخرج تنخما فيكون من ناحية الحلق، وقد يخرج تنحنحاً فيكون من القصبة. وقد يخرج قيئاً فيكون من المريء وفم المعدة أو من المعدة ومن الكبد. وقد يخرج سعالا فيكون من نواحي الصدر والرئة.

-النَّفَس الصغير الضيق يكون حاله في ذلك بالضد فيصغر ما يستنشق وكذلك في جانب الإخراج.

[1] – المالنخوليا أو السوداء آفة نفسية تتصف بظهور الرغبة في الانطواء على النفس والنفور من الناس ومحاولة الانتحار, في التراث الطبي العربي سليمان قطاية:192. وفيه الماليخوليا, ويحيل على الشفاء لابن سينا.

– النَّفَس العظيم: هو النفس الذي ينال هواء كثيراً جداً فوق المعتدل، فهو الذي تنبسط منه أعضاء النفس في الجهات كلها انبساطا.

–النوم: رجوع الروح النفساني عن آلات الحس والحركة إلى مبدأ تتعطل معه آلاتها عن الرجوع بالفعل منها إلا ما لابد منه في بقاء الحياة، وذلك في مثل آلات النفس.

– ه –

–الهتْك: انفصال ظاهر يعرض للعضل في أطرافها.

–الهاضم: هو الدواء الذي من شأنه أن يفيد الغذاء هضماً.

–الهواء الجيد في الجوهر: هو الهواء الذي ليس يخالطه من الأبخرة والأدخنة شيء غريب، وهو مكشوف للسماء غير محقون للجدران والسقوف، اللهم إلا في حال ما يصيب الهواء فساد عام.

–الهواء: عنصر لأبداننا وأرواحنا يكون علة لإصلاحها لا كالعنصر فقط، لكن كالفاعل أعني المعدّل.

– و –

الوَثْيُ: أن يكون قد زال العضو من مفصله زوالا غير تام ولا ظاهر بين فيكون خلعاً، والوهن دون الوثي وكأنه أذى من تمدد يلحق الرباطات في المفصل وما يحيط به من اللحم لو كان معه زوال كان وثْياً.

–الوخز والخزق: متقاربان من حيث إن كل واحد منهما نفوذه من جسم صلب في البدن، وإنما يختلفان في حجم الجسم النافذ. فيشبه أن يكون الوخز لِما دق وصغر، والخزق بالزاي معجمة لما عظم وحجم.

– ي –

–اليرقان: تغير فاحش من لون البدن إلى صفرة أو سواد لجريان الخلط الأصفر أو الأسود إلى الجلد وما يليه.

قائمة المصادر والمراجع

- دراسات مصطلحية. مؤسسة البحوث والدراسات العلمية. معهد الدراسات. العدد السابع 2007/1428 مقال: المصطلح الطبي في القرن التاسع عشر من خلال الشذور الذهبية. الشيخ محمد بن عمر التونسي ابراهيم بن مراد.
- علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية. بإشراف الدكتور محمد هيثم الخياط. الإشراف العام والمراجعة الشاملة، الدكتور الشاهد البوشيخي.
- في التراث الطبي العربي. سلمان قطابة.
- المصطلح الأعجمي في كتب الصيد والصيدلة العربية ابراهيم بن مراد. كلية الآداب. تونس.
- موسوعة مصطلحات ابن سينا (الشيخ الرئيس). د. جرار جهامي. مكتبة لبنان.
- نظرات في تعريف العلوم الصحية وأهمية المصطلح الصحي في التراث دراسات مصطلحية(9)

تقديم كتاب



الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية
لمحمد بن عمر بن سليمان التونسي (1204هـ - 1274هـ)
(تقديم وتعريف)

د. مصطفى الزكاف[*]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن هذا البحث المعنون بـ (**الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية لمحمد بن عمر التونسي تقديم وتعريف**) يروم الكشف عن إحدى المآثر المهمة، في تاريخ الأمة؛ إذ الأمة عبر تاريخها تسعى لبناء ذاتها من داخلها وتحمي هويتها بلسانها، لتكون أنبه الأمم ولتحقق الشهادة على غيرها، فكان تصنيف المعاجم العامة والمتخصصة سمة من سماتها، وكانت معاجم الطب ومفردات الأدوية والنبات والحيوان شائعة بين أبناء الأمة يرجعون إليها ويضيفون ويحررون ويستدركون، حتى أتى على الأمة حين من الدهر خبت فيه جذوتها في العلوم المادية، وتولى قيادة ركب البحث العلمي غيرها، فلما أرادت أن تنهض من جديد وجدت الأمم سبقتها بمسافات في مجالات العلوم، وألفت معاجم بغير لسانها، فكان أول الشرط أن تستوعب ما عند الآخر بلسانها، فجاء هذا المعجم في تخصص علم الطيب يترجم الألفاظ الطبية من اللغة الأجنبية إلى العربية ويضيف إليه ما هو مكنوز في المصنفات العربية فجاء أشمل وليزاوج بين القديم والحديث في وقته.

---

* - أستاذ بجامعة عبد المالك السعدي كلية الآداب تطوان.

وسعيا للتعريف بهذا المعجم كلفت من قبل اللجنة المنظمة لهذا المؤتمر المنيف بتقديم تعريف عن هذا المعجم، فوقفت على النسخة الخطية، وما طبعه أحمد عيسى بك من الكتاب، وحاولت أن أقدم تعريفا يجلي الرؤية، ويبعث الهمة لإعداده إعدادا علميا، ونشره في الأمة. هذ وقد انتظم سلكه في النقاط الآتية:

أولا: بطاقة تعريفية تقنية بالمخطوط.

ثانيا: التعريف بصاحب المعجم.

ثالثا: نسبة المخطوط والسياق التاريخي لتأليفه.

رابعا: أهمية المخطوط.

خامسا: مصادر المخطوط.

سادسا: منهج المعجم وخصائصه.

سابعا: مقترحات في خدمة المخطوط.

أولا: بطاقة تعريفية تقنية.

- اسمه: الشذور الذهبية في الألفاظ[1] الطبية لمحمد بن عمر بن سليمان التونسي(1872م)

- **مكان وجوده:** المكتبة الأهلية في باريس **رقم الحفظ: 4641.**

- **خطه:** خط نسخي واضح.

[1] ذكرته عدد من البحوث والدراسات باسم: المصطلحات الطبية. وهو خلاف ما أثبته مؤلف الكتاب، ومن هذه البحوث: نحو منهجية موحدة لوضع المصطلح العربي الحديث لــ د هيثم الخياط (منشور ضمن محاضرات الموسم الثقافي الثاني عشر لمجمع اللغة العربية الأردني، عمَّان 1414 هــ- 1994 م، ص93-120) قال وهو يعدد الكتب التي استعملت لفظ المصطلح في عنوانها: (ومن كتبنا التي استعملت لفظ المصطلح: (...)وكتاب: الشذور الذهــبية في المصطلحات الطبية).

- **السطر**: 26

- **أوراقه**: 599.

- **ترقيمه**: اتبع فيه نظام التعقيبة، التي تعني: أن يثبت الناسخ في نهاية الصفحة تحت آخر كلمة من السطر الأخير أول كلمة في الصفحة الموالية.

- **بدايته**: بعد البسملة والصلاة على الرسول رسول صلى الله عليه وسلم قال: يامن علم آدم اللغات والأسماء وألهم محمدا المسميات...

- **خاتمته**: يوهيا هو: السّمار كذا في المنهج.

- **ناسخه**: عمر بن خطاب.

- **تاريخ نسخه**: 10 شعبان 1265هـ

- **منزلة نسخته**: نسخة أصلية بخط صاحبها بحسب الظاهر، وهي أشبه ما تكون بمسودة؛ إذ فيها معالم المسودات من ضرب وكشط وطرر ولَحَقَات وهوامش وتصحيحات وغيرها.

ويغلب على الظن أنها كانت ستبيض في إبرازة أخيرة، لكن الأمر لم يتم لأسباب لا نعلمها، أو أنه تم تبييض نسخة أخرى و لم نعرف موطنها بعد.

ثانيا: التعريف بصاحب المعجم[1]:

---

[1] للوقوف على بيان ترجمته أكثر ينظر:

- المعجم العربي المختص إبراهيم بن مراد: - دار الغرب الإسلامي - بيروت 1996.
- حصاد العمر أبو القاسم محمد كرّو: - دار المغرب الأقصى - تونس 1998.
- الأعلام خير الدين الزركلي: - دار العلم للملايين - بيروت 1992.
- معجم المؤلفين عمر رضا كحالة: - مؤسسة الرسالة - بيروت 1993.
- يوسف سركيس معجم المطبوعات العربية والمعربة مطبعة سركيس القاهرة 1928.

اسمه:

محمد بن عمر بن سليمان التونسي افندي.

ميلاده ونشأته:

وُلِد في تونس سنة (1204هـ = 1789م)، لأبٍ تونسى وأم مصرية، ونشأ في مصر، وتلقى تعليمه في الجامع الأزهر، ثم رحل إلى دافور بالسودان؛ حيث التقى بأبيه، وأقام معه نحو سبع سنوات، ألَمَّ خلالها بأحوال البلاد السياسية والاجتماعية، ثم رحل إلى تونس وتعلم في جامع الزيتونة ، ثم عاد مرة أخرى إلى القاهرة[1].

وظيفته:

عمل مصححاً لغويًا في مجلة «الوقائع المصرية» ثم تمكن أن يكون واعظا في خدمة إبراهيم باشا بحملته إلى بلاد المُوره (1827م)، ولما عاد من تلك الحملة كانت قد أنشئت مدرسة أبي زعبل وأخذوا في نقل الكتب الطبية فتعين فيها مصححا للكتب وامتاز عن سائر أقرانه المصححين بمعرفة المصطلحات العلمية باللغة العربية فكانوا يرجعون إليه في تحقيقها.

وكان ماهرا في صياغة الألفاظ والمعاني في قالب عربي وهكذا نقح كتاب: الدرر الغوالي في علم أمراض الأطفال، وكنوز الصحة للدكتور كلوت بك درس عليه عدد من المستشرقين ومنهم: الحكيم بيرون الفرنساوي معلم الكيمياء بأبي زعبل، وقد قرأ عليه كتاب كليلة ودمنة باللغة العربية وهو الذي حمله على تدوين ما عاينه في أسفاره من العجائب.

عمل مصححاً لغويًا في مجلة «الوقائع المصرية»، ثم عمل واعظا دينيا بالجيش المصري، كما عُيِّن كبيرًا للمراجعين في مدرسة الطب بالقصر العيني عام 1839م[2].

---

[1] الأعلام للزركلي 318/6

[2] معجم المؤلفين عمر رضا كحالة 1684/2

شعره:

نظم على الموزون المقفى، والتزم أغراضه: من مدح وابتهال وشكوى الزمان ونسيب، ولغته سلسة، وتراكيبه حسنة، ومعانيه واضحة، وفي خياله طرافة تجعله مقبولاً حسنًا.

ومنه قوله في شكواه من الزمن[1]:

ما حيلتي ولذا الزمان متاعبٌ   يؤذي الشريف وللوضيع يصونُ

زمنٌ له حربٌ على أهل اتّقى   بإزائه حرب البسوس يهون

فتراه يرفع كلّ غمر جاهلٍ   ويسيء كلّ مهذّبٍ ويُهين

وفاته:

في أخريات حياته كان يلقى دروساً فى الحديث بمسجد السيدة زينب، حتى تُوفِّي بالقاهرة سنة (1274هـ = 1857م)

آثاره:

1 - تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان طبع حجر باعتناء الدكتور برون باريس 1851 ص 316 وطبعت ترجمة الكتاب على حدة باعتناء الدكتور المذكور سنة 1850 وبها خرط ورسوم وسمي الكتاب Voyage au Darfour.[2]

2- الدر اللامع في النبات وما فيه من الخواص والمنافع - تأليف الاستاذ أنطون فيجري تعريب محمد عمر التونسي[3].

---

[1] ينظر: معجم البابطين للشعراء منشور ضمن موقع خاص على الشابكة بالعنوان المذكور، تحت مدخل: محمد بن عمر التونسي.

[2] معجم المطبوعات لسركيس1684/2

[3] معجم المطبوعات لسركيس1684/2

3- رحلة واداى ترجمه الدكتور بيرون Dr Perron إلى الفرنسية باسم Voyage au Ouaday وطبع بها، وضاعت نسخته العربية[1]

4- الدر اللامع في النبات و ما فيه من الخواص و المنافع تأليف الأستاذ أنطون فيجري تعريب محمد عمر التونسي طبع ببولاق القاهرة 1257 هـ[2]

5- الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية – وهو موضع بحثنا. مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس رقم 4641 - طبع منه الجزء الأول.

ثالثا: نسبة المخطوط والسياق التاريخي لتأليفه.

أ- نسبة المخطوط:

تأكدت نسبة المخطوط لمؤلفه المذكور بحجتين:

- أصلية وتبعية.

فأما الأصلية فهو ما يُعلم عنه الأثر بنفسه من إثبات لاسم الكتاب وصاحبه في مقدمة الكتاب، حيث قال بعد الديباجة: فيقول راجي عفوه المنان أسير ذنبه محمد بن عمر التونسي ابن سليمان...

وقال في خاتمة المقدمة إثباتا لاسم الكتاب: وسميته الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية.

[1] الأعلام للزركلي 318/6

[2] معجم المطبوعات لسركيس 1684/2

وأما التبعية فقد تضافرت كتب التراجم التي عرفت به، والفهارس والبيبوغرافيا على نسبة الكتاب له، باسمه وعنوانه.

ب- السياق التاريخي لتأليف المعجم:

أتى على الأمة حين من الدهر تخلفت فيه عن ركب العمران الحضاري فحلت الخرافة محل العلم، ولا سيما في الجانب الطبي حتى جاء أطباء الغرب يقودون الأمة في أعز عواصمها، فكانت المعاجم الطبية باللغة الاجنبية هي المهيمنة على الجانب العلمي إذ كان أصحابها ينتجونها بلغتهم، ويسمون المفاهيم بمصطلحات لسانهم، وإنما **يسمي من ولد** كما يقال.

ثم إن الأمة وهي تتحسس مواقعها بين الأمم أقبلت على ذاتها فكانت إقامة ذاتها بلسانها هي الشرط الاول للحصول على شهادة الميلاد، فأخذت الأمة تصحو من سباتها الطويل، وتبني المدارس العلمية، وتحاول أن تجعل لسانها هو أداة التواصل بين العاملين فيها.

وفي الفترة التي عاش فيها المؤلف كثرت الكتب الطبية التي ترجمت كانت تتطلب إيجاد معجم طبي للمصطلحات أو ترجمته. وقد بدأت المدرسة الطبية بترجمة قاموس صغير أحضره الدكتور كلوت من فرنسا معجم المعاجم الطبية Dictionnaire des dictionnaires de médecine) وهو من تأليف فابر Fabre) وهو في ثمانية أجزاء. ويشتمل على جميع الاصطلاحات العلمية والفنية في الطب والنبات والحيوان والعلوم الأخرى المتصلة بالعلوم الطبية.

وتعاونت مدرسة الطب بكل هيئاتها على ترجمة هذا المعجم إلى اللغة العربية وكلف الشيخ محمد بن عمر التونسي بتحريره وترتيبه والإشراف عليه؛ لأنه كان من أشهر الذين لهم فضل في ترجمة الكتب العلمية وتحريرها وتصحيحها، وأعلمهم بمصطلحات العلوم الطبية والمواليد وامتاز عن سائر أقرانه المصححين بمعرفة المصطلحات العلمية باللغة العربية، فكانوا يرجعون إليه في تحقيقها ويسمونه : مصحح كتب الطب ومحررها. ودليل هذا ما قاله في مقدمة الكتاب :

"لما كثرت ترجمات الكتب الطبية رأيت أن أؤلف قاموساً جامعاً للمصطلحات، وكان كلوت بك قد أتى بكتاب فرنسي في المصطلحات الطبية والعلمية، وأوعز إلى مهرة المعلمين بترجمته، فترجم كل منهم الجزء الذي أعطيه، واجتهد في توقيع لفظه على المعنى حتى شكرت مساعيه، فأوعز إلي الدكتور برون ناظر المدرسة أن آخذ من الكتاب كل لفظ يدل على مرض أو عرض، أو نبات أو معدن أو حيوان، أو غير ذلك من الاصطلاحات، وأن أستخرج ما في القانون من التعاريف، وما في تذكرة داود من كل معنى لطيف، وزدت على ذلك ما في فقه اللغة ومختصر الصحاح، ورتبته على حروف المعجم، وراجعته مراجعة دقيقة، ولم آل جهداً في تصحيح كلماته وتهذيب عباراته، ولما انتهيت من هذا كله، قابله معي وكيل مدرسة الطب محمد شافعي أفندي، وسميته في النهاية " الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية " ولم أقصره على الألفاظ العربية، بل ضمنته أسماء لاطينية، وأخرى فرنساوية، وأخرى فارسية، سواء استعملتها العرب، أو كانت محدثة ودخلت الألفاظ الطبية لأدنى سبب... "[1]

لكن هذا الجهد بقي رهين الأوراق، ونقلت نسخته الأصل إلى المكتبة الأهلية في باريس، واكتفت دار الكتب المصرية، بصورتين شمسيتين للكتاب صورتا في باريس.

وفي هذا دلالة على أن النهضة قد أخذت مسارها إلى اتجاه المجهول؛ حيث لم يقدر لهذا المعجم أن يحقق غايته وينتشر بين أهله؛ ليكون مرجعا أساسيا يبني عليه من جاء بعده، وليصبح مع تراكم الزمن بنكا شاملا للمصطلحات الطبية، لكن الغاية ابتسرت ولم يقدر للمعجم أن ينشر، فيما عدا مائة صفحة منه، نشرها الدكتور أحمد عيسى بك مترجمة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

---

[1] الشذور الذهبية ق 1

والكتاب مع ذلك يبقى مظهـــرا من مظاهر الاقتراض الثقافي الذي واكبه اقتراض معجمي مهم للتعبير عن المفاهيم والأشياء المستحدثة فـــي الثقافة الأخرى، ولكن بالإسناد إلى الأصول والمصادر العربية الإسلامية[1].

رابعا: أهمية المخطوط:

تجلت أهمية المخطوط فيما يلي:

- يعد أول معجم للمصطلحات الطبية باللغة العربية في فترة النهضة.
- محاولة استقصاء جميع أسماء الأمراض ومصطلحات الكيمياء والأدوات الطبية والأعشاب والمواليد والأقاليم وتراجم أعلام الطب المشهورين.
- تضمينه الكتاب مصطلحات باللاتنية، والفرنساوية، والفارسية، سواء استعملتها العرب، أو كانت محدثة ودخلت الألفاظ الطبية لأدنى سبب.
- ذكره لمصطلحات تتناسب مع هوية الأمة مثل قوله: (استحيائي: بالياء في آخره نسبة إلى الاستحياء وهو فن التشريح)[2].
- ذكره لكثير من المصطلحات بعدة أسماء، بحسب تسميتها في البلدان العربية، أفاده ذلك أنه كان رحالة وخاصة في بلاد السودان ومصر.
- ضبطه للمصطلحات بالحروف، وتبيينه طريقة النطق بها عند أهلها.
- استعانته بالمعاجم اللغوية لشرح المصطلحات وضبطها.

[1] ينظر: مسائل في المعجم إبراهيم بن مراد ص: 134

[2] الشذور الذهبية ق22

-الإحالة على الكتب التي نقل عنها، وعند الاختلاف في اللفظ او الشك يتبعه بقوله: كذا في القاموس... كذا في المنهج وهكذا...

-يستعان بالمعجم في معرفة التطور التاريخي، للمصطلحات الطبية، من حيث الألفاظ والمعاني.

ومع أهمية الكتاب فإن الكتاب لم يطبع، ويرجع السبب في عدم نشره إلى يومنا هذا إلى أمرين:

-واقع الأمة في تبيعته وإمعيته للآخر، فالجهد يبذل في الذوبان لا في إثبات الذات، وما تحتاجه الأمة من بناء طبيعي لذاتها يناسب تاريخها وحضارتها.

-انعدام المنهجية في حركة نشر التراث؛ فمنذ بداية النهضة ظهرت حركة بعث التراث، لكنها لم تأخذ وضعها الطبيعي من ذات الأمة فبقيت المسألة عند المسؤولين "تراثية" فحسب، لايخصص لها مثل ما يخصص على الأقل للهو واللعب، فبقيت القضية تتناولها يد الأفراد بمنطق التجارة ربحا وخسارة، وهي تخضع للعرض والطلب بحسب السوق، فقد ينشر الناشر أتفه شيء وهو ليس مؤمنا بأهميته وآثره في أمته، لكن ضغط الخبز أقوى منه.

خامسا: مصادر المخطوط:

مصادر الكتاب في الجملة صنفان: مصادر مكتوبة. ومصادر مروية ومرئية.

فأما المصادر المكتوبة فعلى نوعين: مصادر عربية قديمة ومصادر حديثة عربية وغير عربية.

وهذه المصادر باعتبار موضوعها على ثلاثة أنواع :

أولها: طبي وصيدلي، وأول المصادر هو كتاب: معجم المعاجم الذي أحضره كلوت من فرنسا.

وقد ذكر التونسي – في المقدمة – بعض مصادره فمن القدامى الشيخ داود الأنطاكي صاحب " تذكرة أولي الألباب " وابن سينا صاحب " القانون، ومحمد بن يوسف الهروي صاحب كتاب: بحر الجواهر في تحقيق المصطلحات الطبية[1].

ونقل من كتاب: قانون الصحة لمحمد باشا الدري وهو من معاصريه[2].

وثانيها: لغوي وقد ذكر المؤلف في المقدمة الفيروزآبادي في القاموس المحيط وأبا منصور الثعالبي في فقه اللغة ومختصر(كذا) الصحاح[3].

ثالثها: كتب الحيوان فقد نقل كثيرا عن كتاب الحيوان للجاحظ وحياة الحيوان للدميري[4].

وأما الصنف الثاني: فهو المصادر المروية والمرئية، أي التي رواها بالمشافهة، أو رآها بالمعاينة، وقد نص في المقدمة على هذا المصدر فقال: وضمنت لذلك أسماء الأطباء المشهورين وأسماء عقاقير كنت أريتها في بلاد السوادين[5]) ومعلوم أن رؤية المسمى تستلزم تلقائيا تلقي الاسم مشافهة.

سادسا: منهج المعجم وخصائصه:

أ– منهجه:

من خلال إجالة النظر في المخطوط يمكن إبراز معالم منهجه فيما يلي:

---

[1] الشذور الذهبية ق 2

[2] الشذور الذهبية ق 597

[3] الشذور الذهبية ق 2

[4] الشذور الذهبية ق 596

[5] الشذور الذهبية ق 2

1- الترتيب المعجمي: وفي هذا الاختيار يقول : (ورتبت جميــع ذلــك علــى حروف المعجم ليكون أسهل للمراجعة و أقوم وسلكت في ذلك مسلك صاحب المصــباح، لســهولته مــن مسلك القاموس والصحاح) [1]

2- اختيار المداخل: اختار المداخل من وحدات كبرى مكتوبة باللون الأسود الداكن مختلفا عن الشرح ليتبين نطقها وكتابتها.

3- ترتيب المداخل.

- رتب التونسي معجمه (الشذور) على تتابع حروف المعجم من الألف إلى الياء ، مراعيا ترتيب مــواد كل حرف من الحروف أوائل الكلمات ولكن باعتبار هيئتها القائمة أي الترتيب النطقــي ، دون ردهــا إلــى أصولها اللغوية.
- جعل كتابه أبوابا مرتبة على حروف الهجاء ابتدأ بالهمزة وانتهى بالياء ، وقسم كل حرف من الحروف إلى فصول ، بدءا من فصل الألف مع الهمزة وانتهاء بفصل الألف مع الياء، مراعيــا أول الكلمــة وثانيها، دون الرجوع إلى أصول اشتقاقها.

فمصطلح الباب عنده يعني الحرف الأول من الكلمة على حالها دون رد إلى الأصول.

والفصل عنده يعني الحرف الثاني التالي من الكلمة، ويغلب أن يلتزم بهذا التسلسل الهجائي في الحروف التالية، الثالث فالرابع فالخــامس .

---

[1] الشذور الذهبية ق 2

•لا فرق عنده إن كان اللفظ فعلا مزيدا أو مجردا واويا أو يائيا[1] أو مصدرا أواسما للفاعل أو ظرفا أو لفظا اصطلح عليه باللفظ العربي أو الأجنبي فيورده كما ينطق به في لسانه مكتوبا بالحرف العربي.

ب- خصائصه:

يمكن رصد خصائص البناء المعجمي في هذا الكتاب فيما يأتي:

1- البناء اللغوي: و ويلخصه د إبراهيم بن مراد في أربع مستويات[2]:

(الأول هو مستوى **الفصيح** ، وجلّ هذا مأخوذ من المعاجم اللغوية العامة ، وخاصة مــا دل على أسماء المواليد من حيوان ونبات ومعادن" ، خاصة أن المعاجم التي اعتمدها هي المعــاجم القديمــة التي تعتد بالكلمات الفصيحة بالدرجة الأولى .

و ثاني المستويات هو **المولد** : وهو نوعان : قــديم وحــديث، فأما القديم فهو ما نقل من المصادر الطبية والصيدلية العربية الإسلامية (...) فــإن المصــطلحات الطبيــة القديمة التي نقلتها إلينا كتب الأدوية المفردة أو الموسوعات الطبية مثل كتاب الحــاوي للــرازي أو كتــاب القانون لابن سينا، يعد جلها من المولد الذي لا يعترف له بالفصاحة ولا يحظى لذلك بحــق التــدوين فــي المعجم اللغوي العام ، ولكنها حظيت بحق التدوين في المعاجم العلمية المختصة وهو المكان الأنسب لها .

و ثالث المستويات هو **العامي** : " هو مما يستعمله العامة من العرب في لهجاتهم استعمالا ســاذجا عفويــا[3]

[1] وفي ذلك يقول: (وأعتبر الأفعال المزيدة كالمجردة والواوي كاليائي خلافا لمن أفــرده ، لأني لا أعتبر إلا أوائل الكلمات واعتبار أواخرها في هذا الكتاب من المتروكات) الشذور ق 2.

[2] مسائل في المعجم لإبراهيم بن مراد ص:134- 137

[3] نفسه ص:134

والمستوى اللغوي الرابع هو **الأعجمي** ، والأعجمي في المعاجم القديمة نوعان هما المعرب. وهو ما أخضع لأقيسه العربية وأوزانها فألحق بأبنيتها، والدخيل وهو ما استعصى على الإلحاق فبقي حاملا لقليل أو كثير من عناصر عجمته، والأعجمي في الشذور الذهبية نوعان: قديم وحديث. القديم: ما وجد من لغات في المعاجم والكتب الطبية والصيدلية العربية القديمة، وحديث قد أدخل العربية في عصر المؤلف إبان حركة الترجمة في القرن التاسع عشر... وهو من لغات مختلفة لاتينية ، فرنسية وفارسية ، وأكثره من اليونانية .

أما تصنيف المستويات اللغوية بحسب التعميم والتخصيص فنجد الوحدات العجمية المختصة هي الغالبة في هذا المعجم وقد أخذت صور وهيئات متعددة ، بسيطة ومركبة تركيبا إضافيا أو إسناديا ، حتى تصل في بعض الأحيان إلى مصطلحات سداسية العناصر)[1]

2- **بناء التعريف:** من خلال النظر في جملة من التعريفات تبين أن التونسي سلك طرائق في تقديم التعريف:

- أغلب التعريفات لغوية مصوغة بألفاظ عربية فصيحة أخذت من المظان اللغوية، سواء كان ترجمة للمصطلح الأجنبي أم شرحا لمصطلح عربي أصيل.

- ومن التعريفات ما هو موسوعي قد نقل من الفرنسية أو نقل من المصادر العلمية العربية الطبية القديمة.[2]

- ومن التعريفات ما هو وصف مباشر للنباتات أو الأدوات الطبية أو خوا ص كيميائية.

- ومن التعريفات ما يقتصر على بيان المرادف له فقط أو ذكر اسم آخر في التداول العربي، أو ما هو مختص ببلد من البلدان.

---

[1] المصدر السابق ص:137

[2] نفسه ص:138 .

سابعا: مقترحات في خدمة المخطوط:

قد ذكر من قبل أن الدكتور أحمد عيسى بدأ بدراسة هذا العمل الضخم، وعمل على تقديم الترجمة الإنكليزية لألفاظه إلى جانب الفرنسية، وأمضى أربع سنوات 1910- 1914م في تحقيق جزء يسير بحدود مئة صفحة، طبع في القاهرة على نفقة دار الكتب المصرية في مطبعة المقتطف عام 1914. ثم توقف الأمر عند هذا الحد، لكن القضية يجب أن تأخذ مسارا آخر بما يلي:

أولا: إعداد المخطوط إعدادا علميا:

1) التحقيق: ويتطلب إثبات صحة متن ما وثق، كما صدر عن صاحبه، طبقا لقواعد وآداب معينة، وذلك لضبط الأحكام، والاستفادة من النصوص «انطلاقا من حدود عبارتها؛ ليلا يُقَوَّل قائل ما لم يقل، فيقوَّل بتقويله عصر، أو اتجاه، أو غير ذلك، وليلا يبنيَ بَانٍ بناءه على ما لم يصح، بسبب تصحيف، أو تحريف، أو بتر، أو غير ذلك، فيفسد التاريخ والواقع معا»[1]

2)التوثيق: ويوجب إثبات صحة نسبة النصوص المنقولة الى أصحابها، وضبط المصطلحات الشفهية.

3)التكشيف: ويستلزم إعداد كشافات لمحتويات ما حقق، أسماء، ونقولا، وموضوعات، ومصطلحات، باللغة العربية وللمصطلحات المترجمة.

4) الترجمة: وتكون للغات العالمية تيسرا للتقابل, وتقريبا للفهم، إذ إن أغلب المتخصصين يفهمون المصطلحات بلغات أجنبية، كل باللسان الذي درس به، ولا تخرج الترجمة عن ما هو مشهور من الألسن اليوم.

[1] البحث العلمي في التراث ومعضلة النص للشاهد البوشيخي:4.

ثانيا: الطباعة والنشر.

1)الطباعة: بوسيلتين:

- الطباعة الورقية: ويستلزم طبع الكتاب موثّقا محققا مكشفا، طبعا لا يُفسد ما أُعدَّ، ويغنى بالوسائط البيانية من الصور الدقيقة الواضحة.

- البرمجة الإلكترونية: وتتطلب إغناءه بخيارات البحث المتنوعة المفيدة، مع الصور المبينة أكثر من الورقية، مع إضافة طريقة النطق للمصطلحات بألسنة أصحابها، ويتطلب هذا إشراك متخصصين من مختلف البلدان التي يرد ذكر المصطلح بلسانها.

2) النشر والتوزيع: وفق رؤية واضحة ومنهجية دقيقة من أجل أن تحصل منه الفائدة العامة، ويصل إلى أصحاب التخصص حيثما كانوا، ليستفيدوا ويستدركوا ويضيفوا ويجمعوا أمرهم على توحيد مصطلحاتهم بلسانهم العربي المبين.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر

- الأعلام لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين - بيروت 1992م.

- البحث العلمي في التراث ومعضلة النص للشاهد البوشيخي بحث مرقون.

- حصاد العمر لأبي القاسم محمد كرّو - دار المغرب الأقصى - تونس 1998م.

- الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية لمحمد بن عمر التونسي مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (**4641**).

- مسائل في المعجم لإبراهيم بن مراد دار الغرب الإسلامي بيروت 1996م.

- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين موقع خاص على الشابكة بالعنوان المذكور.

- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة - بيروت 1993م.

- المعجم العربي المختص لإبراهيم بن مراد دار الغرب الإسلامي - بيروت 1996م.

- معجم المطبوعات العربية والمعربة يوسف سركيس (ت 1351هـ) مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ - 1928م.

- نحو منهجية موحدة لوضع المصطلح العربي الحديث لـد هيثم الخياط (منشور ضمن محاضرات الموسم الثقافي الثاني عشر لمجمع اللغة العربية الأردني، عمّان 1414هـ- 1994م. ص93-120).

رسالة جامعية

"مفهوم "الغيب"
في القرآن الكريم والحديث الشريف"

د. إدريس مولودي[*]

-الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ونصلي ونسلم صلاة وسلاما يليقان بإمام الأنبياء وسيد الأولياء وأصفى الأصفياء وأتقى الأتقياء، سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم، اللهم افتح لنا أبواب الرحمة وأنطقنا بالحكمة واجعلنا من عبادك الراشدين فضلا منك ونعمة، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما.

بُحِث هذا الموضوع في أطروحة لنيل الدكتوراه[1] نوقشت عام 2007م في شعبة الدراسات الإسلامية وحدة "**مصطلحات القرآن و الحديث وعلومهما**"، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله -كلية الآداب والعلوم الإنسانية- ظهر المهراز- فاس -المغرب. بإشراف الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله تعالى.

-أهمية موضوع الكتاب:

حال المسلمين اليوم، يشهد أنهم على غير صبغة الله ، وعلى غير صراطه المستقيم، وتقرير واقع الغثائية والوهن في الأمة لا يحتاج إلى دليل، فالغالبية من أبنائها توجهت نحو قيم الغرب وفتنه، بعدما أتتهم شياطينه من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم بالشبهات والشهوات فأغرقتهم في الماديات والمنكرات؛ وفئة أخرى منهم بالغت في الروحانيات، وأخرى انساقت مع الخرافة والشعوذة ... وهذا وغيره مرده إلى اضطراب في التصور عن الغيبيات..

---

[*]- أستاذ بجامعة المولى إسماعيل بمكناس.

[1] - صدر البحث في طبعته الأولى بنشر مشترك بين مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس- المغرب، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة القاهرة- مصر بتاريخ 1437هـ/2016م.

الأمر الذي اقتضى تناول موضوع الغيب بنوع من الدقة والتفصيل، عبر بصائر وحي رب الأرض والسماوات، لتصحيح التصورات فالتصرفات.

فمفهوم ''الغيب'' في القرآن الكريم والحديث الشريف، يعتبر من المفاهيم الأصول، لتعلقه الكبير بالجانب العقدي، الذي عليه يتأسس إسلامُ المرء وجهه إلى الله سبحانه، والمصطلح متشعب وشامل لعدة فروع، تعتبر أركانا في الاعتقاد الصحيح.

وبما أن البحوث التي تناولت الموضوع، تناولته بمناهج لم تمكن من الاستقراء الشامل لنصوص المصطلح؛ ومن الدراسة الدقيقة العميقة لهذه النصوص.. مما سيؤدي حتما إلى قصور ونقص في النتائج .. كان منهج البحث المختار لهذه الدراسة، هو منهج الدراسة المصطلحية، لتجاوزه السلبيات المشار إليها وغيرها.

-عرض مختصر للمادة العلمية للكتاب:

مر البحث عبر الخطوات المعلومة في المنهج -كما تعلمناه من شيخنا- وهو مؤسس على خمسة أركان : الإحصاء والدراسة المعجمية والدراسة النصية والدراسة المفهومية والعرض المصطلحي.

بناء على ما سلف تكونت مادة الكتاب العلمية من مقدمة وبابين وفي كل باب أربعة فصول.

بعد المقدمة التي تم فيها تحديد منطلقات تمهيدية لموضوع الدراسة معرفية ومنهجية.. توجه البحث في الباب الأول الموسوم ب "**الغيب في القرآن والحديث ، دراسة مصطلحية**" لدراسة دلالات مصطلح الغيب ومقوماتِه الذاتية، ما يلتصق به وما يتعلق بخارجه، ونموه الداخلي والخارجي.

فبعد تتبع وإحصاء لفظ الغيب ومشتقاته في نصوص الوحي، تمت دراسته معجميا؛ لغويا واصطلاحيا -في الفصل الأول- من خلال المعاجم والتفاسير وغيرها، فخلصت الدراسة إلى، أن هذه التعاريف ليست جامعة، على اعتبار أنها لا تتضمن جميع أفراد التعريف -كما هو مفصل

في البحث-فكل منها أخرج بعض أفراده، مما يدخل تحت قسم الغيب المطلق، وجلها إن لم نقل كلها أخرج الغيوب التي تندرج تحت قسم الغيب النسبي، كأخبار الأمم الماضية التي عبر عنها القرآن بـــ"أنباء الغيب". ومن ثم بعد خطوة الدراسة النصية فالمفهومية، تم التوصل إلى تعريف الغيب في الوحي بعد جمع أفراده كما يلي:

الغيب ما لا سبيل إلى العلم به، مما استأثر الله ﷻ به، أو مما أذن بالاطلاع عليه لمن شاء من خلقه.

تمت الإشارة هنا إلى التعريف، والتركيز عليه لأن التعريف في نظري يمثل التصور الجامع والمجمل للموضوع، الأمر الذي يغيب في بعض مناهج البحث.

بعد فصل التعريف تلاه الفصل الثاني فصل العلاقات الذي خُصص لدراسة المصطلح ضمن أسرته المفهومية المؤالفة كالعلاقة بالآخرة والساعة والسر.. والمخالفة كالعلاقة بمصطلح الشهادة. والقصد من ذلك تدقيق فهم المصطلح، وضبط الفروق التي تفصله عن غيره مما له تعلق به.

تضمن الفصل الثالث دراسة ضمائم مصطلح الغيب، التي تمثل نمو المصطلح على المستوى الداخلي، فكان منها ضمائم إضافية، سواء منها ما أضيف إلى الغيب كــ"علم الغيب" و"عالم الغيب والشهادة" و"أنباء الغيب" و"مفاتح الغيب".. ، أم ما أضيف الغيب إليه كــ"غيب السماوات والأرض". وأخرى مركبة تركيبا غير إضافي كــ"الإيمان بالغيب" و"الاطلاع على الغيب" و"الخشية بالغيب" و"الرجم بالغيب"..

أما الفصل الرابع فهو فصل المشتقات التي تمثل نمو المصطلح وامتداده مفهوميا على المستوى الخارجي، وقد أفرزت نصوص المصطلح أربعة مشتقات، الأول: الغيوب، والثاني: غائب، والثالث: غائبة، والرابع: غائبين.

لنصل في ختام الدراسة إلى الباب الثاني الموسوم ب" **قضايا الغيب في القرآن الكريم والحديث الشريف**"، وهو ما يتعلق بقضايا المصطلح المستفادة من نصوص الدراسة وفق بناء

متكامل في حدود الطاقة، فكان ما تم التفصيل فيه مما تم التوصل إليه من عناصر حسب فصول الباب مرتبة كما يلي:

-أنواع الغيوب مقسمة حسب اعتبارات:

الزمن: الماضي والحاضر والمستقبل: (ما يكون في غد، ما في الأرحام، الكسب في المستقبل، عاقبة أمر ما، وقت مجيء المطر، والموت وما بعده ...)

والعلم (المطلق والنسبي)

والرتبة (الله ﷻ قمة الغيوب وأصلها والعوالم الغيبية و الغيوب من عالم الشهادة)

الأمر الذي اقتضى نوعا من التعامل مع هذه الأنواع وفق عناصر أخرى: **الإيمان بالغيب والخشية بالغيب** من حيث التعريف والوظائف والنتائج كالاهتداء بالقرآن الكريم والانتفاع بالإنذار والذكر والتذكر والرقابة الدائمة لله ﷻ، والتزكية، ثم المغفرة والأجر الكبير عند الله تعالى..

لنصل إلى عنصر مهم متعلق **بعلم الغيب بين الحقيقة والادعاء**. وتصحيح التصور حوله من حيث مصدره وطرقه وآداب الأنبياء والمرسلين ومن سلك مسلكهم معه، وكشف زيف أدعيائه...

-ومما له ارتباط بعلم الغيب عنصر متعلق ببعض **قضايا الغيب بين الوحي والعلم التجريبي**. للرد من خلاله على بعض الشبه، كمن يظن الدين إغراقا في الغيبية، وإهمالا للعلوم العقلية والمادية. وتحقيق القول في الظن باختراق حجب مفاتح الغيب. وبيان أن الغيب والإيمان به دافع للبحث في أسرار الكون. **وكذا** إعجاز الوحي بسبقه إلى ذكر حقائقَ علميةٍ قبل أوانها.

-لنخلص إلى عنصر سِرْنا من خلاله في اتجاه تحديد قواعد وضوابط في العلاقة بين الغيب والشهادة وسمته بـــ**"الغيب والشهادة بين الحدود الفاصلة والعلاقات الواصلة"**، لبيان

بعض القضايا الغيبية التي أذن الله تعالى بالبحث فيها. ولتصحيح العلاقة بين **الاطلاع على الغيب واستشراف المستقبل**. وبيان حدود البحث في الأمور الغيبية وضوابط البحث فيها.

لنخلص إلى أصل العلاقة بين عالمي الغيب والشهادة ببيان نسبة عالم الشهادة إلى عالم الغيب، **وأن** عالم الشهادة فرع عن عالم الغيب، وأنه دليل على عالم الغيب (أو هو أثر له)، وأن عالم الشهادة متفاعل مع عالم الغيب وخاضع له وممتد نحوه.

-بعض نتائج البحث:

مما أمكن استنتاجه، مما تم التوصل إليه على مستوى هذه الدراسة:

أ-من أخطر أسباب تخلف الأمة "المسلمة" عن مكان الريادة التي وضعها الله فيه؛ ضعفُ الإيمان بالغيبيات، والركونُ إلى الماديات، فنبذت كتاب الله وراء ظهرها؛ أسوة باليهود والنصارى، ففسَد حالُها؛ ووكلها الله إلى تلك الماديات التي قصّرت في أسباب نيلها، فارتكست إلى مكان الذلة والمسكنة، وما هو لها بمكان؛ لو تدبرت كتاب ربها، وأسست عليه تصورها. لأن الأصل في صحة وفعالية التصرفات، صحةُ وفعالية التصورات، وخصوصا التصور حول الغيبيات. وأساسها وملاكها التصورُ حول أصلها؛ أقصد بذلك الله ﷻ ثم الآخرة ... فعلى أساس ذلك تستقيم كل التصورات الأخرى حول الإنسان والكون... ثم التصرفاتُ بإذن الله تعالى.

فلو صح التصورُ وقوي الإيمانُ بالغيب، لحصلت الخشيةُ بالغيب، والأوبةُ والإنابةُ إلى الله ﷻ، ومن ثم اتباعُ الذكر، وانطلاقُ المسلم في الآفاق مبشرا بالإيمان والعمران، إنقاذا للإنسانية مما هي عليه من ضياع وخسران.

ب-من أعظم أنواع الإعجاز في القرآن الكريم، "الإعجاز الغيبي" سواء ما تعلق منه بالماضي أو الحاضر، أو المستقبل، فهو محجة بيضاء نورها ساطع لا ينقطع إلى يوم القيامة؛ لمحو ظلمات الريب والشك، ولإحقاق الحق بإظهار صدق الرسالة. ومن ثم فهو من أعظم وسائل الدعوة إلى الله في عصرنا الحاضر لكل الناس وفي الغرب خاصة.

ج-تَبَيَّن زيف ادعاء علم الغيب، بدليل الخبر من القرآن والسنة، وأكد ذلك العلم الحديث، من داخل المختبر، وفي أحدث نظرياته.. ومن ثم فعلى المسلم ألا يشغل نفسه بهذه الدعاوى، وعلى المدعين تركُ دعاواهم الكاذبة، والإقبالُ على الله صادقين، فلعل الله أن يكرمنا وإياهم بالتقوى ونور الفهم، وبمعرفة المأذون به مما غاب بما شُرع، في إطارٍ من ضوابط ذلك وآدابه.

د-بعد تَبينِ المفهوم القرآني للغيب، وأن علمه بيد الله وحده، ينبغي للإنسان أن يقف عند حده، من حيث البحث في الغيبيات، وهو المأذون به من الله ﷻ، حتى لا يفتَتِن ويَفتِن، ويقلب الموازين، فيعقّد البسيط، ويبسِّط المعقد، وحتى لا تضيع الجهود سدى، فيندم بعدها، ولات حين مندم.

هـ-البحث في المأذون به يكون بعلم وبقصد؛ وذلك بأن يكون البحث باسم الله وبمنهج الله، لتحصل المقاصد بإذن الله، ومن أهمها ما يزيد في الإيمان بالغيب، ويقوي اليقين به، ومنها ما يُسهم في تنزيل مقتضيات هذا الإيمان وهذا اليقين؛ تنزيلا قرآنيا تحقيقا لـمَهمة الاستخلاف في الأرض.

و-كل شيء في هذا الكون ينطوي على أسرار وغيوب، هي من آيات الله تعالى في الخلق. والإنسان مدعو لعدم الغفلة عن الآيات، فكل شيء يُسبح بحمد الله، ومن ثم فالبحث عن آيات الله في كل شيء أمر مطلوب، ليزداد إيمانه ويقينه بالله تعالى، وليستفيد منه في خلافته عن الله في الأرض.

ز-بناء على استشراف غد عالم الغيب، يتم استشراف غد عالم الشهادة، وذلك بالتقوى والإيمان، والمسارعةِ إلى الخيرات والعمران. فالعلاقة بين العالمين علاقة عميقة وطيدة؛ تبادلية في عالم الشهادة، وممتدة في النهاية نحو عالم الغيب.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

من تراثنا المصطلحي

من تراثنا المصطلحي

قال العلامة الراغب الأصفهاني(ت: 502هـ)

في كتاب "مفردات ألفاظ القرآن":

"...إن أول ما يُحتاج أن يُشتغَلَ به من علوم القرآنِ العلومُ اللفظية. ومن العلومِ اللفظيةِ تحقيقُ الألفاظِ المُفْرَدَة، فتحصيلُ مَعاني مُفْرَداتِ ألفاظِ القرآنِ في كونهِ من أوائلِ المُعَاوِنِ لِمَن يُريدُ أن يُدْرِكَ مَعانِيَه، كتحصيلِ اللَّبِنِ في كونهِ من أوَّلِ المُعَاوِنِ في بناء ما يُريدُ أن يَبْنِيَهُ، وليس نافِعًا في علمِ القرآنِ فقطْ، بل هو نافِعٌ في كلِّ علمٍ من علومِ الشرع؛ فألفاظُ القرآنِ هي لُبُّ كلامِ العربِ وزُبْدَتُهُ، وَوَاسِطَتُهُ وكرائِمُهُ، وعليها اعتمادُ الفقهاءِ والحكماءِ في أحكامِهِم وحِكَمِهِم، وإليها مَفْزَعُ حُذَّاقِ الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم. وما عَداها وعَدا الألفاظَ المُتفرِّعَاتِ عنها والمُشْتَقَّاتِ منها هو بالإضافة إليها كالقُشُورِ والنَّوَى بالإضافةِ إلى أطايبِ الثَّمَرَةِ، وكالحُثالةِ والتِّبْنِ بالإضافة إلى لُبُوبِ الحِنْطَةِ".

مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم بدمشق. (ص: 45 ــ 55).

من أخبار المصطلح

من أخبار المصطلح*

(سنة: 2015-2016م)

إعداد: د. رشيد سلاوي**

1 ــ كتب:

* **آليات وضع المصطلحات وتوليدها لدى الدكتور محمد مفتاح**. الدكتور رشيد سوسان. مكتبة الطالب وجدة. الطبعة الأولى: 2015م.(189صفحة).

* **إشكالية المصطلح الغربي فى ثقافتنا المعاصرة د. سمير حجازي**. الطبعة الأولى: 2015م. اتحاد الناشرين بالجمهورية المصرية. مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات.

* **إشكالية المصطلح النسوي دراسة دلالية. مصطلح المساواة، الحجاب، التمكين، أنموذجا**. الدكتور خالد بن عبد العزيز السيف. تكوين للدراسات والأبحاث. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2016م.(224 صفحة).

* **الإنصاف في المصطلحات البلاغية المنفية من القرآن**. الدكتور عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر. دار التوحيد الرياض. الطبعة الأولى: 2016 م. (128 صفحة).

(*) يرجى من جميع المهتمين بالمصطلح ، تزويد "المجلة" بما جَدَّ من أخبار المصطلح ، للإعلان عنه في هذا الركن بانتظام.

(**) ــ أستاذ بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب سايس ــ فاس.

* **الترجمة والمصطلح اللساني (سلسلة الترجمة والمعرفة العدد: 4)**. تنسيق: الدكتور حسن درير، الدكتور عبد الله الرشدي، الدكتور حسين كتانة، الدكتور عبد الله بقشي، الدكتور عبد الحميد زاهيد. عالم الكتب الحديث إربد الأردن، الطبعة الأولى: 2016م (261 صفحة).

* **التعريب وصناعة المصطلحات: دراسة تطبيقية في القواعد والإشكالات**. الدكتور الصادق خشاب. عالم الكتب الحديث إربد، الأردن. الطبعة الأولى: 2016 م. (278 صفحة).

* **دليل الاصطلاح. سيلفيا بافيل وديان نولي**. ترجمة خالد الأشهب. كنوز المعرفة عمان الأردن. الطبعة الأولى: 2016م. (147 صفحة).

* **سؤال الاصطلاح، مقدمة في قضايا الاصطلاح ومصطلحات الاعتقاد**. الدكتور سعيد بن ناصر الغامدي. الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت لبنان. الطبعة الأولى: 2016م.(253 صفحة).

* **السرد والمصطلح: عشر قراءات في المصطلح السردي وترجمته**. الدكتور سيدي محمد بن مالك. دار ميم للنشر في الجزائر الطبعة الأولى: 2015م. (148صفحة).

* **علم البيان: موجز المصطلحات والأسس**. الدكتور عصام الدين أبو زلال. دار الوفاء الإسكندرية. الطبعة الأولى: 2016م. (117 صفحة).

* **في قضايا المصطلح النقدي والبلاغي والعروضي والإعلامي**. عمر عتيق. دار جرير للنشر والتوزيع الطبعة الأولى: 2015م.

* **في لغة المصطلح العربي، دراسة نقدية في المصطلح العلمي الحديث والمصطلح البلاغي النقدي**. الدكتور أحمد محمد معتوق. الدار العربية للعلوم ناشرون. الطبعة الأولى 2015م.(184 صفحة).

* **قراءات في المصطلح للمترجم. ناطق خلوصي**. سلسلة الموسوعة الثقافية. دار الشؤون الثقافية العامة، في وزارة الثقافة العراقية. الطبعة الأولة 2016م. (190 صفحة).

* **الكلمة والمصطلح في اللسان العربي**. الدكتور عمار ساسي. عالم الكتب الحديث إربد الأردن. الطبعة الأولى: 2016م.(222 صفحة).

* **المتون المصطلحية**. الأستاذ أمطوش محمد. دار الحامد للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى: 2015م. (211 صفحة).

* **مصطلحات ابن خلدون والمعاصرين للمذاهب الأصولية**. الدكتور خالد بن محمد العروسي. تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى: 2015م.(64 صفحة).

* **مصطلحات نقد الشعر عند نقاد القرن الرابع الهجري**. الدكتور عبد الرزاق جعنيد. عالم الكتب الحديث إربد الأردن. الطبعة الأولى: 2016م.(329 صفحة).

* **المصطلحات النقدية والبلاغية في تفسير الكشاف**(538 ه). الدكتور رشيد سلاوي. مطبعة أنفو برينت فاس. الطبعة الأولى: 2015م. (725 صفحة).

* **المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر**. الدكتور عبد القادر مرعي بني بكر. عالم الكتب الحديث إربد الأردن. الطبعة الأولى: 2016م.(280 صفحة).

* **المصطلح البدوي في التراث البلاغي والنقدي عند العرب**. ابتسام محفوظ أبو محفوظ.دار جليس الزمان الطبعة الأولى: 2015م. (351صفحة).

* **المصطلح النقدي في كتاب الوساطة للجرجاني -دراسة مصطلحية-**. الدكتور يحي صالحي. مكتبة الطالب بوجدة. الحجم المتوسط في 408 صفحة 2016م.

* **المصطلح النقدي والصناعة المعجمية: دراسة في المعاجم المصطلحية وإشكالاتها المنهجية. الدكتور عباس عبد الحليم عباس**. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع – الأردن. الطبعة الأولى: 2015م.(225صفحة).

* **المصطلح والمفهوم والمعجم المتخصص. الدكتور محمد خطابي**. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع – الأردن. الطبعة الأولى: 2016م.(560صفحة).

* **مع المصطلح البلاغي والنقدي قديماً وحديثاً**. الدكتور إحسان بن صادق اللواتي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى: 2016م.

* **معاجم المصطلحات المصطلحات الحديثية العربية المعاصرة**. الدكتور خالد فهمي. تقديم الدكتور سعد مصلوح. دار المقاصد القاهرة جمهورية مصر العربية. الطبعة الأولى: 2016م. (342 صفحة).

* **معجم الألفاظ والمصطلحات التربوية في التراث العربي**. الزبير مهداد. مطبوعات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربي الرياض. الطبعة الأولى: 2016م.(264 صفحة).

* **معجم مصطلحات الفلسفة بين النقد والبلاغة العربيين**. الدكتور سلام إدريسو. عالم الكتب الحديث إربد الأردن، الطبعة الأولى: 2015م.

* **المعجم الموحد لمصطلحات الآداب المعاصرة**. بالاشتراك مع محمد أسليم، إشراف: عبد الفتاح الحجمري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ مكتب تنسيق التعريب، الرباط، سلسلة المعاجم الموحدة. 2015م.(225 صفحة).

* **المعجم الموحد لمصطلحات علم التشريح العياني (إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي)** سلسلة المعاجم الموحدة رقم: 39. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مكتب تنسيق التعريب 2015م. (596 صفحة).

* **مفهوم البيان في القرآن الكريم. دراسة مصطلحية**. الدكتورة فاطمة بوسلامة. مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) الطبعة الأولى 2015م.(320 صفحة).

* **مفهوم العمل الخيري في القرآن الكريم والحديث الشريف**. إشراف الدكتور الشاهد البوشيخي. إعداد الدكتور محمد أزهري. مراجعة الدكتور مصطفى فوضيل. مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب بجدة. الطبعة الأولى: 1438ه ــ 2016م. (372 صفحة).

* **مفهوم الغيب في القرآن الكريم والحديث الشريف (دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي)** الدكتور إدريس مولودي. تقديم الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي. مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) ودار السلام للطباعة والنشر جمهورية مصر العربية. الطبعة الأولى: 2016م. (437 صفحة).

* **من قضايا المصطلح النقدي لدى الدكتور محمد مفتاح: الإبستمولوجية التشييدية، ومبدأ "التدريج"، والمصطلح العلمي**. الدكتور رشيد سوسان. مكتبة الطالب وجدة. الطبعة الأولى 1437ه/ 2015م.(319 صفحة).

* **نحو معجم لمصطلحات لسانيلت النص وتحليل الخطاب**. تأليف نخبة من طلبة لسانيات النص وتحليل الخطاب. مراجعة وإشراف الدكتور عبد الرحمن بودراع. مطبعة سليكي أخوين طنجة الطبعة الأولى: 2016م.(213صفحة).

* **نشأة علم المصطلح والحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين**. الدكتور محمد عصام عيدو. أروقة للدراسات والنشر عمان الأردن. الطبعة الأولى 2016م.(301 صفحة).

2 ــ مقالات:

* **إدارة المصطلحات: أدوات، مقاييس وتجارب دولية** (أعمال ندوة "المعجم العربي المتخصص ودوره في تنمية المصطلح العلمي ونشره"). الدكتور عبد الغني أبو العزم. اللسان العربي. العدد 76، 2016م. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مكتب تنسيق التعريب. (ص: 55 ــ 77)

* **التراجمة العرب والاصطلاح الطبي في القرن التاسع الميلادي.** الدكتور نشأت حمارنة. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. السنة الأربعون، العدد الواحد والتسعون، كانون الأول 2016م. (ص: 201 ـ 234)

* **ترجمة مصطلحات الفقه الإسلامي وأثرها في رفد الثقافة الفرنسية بمفاهيم جديدة.** الدكتور حسام سباط. مجلة العربية والترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة. السنة السابعة، العدد: 22. يونيو 2015م.

* **التركيب المصطلحي وتوظيفه في وضع المصطلح اللساني.** الدكتور حاج هنّي محمد. مجلة العربية والترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة. السنة الثامنة، العدد: 28. دجنبر 2016م.

* **تعريفات أولية للمصطلحية والمصطلحاتية في ضوء المبادئ الموجهة لهما**(أعمال ندوة "المعجم العربي المتخصص ودوره في تنمية المصطلح العلمي ونشره"). الدكتور عبد الغني أبو العزم. اللسان العربي. العدد 76، 2016م. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مكتب تنسيق التعريب. (ص: 29 ـ 46)

* **جهود عبد الملك مرتاض في ترجمة المصطلح اللّساني والسيميائي.** الدكتور فريد أمعضشو. مجلة العربية والترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة. السنة السابعة، العدد: 22. يونيو 2015م.

* **الحدود المفاهيمية للمصطلح النقدي السوسيولوجي.** الدكتور سليم بركان. مجلة العربية والترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة. السنة السابعة، العدد: 23. شتنبر 2015م.

* **سياقات النُّقلة المصطلحيّة وصورها الرمزيّة في كتابات أدونيس وجابر عصفور.** الدكتور عيّاد بومزراق. مجلة العربية والترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة. السنة السابعة، العدد: 22. يونيو 2015م.

* **صعوبات رصد المفاهيم والمصطلحات المستجدة**(أعمال ندوة "المعجم العربي المتخصص ودوره في تنمية المصطلح العلمي ونشره"). الدكتور علي القاسمي. اللسان العربي. العدد 76، 2016م. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مكتب تنسيق التعريب. (ص: 47 — 54)

* **اللغة العربية وإشكالية المصطلح في الترجمة**. الدكتور محمد بوزيدي. مجلة العربية والترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة. السنة الثامنة، العدد: 24. دجنبر 2015م.

* **مصطلحات التصحيح الزائف في نصوص العربية الوسيطة** . الدكتور منتصر أمين عبد الرحيم. اللسان العربي. العدد: 75، 2015م. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مكتب تنسيق التعريب. (ص:225 — 251)

* **مصطلح الحذف في العربية والإنجليزية وأثر الاختلاف بينهما في الترجمة دراسة تحليلية**. (ته لار سالار أحمد وعاصم شحادة علي. مجلة العربية والترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة. السنة الثامنة، العدد: 26. يونيو 2016م.

* **المصطلح العربي بين التقييس والممارسة العملية**. الدكتور محمد أنيس مورو. مجلة العربية والترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة. السنة السابعة، العدد: 22. يونيو 2015م.

* **المصطلح السيميائي من خلال مشروع مدرسة باريس**. الدكتور رشيد بن مالك. مجلة العربية والترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة. السنة الثامنة، العدد: 25. مارس 2016م.

* **مصطلح Lexicologie، قراءة في المفهوم والترجمة**. الدكتور سعيد بكير. السنة السابعة، العدد: 20. شتاء 2015م.

* **المعاجم الرقمية العربية: من المصطلح إلى الدلالة**(أعمال ندوة "المعجم العربي المتخصص ودوره في تنمية المصطلح العلمي ونشره"). الدكتور كريم بوزوبع، والدكتور

عبد الفتاح حمداني. اللسان العربي. العدد 76، 2016م. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مكتب تنسيق التعريب. (ص: 79 ــ 100)

* **المعجم الموحد لمصطلحات الآداب المعاصرة؛ قراءة أفقية عمودية**. العربي قنديل. مجلة البلاغة والنقد الأدبي العدد السادس ربيع/ صيف 2016م(ص. ص:291 ــ 301)

* **ملحوظات حول منهجية وضع المصطلح العلمي في اللغة العربية**(أعمال ندوة "المعجم العربي المتخصص ودوره في تنمية المصطلح العلمي ونشره"). الدكتور دفع الله الترابي. اللسان العربي. العدد 76، 2016م. (ص:17 ــ 28) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مكتب تنسيق التعريب.

* **منزلة المصطلح في الخطاب المختص: هل تزعزعت المُسلَّمات الفوسترية**. الدكتور محمد أنيس مورو (.مجلة العربية والترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة. السنة السابعة، العدد: 23. شتنبر 2015م.

* **نظرات الدكتور محمد الدناي في مصطلحات التبادي عند أبي العلاء المعري**. الدكتور رشيد سلاوي. منشور ضمن أعمال ندوة: الدرس الشعري بين استقصاء الثوابت ورصد التحولات. سنة الطبع 2015م (ص: 113 ــ 121).

* **وضع المصطلح العلمي :مفهومه ومقاييسه ومواصفاته**. د .الطيب رحماني. مجلة جسور المعرفة للتعليمية والدراسات اللغوية والأدبية(تصدر عن مختبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب بجامعة حسيبة بن بوعلي ــ الشلف الجزائر). العدد 4، دجنبر 2015. (ص: 21 ــ 27).

3 ــ رسائل جامعية في المصطلح:

* **أصالة الدراسة المصطلحية في التراث العربي الإسلامي**. إعداد الطالب: عبد الوهاب قزبير، إشراف: الدكتور أحمد العلوي العبدلاوي. كلية الآداب سايس فاس. تاريخ المناقشة: 2016م. (دكتوراه).
* **الدرس اللغوي ومصطلحه في كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور**. إعداد الباحث: المهدي محمد أحمد خليفة. إشراف الدكتور محمد الدحماني. تاريخ المناقشة: 2016/07/19م. كلية الآداب ظهر المهراز فاس. (دكتوراه).
* **صناعة المصطلح الإشهاري في اللغة العربية –السمعي البصري أنموذجا–** إعداد الباحث :محمد مداني. إشراف: الدكتور عمار ساسي. تاريخ المناقشة: 5 يونيو 2016م.كلية الآداب واللغات ــ البليدة2 الجزائر. (دكتوراه).
* **مصطلحات قضية السرقات الشعرية لدى نقاد شعر المتنبي**. إعداد الباحث: عزيز عياد. إشراف: د.مصطفى اليعقوبي. تاريخ المناقشة: يوليوز 2015م. كلية الآداب وجدة. (دكتوراه).
* **مصطلحات نقد الشعر في تراث ابن جني**. إعداد الباحث: الشيخ أحمد بن البان. إشراف: الدكتور عبد الرحيم الرحموني. تاريخ المناقشة: 17 دجنبر 2016م. كلية الآداب ظهر المهراز فاس. (دكتوراه).
* **مصطلح "الشعر" و"النقد" في تراث ميخائيل نعيمة(1889م ــ 1988م)**. إعداد الباحث: يوسف الطالبي. إشراف: د. عبد الحفيظ الهاشمي. تاريخ المناقشة: 29 دجنبير 2016م. كلية الآداب وجدة. (دكتوراه).
* **المصطلح النحوي في شرح المفصل لابن يعيش**. إعداد الباحث: أحمد خلدي. إشراف: د. محمد التاقي. تاريخ المناقشة: 29 دجنبير 2016م. كلية الآداب بني ملال. (دكتوراه).
* **المصطلح النقدي في أعمال الدكتور عبد السلام المسدي ــ** إعداد الباحثة: زهرة خليفة سليمان(طالبة ليبية). إشراف: الدكتور رشيد سلاوي . تاريخ المناقشة: 22 يوليوز 2015م. كلية الآداب ظهر المهراز فاس.(دكتوراه).

* **المصطلح النقدي في كتاب: الوافي في نظم القوافي: لأبي الطيب الوندي(684هـ)**. إعداد الباحث: عبد العزيز بوكطاية. إشراف: د. عبد الحفيظ. الهاشمي. تاريخ المناقشة: 28 دجنبير 2016م. كلية الآداب وجدة. (دكتوراه).

* **المصطلح النقدي لدى محمد حسن بريغش**. إعداد الباحث: الطيب رحماني. إشراف: د. عبد الحفيظ. الهاشمي. تاريخ المناقشة: يوليوز 2015م. كلية الآداب وجدة. (دكتوراه).

* **مفهوم المسؤولية في القرآن الكريم**. إعداد الباحث: محمود ناصر زوراو. إشراف: الدكتور : محمد أنيس الأروادي. تاريخ المناقشة: 22 أبريل 2015م. كلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية. (دكتوراه).

* **النقد المصطلحي المغربي الحديث: (1977 ـ 2010م) دراسة في الأصول والمفاهيم والقضايا والنماذج**. إعداد الباحث: محمد برحو. إشراف الدكتور: عبد الحفيظ الهاشمي. تاريخ المناقشة: 2016/07/21. كلية الآداب وجدة. (دكتوراه).

* **واقع المصطلح العلمي بين الترجمة والتعريب. ترجمة المصطلح الطبي من الفرنسية إلى العربية**. إعداد الباحثة: فادية كرزابي. إشراف: الدكتورة: نورية شيخي. تاريخ المناقشة: 2015م. جامعة تلمسان كلية الآداب واللغات.(ماجستير).

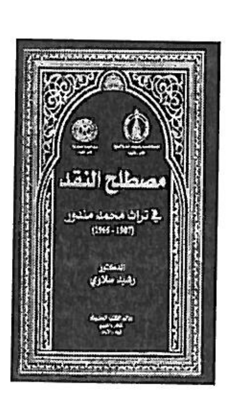
4 ـ ندوات ولقاءات:

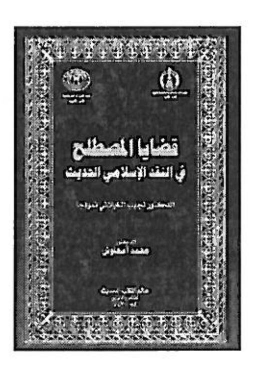
*** المصطلح وسؤال المعرفة: يوم 18 ماي 2016م. بجامعة القاضي عياض، الكلية المتعددة التخصصات آسفي.**

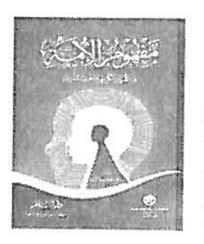
*** جلسة علمية عن المصطلح الصحي في التراث العربي الإسلامي بمناسبة مشاركة مؤسسة البحوث والدراسات العلمية(مبدع) في المؤتمر الدولي السابع للجمعية الدولية لتاريخ الطب الإسلامي من 22 إلى 26 محرم 1438 هـ الموافق 24 إلى 28 أكتوبر 2016م بكلية الطب بفاس – المغرب**

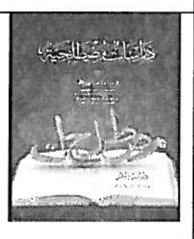
مطبوعات مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)

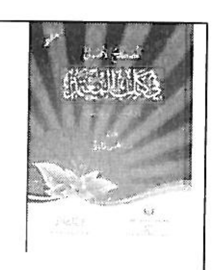
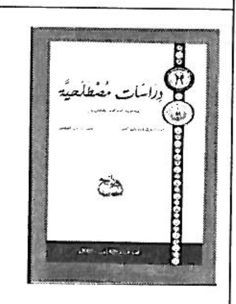
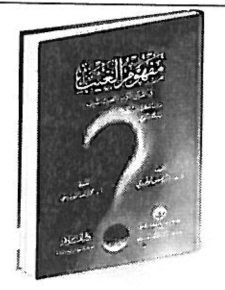
في المفاهيم والمصطلحات

	مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين(قضايا ونماذج ونصوص). الدكتور الشاهد البوشيخي الطبعة الأولى 2009م (803صفحة)
	مصطلح الشعر في تراث العقاد الأدبي (1889 ـ 1964م). الدكتور عبد الحفيظ الهاشمي الطبعة الأولى 2009م (684 صفحة)
	مصطلح النقد في تراث محمد مندور (1907 ـ 1965م). الدكتور رشيد سلاوي الطبعة الأولى 2009م (692 صفحة)

 	**مصطلحات التخطئة الشعرية** **في التراث النقدي** **الدكتور صالح أزوكاي** الطبعة الأولى2010م (922 صفحة)
 	**مصطلح القافية** **من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني** **الدكتور محمد أزهري** الطبعة الأولى2010م (550 صفحة)
 	**قضايا المصطلح** **في النقد الإسلامي الحديث** **الدكتور محمد أمهاوش** الطبعة الأولى2010م (458 صفحة)

	**مفهوم السلام في القرآن الكريم والحديث الشريف** الدكتور الطيب البوهالي. الطبعة الأولى 2010م (294 صفحة)
	**مفهوم الأمة في القرآن الكريم والحديث الشريف.** الدكتور عبد الكبير حميدي. الطبعة الأولى 2010م (366صفحة).
	**مفهوم التقوى في القرآن والحديث، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي.** الدكتور محمد البوزي الطبعة الأولى 2011م.(348صفحة).
	**مفهوم الحياة في القرآن والحديث.** **الدكتور محمد الأحمدي.** الطبعة الأولى 2011م(366 صفحة).

	**مفهوم القطع والظن وأثره في الخلاف الأصولي.** الدكتور حميد الوافي. الطبعة الأولى 2011م (331 صفحة).
	**مفهوم النعمة في القرآن الكريم والحديث الشريف، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي.** الدكتور عبد المجيد بنمسعود. الطبعة الأولى 2011م (406 صفحة).
	**دراسات مصطلحية.** الدكتور الشاهد البوشيخي الطبعة الأولى 2012م (278 صفحة).
	**مصطلحات الجرح والتعديل وتطورها التاريخي في التراث المطبوع للإمام البخاري** الدكتور محمد أولاد عتو تقديم: الدكتور الشاهد البوشيخي الطبعة الأولى: 2013 (756 صفحة).
	**مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي** الدكتور أمحمد الينبعي الطبعة الأولى: 2014 (243 صفحة).

	**المصطلح الأصولي في كتاب المعتمد** **لأبي الحسين البصري المعتزلي** الدكتور الحسن قايدة الطبعة الأولى: 2014 (325صفحة).
	**مجلة دراسات مصطلحية** **تصدر بالاشتراك مع معهد الدراسات المصطلحية** العدد السابع طبع سنة 2007 العدد الثامن طبع سنة 2008 العدد التاسع والعاشر طبع سنة 2009 ــ 2010 العدد الحادي عشر والثاني عشر طبع سنة 2011 ــ 2012 العدد الثالث عشر والرابع عشر طبع سنة 2013 ــ 2014
	**مفهوم البيان في القرآن الكريم. دراسة مصطلحية.** الدكتورة فاطمة بوسلامة. الطبعة الأولى 2015م.(320 صفحة).
	**مفهوم الغيب في القرآن الكريم والحديث الشريف** **(دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي)** الدكتور إدريس مولودي. الطبعة الأولى: 2016م. (437 صفحة).

مطبوعات معهد الدراسات المصطلحية

ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم طبعة خاصة بالمعهد 1993	دليل الباحث الناشئ في المصطلح طبع سنة 1993
ندوة الدراسات المصطلحية والعلوم الإسلامية جزآن سنة 1996	قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة يوم دراسي سنة 1998
ندوة قضايا المصطلح في العلوم الإنسانية جزآن طبع سنة 2000	نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي دورة تدريبية سنة 2000
المصطلح الأصولي عند الشاطبي د. فريد الأنصاري سنة 2004	المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة في تفسير الطبري دة. فريدة زمرد
مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف الطبعة الثانية سنة 2005	مفاتيح النور نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات النور لبديع الزمان سعيد النورسي د. فريد الأنصاري
مجلة دراسات مصطلحية العدد الأول طبع سنة 2001 العدد الثاني طبع سنة 2002 العدد الثالث طبع سنة 2003 العدد الرابع طبع سنة 2004	العدد الخامس طبع العدد السادس طبع **ثمن النسخة** 100 درهم داخل المغرب 25 دولار خارج المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)

ـ طبيعتها:

هي مؤسسة علمية خاصة للبحث العلمي وما يتصل به، في مختلف العلوم، نصوصا ومصطلحات ومناهج.

وقد أسست قانونياأوائل عام 1428هـ ـ 2007م بمدينة فاس، بالمغرب.

ـ رسالتها:

رسالتها في محاولة النيابة بالعصبة أولي القوة من الأمة عن الأمة، في التصدي للتحديات التي تواجه الأمة في المعضلات الثلاث:

1 ـ معضلة النص: ويقصد بها تلكم المعضلة التي تتمثل في الواقع الأليم لما تبقى من نصوص التراث الذي هو الذات.

2 ـ معضلة المصطلح: ويقصد به تلكم المعضلة التي تتمثل أساسا في الألفاظ الاصطلاحية أو "مفاتيح العلوم" اللازم تحديدها لفهم الذات في الماضي، وتدقيقها لخطاب الذات في الحاضر، وإنشاؤها لتحديد الذات في المستقبل.

3 ـ معضلة المنهج: ويقصد بها تلكم المعضلة التي تتمثل أساسا في طرق البحث والدرس التي كلما كانت أقوم وأهدى وأسد، كانت أنفع وأجدى وأردّ، توثيقا وتحقيقا وتكشيفا، فهما واستنباطا وتأليفا،...

ـ مشاريعها:

1 ـ الإعداد العلمي الشامل للنص
2 ـ الإعدادالعلمي الشامل للمصطلح
3 ـ الإعداد العلمي الشامل للمنهج

مؤسسة البحوث والدراسات العلمية(مبدع)

ص .ب: 6012 فاس 30040 المغرب

الهاتف: 0355962884(212)

العنوان الإلكتروني:

mobdii@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

معهد الدراسات المصطلحية

معهد الدراسات المصطلحية: مؤسسة للبحث العلمي، متخصصة في البحوث والدراسات المصطلحية. أُنشئ بكلية الآداب – ظهر المهراز – جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، في 6 ذي الحجة 1413 الموافق 28 ماي 1993، للعمل على :

– **تبيّن التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية وبيانه؛** ذلك بأنها تتعلق ماضياً بفهم الذات، وحاضراً بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات.

– **سد بعض حاجة الأمة في مجال المصطلح**، بالتخطيط لإنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العربية، وفق خطة علمية منهجية متكاملة.

–تطوير البحث في المصطلح؛ نظريات ومفاهيم، مناهج ووسائل... في التاريخ والواقع معا.

ويسعى المعهد إلى تحقيق أهدافه بعدة وسائل منها:

– إقامة الندوات والمدارسات العلمية والدورات التدريبية المتخصصة.

– إنشاء مجموعات للبحث في المصطلح، في مختلف العلوم.

–تشجيع البحوث والدراسات المصطلحية وتوجيهها ونشر المتميز منها.

وللمعهد مجموعات بحث تنسق معه في عدد من الجامعات، كما أن له أشكالاً من التعاون العلمي المشترك مع عدد من المؤسسات والمراكز العلمية.

معهد الدراسات المصطلحية

ص ب: 6012 فاس 30040 المغرب

مطبعة آنفو-برانت
Imp.Info-Print
Tél: 05.35.64.17.26 - Fès
Fax: 05.35.65.72.47

الإيداع القانوني: 16 / 2000





TERMINOLOGICAL STUDIES

A REFEREED ANNUAL REVIEW

ISSUED IN COLLABORATION WITH

FOUNDATION FOR SCIENTIFIC RESEARCH AND STUDIES **INSTITUTE OF TERMINOLOGICAL STUDIES**







Number: 15-16: 2015-2016